



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

بناء موضوع الارهاب من طرف خبرة مراكز الفكر في الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط منذ 11 سبتمبر 2001

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية
تخصص: سياسات مقارنة

تحت إشراف:
أ.د. السعيد ملاح

إعداد الطالب:
منير ليتمان

تاريخ المناقشة : 2024/07/18
أمام لجنة المناقشة المشكلة من السادة الأساتذة:

الصفة	المؤسسة الجامعية	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	بروفيسور	أ.د. عبد الله هوادف
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	بروفيسور	أ.د. السعيد ملاح
مناقشا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	بروفيسور	أ.د. محمد الطاهر عديلة
مناقشا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	بروفيسور	أ.د. زروقة اسماعيل
مناقشا	جامعة باتنة 01	أستاذ محاضر أ'	د. مسعود شوية
مناقشا	جامعة جيجل	أستاذ محاضر أ'	د. رياض بوزرب

السنة الجامعية : 2024/2023

هذه الصفحة تركت بيضاء عمدا



تصريح شرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث
(المرجع: ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 2016/07/28 المتعلق بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية)

أنا المعضي أسفله:

السيد (ة): ليان صير الصفة: (طالب، أستاذ باحث) طالب

المولود (ة) بتاريخ: 08/10/1979 م. مسمى: عبد العزيز (أجل)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية (أو ر. س. رقم: 102672355 الصادرة بتاريخ: 10/10/2016 عن: اقتدار - عجل)

المسجل (ة) بكلية/معهد: العلوم والتكنولوجيا العلوم والتكنولوجيا والعلاقات الدولية

و المكلف بإنجاز أعمال بحث أطروحة دكتوراه، عنوانها: بناء موضوع الإرهاب من طرف فتيحة

مراكز التفكير في الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط منذ 11 سبتمبر 2001

أصرح بشرفي أنني اطلعت على كل مواد القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 2016/07/28 و المتعلق

بالوقاية ومحاربة السرقة العلمية، و ألتزم باحترامه بكل صرامة و بدون تحفظ، و كما أنني التزم بمراعاة المعايير

العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

ملاحظة: يحمى هذا التصريح عند نائب العميد (مدير) المكلف بالبحث العلمي و يوضع في ملف المعني.

حررت هذه الشهادة بتاريخ: 2024/10/21/14

توقيع المعني مع البصمة



كيسا

شكر

الحمد لله وحده، منّ عليّ بتوفيقه لإتمام هذا العمل المتواضع

شكر خاص لوالدي كما أجزلا علي بفضلهما

شكر خاص من أعماق القلب للأستاذ المشرف الدكتور السعيد ملاح على نصائحه، وجهده وتشجيعه و صبره علينا

شكر خاص إلى رياض و صيفي و منيرة و منير وفيصل على تشجيعهم الذي لم ينقطع طوال الست سنوات

اهداء

إلى منيرة، رفيقة و نور الدرب

خطة الدراسة

01	مقدمة :
01	I. تقديم لموضوع الدراسة : أهمية الخبرة حول الارهاب في العملية السياسية
05	II. التعريف بموضوع الدراسة
05	III. مصدر التساؤلات ومبررات للدراسة
05	أ. على المستوى العملي
06	ب. على المستوى العلمي والنظري
08	IV. الأهداف من الدراسة
09	V. التعريف بإشكالية الدراسة
11	VI. فرضية الدراسة
12	VII. مراجعة الأدبيات Revue de Littérature
13	أ. الدراسات حول موضوع مراكز التفكير
15	ب. الأدبيات من حقل دراسات الارهاب Terrorism Studies
18	ت. الدراسات من حقل الدراسات النقدية للارهاب
20	VIII. الاطار المنهجي للدراسة :
21	أ. المنهجية Methodology
22	ب. المناهج المستعملة في التحليل Methods
26	IX. تقسيم الدراسة
28	الفصل الأول : اطار المفاهيم والنظريات المتعلقة بموضوع الدراسة
28	المبحث الأول : ما المقصود بخبرة مراكز التفكير؟
28	المطلب الأول : مفهوم الخبرة
28	1- مسار التطور التاريخي لمفهوم الخبرة' ولقيمته الاستخدامية
33	2- تعريف الخبرة
34	2-1. مساهمات حقل سوسيولوجيا المهن
35	2-2. مقارنة فريتش Fritsch : مفهوم موقف الخبرة Situation d'expertise

المطلب الثاني : تعريف مراكز التفكير

1. مساهمات سوسيولوجيا المنظمات و حدودها

2. نحو تعريف وظيفي لمراكز التفكير

المطلب الثالث : من هو خبير الارهاب ؟

1-1. الارهاب : مفهوم غير مستقر فكيف يمكن تعريف خبراء الارهاب ؟

1-1. غياب الاجماع في تعريف الارهاب وخصوصية التعريفات التي يقدمها حقل خبراء الارهاب.

1-2. دور خبراء مراكز التفكير في بناء مفهوم الارهاب : أداة لتقليص التضارب بين التعاريف؟

2-2. بناء تعريف للإرهاب : وسيلة للسياسة الخارجية للقوى الدولية

2-1. الارهاب : عنف غير نظامي قبل كل شيء

2-2. الارهاب عنف غير نظامي مرتبط بالمصالح الجيوسياسية للهيئات النظامية

3-3. من يكون خبير الارهاب ؟

المبحث الثاني : أدوار خبراء مراكز التفكير : المقاربات النظرية لتفكيك الموضوع

المطلب الأول : مقاربات سوسيولوجيا المعرفة و سوسيولوجيا الحقل حول أدوار خبراء مراكز التفكير

1-1. سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة لتحليل أدوار خبراء مراكز التفكير

1-1-1. التحليل البنائي لأدوار خبراء الارهاب : صناع للتهديد

2-1-2. سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة خطابية

2-2. خبراء مراكز التفكير عن الارهاب و تطبيقات نظرية الحقل Field theory

2-1. مفهوم الحقل و اسقاطه على موضوع مراكز التفكير

2-2. هل يمكن اعتبار خبراء الارهاب في مراكز التفكير كحقل ؟

2-3. خبراء مراكز التفكير عن الارهاب كحقل سلطوي غير تقليدي

2-3-1. مفهوم ثوماس ميدفيتز Thomas Medvetz عن الحقل الهجين

2-3-2. حقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب : حقل هجين و عابر للأوطان

المطلب الثاني : المؤسساتية الخطابية الجديدة لتفسير خبرة مراكز التفكير عن الارهاب

1-1. المؤسساتية الخطابية الجديدة : دور الأفكار و الخطاب في تفسير السياسات

1-1-1. المسلمات الرئيسية للمؤسساتية الخطابية

1-1-2. أنواع الأفكار و مستوياتها عند المؤسساتيين الخطابيين

1-3. خطاب التنسيق و خطاب التواصل عند المؤسساتيين الخطابيين

2- مفهوم السردية السياسية Policy Narrative كأداة لتفكيك موضوع خبرة مراكز التفكير
عن الارهاب

99

2- 1. تعريف الرواية السياسية عند راداييلي Radaelli

100

2- 2. القدرة التفسيرية لمفهوم الرواية السياسية

102

3- 3. خبراء مراكز التفكير كجماعة معرفية Epistemic Community

103

3- 1. مفهوم الجماعة المعرفية

103

3- 2. خبراء مراكز التفكير: تحالف نضالي Advocacy coalition أم تحالف خطابي coalition
discursive ؟

104

3- 3. فائدة مفهوم الجماعة المعرفية لتحليل موضوع خبراء الارهاب في مراكز التفكير

107

حوصلة : فائدة المقاربة المؤسساتية الخطابية لتحليل موضوع الخبرة عن الارهاب

108

المطلب الثالث : مراكز التفكير كفاعل في النظام المعرفي حول الارهاب

109

1- مفهوم النظام المعرفي عند كامبل و بيدرسون

110

2- النظام المعرفي عن الارهاب و مركزية علاقة الخبراء بالاستخبارات

113

المبحث الثالث : مقاربات تفسير التأثير السياسي لمراكز التفكير

120

المطلب الأول : نظريات النخب لتفسير أدوار مراكز التفكير في العملية السياسية

120

1- مراكز التفكير كسلطة نخبية : تشارلز رايت ميلز & ويليام دومهوف

121

2- دور خبراء مراكز التفكير في صياغة و توحيد الأجندة السياسية

125

المطلب الثاني: البحث عن التأثير السياسي كوظيفة رئيسية لمراكز التفكير

130

1- استراتيجيات اتصال ناجعة لمراكز التفكير

131

2- مراكز التفكير: أدوات تدوير للأفكار السياسية

133

المطلب الثالث : قراءة نقدية نيو- غرامشية لأدوار خبراء مراكز التفكير

135

الفصل الثاني : ديناميكيات حقل مراكز التفكير في الولايات المتحدة والشرق الأوسط

141

المبحث الأول : مراكز التفكير: تجربة أمريكية

141

المطلب الأول : نشأة مراكز التفكير وتطورها كمؤسسات مستقلة بذاتها

142

1- أهمية فهم مسار النشأة في السياق الأمريكي

142

2- فترة نشوء حقل مراكز التفكير الأمريكية (1890-1960)

144

1- فترة التقدميين و العهد الجديد : مراكز تفكير موضوعية في خدمة الحكومة

146

2- 2. فترة (1945-1960) : نموذج الخبير – التقنوقراطي L'expert-technocrate

148

3- فترة تبلور حقل مراكز التفكير (1960 –اليوم)

151

3- 1. تحولات السياق الأمريكي خلال السبعينيات و ظهور نموذج الخبير- المناضل

151

3- 2. اندماج ممارسات مراكز التفكير و تبلور الحقل

154

المطلب الثاني : مراكز التفكير الأمريكية و تحول حقل السلطة الأمريكي

- 1- صعود الفئة الهجينة من الخبراء و انتقال للسلطة نحو مراكز التفكير
- 2- تفسير المكانة السلطوية لمراكز التفكير داخل الحقل السياسي الأمريكي
- 2-1. بيئة اتخاذ القرار
- 2-2. اقتصاد هبات قوي جدا في دولة منسحبة
- 2-2.1. القوة الاقتصادية للقطاع الخيري الأمريكي كمدخل لتفسير ازدهار مراكز التفكير في الولايات المتحدة

- 2-2.2. وفرة التمويل الخاص : عامل استقلالية سياسية لمراكز التفكير عن الدولة

المطلب الثالث : الديناميكيات الكبرى العابرة لحقل مراكز التفكير الأمريكي

- 1- أدلة مراكز التفكير الأمريكية و تسييسها Idéologisation et politisation
- 1-1. صعود مراكز التفكير المحافظة
- 1-2. مراكز التفكير التقدمية : اعادة التوجه نحو النشاط النضالي
- 1-2.1. مراجعة الأفكار الليبرالية كمشروع للحزب الديمقراطي
- 1-2.2. الانتقال نحو مراكز تفكير حزبية
- 2- حركية التدويل و الانتشار العابر للأوطان Internationalisation et transnationalisation
- 2-1. انتشار مراكز التفكير عبر العالم : انتشار للتقليد الأمريكي ؟
- 2-2. تدويل مراكز التفكير الأمريكية : نموذج مركز كارنيجي
- 2-3. نحو نموذج جديد : مراكز التفكير الكونية
- 2-4. البعد الكوني في نشاط مراكز التفكير كرهان سلطوي

المبحث الثاني : مراكز التفكير الشرق أوسطية

المطلب الأول : تجربة مراكز التفكير في الدول العربية

- 1- نشأة و تطور مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط
- 1-1. مسار النشأة : المركزية المصرية
- 1-2. الخصائص العامة لمراكز التفكير المصرية
- 2- اتجاهات حقل مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط
- 3- خصوصية العلاقة بين مراكز التفكير و مراكز القرار في الدولة العربية
- 3-1. احتكار الدولة العربية للخبرة السياسية في مجال السياسة الخارجية
- 3-2. الصنف التأييدي لمراكز التفكير العربية في حقل السياسة الخارجية

المطلب الثاني : مراكز التفكير في اسرائيل

1- خارطة مراكز التفكير في اسرائيل

1.1. مراكز التفكير الجامعية

1.2. مراكز التفكير التابعة للدولة

1.3. مراكز التفكير التابعة للأحزاب السياسية

1.4. مراكز التفكير المستقلة

2- مدى تأثير مراكز التفكير في العملية السياسية الاسرائيلية

2.1. مكانة و أهمية مراكز التفكير الاسرائيلية

2.2. حجم التأثير السياسي لمراكز التفكير الاسرائيلية

حوصلة

الفصل الثالث : حقل خبراء الارهاب في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط

المبحث الأول : المركزية الأمريكية : نشأة و تطور الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب

المطلب الأول : النواة الصلبة للحقل الأمريكي لخبراء الارهاب

1- ابتكار الارهاب كموضوع للخبرة من طرف مراكز التفكير

2- مراكز التفكير و حقل دراسات الارهاب : نحو هيمنة للخبراء على الموضوع ؟

2.1. الموقع الريادي لمراكز التفكير الأمريكية في دراسة موضوع الارهاب

2.2. المؤتمرات الأمريكية الأولى حول الارهاب

3- السمات الكبرى لحقل خبراء الارهاب الأمريكي

3.1. حقل خبراء الارهاب الأمريكي : الجيل الأول

3.2. النواة الصلبة للحقل : نموذج الخبير متعدد المراكز

3.3. صنفُ الخبراء الصحفيين

3.4. نموذج الخبراء الأكاديميين

المطلب الثاني : بروز و تطور الحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب

1- الجذور الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي

1.1. معهد جوناتان و الترويج لاستراتيجية الحرب الوقائية ضد الارهاب

1.2. مركز جيفي للدراسات الاستراتيجية ICSS

2- النواة الرئيسية الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي و معالم النموذج الاسرائيلي

2.1. النواة الصلبة لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي

2.2. 1. الخبراء الاسرائيليون

2.2. 2. الخبراء الأمريكيون المساندون لخطاب اسرائيل عن الارهاب

- 246 2.2. المسلمات الكبرى للنموذج الاسرائيلي في نهاية السبعينيات
- 248 3. الجيل الجديد من الخبراء الإسرائيليين عن الارهاب
- 252 **المبحث الثالث : حقل خبراء الإرهاب العرب في الشرق الأوسط**
- 252 **المطلب الأول : ظهور الخطاب الرسمي العربي حول الارهاب**
- 252 1. ملامح السياق الشرق أوسطي و بروز مشكلة الارهاب في الدولة العربية
- 254 2. الخطاب الرسمي للدولة العربية الشرق أوسطية حول الارهاب
- 255 2.1. التوصيف بالإرهاب و مقاربات الحلحلة
- 256 2.1.1. الحالة المصرية
- 258 2.1.2. الحالة الفلسطينية
- 259 2.1.3. حالة الدول الخليجية
- 261 2.1.4. مقارنة الحالات العربية : أوجه الشبه والاختلاف
- 263 2.2. استعمالات الخطاب حول الارهاب : أدوات للهيمنة ولمناهضة الهيمنة في الشرق الأوسط
- 265 **المطلب الثاني : بروز خبراء الارهاب العرب**
- 265 1. الخبراء العرب في الولايات المتحدة الأمريكية
- 267 1.1. فؤاد عجي Fouad Ajami
- 271 1.2. محمد شريف بسيوني Mohamed Charif Bassiouni
- 271 1.2.1. البيوغرافيا
- 273 1.2.2. السمات العامة لنموذج الخبر القانوني كما تمثله حالة بسيوني
- 274 2. مساهمة بسيوني في بناء نموذج قانوني كروية بديلة للخطاب الايديولوجي المهيمن
- 275 2.1. نظرة وتعريف بسيوني للإرهاب
- 276 2.2. الجدوى الاستراتيجية لمساهمات بسيوني القانونية
- 278 **المطلب الثالث : الجيل الحالي لخبراء الارهاب في الدول العربية الشرق أوسطية**
- 278 1. حالة البحث العربي الراهن في موضوع الارهاب
- 279 1.1. أهم خبراء الارهاب العرب وفقا لمؤشر الاقتباس / الاستشهاد
- 280 1.2. خبراء الارهاب العرب على مستوى مراكز التفكير العربية
- 284 1.3. قواعد البيانات العربية
- 285 2. خبراء الارهاب العرب من خلال مؤتمرات حول الارهاب
- 286 2.1. مؤتمرات الارهاب العربية و خبراؤها
- 286 2.1.1. مؤتمر مصر وتحديات الارهاب (2016)
- 289 2.1.2. منتدى الرياض لمكافحة التطرف و محاربة الارهاب (2017)

290 2.2. نماذج الفهم والاستجابة من خلال خطاب المؤتمرات

292 حوصلة

294 الفصل الرابع : انتاج الخبرة حول موضوع الارهاب في مراكز التفكير الأمريكية والشرق أوسطية

296 المبحث الأول : كيفية بناء موضوع الارهاب من طرف الخبراء : تحليل مقارنة

296 المطلب الأول : بناء الخطاب حول الارهاب من طرف خبير مركز التفكير

296 1- تفكيك مسار التحليل عند خبير مركز التفكير

297 1.1. الفاعلون المتدخلون في بناء مشكلة الارهاب

297 1.2. توصيف الأفعال و الفاعلين و استراتيجياتهم بالإرهاب

298 1.3. البناء الخطابي لموضوع الارهاب في مرحلة التسييس

298 2- كيفية بناء مشكلة الارهاب عند خبير مركز التفكير

299 2.1. حتمية بناء العلاقة بين العنف و الفئات السوسيو-سياسية و النشاط الارهابي

303 2.2. حتمية الدفاع عن مصالح الدولة القومية

306 3- مدى ارتباط الخطاب المحلي الخبير بالخطاب العالمي المهيمن

308 المطلب الثاني : توضيح جانب الأزمة و اقتراح الحلول من طرف الخبراء

308 1- توضيح جانب الأزمة في المشكلة

309 1.1. معهد راند

312 1.2. المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية INSS - اسرائيل

314 1.3. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - مصر

315 2- بناء الحلول من طرف الخبراء : تحليل نيو مؤسساتي

316 2.1. مجال المسموح و بناء الحلول

319 2.2. مجال المسموح و بناء الحلول التي تنادي بالقطيعة النسبية

321 المبحث الثاني : من براديغم الحرب الى الاحتواء

321 المطلب الأول : المرجعية الثقافية و صناعة العدو الحضاري

322 1- صدام الحضارات كمرجعية

324 2- سردية الارهاب الجديد New Terroism عند الخبراء الأمريكيين

326 3- انتقال خطاب الارهاب الهوياتي الى دول الشرق الأوسط

326 المطلب الثاني : براديغم الحرب على الارهاب

326 1- براديغم الحرب ضد الارهاب حسب مركز راند الأمريكي

328 2- براديغم الحرب ضد الارهاب عند خبراء الشرق الأوسط

332 المطلب الثالث : نحو استراتيجية شاملة لمواجهة الارهاب : براديغم الاحتواء

- 332 1- السياق العام لدراسة ليبكي و جونز (2008)
- 334 2- نموذج الاحتواء في دراسة جونز وليبيكي
- 338 3- انتقال براديفم الاحتواء الى مراكز التفكير في الشرق الأوسط
- 338 3-1. مركز الأهرام : استراتيجية الاحتواء الأمريكية في قالب مصري
- 338 3-2. دراسة عمر عاشور : المعهد العربي للأبحاث ودراسة السياسات – قطر
- 341 **المبحث الثالث : بناء الاجماع و شرعنة الأجندات السياسية**
- 341 **المطلب الاول : استراتيجيات مناهضة المعرفة ورفض التفسير عند خبراء مراكز التفكير**
- 343 1- المداخل المهيمنة لتفسير الفعل الارهابي عند الخبراء
- 344 2- هيمنة متغير التطرف / التعصب الديني في تفسير الفعل الارهابي
- 347 3- مفهوم تشويه التفضيلات لفهم هيمنة تفسير الأغلبية
- 349 **المطلب الثاني : رفض تفسير الارهاب كآلية لبناء الاجماع**
- 350 1- الاجماع حول ماذا في موضوع الارهاب ؟
- 353 2- تحديد المعرفة الموضوعية للارهاب كآلية لبناء الاجماع
- 355 **المطلب الثالث : الاستعمالات السياسية للخطاب الخبير حول الارهاب**
- 355 1- تضخم استعمال الخبرة حول الارهاب
- 358 2- رفض التفسير كسلوك استراتيجي
- 359 2- شرعنة الأجندات السياسية
- 359 2-1. شرعنة الأجندات السياسية للحقل العسكري
- 362 2-2. شرعنة السياسات القائمة
- 364 **خاتمة**

1. تقديم لموضوع الدراسة : أهمية الخبرة حول الارهاب في العملية السياسية

تقترح هذه الدراسة طريقة لفهم كيفية بناء موضوع الارهاب من طرف خبراء مراكز التفكير، فهي محاولة مُسألةٍ لموضوع الخبرة expertise أكثر من كونها بحثا حول الارهاب Terrorism. تعتبر الخبرة إحدى أشكال إنتاج المعارف حول المشكلات السياسية المختلفة، وقد ازدادت شرعية العودة إليها بشكل محسوس من طرف مؤسسات القرار السياسي في أغلب الفضاءات الجيوسياسية الدولية. إن أهميتها تتصاعد بشكل مستمر كما يشهد عليه حجم نموها الديموغرافي في العالم : من 12 مركز تفكير عالميا سنة 1970 تضخم الرقم إلى حوالي 6500 سنة 2012، ثم إلى حوالي 11500 مركز سنة 2020. تعبر هذه المعطيات الكمية عن رواج هذا النوع من المؤسسات البحثية ولكن أيضا عن حجم الاهتمام المتزايد الذي تستقطبه هذه المؤسسات اعلاميا و سياسيا، وهي مؤشرات أيضا عن الطلب المتزايد على الخبرة التي تنتجها مراكز التفكير مقارنة بالمصادر الأخرى المنافسة لها. من المعروف أن إنتاج الخبرة حول المشكلات العامة المختلفة ليس بالوظيفة التي تحتكرها فقط هذه الهيئات بل هي وظيفة تشترك فيها مجموعة من المؤسسات الأخرى مثل مصالح البحوث و الدراسات بمختلف الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة أو مكاتب الاستشارة الخاصة. يوضح رواج هذا النوع من المؤسسات على الصعيد العالمي أن هناك تعديلا قد حصل على مستوى العلاقات السلطوية التقليدية السائدة تقليديا داخل حقل الخبرة السياسية؛ بينما تتراجع أهمية و جدوى المصادر الكلاسيكية للخبرة (مكاتب الاستشارة الخاصة أو المصالح الحكومية المتخصصة) تحظى مراكز التفكير بمكانة سلطوية متزايدة يُعبر عنها الطلب المتزايد على خدماتها، وهذا يشكل إزاحة للمصادر التقليدية للخبرة عن المراكز السلطوية التي تفقد سلطتها تدريجيا لصالح مراكز التفكير .

على الصعيد العالمي، تعتبر مراكز التفكير مظهرا من مظاهر القوة الأمريكية قبل كل شيء، لأنها تجربة أمريكية بامتياز ؛ إنها من ناحية منشأها وازدهارها التاريخي السريع أمريكية، ومن ناحية ثقلها كصناعة للأفكار أمريكية، ومن ناحية قوتها الجيوسياسية أمريكية أيضا؛ سنة 2020، ما يقارب الخمس منها يتواجد في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما سبعة (07) بالمائة فحسب منها تتواجد بمنطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا. هذا تباين يوضح حجم القوة المرنة الأمريكية ويعبر عن مسار انتشار للأفكار الأمريكية (كالأفكار الاقتصادية النيولبرالية منذ الثمانينيات مع الرئيس ريغان في الو. م.

أ. و مارغريت تاتشر في بريطانيا) من المركز السلطوي الأمريكي نحو المراكز السلطوية المحيطية الأخرى. إنها أدوات للهيمنة الايديولوجية بالمعنى الغرامشي للمصطلح.

تظهر أهمية الخبرة التي تنتجها مراكز التفكير أيضا من خلال مركزيتها في العملية السياسية، فهي أدوات لصنع وبناء النقاش العام حول المشكلات العامة، كما أنها أدوات للتأثير على القرارات السياسية. إنها من ناحية أولى تلعب أدورا حاسمة في صنع الفهم حول المشكلات العامة و في تأطير cadrage التصورات العامة بشأنها، وهي بهذا الشكل أدوات وساطة سياسية من ناحية أنها قائمة على التدخل (الوساطة) من خلال انتاج الرأي و على محاولة التأثير السياسي في الخيارات السياسية المتاحة. إنها وسائط des médiateurs تستعمل سلطتها الرمزية و الايديولوجية لتقرير وتأكيد أن المشكلة A يجب أن تفهم وفقا للتعريف B وتقتضي استجابة C بدلا من تصورات ومقترحات أخرى .

من ناحية ثانية، يتم استعمال المنتج المعرفي الخبير ضمن العملية السياسية كمصدر لتبرير وشرعنة القرارات و الخيارات المنتهجة، فهي أداة تتميز بقوتها و سلطتها الرمزية ضمن مسار شرعنة السياسات المنتهجة من طرف الحكومات. عندما تبرر حكومة ما مجموعة خيارات استنادا على آراء وحجج اقترحها الخبراء فإنها تبريرات تحظى بشكل عام بنوع من المصادقية و ذلك بسبب رمزية ارتباطها بحجج معرفية خبيرة أحيانا أو علمية أحيانا أخرى. هكذا يتم مثلا تبرير سياسات الاستدامة أو سياسات التحول الطاقوي استنادا على حجج معرفية خبيرة يجسدها ما نسميه اليوم بالاجماع حول التغير المناخي، و ذلك رغم عدم السلامة العلمية لكثير من مسلمات هذا الإجماع. بنفس الطريقة أيضا تكتسب سياسات مواجهة الارهاب شرعيتها و مصداقيتها من خلال حملها لمبررات الخبراء. هذا ما يعنيه اليوم مصطلح الابيستيموقراطيا Epistémocratie (حكومة المعرفة).

منذ بروزها كمشكلة نقاش عام بداية سنوات السبعينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية، حظيت مشكلة الارهاب باهتمام بالغ جدا من طرف خبراء مراكز التفكير. يعتبر مفهوم الارهاب ابتكارا لمراكز التفكير قبل غيرها من الحقول المعرفية الأخرى كالحقل الأكاديمي أو الاعلامي مثلا. فأول مؤتمر دولي عن الارهاب كان سنة 1972، وأشرف عليه معهد راند الأمريكي Rand Corporation، وأول برنامج بحثي حول الارهاب كان بذات المعهد سنة 1972 و ترأسه طيلة عقود من الزمن الخبير برايان جنكينز Brian Jenkins، واحد من أهم خبراء حقل دراسات الارهاب. كما أن مسار تطور البحوث حول الارهاب سلك نفس المنحنى حيث أن جُل المؤتمرات الدولية الشهيرة بخصوصه أشرفت عليها مراكز تفكير. إنه موضوع سيطر على صياغة قوالب فهمه مجموعة ضيقة من الخبراء الذين ينتمون

في غالبيتهم إلى مراكز التفكير وليس إلى جامعات. هذا معناه أن القوالب المفهومية و التفسيرية المهيمنة حول موضوع الارهاب إنما تم انتاجها من طرف مجموعة ضيقة من الخبراء من أمثال ؛ يونا ألكسندر، كونراد هاسل Hassel Conrad، روبرت كوبرمان Robert Kupperman، برايان جنكينز Brian Jenkins، إدوارد ميكولوس Edward Mickolus، دافيد رابوبور David Rapport، بيل بوير Bell Boyer، مارتا كرانشاو Martha Crenshaw، درور ايهيزكيل Dror Yehezkel. كما يعني هذا أن الأطر الادراكية والتفسيرية المتاحة اليوم عن موضوع الارهاب إنما رسمها خبراء يتكلمون عن الارهاب انطلاقا من مركزهم الوظيفي بمركز التفكير وليس بصفتهم أكاديميين، وهذا يفرز مجموعة معتبرة من الترسبات. يجب أن نلاحظ هنا أن أغلب هؤلاء الخبراء أمريكيون وكثير منهم اسرائيليون وأنهم يشتركون في عنصر واحد وهو أنهم مرتبطون بشكل مباشر وغير مباشر بالحقل العسكري أو الاستخباراتي، كما تُظهرُ البيانات المتعلقة بمساراتهم العلمية و المهنية (الفصل الثالث من هذه الدراسة). بعبارة أخرى، تتم صياغة الأطر الادراكية والتفسيرية المهيمنة اليوم عن موضوع الارهاب ضمن إطار جماعة معرفية تتشكل من خبراء مرتبطين بشكل أو بآخر بالحقلين العسكري والاستخباراتي.

تظل هذه الديناميكيات محافظة على وجودها إلى غاية اليوم فمسار انتاج المعرفة حول الارهاب بعد 09/11 تميز أيضا بخضوعه الى حركية التوطين بمراكز التفكير وبنوع من المنافسة التي فرضها الحقل الأكاديمي خصوصا. رغم وجود محاولات جادة من طرف الحقل الأكاديمي لكسر هيمنة الخبراء على الموضوع والتي ترجمتها خصوصا برامج البحث النقدية حول الارهاب Critical Terrorism Studies، إلا أن القرب الوظيفي لحقل مراكز التفكير من الحقلين الاعلامي و السياسي حال دون بروز خطابات موضوعية مناهضة أو بديلة لتلك الخطابات الخبيرة المهيمنة.

تعتبر الخبرة المنتجة حول الموضوع الارهاب استمرارا و امتداد لديناميكية تاريخية ابتدأت منذ ابتكار المفهوم بداية سنوات السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية. إنها حركية تتضمن الانتقال بين ثلاث نماذج تفسيرية كبرى (براديجمات) سيطر خبراء مراكز التفكير على انتاجها ؛ نموذج أول يفهم الارهاب باعتباره شكلا من أشكال التمرد Insurgency أو العصيان désobéissance أو العنف الحضري Urban Violence و هي كلها فئات مفهومية تتعلق بالجريمة بصفتها مفهوما قانونيا و ليس سياسيا. النموذج الثاني، وهو نموذج الارهاب الاستراتيجي Strategic Terrorism حيث يعتبر التنظيمات الارهابية أدوات استراتيجية في يد المشروع الشيوعي للاتحاد السوفييتي، و قد ساد خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات. من إشكالاته الكبرى الثورة revolution و التحرر decolonization، و من أدواته

الاستراتيجية الحرب war، الحرب الاستباقية preventive war، الاحتواء Containment. النموذج الثالث، و هو نموذج الارهاب الهوياتي terrorisme identitaire و يترجم فكرة تحول الارهاب من أداة استراتيجية و تقنية للحرب إلى هوية للعدو، و جسدها مقولات الارهاب الديني في شكله الاسلامي، ومفاهيم استراتيجية مثل الحرب الشاملة على الارهاب GWOT. تشترك كل هذه النماذج في عنصر واحد و هو أنها تفسيرات تطالب بعسكرة الاستجابة للارهاب من خلال شرعنة السلوك الحربي أو السلوك الحربي الاستباقي.

تم انتاج هذه البراديجمات على مستوى حقل خبراء مراكز التفكير، وهي أفكار وتفسيرات تختلف في طبيعتها عن التفسيرات التي يقترحها العلماء من الحقل الأكاديمي مثلاً. إنها تختلف عنها من ناحية الهدف، و من ناحية البناء السببي المقترح لفهم للارهاب. لا يهدف الخبير في مركز التفكير إلى الوصول إلى نظرية دقيقة لفهم مشكلة الارهاب بل إن الهدف الكلي من عمله يكمن في وضع تأطير للمشكلة بموجبه يتمكن من اقتراح حلول تستفيد منها مؤسسة اتخاذ القرار. تُحرِّك عمل الخبراء عند إنتاج التحاليل عن المشكلات المختلفة محفزات براغماتية و عملية لأنها موجهة نحو التأثير على مخرجات القرار السياسي، في حين أن الأكاديمي الباحث في موضوع الارهاب تحكمه مبررات و أهداف مثالية هي الفهم و التفسير، كما أنه مُقَيَّد بقيم الموضوعية و الحياد. يقوم جهد الخبراء إذن على مبررات معرفية عملية des savoirs opérationnels بينما يستند جهد العلماء و الأكاديميين على مبررات معرفية نظرية des savoirs spéculatifs.

انطلاقاً من هذه الخلفية يلاحظ أن الخبراء لا يقترحون أطراً تفسيرية مشابهة لتلك التي يقترحها الأكاديميون. إذا كان الخبراء يفضلون الرجوع إلى التفسيرات الايديولوجية، مثل مقولات الشبكات السوفييتية للارهاب أثناء الحرب الباردة أو مقولات الارهاب الديني التي هيمنت بعد نهايتها، فإن العلماء من مثل تود ساندلر Todd Sandler يقدمون أطراً تفسيرية قائمة على فهم المحفزات الاقتصادية الباعثة على السلوك الارهابي أو على توضيح ديناميكيات القرار السياسي لدى المتدخلين في بناء المشكلة، أو فحص الروابط الموجودة بين الاستجابة السياسية للارهاب و الفعل الارهابي في حد ذاته. مثل هذه التفسيرات العلمية لا يتم تداولها داخل حقل الخبرة، بل يتم تهميشها وتحبيدها لتَحُلَّ مكانها تفسيرات ايديولوجية مهيمنة (الارهاب الديني). يتقيد حقل الخبرة حول الارهاب إذن بمجموعة قواعد خاصة تنظمه و تؤطره فهو يقترح الأطر التأويلية التي يبحث بواسطتها عن إجماع ايديولوجي وسياسي حول المشكلة، و لا يولي عناية للبحث عن الإطار التفسيري الموضوعي الأكثر صرامة أو الأكثر

دقة. هذا الأخير ليس مُهمًا من منظور طريقة عمل الخبراء في مركز التفكير لأنها أفكار تقع خارج دائرة الخطابات المشكلة للإجماع. لا تقاس التفسيرات المهيمنة داخل حقل مراكز التفكير بمعيار قدرتها التفسيرية العالية لمشكلة الارهاب بل بجداها في بناء الاجماع الذي تبحث عنه مراكز التفكير.

II. التعريف بموضوع الدراسة

يتعلق موضوع هذه الدراسة إذن بـ :

تحليل الكيفية التي تم بها بناء فهم عن موضوع الارهاب بعد هجمات 09/11 من طرف الخبراء على مستوى عينة من مراكز التفكير الأمريكية والشرق أوسطية، وبالكشف عن الرهانات السلطوية التي يحملها الخطاب الخبير حول الارهاب.

III. مصدر التساؤلات كمبرر للدراسة

أثار موضوع مراكز التفكير الذي تناولناه في بحث سابق لنا لنيل شهادة الماجستير بجامعة الجزائر 03 الكثير من التساؤلات الإضافية حوله. هذه الأخيرة تعتبر أهم المبررات التي حفزت هذه الدراسة، و هي على نوعين ؛ تساؤلات عملية opérationnelles ونظرية théoriques .

أ. على المستوى العملي

تقوم وظيفة الخبراء في مراكز التفكير على تقديم تحاليل و آراء لحقل القرار السياسي، و هي وظيفة عملية قبل كل شيء لأن الجهد التحليلي ينصب على محاولة ايجاد تصورات عما يجب فعله أمام مشكلة ما. هذا الجانب العملي مثير للتساؤل؛ من ناحية أولى، لا يمكن للخبير أن يقوم بعمله هذا إلا بتوفر قاعدة معرفية يتأسس عليها رأيه وتصوره عن المشكلة، و من ناحية ثانية فإن انتاج المعرفة عن الارهاب لا يتوافق مع الكثير من المتطلبات و الشروط العلمية. هذه الأخيرة تستلزم وجود علاقة بين الباحث Le sujet و الموضوع L'objet (الارهاب) من الناحية الامبريقية لتحقيق أهداف الفهم أو التفسير؛ أغلب الخبراء إن لم نقل كلهم يدرسون الارهاب من مكاتيم أو باستعمال نماذجهم النظرية لتحليل و فهم المشكلة، كما أن الدافع من بحوثهم ليس معرفي بل هو عملي يتمثل في تقديم رأي

استشاري ليكون قاعدة يتأسس عليها القرار السياسي. هذا معناه أن لمركز التفكير و خبرائه طريقة عمل Mode Opérateur خاصة به، مختلفة في جوهرها و دوافعها عن المنهجية السائدة في العلوم الاجتماعية. كيف يقوم الخبير في مركز التفكير بإنتاج المعارف حول مشكلة الارهاب ؟ و ما خصوصية المعارف التي ينتجها هؤلاء الخبراء ؟

هذا النوع من التساؤلات يعتبر المحرك الرئيسي لاهتماما بدراسة و تحليل هذا الموضوع. نظرا لكونها تساؤلات تتعلق بالجوانب الفنية لعمل الخبراء في مراكز التفكير، فإن الإجابة عنها ستمكننا من تدعيم رصيدنا المعرفي و المنهجي حول العناصر الفنية المشكلة لمهام الخبراء. إنها بمثابة دراسة ستوضح لنا قواعد العمل البحثي و منهجية من زاوية نظر خبير مراكز التفكير و ليس من زاوية نظر الأكاديمي. تتمثل القيمة العملية valeur pratique لهذه الدراسة في قدرتها على تزويدنا بالأدوات التحليلية و الاستراتيجيات السائدة في عالم مراكز التفكير.

ب. على المستوى العلمي و النظري

من هم خبراء الارهاب ؟ و ما طبيعة مقولاتهم و مفاهيمهم و تفسيراتهم للارهاب ؟ و ما رهاناتهم في ذلك ؟ هذه أمثلة عن تساؤلات يحاول المهتمون بموضوع الخبرة أن يجيبوا عليها. لقد حاولت مجموعة من الأعمال البحثية أن تهتم بهذا الموضوع و تقدم إجابات عن هذه التساؤلات، ولكنها تظل جهودا غير كافية إلى حد الآن. رغم أن موضوع الارهاب لقي اهتماما بحثيا كبيرا جدا منذ حوادث 09/11 إلا أن البحوث حول مسارات انتاج المعرفة حوله ظلت غير كافية. من الأمثلة القليلة عن الباحثين المهتمين بموضوع خبراء الارهاب نجد ؛ هيرمان و أوسوليفان من خلال كتابهما حول صناعة الارهاب و الصادر سنة 1984؛ ريتشارد جاكسون في مجموعة أعماله المهمة و خصوصا مقاله كتابة الحرب على الارهاب : اللغة، السياسة و مكافحة الارهاب سنة 2005 و مقاله سنة 2012 بعنوان الجهل بالمعلوم : المعرفة الخاضعة لدراسات الارهاب ؛ دافيد ميلر و توم ميلز في مقالهما الثنائي سنة 2009 بعنوان خبراء الارهاب و الاعلام المهيمن ؛ و أعمال ليزا ستامبينتسكي 2013 بعنوان تشكيل تخصص الارهاب : كيف ابتكر الخبراء الارهاب ؟ ، و مقالها لسنة 2010 بعنوان تنظيم تخصص غير منظم : خبراء الارهاب و نظريات الانتاج العلمي / الفكري.

فضلا عن ضعف حجم المساهمين في البحث في موضوع الخبرة، فإن تركيز هؤلاء ظل منصبا على دراسة خبراء الارهاب باعتبارهم حقا معرفيا. يعتبر هذا تهميشا للمنطلقات المؤسسية في فهم حقل

الخبرة حول الارهاب ؛ كل الأعمال السابقة الذكر تتناول فئة الخبراء كمجموعة سوسيولوجية تشكل حقلا متمركزا حول موضوع بحثي هو الارهاب، ولكنها تغفل واقعا مؤسساتيا و هو أن هؤلاء الخبراء عندما يتكلمون عن الارهاب فهم يفعلون ذلك انطلاقا من ارتباطهم بمؤسسة تسمى مركز التفكير، وليس بشكل مستقل أو بصفتهم جامعيين أو صحفيين أو مهنيين في القطاع الأمني والعسكري.

هذه الملاحظة هي مصدر كل التساؤلات التي تحملها دراستنا هاته ؛ ما معنى انتاج الخبرة داخل هذه الهيئات المسماة بمراكز التفكير ؟ ما خصائص فئة الخبراء في مراكز التفكير ؟ ما تأثير هذا البناء المؤسساتي على طبيعة الخبرة ؟ ما هي المنهجية المناسبة لدراسة هذه الفئة انطلاقا من الفضاء الذي تحتله في مراكز التفكير ؟

تعتبر هذه التساؤلات مصدرا و مبررا موضوعيا للبحث في موضوع خبراء الارهاب في مراكز التفكير ، حيث يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

المبرر العملي opérationnel	المبرر العلمي والنظري
- عمل ونشاط الخبراء عمل فني وتقني ولكنه قائم على المعرفة و بغرض إنتاج المعرفة، ولكن هذه الأخيرة موجهة للقرار و العمل السياسي وليس للتفسير العلمي والموضوعي، فهي معرفة مُسَيَّسة.	- البحوث الامبريقية والبحوث الكيفية الموجودة حول موضوع خبراء الارهاب تتناولها كحقل معرفي فقط.
- التحدي : كيف يتم انتاج معرفة خبيرة	- النقص النظري: الخبراء يتكلمون و يكتبون عن الارهاب انطلاقا من انتمائهم المؤسساتي إلى مراكز التفكير.
- مسيسة في عالم مراكز التفكير ؟	- الإضافة: فهم كيفية تأثير البناء المؤسساتي على مخرجات الخبرة حول الارهاب.
- الفائدة المعرفية الذاتية: معرفة قواعد عمل حقل مراكز التفكير، و اكتسابها والتحكم فيها.	- التحدي: تطوير المنهجية المناسبة لدراسة فضاء خبراء الارهاب في مراكز التفكير.
- الفائدة العملية الذاتية: اكتساب ذاتي لمهارات الخبير في اعداد تقرير أو موجز سياسي Policy brief، أو دراسة.	

IV. الأهداف من الدراسة

تتلخص أهداف هذا البحث في :

- وضع إطار نظري و منهجي يسمح بتحليل (تفكيك) البنى غير المادية (الفكرية) لسياسة التعامل مع مشكلة الارهاب من خلال مساءلة لصنف متميز من المتدخلين في صياغتها، ويتعلق الأمر بمراكز التفكير باعتبارها فواعل منتجة للمعرفة، أي منتجة للأطر الإدراكية المهيمنة و المُستخدمة في إدراك المشكلات العامة و السياسية . لكي نتمكن من تحقيق هذا الغرض، يجب أن يتضمن هذا الاطار العناصر التالية وفقا للتسلسل المحدد في الجدول :

المرحلة	المسار / العملية	السؤال البحثي الموافق
الأولى	تحديد الفاعل	من هو خبير مركز التفكير ؟
الثانية	إستراتيجية التدخل	كيف يتكلم (يكتب) خبير مركز التفكير ؟
الثالثة	إنتاج براديجم المعرفة والعمل	ماذا يقول خبير مركز التفكير ؟
الرابعة	شرعنة السياسات وتنسيق الخطاب	لماذا يقوله بهذا الشكل ؟
الخامسة	صناعة الاجماع	ما الهدف من مقولاته ؟

- تقييم نجاعة و جدوى تدخل الخبراء في صناعة أطر إدراك مشكلة الارهاب :
- تعتقد الكثير من الأبحاث حول الخبرة أن شرعية اللجوء اليها مستمدة من طابعها التقني أو الفني الذي يساعد على تبني القرار الأنسب. نحن لا نتقاسم هذه النظرة، لأنه افتراض صالح على مجالات تقنية دون أخرى، ولا يُعدُّ الارهاب جزء منها. إننا ننطلق من افتراض مفاده أن قيمة الخبرة حول موضوع الارهاب تقاس بمدى استعمالها و استرجاعها من طرف الحقل السياسي أو حقول القرار الأخرى، أي بقيمتها الاستعمالية كأداة لشرعنة أطر ادراكية معينة و كأدوات لتقرير استجابات معينة تتوافق معها. تؤكد الكثير من الدراسات المستحدثة و خاصة من حقل الدراسات النقدية للارهاب بأنه تدخل غير قائم على مقاربات معرفية Knowledge-based approach بل على العكس تماما فهو تدخل يهمل البحث عن الحقيقة الموضوعية و يبحث فقط عن خلق الاجماع اللازم للمحافظة على استقرار واستمرارية السياسات المنتهجة ضد العدو؛ أي ضد الارهاب الهوياتي. يحظى هذا النوع من الخبرة بالكثير من الفاعلية بفعل وظيفة التنسيق و الشرعنة التي يؤديها خطاب الخبرة. في هذا الاطار مثلا، يعتبر ريتشارد جاكسون أن

مسار خضوع المعرفة للحقل السياسي يؤدي وظيفة حماية استقرار المعنى، كما أنه ينظم الحدود بين المعاني ويحافظ على التراتب الهرمي للبنى المعرفية... حيث يسمح استقرار الخطاب الخبير لحقل دراسات الارهاب بأداء أدوار مفتاحية في شرعنة مسارات المحافظة على هيمنة الدولة.

- اقتراحُ لَبِنَةٍ لِإِطار نظري مُبتكَر للبحث في موضوع خبراء الارهاب :

كما سنبينه في الفصلين الثالث و الرابع، سنحاول أن نقترح إطارا تحليليا لموضوع خبراء الارهاب انطلاقا من نظرية الحقل الاجتماعي لبيار بورديو Pierre Bourdieu ولكن عبر إدراج الديناميكيات المؤسساتية Institutionnaliste في التحليل. في هذه الدراسة سنبحث عن توليفة تجمع بين مساهمات هذين التيارين الباحثين، وذلك لأن ديناميكيات الحقل ككل تتأثر بشكل أو آخر بالقيود المؤسساتية المختلفة و بالقواعد التي تفرضها مراكز التفكير.

- توجيه انتقاد جوهري لمفهوم الخبرة و تطبيقاته في حقل دراسات الارهاب :

هذه الدراسة كما سنبينه في الفصل الرابع تهدف إلى صياغة انتقاد لمفهوم الخبرة في حقل دراسات الارهاب و ذلك بالاعتماد على منهجية امبريقية. انطلاقا من تحليل لمحتوى مجموعة من الوثائق التي انتجها خبراء مرتبطون بمراكز تفكير مختلفة في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط، سنحاول أن نبين أن الاستراتيجيات التي يسلكها الخبراء في تشكيل تفسير للارهاب تتضمن تهميشا للمعارف الامبريقية و الموضوعية و تفضيلا للتفسيرات الايديولوجية التي تخدم الاجماع المهيمن. تثبت الوثائق المدروسة هنا أن القاعدة الأساسية التي يتأسس عليها تفسير الخبراء تتمثل في الإدانة الأخلاقية و السياسية له، وهذا غير كاف لأن وجود الكيانات الارهابية يبرر أصلا بالعديد من العوامل السوسيو-اقتصادية التي تخلق مسارات الحرمان من الحقوق الاجتماعية، الاقتصادية و السياسية.

٧. التعريف بإشكالية الدراسة

يعتبر الخبراء منتجين مختصين للمعارف حول موضوع أو مشكلة معينة، ولكنهم محكومون بمبررات عملية وليس بمبررات معرفية فحسب. تستند شرعية الخبير على مدى معرفته المتخصصة بالموضوع، وهذا أحد أهم المبررات التي تفسر لجوء الفاعلين السياسيين إلى الخبراء الذين يوفرون للقرارات السياسية غطاء الشرعية التقنية. لكن، بخصوص موضوع الارهاب لا تظهر الخبرة و كأنها أداة تقنية لتقديم حلول تقنية للمشكلة، بل يظهر الفحص المتعمق للمسار التاريخي لنشأتها و تطورها أنها خاضعة جدا للسياقات الجيوسياسية و الجيو استراتيجية المشكلة للتنازع الدولية la

conflictualité internationale ؛ ضمن سياق الحرب الباردة تم اقتراح براديجمات عمل تقوم على تفسيرات من النوع الذي يربط بين الارهاب والعدو السوفيتي. بعد نهاية الحرب الباردة و بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر ، تم اقتراح تفسيرات تقوم على الربط بين الارهاب و الدين الاسلامي، بصفته تهديدا للغرب. لا يبدو من خلال هذا المسار أن الرهان الأساسي للخبراء يكمن في تقديم نظرية علمية حول الارهاب و لا حلول تقنية للمشكلة بل أن رهانها الأساسي هو تزويد صناع القرار السياسي برؤى عملية واستراتيجية لإدارة التنازع الدولي.

انطلاقا من هذه الملاحظات، تتمحور هذه الدراسة حول الإشكالية التالية :

كيف تم بناء موضوع الارهاب من طرف خبراء مراكز التفكير الأمريكية و الشرق أوسطية بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 ؟ و ما هي الرهانات السلطوية التي يعبر عنها خطاب الخبراء عن الارهاب؟

تنطوي هذه الإشكالية على جملة من الملاحظات التي تتطلب التوضيح لأنها حاملة لتساؤلات أخرى.

(1) تحمل عبارة بناء موضوع الارهاب إشارة إلى مسلمة بنائية constructiviste مفادها أن الارهاب كمشكلة اجتماعية غير موجود بذاته، بل إن وجوده يبدأ من اللحظة التي يتم فيها توصيفه بأنه كذلك من خلال استخدام استراتيجي للعناصر الخطابية التي تشكله. يتشكل هذا البناء من شقين؛ البناء المفاهيمي من جهة و البناء التفسيري من جهة أخرى. يقصد بالأول تلك العناصر و المتغيرات التي يقبلها الخبراء بشكل عام في تحديد تعريف للارهاب، و يقصد بالثانية، مجموعة العلاقات السببية أو التوافقية - امبريقية أو افتراضية - التي دافع عنها الخبراء لتفسير السلوك الارهابي.

- ما هو الفهم الذي اقترحه خبراء الارهاب في مراكز التفكير لتعريف الارهاب؟ و ما هي النماذج التفسيرية التي اقترحها خبراء عينة الدراسة لتفسير الارهاب ؟ و ما مدى تجانسها بين مختلف الخبراء المشكلين لعينة الدراسة ؟ و هل تتم منافستها و مناهضتها من قبل خبراء آخرين ؟

(2) عندما نتساءل في إشكاليتنا المحددة أعلاه عن الكيفية التي تم بها بناء موضوع الارهاب من طرف خبراء مراكز التفكير، فإننا نشير إلى ملاحظة أخرى مهمة مفادها أن انتاج شكل معين من المعرفة عن الارهاب انطلاقا من مركز التفكير يختلف اختلافا جوهريا عن مسار انتاج معارف عن نفس الموضوع انطلاقا من مراكز مهنية أخرى كالجامعة أو أجهزة الأمن أو الاعلام. هذا معناه أن المعرفة التي ينتجها خبراء مراكز التفكير عن موضوع الارهاب تخضع و تتحدد بمجموعة متغيرات يفرضها

البناء المؤسساتي، ويحملها خطاب خبير يُخفي رهانات سلطوية مختلفة تماما عن تلك التي يعبر عنها فاعلون آخرون. إذن :

- ما خصوصية إنتاج معرفة عن موضوع الارهاب انطلاقا من مركز التفكير ؟ ما طبيعة المتغيرات المؤسسية التي يفرضها مركز التفكير على الخبراء ؟ ما هي مختلف الرهانات السلطوية التي يحملها الخطاب الخبير حول الارهاب ؟ وكيف يمكن تفسير هذا الأخير ؟ أي : ما هي الوظائف التي يؤديها الخطاب الخبير حول الارهاب ؟ وما هي استعمالاته السياسية ؟

VI. فرضية الدراسة

تقوم هذه الدراسة على افتراض رئيسي مستمد من نظريات الحقل و من النظريات المؤسسية للخطاب، وهو كالتالي:

- تتقيد كيفية إنتاج الخبرة حول الارهاب بالاعتبارات المؤسسية التي تفرضها قواعد العمل المميزة لحقل مراكز التفكير، وبالمركز السلطوي الذي يحتله حقل مراكز التفكير في تفاعله الاستراتيجي مع الحقل السياسي و الحقل العسكري-الاستخباراتي و الحقل الاعلامي.
- تعتبر العوامل المؤسسية مدخلا لفهم مخرجات المنظمات السياسية أو ذات الأدوار السياسية. انطلاقا من الاعتبار الذي مفاده أن الخطاب الخبير الذي تنتجه مراكز التفكير يؤدي أدوارا سياسية - شرعنة السياسات الرسمية المنتهجة - فإن فهم طبيعته و فحواه تتطلبان قبل كل شيء فهم الظروف المؤسسية التي تتحكم في إصداره، من جهة أولى، كما تتطلب، من جهة أخرى، فهم التفاعلات الاستراتيجية التي يرتبط بها حقل مراكز التفكير مع باقي الحقول السلطوية الأخرى. ضمن هذا التصور تقوم الدراسة على ثلاثة افتراضات جزئية هي :

- يتقيد مسار إنتاج الخبرة حول الارهاب في مراكز التفكير الأمريكية و الشرق اوسطية بوظيفة البحث الدائم عن براديجم العمل السياسي الأنسب لشرعنة السياسات المنتهجة من طرف الحقل السياسي، فهي وظيفة شرعنة اساسا للسياسات القائمة و التي تتحقق من خلال البحث الدائم عن خلق الإجماع اللازم لمصاحبتها.
- تتميز خبرة مراكز التفكير الأمريكية و الشرق اوسطية بنزعتها نحو مناهضة معرفة الموضوع ورفض التفسير الموضوعي و العقلاني للارهاب. إنها معرفة ذات طابع استراتيجي تحركها

الخيارات التفسيرية للخبراء و التي تهدف بشكل مقصود إلى تحييد التفسيرات الموضوعية الأخرى المنافسة أو المناهضة.

- يتم التحكم في ظروف النقاش العام حول الارهاب عن طريق الهيمنة النوعية للخطاب الخبير على الخطابات الأخرى. هذه الهيمنة هي استراتيجية لبناء إجماع معرفي و سياسي يتم الترويج له عبر سردية إجماع الخبراء.
- تتحقق سردية إجماع الخبراء من خلال آلية تشويه التفضيلات الذاتية التي ينتهجها الخبراء، وهي استراتيجية مفادها أن الخبراء يتخلون عن قناعاتهم الذاتية لصالح التفسيرات التي يفرضها ويقبلها مركز التفكير باعتبارها سرديات مهيمنة. هذه الأخيرة تؤدي وظيفة الحفاظ على استقرار المعاني و أطر ادراك المشكلة، و هي وسيلة لدعم الحفاظ على هيمنة الدولة.

تتعلق هذه الافتراضات بفهم طبيعة الخطاب الخبير و استعمالاته من خلال استكشاف لمختلف الرهانات السلطوية التي يحملها هذا الأخير.

VII. مراجعة الأدبيات *Revue de Littérature*

تمثل الخبرة المنتجة من طرف مراكز الفكر بخصوص موضوع الارهاب حقلا (بمفهوم بورديو) فريدا من نوعه بحكم خصائصه التي كشفت عنها الأعمال البحثية الجديدة خلال العقد الأخير. ظلت الأطر النظرية التقليدية تنظر إلى حقل الخبرة بمنظور مهني *professionnel* خالص أحيانا و بمنظور مؤسسي أحيانا أخرى *institutionnaliste*. على عكس هذه الأخيرة فإن موجة البحوث المستحدثة حول هذا الموضوع تعتبره غير خاضع للحدود المهنية و لا للحدود القومية (عابر للأوطان) و يأخذ شكل شبكة معقدة من العلاقات و التفاعلات بين الأشخاص و المؤسسات و الأفكار. فضلا عن عدم الانحصار المهني و الوطني، فإن أهم المساهمات عن الموضوع تؤكد أن هذا حقل الخبرة عن الارهاب يعتبر حقلا هجيناً *interstitiel* في طبيعته، فهو يستمد خصائصه من موقعه كحلقة تقاطع بين الحقل الأكاديمي [أغلب الخبراء يأتون من جامعات، و امالهم البحثية تستهدف الباحثين]، و الحقل السياسي [كثير من الخبراء مروا سابقا بوظائف سياسية، و كثير منهم يطمح لوظائف سياسية و منتجات الخبرة موجهة قبل كل شيء لتكون قاعدة للعمل السياسي]، و الحقل العسكري-الاستخباراتي [مجموعة جد معتبرة من الخبراء مرت بتجارب مهنية في الميدان العسكري و الأمني و الاستخباراتي، و مجموعة أخرى مهمة لها روابط بهذا القطاع]، و الحقل الاعلامي [صنف كبير من خبراء الارهاب اكتسب هذه الصفة انطلاقا

من مكانته كصحفي، وهذا الحقل مهم جدا لأنه منبر تعبير لمراكز التفكير من خلاله تُمارَس الوظيفة الاتصالية للخطاب الخبير حول الارهاب].

تعتبر هذه الفضاءات الهجينة والعابرة للأوطان في آن واحد غير مدروسة بشكل كاف كما تشير إليه ليزا ستامبنسكي. رغم هذا النقص في الدراسات فإن الأدبيات المستحدثة في هذا الاطار خصوصا أعمال توماس ميدفيتز T. Medvetz و ليزا ستامبنسكي Lisa Stampnitzky تقترح مجموعة من طرق التفكير المهمة جدا و التي تسمح باستيعاب هذا الحقل كحقل سلطوي جد مؤثر. تعود قوة التأثير التي تمتلكها خبرة مراكز الفكر إلى موقعها الهجين بين مجموعة من الحقول الكبرى المتخصصة في انتاج الخبرات أو الأفكار بشكل عام، فهو موقع يسمح للأفكار وللخطاب بالتحرك السلس والانتشار الواسع. كما تعود قوة التأثير إلى الطابع العابر للأوطان الذي تتميز به خبرة مراكز الفكر باعتبارها شبكة تفاعلية بين مجموع أشخاص ومؤسسات وأفكار متحركة بشكل سلس بين الكثير من الدول.

يلاحظ على الأدبيات في هذا الموضوع أن أغلب الأعمال و الدراسات الموجودة في ميدان الخبرة حول الارهاب تتناول تجارب وطنية، أي أنها تدرس حقل خبراء الارهاب ضمن الحدود الوطنية للدولة، ولا تولي اهتماما لطابعه العابرة للأوطان، الذي تؤكد ديناميكيات تدويل مراكز التفكير وحركة البراء بين الفضاءات الوطنية المختلفة وارتباطاتهم الشبكية الدولية. تبقى دراسة ليزا ستامبنسكي (2013) استثناء هنا لأنها بالفعل قدمت تفسيراً يأخذ في عين الاعتبار الأبعاد العابرة للأوطان و لكنها تظل بدورها نظرة متسمة بمركزتها الغربية Occidentalo-centriste.

لقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات الكبرى لأهم الكتاب في حقلي دراسات الارهاب و حقل دراسة مراكز التفكير.

أ. الدراسات حول موضوع مراكز التفكير

نظرا لأن دراستنا تستند على المسلمات النظرية التي تتيحها نظرة الحقل La théorie du champ فإن أهم دراسة اعتمدها لفهم طبيعة حقل مراكز التفكير خصائصه هي دراسة عالم الاجتماع الأمريكي توماس ميدفيتز Thomas Medvetz الحاملة لعنوان Think tanks in America : و التي نشرت سنة 2012. هذا الكتاب هو النسخة المنشورة لرسالة الدكتوراه التي قدمها هذا الأخير بجامعة بيركلي بنيويورك سنة 2007، وقد حصلت الرسالة على جائزة أفضل بحث دكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2008. إن هذا التنويع ليس شكليا فقد قدم الكتاب تفسيراً لديناميكية حقل مراكز

التفكير ضمن السياق الأمريكي بشكل متميز جدا حيث اعتبره فضاء سلطويا هجينا يؤدي أدوارا مركزية في قبولية علاقات السلطة الرمزية و السياسية في الو. م. أ. من هنا تكمن أهمية هذا الطرح، فقد قدم عدة مساهمات نظرية و منهجية :

المساهمات التي قدمتها دراسة ميدفيتز :

ويمكن حصرها في النقاط التالية :

- أنها دراسة اقترحت تفسيراً للتأثير الذي تمارسه مراكز التفكير الأمريكية ليس فقط على مستوى القرار السياسي، بل على مستوى الاعلامي و على مستوى صناعة الرأي العام.
- يتم تفسير تأثير مراكز التفكير عند ميدفيتز بتلك الكيفية التي بموجبها يتمكن الخبراء من تجميع الموارد و الرساميل حيث تستعمل لاحقا كأدوات للتأثير على الأطر الادراكية العامة التي يتداولها الرأي العام و الرأي السياسي.
- يقدم ميدفيتز متابعة لآثار هذا الوضع، حيث يعتبره أن مراكز التفكير قد حولت حقل السلطة و الحقل الاعلامي و الحقل الفكري le champ des intellectuels في الو. م. أ.

توضح أعمال ميدفيتز بشكل موجز أن مراكز التفكير الأمريكية جد مؤثرة على مستويين ؛ على مستوى صناعة السياسات و على مستوى صناعة الرأي أو التحكم في ظروف النقاش العام. يتم ذلك من خلال المساهمة في تشكيل الحكومة ثم في تشكيل التصورات حول السياسات التي ينبغي انتهاجها؛ وهذا الدور الذي يقوم به المفكرون و الخبراء سياسي في طبيعته.

الفائدة التي تقدمها أعمال ميدفيتز بالنسبة لدراستنا :

هناك مجموعة من الفوائد التحليلية التي تقدمها لنا الدراسات المنشورة لتوماس ميدفيتز حول موضوع مراكز التفكير. إن نظريته التي تتمحور حول فكر الحقل السلطوي الهجين Interstitiel Field تعتبر أداة لتحليل موضوع مراكز التفكير في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط باعتباره حقلًا عابرا للأوطان أيضا و باعتباره ديناميكية لتحول السلطة على المستوى الدولي أيضا. من هنا سنتمكن من تحليل حركية تدويل مراكز التفكير الأمريكية (مثل معهد راند و معهد بروكينز) كآلية لممارسة السلطة على الصعيد الدولي و كآلية لصناعة الاجماع حول أطر تفسيرية ومفاهيمية معينة بخصوص مشكلة الارهاب و كيفية مواجهتها.

ب. الأدبيات من حقل دراسات الارهاب Terrorism Studies

اعتمدنا كثيرا على كثير من الأعمال التي تندرج ضمن حقل دراسات الارهاب، وقد انطلقنا كثيرا من مساهمات كل من هيرمان و أوسوليفان Herman and O'sollivan، و ليزا ستامبينتسكي Lisa Stampitzsky حيث نعتبرها مهمة جدا لتفكيك موضوع خبراء الارهاب.

أولا : كتاب هيرمان وأوسوليفان :

وهو بعنوان The Terrorism Industry: The Experts And Institutions That Shape Our View Of Terror، وقد نشر سنة 1989، وهو كتاب مرجعي حقا في هذا الموضوع. يقدم هيرمان و أوسوليفان طرحا مفاده أن تصوراتنا حول مشكلة الارهاب تتحكم بها مجموعة ضيقة من الخبراء و المؤسسات، وهي ملاحظة جوهرية لأنها تكشف عن الشبكة الضيقة من الخبراء الذين يرسمون و يحددون هذه التصورات. تندرج هذه الدراسة ضمن تقاطع نوعين من المقاربات ؛ تقاطع مقاربات النخبة مع مقاربات التحليل الشبكي. بالنسبة لهيرمان و أوسوليفان، فإن حقل خبراء الارهاب يتشكل من مجموعة مصغرة من الخبراء الذين يمتلكون القدرة على الوصول إلى المراكز الفعلية للسلطة وعلى إنشاء شبكة علاقات مع باقي القطاعات السياسية و الاقتصادية و الاعلامية و العسكرية و الأكاديمية.

الإضافة التي قدمها هيرمان و أوسوليفان :

يدافع الكتاب عن حجة رئيسية مفادها أنه لا يمكن فهم الارهاب من دون فهم للشبكة المسؤولة عن انتاج الأطر الإدراكية للارهاب. هذه الأخيرة تؤسس ما يسمى بالرواية (السردية) المهيمنة و يكون دورها الأساسي فيما بعد منحصر على الدفاع و المحافظة على هذه السردية. تتشكل هذه الشبكة من خبراء و مؤسسات بحثية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنخب السياسية و المالية و العسكرية و الاستخباراتية. كما قدم الكتاب إضافة مهمة تتعلق بالاستراتيجيات المنتهجة من طرف الخبراء في صناعة الارهاب و هي ثلاثة اقسام ؛ الأولى وهي تضخيم التهديد الارهابي حتى و إن كانت الأعمال الارهابية من الحجم الضعيف ؛ الثانية وهي تعمد إلصاق المسؤولية بتنظيمات معينة بسبب مواقفها السياسية.

بمقابل جودة التحليل الذي قدمه كتاب صناعة الارهاب إلا أن له حدودا تتلق بتركيزه على التجربة الغربية عامة والأمريكية خاصة، وهو لا يقدم إجابات عن الديناميكيات العابرة للأوطان لحقل خبراء الارهاب.

الفائدة التحليلية و المنهجية من كتاب هيرمان و أوسوليفان :

يساعد كتاب صناعة الارهاب على فهم آليات تشكل حقل خبراء الارهاب، لأنه يلقي الضوء على طابعه النخبوي، حيث تهيمن عليه فئة ضيقة من الخبراء و المؤسسات البحثية. لقد تتبعنا هذه السمة بشكل مفصل في تحليلنا الوارد في الفصل الثالث، حيث سمح الاطار المنهجي المطبق في كتاب صناعة الارهاب باستكشاف الخصائص الهيكلية لكل من الحقلين الأمريكي و الاسرائيلي حيث نشأ الاثنان و تطورا حول نواة صلبة تتكون من عدد قليل من الخبراء الذين ظلوا يسيطرون على تصوراتنا لأكثر من أربع عقود من الزمن. كما ساعدنا طرح الكتاب على تفسيره الهيمنة من خلال الرجوع إلى الارتباطات التي يمتلكها هؤلاء مع البنى السلطوية المختلفة (السياسية، الاقتصادية و المالية و العسكرية).

ثانيا : أعمال ليزا ستامبنتسكي

وهي مجموعة من الكتب و المقالات التي نشرتها هذه الباحثة البريطانية ابتداء من سنة 2009. يعتبر كتابها الشهير الحامل للعنوان : ضبط تخصص الارهاب : كيف ابتكر الخبراء مفهوم الارهاب ؟ ¹ Disciplining Terror : How Experts Invented Terrorism والذي نشر سنة 2013 أهم أعمالها على الاطلاق من ناحية قيمته و إضافته التفسيرية. يقدم هذا الكتاب - وهو النسخة المنشورة لرسالة الدكتوراه التي قدمتها الباحثة بجامعة كاليفورنيا بيركلي Berkeley بالولايات المتحدة - مساهمة قيمة جدا لموضوع خبراء الارهاب، لأنه مراجعة نقدية و نقدية لمسار بروز مفهوم الارهاب. هذا الأخير ظهر إلى الوجود بفعل الخبراء و ليس بفعل الأكاديميين، وهي تساند الطرح الذي مفاده أن الخبرة حول هذا الموضوع مُسَيَّسَةٌ Politisée، من ناحية مضامينها و من ناحية الأطر المؤسسية التي تشكلت فيها. بُنيَ طرَح هذا الكتاب على إطار منهجي ملائم لمساندة فكرة تسييس الخبرة، فقد ركزت تحليلها على

¹ نال هذا الكتاب القيم ثلاث جوائز دولية بين سنة 2015، أهمها جائزة Francesco Guicciardini لأفضل كتاب في حقل تاريخ العلاقات الدولية و الذي تقدمه جمعية الدراسات الدولية International Studies Association بجامعة Connecticut الأمريكية.

عينة دراسية هي المؤتمرات الأولى التي انعقدت في سبعينيات القرن الماضي لمناقشة مشكلة الارهاب. هذه الأخيرة تعتبر مثالا امبريقيا عن فضاءات النقاش المسيسة لأنها لا تتضمن فقط فئة الأكاديميين أو الخبراء بل تضم أيضا السياسيين والموظفين العسكريين والاستخباراتيين.

تكمن الإضافة النوعية لهذا الكتاب في أنها قدمت واحدا من أفضل الأطر النظرية و المنهجية لتحليل موضع خبراء الارهاب؛ إنها من الأعمال القليلة جدا - إن لم تكن حصرية - التي قامت بتطبيق مفهوم الحقل الهجين على موضوع خبراء الارهاب ؛ أي تلك الفضاءات المسؤولة عن انتاج المعرفة عن الارهاب انطلاقا من موقع يتسم بغياب الانتظام بسبب غياب الضبط الناتج عن غياب القواعد المهنية أو قواعد التخصص. بعبارة أخرى، إنها إضافة رائعة تلك التي قدمتها ستامبنتسكي، فقد سمحت لها باكتشاف الآثار التي يخلفها المركز الهجين على طبيعة المنتج المعرفي، حيث لاحظت أن خبراء الارهاب لا يعرفون الشيء الكثيرن موضوع خبرتهم فهم مناهضون لمعرفته لأسباب سياسية وأخرى ايدولوجية. نتيجة هذه الملاحظة هي أن الخطاب الخبير حول الارهاب حسب ستامبنتسكي هو خطاب هجين يقع بين السياسية والعلم، أو بين الحقل العلمي و الحقل السياسي، أو بين الجامعات وأجهزة الدولة الأخرى.

حدود دراسة ستامبنتسكي (2013) Disciplining Terror : How Experts Invented Terrorism :

قام الافتراض الرئيسي لدراسة ستامبنتسكي على اعتبار أول مفاده أن حقل الخبرة حول الارهاب غير منتظم وهو يتسم بغياب القيود و القواعد كتلك التي تفرضها الفضاءات المهنية المغلقة. نحن نختلف معها اختلافا كبيرا ؛ إذا كان الكثير من الخبراء الذاتيون les experts auto-proclamés يندرجون ضمن هذا الصنف فإن الأغلبية منهم ترتبط بانتماءات إلى مؤسسات بحثية تسمى مراكز التفكير، وهذا معناه أن ينشطون ضمن هياكل مؤسساتية تحكمها قواعد خاصة بها. تعاني دراسة ستامبنتسكي من تغييب هذا العنصر؛ هي تعتبر أن انتاج الخبرة حول الارهاب يتم انطلاقا من الحيز الهجين بين المؤسسات العلمية و المؤسسات السياسية، ولكن الواقع غير ذلك، لأن هذا الحيز مُعَرَّف اليوم بمؤسسات تحتله بشكل احتكاري مؤسسات تسمى مراكز التفكير. أليس من الملائم إذن تحليل مسار انتاج الخبرة انطلاقا من واقع مؤسساتي وليس انطلاقا من تصور مجرد ؟ تحاول دراستنا هنا أن تتعامل مع هذا الاشكال، فهي تحدد هذا الحيز وتعرفه بمراكز التفكير، كما أنها تفترض أن لهذا الحيز الذي تحتله بشكل احتكاري مراكز التفكير قواعده الخاصة به. ترفض دراستنا إذن الافتراض الرئيسي الذي قامت عليه أعمال ستامبنتسكي إذ تعتبر أنه مسار غير مقيد بقواعد تنظيمية، وتحاول

أن تفهم طبيعة القواعد المؤسسية السائدة في عالم مراكز التفكير والتي توجه نشاط الخبراء المنتمين إليها.

الفائدة التحليلية بالنسبة لموضوع دراستنا :

إذا كانت المؤتمرات فضاء هجيناً فإنه بإمكاننا أن نسقط هذا التصور النظري على خبراء الارهاب. خبراء الارهاب اليوم ليسوا بالضرورة أكاديميين، بل إن السمة الرئيسية للحقل هي تنوع مساراتهم المهنية التي أتت بهم الى هذا الحقل، كما أنهم يعملون في علاقة قرب استراتيجي مع الحقل السياسي و الحقل العسكري-الاستخباراتي. يعيننا الاطار النظري الذي اقترحه ليزا ستامبنتسكي على تقديم إطار نظري يعتبر أن خبراء الارهاب يتكلمون عن الارهاب انطلاقاً من فضاء هجين محدد بقواعد مؤسسية تفرضها الخصوصية المؤسسية والوظيفية لمراكز التفكير.

ت. الدراسات من حقل الدراسات النقدية للارهاب

اعتمدنا في دراستنا على كثير من الطروحات التي كرستها الأعمال لبحثية من حقل الدراسات النقدية للارهاب.

أولاً : أعمال ريتشارد جاكسون النقدية Richard Jackson

يعتبر كتاب روتليدج عن الدراسات النقدية للارهاب (2016) للمحرر الرئيسي ريتشارد جاكسون مرجعاً مهماً لمعرفة و تقييم حالة الفن في هذا الميدان، فهو دليل يخبرنا بأهم المقاربات النقدية على المستويين الاستيمولوجي (ليزا ستامبنتسكي) و الانطولوجي (Joseba Zulaika) و الخطابي (Jessica Wolfendale) التي يتم تطبيقها في دراسة الارهاب. لكن، تظل دراسته بعنوان Constructing Government and Opposition الشهيرة سنة 2007 أهم دراسة نقدية قدمها هذا الأخير بهذا الخصوص.

الإضافات التي قدمها مقال بناء الأعداء Constructing Enemies لجاكسون 2007:

عن الرهانات السلطوية التي يحملها الخطاب السياسي و الخطاب الأكاديمي عن الارهاب.

ثانياً : مقال دافيد ميلر David Miller و توم ميلز Tom Mills (2009)

اعتمدنا في تفكيك موضوع دراستنا على الكثير من التصورات التي اقترحها مقال دافيد ميلر و توم ميلز المنشور بالدورية المتخصصة Critical Studies on Terrorism سنة 2009. يناقش المقال وهو بعنوان **The Terror Experts and the mainstream media : the expert nexus and its dominance in the news media** (خبراء الارهاب ووسائل الاعلام المهيمنة : روابط الخبراء وهيمنتهم على وسائل الاعلام الاخبارية)، مسألة رواج الخبرة حول الارهاب اعلاميا وكيف يتم استعمالها من طرف الاعلام. يفسر ميلر و ميلز هيمنة خطاب الخبراء بمتغير الروابط التي يمتلكها هؤلاء مع المؤسسات السياسية والعسكرية والصناعية والاستخباراتية والاعلامية.

الإضافات التي قدمها مقال ميلر و ميلز :

يطرح المقال فكرة جوهرية ؛ أن عدد الخبراء المؤثرين في الاعلام حول مسألة الارهاب قليل، ويطلق عليه اسم الجماعة غير المرئية Invisible college. يؤدي هذا الأخير وظيفة محورية تتمثل في الربط بين المصالح التي تجمع بين عالم الخبراء من الجامعات والجيش، والاستخبارات والأجهزة الحكومية والمؤسسات الصناعية الأمنية ووسائل الاعلام. إن تناول الموضوع بهذه الكيفية سمح لكل من ميلر وميلز بـ :

- تعريف العناصر الأساسية التي تتشكل منها شبكة الخبراء حول الارهاب، و هي : الجيش، الاستخبارات، الأجهزة الحكومية، الصناعة الأمنية والاعلام.
- اعادة فحص النظريات حول الارهاب ونظريات الدعاية من خلال مساءلة المصادر الخيرة للخطاب الاعلامي و من خلال نقد الروابط الاعلامية والسياسية والاقتصادية للخبراء.

عناصر استفادتنا من دراسة ميلر و ميلز :

استفادتنا من هذه الدراسة كانت كبيرة جدا فقد قدمت لنا إجابة عن تساؤل جوهرى انطلقنا منه ويخص ماهية الارتباطات الموجودة بين مراكز التفكير والحقول الأخرى. لقد سمحت لنا هذه الدراسة بصياغة الحجج التالية :

- خبراء مراكز التفكير لا ينشطون في استقلالية عن الحقل السياسي و الحقل العسكري- الاستخباراتي و الحقل الاعلامي و الحقل الأكاديمي.
- تتحكم هذه الروابط في طبيعة المحتوى الذي تنتجه المعرفة الخيرة عن موضوع الارهاب، بل إنها الأساس الذي تتشكل عليه مختلف استراتيجيات بناء الحجة التي يعتمدها الخبراء.

- المنتج المعرفي الخبير لمراكز التفكير يتضمن أيضا الدفاع عن مصالح مؤسساتية ضيقة (مصادقية مركز التفكير، الحفاظ على التمويل، خلق وبناء الاجماع) التي تتفاعل مع المصالح الطبيعية لأعضاء الشبكة الآخرين بالشكل الذي يدافع عن هيمنة الدولة، أو هيمنة من تسميهم نظريات النخبة بالطبقة الحاكمة la classe dirigeante.
 - أن هناك استعمال استراتيجي للخبرة، فجميع العناصر المشكلة للشبكة تستعمل الخبرة كمصدر بحثا عن المصادقية وعن شرعنة للخطاب السياسي أو للمطالب في الميزانية (الفصل الرابع).
- بصورة موجزة، مكننا دراسة ميلر و ميلز من تفكيك موضوعنا انطلاقا من الروابط التي يعقدها الخبراء مع الحقول ذات الصلة، و بالتساؤل عن مدى تأثير هذه الروابط على كفاءات إنتاج الخبرة وعلى مضامينها.

VIII. الاطار المنهجي للدراسة :

يشير مصطلح المنهجية Methodology إلى دلالة مختلفة عن مصطلح قريب منه و واسع الاستعمال وهو المنهج Method أو المناهج Methods. يتعلق الأول بالاستراتيجية العامة للبحث أو بالفلسفة العامة للبحث، بينما يرتبط الثاني بالأدوات المستعملة في البحث عن المعلومات وكيفية تحليلها.

أ. المنهجية Methodology

يتعلق موضوع هذه الدراسة بتحليل الخبرة التي ينتجها حقل مراكز التفكير عن الارهاب في الولايات المتحدة الأمريكية و الشرق الأوسط منذ الحادي عشر من سبتمبر 2001. ينطلق تحليل هذا الموضوع من تصورات نظرية أنتجت بشكل خاص سوسيولوجيا الحقل و سوسيولوجيا المعرفة، وهو تحليل ينطلق من الفرضية الرئيسية التالية التي سبق تفصيلها أعلاه :

تتقيد كفاءة إنتاج الخبرة حول الارهاب بالاعتبارات المؤسساتية التي تفرضها قواعد العمل المميزة لحقل مراكز التفكير، وبالمركز السلطوي الذي يحتله حقل مراكز التفكير في تفاعله الاستراتيجي مع الحقل السياسي والحقل العسكري-الاستخباراتي والحقل الاعلامي.

السؤال الذي يطرح نفسه إذن هو : ما هي الاستراتيجية التي سيتم توظيفها لتفكيك هذا الموضوع بناء على هذا الافتراض ؟

يتطلب وضع هذه الاستراتيجية الاستجابة اللازمة لشرط الانسجام المنطقي بين العناصر الأربعة الكبرى المكونة للبحث : العنوان و الفرضية و المتن و المناهج المستعملة.

فيما سنشرح بشكل موجز استراتيجيتنا البحثية من خلال توضيح الخلفية الاستيمولوجية- المنهجية التي توجه التحليل الكيفي :

السؤال البحثي	الخلفية النظرية أو الاستيمولوجية	الخلفية المنهجية
من الفاعل المتكلم ؟ - الخبراء	- التعريف بالخبراء - التحليل باستخدام نظرية الحقل	- كيف يتم تطبيق نظرية الحقل ؟ - الأدوات / المناهج : - البحث التاريخي المقارن : مقارنة فضائية و مقارنة زمانية. - البحث البيوغرافي
من أين يتكلم ؟ - انطلاقا من مركز التفكير	- التعريف بمراكز التفكير - التحليل باستخدام نظرية الحقل	- البحث التاريخي المقارن : مقارنة فضائية و مقارنة زمانية.
ماذا يقول ؟ - ينتج الخبراء براديغمات للعمل السياسي و ليس براديغمات فهم.	- تحليل الكيفية التي يتم بها بناء الفهم عن الارهاب. - تعريف البراديغمات التي انتجها الخبراء عن الارهاب.	- تحليل المحتوى. - تحليل استراتيجيات بناء الحجة الواردة في النصوص والوثائق التي أصدرتها مراكز التفكير.

ب. المناهج المستعملة في التحليل Methods :

تتضمن الاستراتيجية البحثية استعمالا لمناهج التحليل التاريخي، و المنهج المقارن و منهج تحليل المحتوى.

أولا : مقاربات البحث / التحليل التاريخي :

وهي تختلف عن ما يسمى بالمنهج التاريخي لأن الأخير ينطلق من دراسة وثيقة تاريخية بالضرورة باعتبارها مصدرا أوليا مكتوبا أو غير مكتوب، بينما تتعلق الأولى بدراسة و تحليل اتجاهات الظواهر من الماضي نحو المستقبل عن طريق فهم و تفسير الوقائع التاريخية. تستعمل مقاربات البحث التاريخي عدة أطر تحليلية فقد تكون تحليلا تاريخيا مقارنا (مقارنة الظواهر عبر فترات زمنية مختلفة و عبر فضاءات

معينة)، أو تحليلًا تاريخيًا للسرديات (التتبع الكرونولوجي للمحتويات و المضامين)، أو تحليلًا للمضمون (من خلال تفحص الوثائق على مدى زمني متوسط أو طويل)، أو حتى تحليلًا للأفراد عبر ما يسمى بالتحليل البيوغرافي. يسمح تطبيق مقاربات البحث التاريخي على موضوعنا هذا بـ : (1) تحديد الاتجاهات التي تسلكها مشكلة الارهاب منذ نشوؤها و وصولا الى الحاضر و المستقبل كما تصورها الخبراء، و بـ (2) معرفة الأفكار و السرديات المصاحبة لها و التي تعمل باستمرار كحاضنة موجهة للأفكار الحالية.

لقد ارتكز أكبر الجهد التحليلي في هذه الدراسة على تحليل مسار تطور حقل مراكز التفكير في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط (الفصل الثاني)، كما تركز الجهد أيضا على تحليل خصائص حقل الخبرة حول الارهاب انطلاقا من فهم و تفسير مسار النشأة و التطور (الفصل الثالث). تم تطبيق مقاربات التحليل التاريخي من خلال عدة أطر :

- التحليل التاريخي المقارن Comparative Historical Analysis حيث شمل التحليل المواضيع الثلاثة الآتية : (1) مقارنة مراكز التفكير في الوم أ. بين فترتي النشوء و النضج؛ (2) مقارنة حقل خبراء الارهاب بين فترة نشوء الحقل سنوات السبعينيات و فترة ما بعد حوادث 09/11 ؛ مقارنة البراديغمات التفسيرية للارهاب بين فترات الحرب الباردة، و ما بعد الحرب الباردة و ما بعد 09/11.
- التحليل البيوغرافي : لفهم خصائص حقل خبراء الارهاب و تطوره التاريخي، قمنا بدراسة أهم الخبراء المشكلين له من خلال تحليل تدرجهم العلمي و المهني و طبيعة الروابط التي يمتلكونها مع المراكز السلطوية الأخرى. تم تتبع أهم الشخصيات التي تحتل النواة الصلبة لحقل الخبراء في الوم. م. أ. و في دول الشرق الأوسط باستعمال منهج التحليل البيوغرافي مع التركيز على المستويين الأكاديمي و المهني. استعملنا في ذلك المعلومات التي توفرها قواعد البيانات، المواقع الرسمية لمراكز التفكير التي تقدم معلومات شخصية عن أعضائها، المواقع الرسمية للجامعات التي ينتمي اليها الخبراء، كما وفر كتاب هيرمان و أوسوليفان الكثير من هذه البيانات خصوصا وأنه قائم منهجيا على التحقق من روابط هؤلاء الخبراء مع مراكز النفوذ السياسي و الاقتصادي و الاعلامي و الأيديولوجي.

تمثلت الأهداف من استخدام مقاربات البحث التاريخي فيما يلي :

- الفهم المعمق للقاعدة التي انطلق منها المسار المؤسساتي المسؤول عن هيكله مضامين البرة حول الارهاب ؛
- التطرق للسياق الذي سمح بتشكيل الظروف المؤسساتية و السياسية و الجيو استراتيجية التي تحدد الممارسات الخطابية لمراكز التفكير اليوم ؛
- التعرف على طبيعة الأفكار السائدة بالماضي باعتبارها جزءاً من ديناميكية المؤسسة التاريخية للأفكار الاستراتيجية؛ ليست حلول مشكلة الارهاب المقترحة اليوم بالجديدة بل يتم استرجاعها من التراث المعرفي والاستراتيجي الموجود بالماضي كأفكار الاحتواء، أو الحرب الاستباقية.

ثانيا : المنهج المقارن :

لا تقوم المقارنة على الكشف عن عناصر الاختلاف و التشابه فحسب، بل على تفسيرهما أيضا. تفرض طبيعة الموضوع إجراء المقارنة اللازمة بين الفضاء الأمريكي والفضاء الشرق أوسطى بدوله غير المتجانسة. تسمح المقارنة باستكشاف غلبة ديناميكيات التشابه على حساب ديناميكيات الاختلاف في الخطاب الخبير عن الارهاب و هذا تعبير عن آليات لبناء الاجماع. تم تطبيق المقارنة طوال البحث سواء ضمن أطر التحليل التاريخي أو ضمن أطر تحليل المضمون.

ثالثا : تحليل المضمون :

تحاول هذه الدراسة أن تتعرف على طبيعة الخبرة التي انتجها خبراء مراكز التفكير حول الارهاب. يتطلب القيام بهذا ضرورة العودة إلى مصادر نصية (وثائق) تخبرنا عن محتوى ما يقوله الخبراء حول هذا الموضوع. إن أفضل طريقة للقيام بذلك تكمن في الرجوع إلى مجموعة الدراسات والأعمال البحثية و مختلف الوثائق الأخرى التي يصدرها الخبراء باسم مراكز التفكير التي ينتمون إليها. يتعلق الشرط الأول الذي يجب أن يوجه اختيارنا للوثائق في ضرورة انتماء الخبير الى مركز التفكير، بينما يتعلق لشرط الثاني بضرورة أن تكون الوثيقة متعلقة بموضوع الارهاب و أن تكون صادرة خلال الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة، أي ابتداء من 09/11 كما هو وارد في عنوان البحث. يتعلق الشرط الثالث و الأخير بأن تكون الوثيقة صادرة عن مركز تفكير أمريكي و شرق أوسطية. رغم أن الفضاء الشرق أوسطى يضم دولا عربية و دولا غير عربية و دولة الاحتلال الاسرائيلي لقد، إلا أن تحليلنا اقتصر على نماذج من مراكز تفكير عربية و أخرى اسرائيلية ولم نتطرق الى التجربة الايرانية أو التركية لأسباب فرضتها استراتيجية التحليل المعتمدة التي كانت ستفرز بحثا طويلا جدا. قد يكون هذا عيبا منهجيا من ناحية أن العينة لن تكون تمثيلية للفضاء الشرق أوسطى، خصوصا بوجود فاعل يحمل خطابا

مناهضا في المنطقة و هو ايران، ولكن فضلنا الاهتمام أكثر بالحالتين العربية و الاسرائيلية بحكم الحاجة الموضوعية لفهم الذات و فهم تفاعله مع الآخر البعيد (الولايات المتحدة) و القريب (اسرائيل)، خصوصا وأن ديناميكية الصراع مع اسرائيل عربية في جوهرها، وليست ايرانية أو تركية.

المصادر المستعملة :

كيف تم اختيار مراكز التفكير ؟

بالطبع لا تعتبر هذه الدراسة شاملة pas exhaustif، وإنما تقوم على اختيار عينة من مراكز التفكير التي تنتهي الى الولايات المتحدة و اسرائيل و دول عربية شرق أوسطية. هذه الأخيرة ضمت دولة مصر و دولة قطر و الامارات العربية المتحدة كدولتين خليجيتين، وقد راعينا ثلاث متغيرات في ذلك :

- الثقل السياسي للدولة داخل النظام الاقليمي الشرق أوسطي،
- مدى تجذر تجربة مراكز لتفكير ضمن الثقافة السياسية للدولة : فقد اختير المثال المصري الذي يجسده مركز الاهرام لقدم التجربة تاريخيا، و اختيرت دول الخليج لحدثة التجربة؛ فهل لهذا التباين تأثير على طبيعة المنتج المعرفي الخبير حول الارهاب؟
- ضعف / قوة النشاط الارهابي في الدولة العربية، و قد اخترنا دولة مصر نظرا لقوة النشاط الارهابي بها، و اخترنا دولتين خليجيتين لضعف المشكلة بهما، فهل يؤثر التباين بين الاثنين على طبيعة الخطاب الخبير حول الارهاب؟

أما مبرر اختيار مركز التفكير فقد استند الى 03 مؤشرات :

- أن يكون مركز التفكير عريضا : (1) بالمفهوم التاريخي، يجب أن يكون المركز قديما نسبيا ضمن التجربة القومية لمراكز التفكير فمتغير العراقة التاريخية مؤشر على الروابط القوية مع المؤسسات الأخرى للدولة، كما أنه يساعدنا على تتبع مسار مؤسسة الأفكار تاريخيا (2) أن يحظى مركز التفكير بتصنيف عال ضمن التصنيف الدوري الذي يقترحه ماك غين من جامعة بينسلفانيا ؛
- أن يحظى مركز التفكير بالقرب من دوائر القرار الرسمي سواء سياسية أو عسكرية ؛
- أن يتضمن المركز مشروعا بحثيا أو وحدة بحث على الأقل حول موضوع الارهاب (مأسسة) ؛

بناء على هذه الشروط، فقد تم اختيار مجموعة من مراكز التفكير المنتمة الى الفضائين الأمريكي و الشرق أوسطي كما هي موضحة أدناه :

الدولة	مركز التفكير	تاريخ التأسيس	الترتيب حسب تصنيف مأك
الولايات المتحدة الأمريكية	مركز راند Rand Corporation	1947	أول مركز تفكير أمني أمريكي مرتبة 01 عالميا
اسرائيل	معهد دراسات الأمن القومي INSS	1977	أول مركز تفكير أمني اسرائيلي مرتبة 12 عالميا
مصر	مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية	1968	أول مركز تفكير أمني مصري مرتبة 32 عالميا
قطر	المركز العربي للبحوث والدراسات (م. ع. ب. د.)	2010	ثالث أفضل مركز قطري مرتبة 40 شرق أوسطيا
الامارات العربية المتحدة	مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (م. إ. ب. إ.)	1994	ثالث أفضل مركز اماراتي مرتبة 24 شرق أوسطيا

تتضمن مجموعة الوثائق التي سيتم اخضاعها للتحليل القائمة التالية.

الرقم	عنوان الوثيقة	طبيعتها	الكاتب -مركز التفكير - الدولة
1	The Jihadists' Operational Code	فصل من كتاب (2005)	Brian Jenkins معهد راند Rand Corporation الو. م. أ.
2	The New Age of Terrorism	فصل من كتاب (2006)	Brian Jenkins معهد راند Rand Corporation الو. م. أ.
3	How Terrorist Groups End Lessons for Countering al Qa'ida	تقرير (2008)	Seth G. Jones, Martin C. Libicki معهد راند Rand Corporation الو. م. أ.
4	The Terrorism Threat against Israel from al-Qaeda and Global	مقال (2010)	Yoram Schweitzer معهد دراسات الأمن القومي

"إسرائيل"	Jihad	
ايمان رجب مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية مصر	مقال (2020)	4 سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية و التحديات
مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (الإمارات العربية المتحدة)	تقرير (2022)	5 حالة الارهاب في عام 2023 : تقدير استراتيجي لقدرات الجماعات الإرهابية ومواردها
عمر عاشور المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة - قطر	دراسة (2020)	6 From Bullets to Ballots : Transformations from Armed to Unarmed Political Activism

رابعا : منهج دراسة الحالة

هذه الدراسة ليست شاملة، فقد استند التحليل على تجارب دولية دون أخرى، وعلى مراكز تفكير دون أخرى. اشتمل التحليل على دراسة حالات عديدة، فالتجربة العربية في ميدان مراكز التفكير تم تقييمها من خلال الحالة المصرية و الحالة الخليجية، و التجربة المصرية بدورها تم تناولها من خلال حالة مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية. يعتبر منهج دراسة الحالة مناسبا في مثل هذه المواضيع لأنه يسمح بالانتقال من الجزء إلى الكل كما يسمح بتحديد خصوصية هذه الحالة المدروسة.

IX. تقسيم الدراسة

تم تقسيم هذه الدراسة الى أربع فصول. تناول الفصل الأول الخلفية المفاهيمية والنظرية للدراسة، حيث تعرض بالتفصيل لمفاهيم الخبرة و مركز التفكير و مفهوم الارهاب، و على المستوى النظري تم تقديم أهم المقاربات و النظريات التي تم اعتمادها لتفسير ظاهرة مراكز التفكير و هي نظرية الحقل la théorie du champ، مقاربات سوسيولوجيا المعرفة، المقاربات المؤسسية الخطابية، نظرية النخب كما تضمن الفصل انتقادا مستمدا من أفكار أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci.

حاولنا في الفصل الثاني أن نفهم ظاهرة مراكز التفكير في الو.م.أ. و الشرق الأوسط بتطبيق لنظرية الحقل. لقد اعتبرنا أن هذه المؤسسات تشكل حقلا ذاتيا وهجينا ويتميز بكثرة الديناميكيات التي تعبره، حيث سمح التحليل التاريخي من خلال تتبع مسار النشأة و التطور بالوقوف على أهم هذه الديناميكيات (الأدلجة، التسييس، ثم التدويل). تطرق هذا الفصل أيضا الى تحليل الحقل العربي لمراكز التفكير ثم الاسرائيلي وذلك بناء على نفس طريقة التحليل المعتمدة مع الحالة الأمريكية.

قدم الفصل الثالث تحليلا عن حقل خبراء الارهاب، وذلك من خلال تتبع مسار النشأة و التطور داخل السياق الأمريكي ثم داخل السياق الشرق أوسطي. تمثل الهدف البحثي هنا في تحديد و تعريف من هم الخبراء الفعليون الذين يتكلمون عن الارهاب انطلاقا من مراكز التفكير الأمريكية، ثم الاسرائيلية ثم العربية. استطعنا من خلال هذا الفصل أن نكتشف طبيعة الارتباطات بين الحقل الأمريكي و الاسرائيلي لدراسات الارهاب، كما توقفنا على تأخر تشكل حقل خبراء العرب حول الارهاب وضعف هذا الأخير مقارنة بالحقلين الأمريكي و الاسرائيلي بسبب غياب نواة أساسية له و بسبب ضعف المساهمة البحثية العربية في ميدان دراسات الارهاب.

تم تخصيص الفصل الرابع لدراسة امبريقية تنطلق من تحليل الوثائق الصادرة عن خبراء مراكز التفكير ، وذلك بغرض تحديد الكيفية التي تم بها تعريف الارهاب و كيفية تفسيره. كما تطرق الفصل الى تحليل الاستراتيجيات الخطابية للخبراء. تم أيضا تعريف البراديفغات التي انتجها الخبراء من خلال منهجية مزدوجة ؛ تحليل المضمون و تحليل نيو-مؤسستي للخطاب الخبير. انتهى هذا الفصل بتحليل الاستخدامات السياسية للخطاب الخبير و ذلك بتطبيق لأفكار جون إلستر John Elster المتضمنة في نظريته عن الاستخدامات الاستراتيجية للحجج. كما انتهى بتحديد دور الخطاب الخبير حول الارهاب في بناء الاجماع الايديولوجي والسياسي اللازم لشرعنة السياسات المنتهجة رسميا، و ذلك من خلال تطبيق لمفهوم تشويه التفضيلات La falsification des préférences لتيمور كوران Timur Kuran.

الفصل الأول :

إطار المفاهيم والنظريات المتعلقة

بموضوع الدراسة

الفصل الأول : إطار المفاهيم و النظريات المتعلقة بموضوع الدراسة

يتعلق موضوع دراستنا بمحاولة فهم طبيعة الخبرة المنتجة حول مشكلة الارهاب انطلاقا من إطار مؤسساتي يسمى مركز التفكير. إنه محاولة إضافية لفهم التقاطع الموجود بين المفاهيم الثلاثة : الارهاب، الخبرة و مركز التفكير. فيما سيأتي من عناصر سنتناول المفاهيم الثلاثة كما سنناقش أهم المقاربات النظرية التي يمكن اسقاطها هنا لفهم موضوع الخبرة في مراكز التفكير.

المبحث الأول : ما المقصود بخبرة مراكز التفكير؟

يحظى مفهوم الخبرة باهتمام بحثي عالي متزايد في ميدان العلوم السياسية، شأنه شأن ظاهرة مراكز التفكير. كيف يمكن تحديد خصائص هذا الصنف من النشاط على المستوى النظري ؟

المطلب الأول : مفهوم الخبرة

1. مسار التطور التاريخي لمدلول مصطلح "الخبرة" ولقيمه الاستخدامية

يعتبر مصطلح الخبرة *expertise* اليوم ذو أهمية بالغة في مجال إنتاج المعارف حول مختلف المشكلات الطبيعية، الانسانية والاجتماعية. فعند إدراج كلمة *expertise* في محرك البحث google فإنه سيعطينا حوالي مليار و 460 مليون مدخل في أقل من 0,3 ثانية، لكل المحتويات الصادرة باللغتين الفرنسية و الانجليزية. لكن، و عند القيام بنفس العملية باستخدام اللغة العربية أي باستعمال مصطلح الخبرة، فإن النتيجة ستكون أقل بكثير و سيسجل المحرك 30,8 مليون نتيجة في 0,32 ثانية. إذا كررنا هذه المحاولة على مستوى محرك البحث العلمي "*google books*" فإن النتيجة تشير إلى نفس التباين ؛ باللغتين الانجليزية و الفرنسية يصدر المحرك حوالي 19,1 مليون نتيجة ولأما بالعربية فيصدر حوالي 137 ألف نتيجة، أي 14 ضعف ما يتم انتاجه باللغة العربية¹. مثل هذا المغطى لا يشير فحسب إلى ضعف المحتوى باللغة العربية على الصعيد الرقمي مقارنة باللغتين الفرنسية و الانجليزية، و إنما يؤكد الأهمية البالغة لمفهوم الخبرة في مجتمع اليوم. و لكن الملاحظة الأهم هنا تتعلق بحجم الفجوة على صعيد البحوث العلمية بين مجتمعي المقارنة السابقة، هل هذا

¹ تم تحديث هذه النتائج لأخر مرة بتاريخ 13 نوفمبر 2023م.

معناه أن المفهوم لا يحظى بعد بالعناية اللازمة أم أن السبب يوجد في الخصائص العامة للدولة العربية التي لا تعرف تفتحا كافيا على المصادر الخارجية المساعدة على صنع القرار؟

قد يكون الأمر كذلك في الحالة العربية، ولكن ما هو أكيد اليوم أن مفهوم الخبرة اليوم في جميع الفضاءات الثقافية في العالم لا يعتبر اكتشافا جديدا بل إنه واحد من أهم المفاهيم المفتاحية خلال الخمسين سنة الأخيرة. إنه في قلب العديد من التخصصات و من البرامج البحثية الحديثة جدا مثل فلسفة الخبرة ، علم نفس الخبرة و علم أعصاب الخبرة neuroscience . كما أنه يثير شراهة النقاش في تخصص العلوم السياسية وفقا للحجم المتزايد في البحث في موضوع سياسيات الخبرة *politics of expertise*. إنه أيضا في صميم النقاش داخل التخصصات العريقة مثل الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع كما تؤكد ضخامة الأدبيات عن الموضوع باعتباره ظاهرة اجتماعية.

ضمن مسار تطور الاهتمام المتزايد بمفهوم الخبرة، عرف المدلول بدوره تغيرات جوهرية. علينا أن نشير أولا إلى أن مصدر المصطلح الخبرة expertise مستمد من اللغة الفرنسية و لكنه هاجر إلى اللغة الانجليزية ليستخدم على نطاق واسع في شتى الحقول المهنية بنفس الدلالة الفرنسية¹. إن حركة الانتقال من الفرنسية إلى الانجليزية² تنطوي على ملاحظتين مهمتين يجب التنويه بهما هنا ؛ فأما الأولى فتتعلق بصدق المحافظة على المدلول الفرنسي الذي يشير إلى جوهر عملية يتم القيام بها و ليس إلى خاصية يمتلكها شخص ما³ كما قد يتبادر إلى أذهان الكثرة منا عند استخدامنا لاسم الفاعل (خبير) Expert. و أما الثانية فتخص ترجمة المعاني بين اللغتين حيث يترجم مصطلح expertise من الفرنسية إلى الانجليزية بمرادفات مثل appraisal evaluation valuation و كلها تشير إلى معاني التقييم والتقدير و التثمين ، و تتم ترجمته من الانجليزي إلى الفرنسي بكلمة compétence أي الكفاءة. ظل هذا المعنى الأول يرتبط بعمل يقوم به شخص ما، يسمى الخبير في ميادين عدة مثل تحديد صحة وثيقة ما، تحديد صاحب عمل فني معين أو تقدير قيمة ملكية معينة ..إلخ، و هو مدلول مفني محض.

¹ « Expertise : Etymology, Origin and Meaning of Expertise », consulté le 13 juin 2023, <https://www.etymonline.com/word/expertise>.

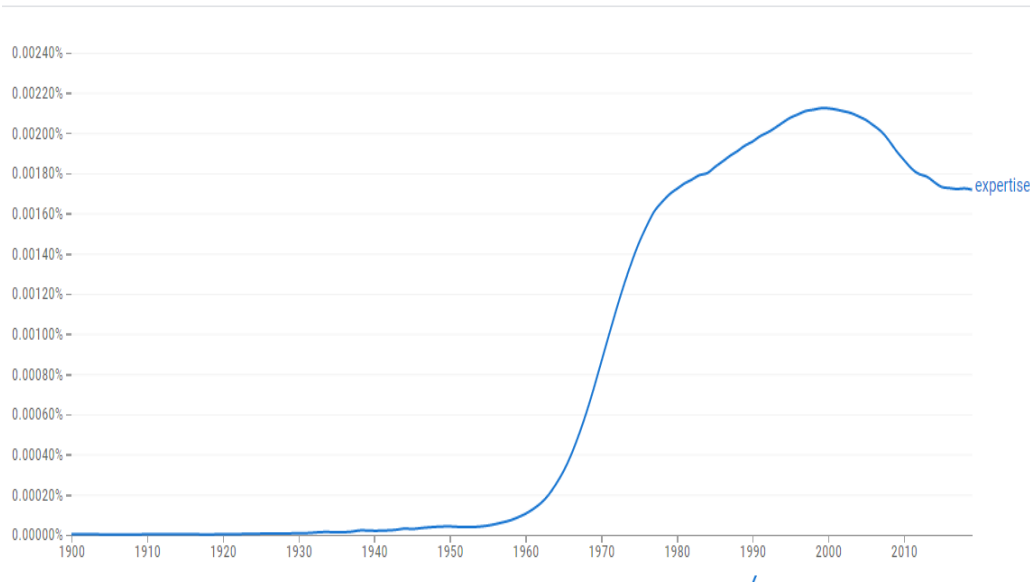
² و قد نقلت الكلمة إلى الانجليزية بفعل نشاط التجارة الدولية بين الطرفين في نهاية القرن العشرين حيث نقل التجار البريطانيون الكلمة إلى وطنهم من خلال احتكاكهم بالسلطات الجمركية الفرنسية التي كانت تطلب منهم إجراء "تقييم خبرة" لمنتجاتهم التي كانوا يصدرونها نحو فرنسا، و هي الخبرة التي كان يقوم بها خبراء فرنسيون ، و الذين لم يكونوا سوى منافسين لهم من التجار و الحرفيين و الصناعيين.

³ « Expertise : Etymology, Origin and Meaning of Expertise ».

لكن، مع نهاية العقد الثاني من القرن العشرين حملت الكلمة معنى حديثا لا يزال مستمرا إلى اليوم حيث يشير إلى المعرفة المتخصصة و الفنية (التقنية) في مقابل المعرفة العامة.

من الظاهر إذن أن هذا المصطلح يحمل دلالاته الحالية منذ فترة ليست بالطويلة (حوالي قرن من الزمن فقط). لكن، لم يستخدم على نطاق واسع في حقل النقاشات المختلفة سوى خلال الفترة الممتدة من ستينيات القرن الماضي إلى غاية بداية الألفية. يوضح المنحنى رقم 01 أدناه، و الذي يبرز وتيرة استعمال المصطلح انطلاقا من متصفح غوغل للكتب، تضاعف استعمال المصطلح بنسبة تقارب 4300%. تضاعف استعمال مصطلح الخبراء experts، أي الفئة السوسولوجية الموافقة، أيضا بحوالي ثلاثين بالمائة خلال نفس الفترة السابقة.

يجب أيضا ان نشير إلى الاهتمام الصيني المتزايد أيضا بمصطلح الخبرة. يوجد مقابل له زوان جيا 專家 " للدلالة على الخبير، كما يوجد مصطلح زوان مان زي شي 專門知識 للدلالة على المعرفة المتخصصة¹.



منحنى رقم 01 : منحنى Books Ngram Viewer يبرز حجم الاشارة إلى مصطلح الخبرة Expertise باللغة الانجليزية في باحث غوغل للكتب خلال الفترة 1900-2020 (بتاريخ 2023/06/14).

¹ Éditions Larousse, « Traduction : expertise - Dictionnaire français-chinois Larousse », consulté le 11 février 2023, <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais-chinois/expertise/16012>.

بماذا يمكن فهم هذا الاهتمام المتعاظم بموضوع الخبرة والخبراء؟ بعبارة أخرى، وانطلاقاً من المنحنى لماذا لا يوجد نفس الاقبال على استعمال مصطلح يحمل معنى الكفاءة المتخصصة عند بداية القرن العشرين، بينما يبدو الأمر اليوم شبيهاً بعدم امكانية الاستغناء عنه؟ و ضمناً، ما نوع التغير الذي حصل في مجتمع اليوم؟ كثرة هي محاولات الفلسفة و العلوم الاجتماعية التي أعطت إجابات عن مثل هذه الأسئلة، ولكن القراءة التي تبرز خصوصية "لحظتنا التاريخية" الحالية هي تلك التي ترى بانتقال المجتمع الحديث إلى مجتمع ما بعد حداثي، من مجتمع صناعي إلى مجتمع المعرفة، أو حتى مجتمع الخبراء. يعكس الاهتمام بمصطلح الخبرة فعلاً ضرورة الانتباه – الحيلة و الحذر ربما- إلى الأدوار التي يلعبها الخبراء و أنظمة الخبرة في صنع السياسات و في الاقتصاد و في جميع مناحي الحياة اليومية. ولكن، بالنسبة لنا، هذه القراءة تصف لنا فقط ماذا يحصل في مجتمع اليوم و لا تجيب على أسئلتنا من منظور العلوم السياسية؛ ما الكيفية التي يتم بها استعمال المصطلح؟ بل ما هي استعمالاته؟ و ما طبيعة الرهانات السلطوية التي تخفيها هذه الاستخدامات؟ و إذا رُبطَ بموضوع دراستنا هذا عن الارهاب، أي بالسياق التاريخي الذي حصلت فيه هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الو. م. أ.، فإن جملة الأسئلة ستصبح من نوع آخر: من يتكلم؟ وكيف؟ ولمن يوجه خطابه؟ و يهدف ماذا؟ وما الذي يمكن لمصطلح الخبرة ان يؤديه ضمن هذا السياق التاريخي مقارنة بما عجزت مصطلحات و مفاهيم أخرى عن إنجازها؟

عندما يتم طرح السؤال عن ماهية الخبرة بهذا الشكل ستكون مهمة الإجابة أوضح لأنها ستعلق بالبحث عن الخصائص التي تجعل من شخص ما خبيراً أم لا. لكن و بالمقابل قد لا تكون مجموعة الخصائص المحددة من طرف جماعة مهنية واضحة الحدود و المعالم كافية لتحديد المضمون الفعلي لمفهوم الخبير لأنه وببساطة توجد الكثير من الوضعيات غير الواضحة تماماً والتي تسمح لبعض الأشخاص بالولوج إلى وضع الخبير من دون قيود. يبدو أن خبراء الارهاب يمثلون هذه الحالة على أحسن وجه؛ من هم المؤهلون لحمل صفة خبير الارهاب؟ هل هم المهنيون من الأجهزة الأمنية والعسكرية الذين اكتسبوا تجربة مهنية في التعامل مع الارهاب؟ هل هم الأكاديميون من العلوم الاجتماعية الذين يدرسون المشكلة من مختلف جوانبها النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية؟ و هل هم سياسيون و متخذو قرار لهم تجارب و معارف سابقة أو حاضرة في التعامل مع المشكلة؟ و هل يمكن للأطر المنظرية و الجماعية أن تحوز على صفة الخبراء؟ وكيف تمارس الخبرة

ضمن هذه الأطر التنظيمية؟ وهل أن المعارف التي تنتجها هذه التنظيمات يمكن أن توصف بالمعارف الخيرة؟

علينا أن نشير أيضا إلى ان هذه التساؤلات أفرزتها السياقات التاريخية الظاهرة في المنحنى أعلاه، يعكس ارتفاع وتيرة استخدام مصطلح الخبرة على مستوى النقاش وجود ثلاث سياقات كبرى. فأما الأول، فتعلق ببداية تضخم الأدبيات خلال فترة الستينيات التي توافقت مع فترة ما سعي بالعهد الجديد، حيث تميزت المضامين بالتفكير حول كيانات للخبراء التي بدت مختلفة تماما عن النماذج الموجودة آنذاك. تمحور النقاش هنا حول موضوع أنظمة الخبرة systems of expertise و خصوصا أنظمة الذكاء الصناعي، و من المسائل المطروحة هنا فكرة قدرة هذه الأنظمة على أن تحل محل الخبرة الانسانية أو حتى تجاوزها. و أما الثاني فتعلق بالنقاش العميق حول قضية توضيح من يكون الخبراء وكيف يتم الفصل بين الآراء المتضاربة لاتخاذ القرار، و قد نوقشت خصوصا مسألة الخبرة العلمية ومسألة التضارب في الآراء حول إشكالية المخاطر. و أما السياق الثالث فقد خص أساسا مسألة نمو حجم الأجهزة الادارية للدولة. و النقاش حول هذه المسألة لا يزال مستمرا إلى اليوم و يريد مسألة الأدوار التي تلعبها الخبرة في تصميم وصناعة السياسات، و من الاشكالات الكبرى في هذا النقاش كيفية تنظيم العلاقة بين العلم science و الديمقراطية، أي مدى شرعية و ديموقراطية النماذج التقنوقراطية. مثل هذا السياق عكس مدى خضوع السياسات للاعتبارات التقنية للمجتمع الصناعي و ما بعد الصناعي. لكن خلاصة هذه النقاشات الثلاثة هي أنه تطرح تساؤلات أكثر من تقديمها لإجابات واضحة و ذلك لأنها ولدت عدم يقين عن ماهية الفعلية للخبراء ولأدوارهم، كما سنبينه عندما نتناول هذا المفهوم بالتفصيل.

2. تعريف الخبرة

يستخلص المتتبع للأدبيات التي قدمت محاولات للتعريف بالمفهوم هيمنة المقاربات الآتية من سوسيولوجيا المهن Sociologie des professions . رغم أهميتها المعتبرة في تقديم بعض الخصائص الوظيفية فإن مثل هذه المحاولات لم تقدم الكثير حول تساؤلاتنا السابقة لأنها فضلت أن تنظر إلى الخبرة و إلى لخبير انطلاقا من مركزه المهني، أي ضمن حدود انتمائه لنشاط محدد بمنظومة إجراءات ومعايير و قيم (1). تجاوزا لبعض الحدود التي تعيق تقديم فهم أوضح عن ماهية خبراء الارهاب سوف نناقش المفهوم باعتباره حالة Situation d'expertise وليس وظيفة مهنية (2).

- 1.2 : مساهمات حقل سوسيولوجيا المهن

مثل هذا التوجه يُعرّف الخبير على أنه شخص متخصص في ميدان معين، او مهني اكتسب تحكما فنيا متخصصا جدا لموضع فنه... و بموجب هذه الصفة أصبح ذلك الشخص الذي يمكنه أن يساهم في توضيح الرؤية حول القرارات التي يجب أن تتخذ في بيئة أخرى غير التي ينتمي إليها¹. تشير دي مولان الى مكونين اثنين يتمتع بهما الخبير دون غيره من الفئات المهنية الشبيهة به وهما ؛ (1) يجب أن يحوز على عنصر المعرفة المتخصصة و الفنية (التقنية)، (2) و هو الشرط الأهم و هو أن تكون الخبرة موجهة إلى اتخاذ قرار في محيط آخر غير محيط انتماء الخبير، كأن يقدم خبير أعمال فنية رأيا لزيون، أو يقدم خبير طبي رأيا طبيا للقاضي لمساعدته على اتخاذ قرار ما...الخ. من هنا يجب أن نلاحظ أمرا بالغ الأهمية وهو أن المبرر من وجود الخبرة مبرر استعمالاتي ولكنه مبرر مطلوب من طرف قضاء مهني آخر للاستعانة به في اتخاذ القرار، بمعنى أن قيمته ذات طبيعة عملية وليست نظرية. بالتالي، يعتبر الجانب التفاعلي - و إن كان غير مصرح به في تعريف دي مولان- مكونا لا يقل أهمية عن العنصرين سابقين الذكر.

من ناحية أخرى، فإن النماذج المهنية المغلقة تحصر مقومات سلطة الخبراء في عنصرين : الأول يعتبر أن الخبرة كمنتج تستمد شرعيتها من كونها مؤسسة على كفاءة معرفية، فنية و مهنية في آن واحد، الثاني يعتبر أن تصرف الخبير ينجم عن طلب يقدمه فاعل آخر ملزم بإصدار قرار. بالرغم من هذه التوضيحات القيمة التي قدمتها سوسيولوجيا المهن إلا أنها تعاني من نوع من الاستعصاء في توضيح الجوانب المتعلقة بالسياقات المختلفة و بالبيئة العامة التي تحيط بوظيفة تقديم الخبرة، مثل عناصر الزمان و المكان و علاقات القوة بين الفاعلين المعنيين بالمشكلة و رهاناتهم. بعبارة أخرى، عندما يتكلم خبير ما عن الارهاب من موقعه الانتمائي إلى مركز فكر، فالعناصر السابقة التي وضعها سوسيولوجيا المهن قد لا تكفي لفهم ماهية هذا الفعل و إنما ترسم لنا جانبا واحدا من خصائصه. كل ما قدمته لنا سوسيولوجيا المهن إلى غاية الآن عن هذا المفهوم هو أنها أخبرتنا أنه معرفة متخصصة و قاعدة للعمل (للقرار). هذا بدوره يعني أن هناك فرق بين معرفة متخصصة يقدمها أستاذ باحث في جامعة ما عن مشكلة الارهاب و بين معرفة متخصصة يقدمها مهني عسكري أو رجل استخبارات عن

¹ Laurence Dumoulin, « L'expertise comme nouvelle raison politique ? : discours, usages et effets de l'expertise judiciaire » (Thèse de doctorat, Grenoble ; 1990-2015, France, Université Pierre Mendès France, 2001). P.17.

المشكلة ذاتها و بين معرفة متخصصة يقدمها خبير في مركز فكر. إن العامل المشترك بين هاته الفئات الثلاثة هو أنهم يصدر عن معرفة متخصصة بينما لا يقتسم الثلاثة الغرض نفسه من معرفتهم المتخصصة ؛ فالأكاديمي غرضه الأساسي هو اقتراح فهم وتفسير نظري للعالم، بينما يستهدف المهني الفعل حتما لأنه يبحث بمعرفته عما يجب فعله، وكذلك الخبير. كل خبرة هي معرفة متخصصة بالضرورة و ليست كل معرفة متخصصة هي خبرة إلا إذا كان الهدف منها هو أن تكون قاعدة لعمل تقني أو مهني أو سياسي يقوم بها فاعل آخر.

الإشكال الثاني الذي قد يعيق فهمنا للخبرة الخاصة بموضوع الارهاب هو أن مسألة الطلب عليها من طرف فاعلين يهمهم أمر الحصول على استشارات بغرض الاسترشاد بها، قد لا يكون شرطا ضروريا كما هو الحال في العديد من النماذج المهنية المغلقة كالطب و القضاء و الشؤون الادارية العامة. حالة اصدار خبرة انطلاقا من مركز فكر لا تخضع لهذا النوع من التفاعل بل تحكمها رهانات أخرى. لزم علينا إذن أن نلجأ إلى نماذج أخرى لتقديم التعريف الأنسب لحالتنا هذه.

- 2.2 : مقارنة فريتش Fritsch : مفهوم موقف الخبرة Situation d'expertise

بما أن شرعية الخبرة في حالة مكافحة الإرهاب لا تُعزى بالضرورة إلى الكفاءة التقنية، وبما أنها لا تحدث دائما كاستجابة لطلب رسمي من طرف الحقل السياسي، فإن تعميق تعريف الخبرة من خلال تضمين تحليل الموقف يصبح أمرا ضروريا.

يشير مفهوم موقف الخبرة situation d'expertise المستمد من أعمال فيليب فريتش Philippe Fritsch إلى فكرة بنائية - ذات قيمة تفسيرية معتبرة لحالة خبراء الارهاب - مفادها أن دور الخبير يجب أن يُفهم كبناء اجتماعي؛ أي أن مكانة الخبير لا تظهر سوى في سياق معين يعترف فيه الفاعلون المختلفون لشخص متخصص ما بسلطة خاصة، وأن شرعية هذا الأخير تكمن في قدرته على تقديم معرفة تقنية متخصصة حول موقف حقيقي غير يقيني، أي غير قابل للفهم و لا للتعامل معه عن طريق استخدام أنماط الفهم المتوفرة إلى ذلك الحين، وأن دوره يقتصر على تقديم استشارة للوكيل الذي طلبها، والمصمم على اتخاذ قرار في المستقبل¹. وبالتالي، يتم التعامل مع الخبرة على أنها مزيج بين شكل من أشكال السلطة المبنية على معرفة مستمدة من الخبرة، و علاقة ثقة في معرفة فعالة متوقعة

¹ Philippe Fritsch, « Situations d'expertise et expert-système », in *Situations d'expertise et socialisation des savoirs* (Saint- Etienne France: Le Cresal, 1985).

من مهنة لها مكانة معترف بها¹. مثل هذا التعريف مفيدة لتحليل مقترحنا، إذ لا يسمح فقط بالتساؤل عن السياق الذي يكتسب فيه الخبير حق اصدار خبرة أو حق الكلام بتعبير ميشال فوكولت Michel Faucault²، بل يساهم أيضاً في فهم كيفية استخدام خبراء مراكز الفكر لهذا الحق. على ضوء التعريف الذي قدمه فريتش، يمكننا تحليل السياق الخاص بإنتاج الخبرة حول الإرهاب و تقديم مجموعة ملاحظات.

أولاً، يقر فريتش بأن الباعث على تدخل الخبير هو وضع الأزمة، أو وضع الحرج و اللايقين الذي يصادفه صانع القرار وهذا أمر يستدعي المناقشة في نظرنا. نحن نعلم في مدرسة العلوم السياسية أنه لا توجد مسألة إشكالية بطبيعتها بل إن كل وضعية تُحول إلى إشكالية بصورة إرادية تتوافق مع الرهانات المختلفة التي يبحث عنها مختلف المعنيين بها، و بهذا المنظور يعتبر تدخل الخبراء جزءاً من استراتيجية تهدف إلى الحصول على شرعية الحديث و الكلام عن الارهاب كمشكلة. بعبارة أخرى، يتعلق دورا الخبير اذن بتقديم تعريف عن مشكلة الارهاب و يسمى هذا الفعل بتأطير المشكلة le cadrage du problème و لكن من خلال تقديمها في جانبها المتأزم و الحرج لأن الغرض منها هو اثاره استجابة من طرف متخذي القرار السياسي. بالنسبة لحالة دراسات الارهاب من طرف الخبراء، فإن هذه العملية في حد ذاتها تسمح لهؤلاء الخبراء بخلق ظروف اللايقين و الأزمة التي تعتبر بدورها مبرر سياسيا للتدخل. فعلى سبيل المثال، عندما يصدر خبير إرهاب في مركز فكر مقولة يمكن للإرهاب أن يحصل على أسلحة دمار شامل بإمكانها أن تؤدي إلى مقتل الملايين فإنه بهذا الشكل يصدر تحليلاً ينشئ من خلاله أزمة فعلية و حالة غير يقينية سواء لدى الرأي العام المستمع و المتلقي و أولدى المسؤولين السياسيين بخصوص احتمالية وقع مثل هذا السيناريو.

إن إنتاج حالة أزمة عن طريق الخطاب أمر مقصود فعلا و هو العامل الحقيقي الذي يبرر الحاجة للخبرة قبل كل شيء. لكن، و داخل السياق المؤسسي لمراكز الفكر فإن العوامل الأزموية واللايقينية لا تعتبر المحدد الرئيسي و لا الوحيد الذي يبرر الحاجة للخبرة. غالباً ما يتدخل خبراء مراكز الفكر بخطابهم و بمنتهجهم الخبير حول القضايا المسيسة مسبقا Politisées ، أي أن الرهانات السلطوية التي يبحث عنها الفاعلون المتدخلون في بناء المشكلة محل النقاش أكثر وضوحاً. ضمن هذا

¹ Marc Barbier et al., « Pour une approche pragmatique de l'expertise », *Revue d'anthropologie des connaissances* 7, 1, n° 1 (2013): 1, [https://doi.org/Revue d'anthropologie des connaissances](https://doi.org/Revue%20d%20anthropologie%20des%20connaissances).

² Michel Foucault, *Dits et Ecrits*, 1ère 1978, vol. III (Paris: Gallimard, 1994).

الرسم البسيط تكون أدوار خبرة مراكز الفكر متفاوتة، فقد تكون طرفا مهيمنًا في عملية التسييس خصوصًا إذا تعلق الأمر بقضايا تقنية بحتة، كما يمكن أن تكون طرفا هامشياً (مُهيمنًا عليه) في العملية بحكم وجود فاعلين آخرين أقوى من ناحية مركزهم السلطوي و رهاناتهم و مصالحهم. ما هو المركز السلطوي الذي يحتله خبراء مراكز الفكر عندما يتكلمون عن الارهاب مقارنة بفاعلين آخرين مثل المهنيين في قطاع الشؤون الأمنية (الشرطة مثل) و الدفاع (الجيش، وزارات الدفاع، الاستخبارات...الخ)؟ هل الاختصاص حول الارهاب كمسألة يعود لخبراء- باحثين أم لخبراء مهنيين ومن الأقوى سلطة وما المركز السلطوي لكل طرف؟ نحن نرى بأن اهتمام خبراء مراكز الفكر بمسألة الارهاب يبرره مبرران رئيسيان : الطبيعة الاشكالية و الأزومية للمشكلة من ناحية، و الحاجة إلى السلطة المعرفية *pouvoir épistémique* التي ينطوي عليها مسار التسييس و مسار التمثيل الأفضل لمصالح الفاعلين السياسيين و العسكريين، من ناحية ثانية.

ثانيا، تدعو إشارة فريتش في التعريف السابق الذكر إلى مسألة المعرفة المتخصصة 'savoir de spécialiste إلى التفكير أيضا. هل يقصد بالمتخصص هنا ذلك الخبير - كما أشرنا إليه أعلاه - أم ذلك الباحث الأكاديمي *scholar* ؟ هل المعرفة المتخصصة هنا تتحمل أصنافا معينة دون الأخرى ؟ هل هي معرفة نظرية بحتة كما هي موجودة في نماذج البحوث الامبريقية أو حتى المجردة ؟ أم أنها تطبيقية ؟ يجب أن نشير إلى أمر مهم و هو أن فئة الخبراء و فئة الباحثين لا تشيران سوسيولوجيا إلى نفس الوظيفة ؛ إذا كان المنظر (الأكاديمي) يستهدف الحصول على فهم و تفسير موضوعي للعالم فإن الخبير يندرج عمله ضمن مقارنة استراتيجية تقوم على استعمال معرفة بغرض الاستخدام السياسي. إن مشكلة الموضوعية و الحياد تبرز على صعيد هذا الاختلاف بين الاثنين. غالبا ما تنسب الخبرة إلى العلم، و هذا خطأ. في أذهان الكثير من الناس هذا الأمر مسلم به نظرا للتداخل بين الاثنين ونظرا للتعاون الموجود بين الاثنين حيث يلجأ الخبراء إلى استعمال الكثير من الحجج العلمية.

في الحقيقة، يعتبر المنتج المعرفي لمراكز الفكر حول الارهاب منتجا خبيرا و ليس منتجا علميا، فهو يخضع لاعتبارات مهنة الخبير أكثر من خضوعه لمنطق العلماء و الباحثين¹. الأكثر من هذا، أن الكثير

¹ Isabelle Sommier, « La menace terroriste : entre logiques expertes et mobilisation des passions politiques », in *La peur : Émotion, passion, raison*, éd. par Anne-Marie Dillens, Collection générale (Bruxelles: Presses de l'Université Saint-Louis, 2019), 67-84, <https://doi.org/10.4000/books.pusl.22228>.

من الأدبيات في حقل الدراسات النقدية للإرهاب¹ تشير إلى أن التوجهات العلمية تتضارب و تتعارض مع توجهات الخبرة في مستويي الغاية و المناهج². يبنى منطق الخبرة على قاعدتين ؛ الأولى هي عبارة عن جهود تحليلية الهدف منها هو الاجابة على سؤال كيف، والكيف هنا عملي و موجه نحو البحث عن الكيفية التي يمكن من خلالها الوقاية من مشكلة الارهاب. الثانية – وهي نتيجة منطقية عن الاولى – أنها موجهة للاستعمال السياسي من طرف صناع القرار كما سبقت الاشارة اليه، و بهذا المعنى يكون الغرض منها عملي و تطبيقي. لكن، تختلف النزعة في المنطق العلمي عن المنطق الخبير في هذه النقطة بالذات فهي ذا طابع و غرض نظري، اي تحقيق فهم لمشكلة الارهاب بواسطة سؤال لماذا ؟ و هو ما تصبوا إليه العلوم الاجتماعية عموما إليه.

لكن، إذا سلمنا بأن طبيعة المعرفة المنتجة من طرف مراكز الفكر تندرج ضمن صنف الخبرة وليس العلم فإن هذا لا يعني الغياب التام للمنطق العلمي في بحوث مراكز الفكر. مثلا، تستند الوثيقة الصادرة عن معهد راند rand corporation – وهي واحدة من مجموعة الوثائق التي نحللها في إطار بحثنا هذا – تحت عنوان كيف تنتهي الجماعات الارهابية (*How Terrorist Groups End: Lessons for Countering al Qaeda*) على تحليل كمي علمي يقترح ملاحظات علمية عن كيفية توقف الجماعات الارهابية، وهي الملاحظات التي أسست عليها مجموعة المقترحات التي أوصى بها المعهد سنة 2008. هذا المثال و غيره لا يشير إلى الغياب التام للتحاليل العلمية بل إلى التعايش بين الاثنين في منطق عمل مراكز الفكر. يجب أن نلاحظ أيضا أن هذا التعايش ليس مطلقا، بمعنى أنه لا يتم اللجوء إليه بشكل ميكانيكي آلي و إنما يخضع لشرط مهم ؛ عند خبراء مراكز الفكر يسمح بالمنطق العلمي الذي يتأسس على سؤال لماذا إذا كان يفيد المنطق الخبير في الاجابة على سؤال كيف. في الحالة العكسية، يمكن للخبرة أن تتهم بالتواطؤ مع الارهاب لأنها لم تقدم وجهة النظر التي يحتاجها الخبير لإقناع رجل السياسية أو العسكري. يظهر لنا من خلال هذه الصورة البسيطة أن هناك ضغوطات و إكراهات موضوعية و مؤسسية تمارس على عملية انتاج المعرفة أو المعنى بخصوص مشكلة الارهاب. يمكن أن يؤدي إنتاج نظرية علمية معينة عن الارهاب غير موافقة للمعنى الذي تقترحه فضاءات أخرى (الحقل السياسي، الاعلامي، العسكري، الأمني) إلى إقصاء تام لها، وهذا حاجز معياري معتبر أمامها.

¹ Alice Martini et Raquel Da Silva, *Contemporary Reflections on Critical Terrorism Studies*, 1^{re} éd. (London: Routledge, 2023), <https://doi.org/10.4324/9781003266709>.

² Ibid. p. 7.

ثالثا، عندما يصرح فريتش بأن الوظيفة الوحيدة للخبير تتمثل في إصدار توصية عمل لصالح الوكيل الذي طلبها، فإن مثل هذه القراءة الوظيفية تصبح تقزيمية جدا لأدوار الخبير لأنها تحولها إلى مجرد منفذ لبنود و لمهمة متفق عليها. في العديد من الوضعيات تعتبر هذه المعايينة سليمة خصوصا لما يتعلق الأمر بمراكز الفكر التي تمارس نشاطها انطلاقا من تعاقدتها مع مؤسسات حكومية (مثل معهد راند التابع للبيتاغون الأمريكي)، أو انطلاقا من انتمائها إلى تحالفات نضالية *advocacy coalitions* حيث تتصرف باعتبارها وكيل منفذ لمهام بحثية محددة. لكن، لا تبدو هذه الملاحظة سليمة عندما يتعلق الأمر بموضوع الارهاب. يعتبر أغلب خبراء الارهاب داخل مراكز الفكر و خارجها حسب ليزا تسامبينتسكي Stampnitzky Lisa وكلاء لأنفسهم *auto-mandatés*¹، أو وكلاء ذاتي التعيين *auto-proclamés*. تنادي أغلب المعاهد الأمريكية و الدولية بفكرة الاستقلالية حيث تشير قوانينها الأساسية إلى هذه السمة بالحاج، فمثلا يقدم معهد بروكينز Brookings Institution نفسه على أنه منظمة غير ربحية تقوم بجهود البحث المستقل والمعمق الذي يسمح باقتراح أفكار براغماتية و ابداعية حول الطرق التي يجب اتباعها لحل متلف المشكلات التي تواجه المجتمع.²

تؤكد مثل هذه الحجج أن موقف انتاج الخبرة داخل مركز الفكر لا يعتبر مجرد تنفيذ لمهمة طلبها وكيل ما بل هو نشاط ممولس تتحكم فيه سياقات تنظيمية و سياسية متعددة. لقد أوضحت مساهمات المقاربات المؤسساتية الخطابية الجديدة *néo-institutionnalisme discursif* إلى هذه الاشكالية معتبرة أن وظيفة انتاج الخطاب محورية و محركة للعملية بأسرها، وليس فقط انجاز المهام الموكلة. لقد قدمت في هذا المعنى كل من فيفيان شميدت Vivien Schmidt و أماندين كريسي Crespy Amandine مفهوم خطاب الاتصال و خطاب التنسيق³ لتوضيح الديناميكية التي يستخدمها كل من الساسة، الخبراء و باقي الوسطاء في العملية السياسية من أجل شرعنة خيارات سياسية دون أخرى في اعين المواطنين-الناخبين، و هو أمر ذو فائدة تفسيرية جمة لموضوعنا لأنه يحيلنا إلى أطر التفاعل بين

¹ Lisa Stampnitzky, *Disciplining Terror: How Experts Invented « Terrorism »*, 1^{re} éd. (Cambridge University Press, 2013), <https://doi.org/10.1017/CBO9781139208161>. p. 113

² Brookings, « About Us », *Brookings* (blog), 10 mai 2016, <https://www.brookings.edu/about-us/>.

³ Vivien A. Schmidt et Amandine Crespy, « Néo-institutionnalisme discursif », in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 3e éd., Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2010), 350-59, <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2010.01.0350>.

هؤلاء المتدخلين ولا يحصر وظائف خبراء مراكز الفكر في انجاز مهمة أو وكالة¹. بنفس الطريقة قدمت كريستينا بوسوال Christina Boswell مفهوم الخطاب الاستخدامي discours instrumental لتؤكد أن المعرفة الخبيرة هي أداة لشرعنة السياسات نظرا لأن مقولات الخبراء غالبا ما تصاحبها آثار على شرعية ما يتم القيام به من طرف الحقل السياسي².

بالإضافة إلى هذا، نرى أن دائرة الوظائف التي يؤديها الخبراء داخل المسار السياسي ينبغي أن توسع لتشمل بالإضافة إلى ما سبق (وظيفة الشرعنة و الوظيفة الاستخدامية)وظيفتين السياسيتين politique و المعرفية cognitive³. بالرغم من هذا، فإننا لا ننظر إلى الوظائف العامة للخطاب الخبير باعتبارها مكونات لعملية القرار كما نظرت له النماذج العقلانية عند هيربرت سيمون Herbert Simon خصوصا. نحن نحاول أن نفكر في هذه الوظائف انطلاقا من تصورنا الرئيسي الذي يعتبر الخطاب الخبير حول الارهاب جزءا من تحالف خطابي غير متكافئ سلطويا بين الخبراء و السياسيين و مهنيي القطاع العسكري، و بهذا المنظور يجب أن نتعامل مع موضوع الخبرة باعتبارها وسائط مُشارِكة في نشر diffusion الأطر التأويلية (بتعبير بيتر هاس 1993)، أو البراديغمات (بمفهوم توماس كون T. Kuhn 1972)، أو المرجعيات (يتعبير بيار موولر P. Muller le référentiel 1987)، المهيمنة بين هؤلاء. مثل هذه الأطر المعرفية لا تعتبر بالضرورة نتاج خبراء مراكز الفكر، بل إنها تنشأ أيضا خارج أطر مراكز الفكر. إذا كان موضوع الارهاب قد نشأ فعلا داخل حقل مراكز الفكر الأمريكية، أي بداية سنوات السبعينيات، (الفصل 02 من البحث) فإن السياقات اللاحقة لا تشير إلى هيمنة هؤلاء الخبراء على الموضوع ولا سلبيتهم داخل حقل انتاج المعرفة حول المشكلة، بل يعني هذا أن حقل خبراء مراكز الفكر أصبح فاعلا يصنع مقولاته بالطريقة التي تعود عليه بفوائد سلطوية رمزية هامة. هذه الرمزية تمارس تأثيرها على ثلاث أنواع من الأهداف: الفاعلون، مسار القرار و الأطر المعرفية و الذهنية.

¹ Ibid.

² Christina Boswell, *The Political Uses of Expert Knowledge: Immigration Policy and Social Research* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009).

³ Vincent Caby et Sébastien Chailleux, « Pour une sociologie des rapports publics. Effets symboliques et configurations d'écriture des outils d'aide à la décision », *Revue internationale de politique comparée* 26, n° 4 (2019): 7-31, <https://doi.org/10.3917/ripc.264.0007>.

المطلب الثاني : تعريف مراكز التفكير

قبل مناقشة هذا المفهوم، يجب التذكير بأن موضوع بحثنا يقتصر على نوع خاص من الخبرة وهي التي يتم انتاجها من طرف مراكز التفكير ونحن بهذا الشكل نتبنى نظرة مفادها أن صناعة هذه الخبرة هي عبارة عن نشاط سوسيو-سياسي مؤطر بمؤسسات شبيهة - أي ذات ثقافة مؤسسية ومنظماتية شبيهة تشترك في نفس العقلانية البيروقراطية - وأن نشاطها هذا يخضع بدوره لاعتبارات علاقات القوة بين مختلف المعنيين باستقبال واستخدام المنتج المعرفي الخبير. إن أهم ما يهم عند مركز تفكير أيا كانت جنسيته و مجال تخصصه هو الكيفية التي يتم بها استقبال منتجهم المعرفي سواء لدى فئة المواطنين-الناخبين أو لدى فئة المسؤولين صناع القرار السياسي و باقي المهتمين المحتملين (الأكاديميون مثلا). ينبغي أن يظل هذا الاعتبار نصب أعيننا عند محاولة تقديم تعريف عن طبيعة هذه المعاهد البحثية و ماهية أنشطتها و وظائفها. ليست مهمة اقتراح تعريف لهذا المفهوم بالأمر اليسير خصوصا مع حجم الأدبيات المتاحة الذي أفرزته موجة الاهتمام بهذا الموضوع خلال العشرين سنة الخالية. بالإضافة الى هذا، هناك هيمنة للأدبيات الأمريكية بهذا الشأن و هو ما يؤثر طبعا على السمة العامة للتعريفات الموجودة حولها. سنناقش هذه السمات من خلال ملاحظة أن مسألة التعريف هيمنت عليها مقاربات سوسيولوجيا المنظمات (1) والتي تحتاج إلى المراجعة و التدقيق، عبر اقتراح تعريف وظيفي (2).

1. مساهمات سوسيولوجيا المنظمات و حدودها

يعتبر هذا الحقل أكبر المساهمين على الإطلاق من الناحية الكمية في اصدار تعاريف و صفية عن خصائص الظاهرة. مجموع الأدبيات الأمريكية و غير الأمريكية وفقا لهذه المقاربة اهتمت بالجمع منهجيا بين جهدي التعريف و التصنيف (اقتراح تصنيفات لمراكز التفكير). لا تخلو دراسة ضمن هذا النوع من المقاربات من ثنائية التعريف و التصنيف في وصف خصائص مراكز التفكير. سنبرز تلقائيا هذا الأمر من خلال استرجاعنا لأهم المساهمات و لكن بغرض أن نتعرف على حدودها في إعاقه تقديم الفهم الأنسب لموضوع دراساتنا هذا.

إن التعريف الذي يتبناه الأستاذ وليد عبد الحي¹، في وورقته البحثية عن مراكز التفكير أو الدراسات الإسرائيلية ، يؤكد هذا الاتجاه في الوصف و التصنيف، فهو يعرفها على أنها :

هيئات للبحث في المشكلات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و التقنية و البيئية بهدف تقديم المشورة و ترشيد القرار الحكومي أو قرارات هيئات المجتمع المدني، و قد تكون هذه المراكز مستقلة ماليا و إداريا و غير تابعة لأي جهة، و قد تكون مرتبطة بالهيئات الرسمية أو الجزئية أو بالجامعات الخاصة منها و الرسمية. و تعمل هذه المراكز كنقطة تعاون بين "الأكاديميين و الخبراء، و بين هيئات صنع القرار في مختلف المستويات و الميادين².

يؤكد هذا الاقتباس المباشر أن منهجية عبد الحي أيضا تقوم على استرجاع الخصائص العامة الكبرى التي تذكرها سوسيولوجيا المنظمات³، وأنه بدوره لا يخرج عن إطار التحليل باستعمال التصنيف. لكن يجب أن نلاحظ أيضا، إن سوسيولوجيا المنظمات تستمد بدورها مجموعة الخصائص التعريفية من الطريقة الذاتية التي تقدم بها مراكز التفكير أنشطتها. لننظر في المثال المقتبس من مركز بروكينز الأمريكي حيث يقدم نفسه على أنه : منظمة غير ربحية تقوم بجهود البحث المستقل و المعمق الذي يسمح باقتراح أفكار براغماتية و ابداعية حول الطرق التي يجب اتباعها لحل مختلف المشكلات

¹ وليد عبد الحي، « دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الإسرائيلي » (بيروت، 2022، <https://is.gd/Q2QtND.2022>), (ص. 1).

² Ibid.

³ أهم الأدبيات التي كرست هذا النوع من المقاربات هي دراسات ؛ (كانت ويفر، 1989- جيمس سميث، 1993 - دونالد أبلسون 1996، ديان ستون، 1996 - كانت ويفر و جيمس ماك غين، 2002) :

Donald E. Abelson, *American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy* (Macmillan Press, 1996).

Diane Stone, *Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process* (London: Routledge, 1996), <https://doi.org/10.4324/9780203044292>.

R. Kent Weaver, « The Changing World of Think Tanks », *PS: Political Science & Politics* 22, n° 3 (1989): 563-78, <https://doi.org/10.2307/419623>.

James Allen Smith, *The Idea Brokers: Think Tanks and the Rise of the New Policy Elite* (Free Press, 1991).

Andrew Rich, éd., « The Policy Roles of Experts », in *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), 104-51, <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889.004>.

Diane Stone, Andrew Denham, et Mark Garnett, *Think Tanks Across Nations: A Comparative Approach* (Manchester University Press, 1998).

Andrew Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889>.

التي تواجه المجتمع¹. مثل هذه النظرة تعتبر مراكز التفكير منظمات بحثية تتميز بالعناصر الرئيسية الأربعة ؛ 1) تقوم بأنشطة بحث، 2) طبيعة غير ربحية، 3) استقلالية تنظيمية في البحث، 4) منتجها المعرفي هو قاعدة للتطبيق في حقل السياسات. تعتقد المقاربات التنظيمية إذن أن طبيعة مراكز الفكر تكمن في خصائصها المؤسسية.

بعض الباحثين ذائعي الصيت في حقل دراسات مراكز التفكير مثل جيمس ماك غين James Mc Gann² يعرفها انطلاقاً من طبيعتها المؤسسية ولكن أيضاً في تفاعلها مع البيئة السياسية الموجودة فيها، فهي حسب عبارة عن منظمات تنتج بحوثاً ودراسات واستشارات موجهة سياسياً حول مسائل تتعلق بالسياسة الداخلية والدولية على حد سواء بغرض إعلام الرأي العام والمسؤولين السياسيين على حد سواء³. من جهتها تقدم فيليبيا شيرينغتون Philippa Scherrington تعريفاً مرتكزاً على العلاقة مع المستهدفين من الخطاب، فهي منظمات مستقلة نسبياً، تعنى بالبحث حول مواضيع ومصالح متعددة وهدفها الأول هو الكشف عن هذه البحوث ونشرها بالقدر الأوسع وذلك بنية التأثير في مسار إعداد السياسات العامة⁴.

يركز اندريو ريتش Andrew Rich و هو واحد من أهم الكتاب في هذا الحقل أيضاً على الخصائص المؤسسية لهذه المنظمات و حسب هذا الباحث فهي منظمات مستقلة لا تنشأ بناء على مصالح معينة أو لأغراض ربحية بل تتمحور مهمتها الرئيسية في إنتاج خبرة وأفكار بغرض الدعم أو التأثير في مسار إعداد سياسة ما، على الصعيد العملي هي منظمات غير ربحية يحكمها البند رقم 501-

¹ Brookings, « About Us ».

² هو من يتأسس منذ 1989 و إلى غاية سنة 2021 البرنامج البحثي حول مراكز البحث و التفكير في العالم. يسمى البرنامج بـ: "برنامج البحث في مراكز التفكير و المجتمع المدني، وهو مسجل منذ 2008 بمعهد لودر للمنجمت بجامعة بينسالفانيا بالو. م. أ. البرنامج عبارة عن احصاء و تصنيف و ترتيب لحوالي 8200 مركز تفكير حول العالم. آخر نسخة لهذا الترتيب تعود لسنة 2020 وهي متاحة مجاناً على شبكة الانترنت. بداية البرنامج البحثي كانت سنة 1989 خصوصاً بسبب الزواج الذي عرفته هذه المراكز في الو. م. أ. وفي أوروبا و تمت ادارته ثنائياً من قبل جيمس ماك غين و كانت ويفر خلال التسعينيات و كللت مجهودات هذا الثنائي بالكتاب الشهير المنشور سنة 2000 بعنوان " Think Tanks and Civil Societies: Catalysts for Ideas and Action ", تجب الإشارة أيضاً إلى أن الاثنين خبراء بمراكز تفكير قبل كل شيء لأن مساراتهما المهنية تمت بمعهد البروكينز (كانت ويفر) و معهد البحوث في السياسة الخارجية بينسالفانيا (جيمس ماك غين).

³ James g. McGann et Robert Kent Weaver, *Think Tanks and Civil Societies: Catalysts for Ideas and Action* (Transaction Publishers, 2002).P. 9.

⁴ Philippa Sherrington, « British Think Tanks: Advancing the Intellectual Debate? », *The British Journal of Politics and International Relations* 2, n° 2 (Juin 2000): 256-63, <https://doi.org/10.1111/1467-856X.00036>. P. 257.

03 من قانون الضرائب [الأمريكي] و تقوم باجراء و نشر بحوث حول قضايا السياسات العامة. على الصعيد السياسي، تعتبر مراكز التفكير مؤسسات هجومية لأنها تبحث عن تعظيم مصداقيتها العامة و قدرتها على الوصول إلى الحقل السياسي من خلال جعل خبرتها أكثر تأثيراً في السياسات¹.

من خلال هذه التعاريف نستطيع أن نسجل ملاحظات مهمة. لكي نتكلم عن مركز فكر من الناحية المنظماتية فإن معيار المنظمة غير الحكومية تقتسمه الأدبيات كما تشير إليه صفة "الاستقلالية" التي تشير قبل كل شيء إلى عدم التمويل من طرف المصادر الحكومية. يعتبر عنصر الاستقلالية عنصراً مفيداً لتحديد طبيعة العلاقة الناشئة بين مركز التفكير والفاعلين الذين يقفون خلفه، ولكن بالنسبة لمعيار المؤسسة غير الربحية، فهو سمة قانونية قبل كل شيء والفائدة منها أنها تجعل من مركز التفكير مؤسسة غير خاضعة للضرائب وفقاً للقانون الأمريكي². بهذا المعنى فإن هذا العنصر لا يمكن أن يكون معياراً للتعريف، بل ويمكن التخلي عنه – في نظرنا - لأنه لا يخبرنا كثيراً عن السمات الجوهرية التي تحدد الطبيعة الفعلية لمركز التفكير. لكن، لماذا تدرجه أغلب الأدبيات كعنصر في التعريف، كما رأينا أعلاه ؟ يفسر هذا الأمر بالاعتقاد السائد لدى الكثير منا بأن عنصر التبعية المالية لجهة ما هي أهم مؤثر يمكن أن يمس بمصداقية بحث معين أو موضوعيته. لكن في الواقع هناك عوامل شبيهة يمكنها أن تؤثر سلباً على الاستقلالية والمصداقية والموضوعية وبالخصوص علاقات وشبكات التعاون مع الحكومات والأحزاب السياسية والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، مثل العلاقات غير الرسمية مع شخصيات ممثلة عن هذه الأوساط و مثل القدرة على الوصول إلى مصادر معلومات خصوصية و ما إلى ذلك، وكلها متغيرات بإمكانها أن ترهن مصداقية البحوث. يظهر إذن أن متغير عدم الربحية هو عامل إخفاء لمصادر التمويل قبل كل شيء لأن مشاريع البحث في العادة يتم تمويلها من جهات معينة و ان هذا التمويل يصبح بالضرورة مصدراً لازدهار سمعة و نشاط مركز التفكير. إذن، حتى وإن كان الغرض المباشر من البحوث عند مراكز التفكير لا يصب في اتجاه تحقيق عوائد مالية – وهذا المقصود من صفة عدم الربحية – فإن هذه الهيئات تهدف إلى ربح شيء ما من خلال العلاقات

¹ Rich, « The Policy Roles of Experts ». op. cit. p. 59.

² الفقرة رقم 501 البند رقم 03 من قانون الضرائب الأمريكي يعطي لمركز التفكير وضعاً قانونياً كـ مؤسسات خيرية و الذي بموجبه يستفيد مركز الفكر من القروض الضريبية و من وضع المعفى ضريبياً. هذه الخاصية الجبائية تمنع على مركز الفكر إذن أي نشاط و نضال سياسي أو حزب صريح. لهذا السبب أيضاً يحضر على مركز التفكير أنشطة الضغط Lobbying. هذا الحظر معناه عملياً أن مراكز الفكر لا ينبغي أن تقع في خطأ "التأثير المباشر في المسار التشريعي" و لا في خطأ "التأثير المباشر في الانتخابات". أنظر خصوصاً المرجع السابق لأندريو ريتش : Rich, « The Policy Roles of Experts ».

المرتبة عن التمويل من طرف الحقلين الاقتصادي و السياسي. بعبارة ثانية، هل يمكن لمركز تفكير أن يصدر نتائج بحثية مخالفة و مناهضة لمصالح الأطراف المساهمة في التمويل؟ يبدو الأمر انتحارا للمركز. و عيه نعتقد أن متغير الهدف غير الربحي ليس معيارا حاسما لتعريف مركز التفكير. ما هو أمر جوهري حقا فيها هو سعيها المستمر في البحث عن مصادر لتمويل مشاريع البحث الخاصة بها لضمان استمرارية أنشطتها و توسع سمعتها. تجاوزا لهذا النوع من العوائق نحذ استخدام صفة الاستقلالية المالية للتعبير عن قدرة مراكز الفكر على القيام بأنشطتها البحثية من خلال الحصول على تمويل مستمر لمشاريعها البحثية، و من مصادر متنوعة ضمانا لهذه الاستقلالية.

تركز مقاربات سوسيولوجيا المنظمات كثيرا على متغير الاستقلالية المنظماتية كمعيار في تعريف مركز التفكير. و يشير هذا إلى معنى أولي هو الاستقلالية عن الحكومة أو الدولة ثم الاستقلالية عن مختلف أنواع المصالح الأخرى خصوصا الاقتصادية و المالية منها. و هذا المعيار ضروري جدا في نظرنا لأنه يسمح بالتمييز بين مركز تفكير و مؤسسات بحثية أخرى تمارس عمليات الضغط Lobbying للتأثير في المسار التشريعي تحديدا لكنها تدافع عن مصالح لشركات أو لتكتلات اقتصادية. لكن علينا أن نعتزف أن نشاط مراكز التفكير قائم اصلا على البحث عن قرابة و تقرب من مسؤولين السياسيين مع المحافظة على قسط من المسافة حتى لا تتحول الى مراكز بحث ناطقة باسم الحكومة. ضمن هذا النوع من التداخل بين الجانبين يعتبر مفهوم الاستقلالية عنصرا حيويا لمركز التفكير لأنه بفقدان سمة الاستقلالية تتعرض المؤسسة للذوبان داخل لأطر التي تحتويه و يفقد هويته كمركز تفكير. تحمل صفة الاستقلالية مدلولاً خاصاً في حالة مراكز التفكير و تشير في الأساس إلى الاستقلالية العلمية، لأنها جوهر ما يحفظ هوية مركز تفكير و يبقيه كذلك. تؤكد ديان ستون هذا المعنى بإلحاح حيث تعتبر أن بعض الممارسات المأسسة داخل مراكز التفكير مثل استراتيجيات التقييم المضاد analyses d'évaluation contre-factuelle و البحوث الامبريقية المفتوحة صمام أمان للوقاية من البحوث الموجهة¹.

حتى و إن كنا قد أجرينا هذا النوع من التكيف في المعنى لنحاول أن نجد ما هو جوهري في خصائص مراكز التفكير مما هو غير كذلك فإننا نقع في فخ آخر، و هو إن إعادة التهيئة المفاهيمية تجعلنا نوسع ضمنيا دائرة المنظمات التي تقوم بأدوار شبيهة مثل الجامعات و مكاتب الاستشارة

¹ Stone, *Capturing the Political Imagination*. Op. cit. p. 104.

cabinets de conseil. فهذه الأخيرة تقوم بأنشطة بحث و هي اساس وجودها أصلا، و تنادي بعدم الربحية و شعارها هو الاستقلالية أيضا. الأكثر من ذلك، أن أدوار هذه الأخيرة أصبحت ذات جدوى و رواج خصوصا مع مجيء ما سمي بالتسيير –المنجمنت- العمومي الجديد New public management الذي يدعو الى استخدام تقنيات التسيير المالي الرشيد السائدة في المؤسسة الاقتصادية الليبرالية للرفع من نجاعة القطاع العمومي. لقد حققت مكاتب الاستشارة (مثل الأول عالميا مكتب ماك كينزي McKenney الأمريكي) مكاسب جمة في هذا الاطار و أصبح القطاع العمومي أفضل زبون لها بل عن طريق غزوها لشتى مجالات التدخل الحكومي¹. كما أصبحت الجامعات تلعب نفس الدور الذي تقوم به مراكز التفكير و أصبحت فاعلا مهما في حقل انتاج الخبرة لصالح القطاع العمومي، فبعض المعاهد أنشئت وفقا لالتزامات مباشرة مع دوائر القرار السياسي، و هو النوع تسميه ديان ستون بمراكز التفكير الجامعية² (the university think tanks).

و أما الخاصية الأخيرة المتعلقة بأهداف التأثير في القرار السياسي، فيجب أن نوضح هنا طبيعة الفرق الجوهرية بين أنشطة مراكز الفكر وعمليات الضغط Lobbying. إن التأثير المقصود هنا لا يجب أن يفهم على أنه يعمل وفقا لمناهج الضغط و الكولسة التي تقوم بها الجماعات الضاغطة المدافعة عن مصالح واضحة، بل إن مراكز التفكير تعمل وفق آلية إنتاج خبرة في شكل خطاب عمومي. إن أسلوب مراكز التفكير يستند على استراتيجيات صناعة الرأي، فهم قبل كل شيء صناع رأي موجه لكل من الرأي العام و العمل السياسي، و هم منتجون للأطر التأويلية التي تتحكم في طرق فهم المشكلات العامة و طرق حلها. لا ينبغي إذن الخلط بين مركز تفكير و جماعة ضغط ولا بينها وبين المؤسسات foundations.

وفقا لهذه المناقشة البسيطة يمكننا أن نوفق بين التعاريف السابقة التي جاءتنا من حقل سوسيولوجيا المنظمات لنقترح التكييف الأنسب لمجموع الخصائص التكوينية لمفهوم مراكز التفكير، وهي كالتالي:

- منظمات غير حكومية، أي هيئات تقع خارجة أطر مؤسسات الدولة ؛
- قاعدتها المالية و التمويلية توجد في القطاع الخاص اساسا ؛

¹ Ibid. p

² Ibid.

- مبرر وجودها هو البحث و إنتاج الأفكار ذات هدف التأثير السياسي،
- ولكنها لا تمتلك سلطة رسمية على مسار اتخاذ القرار،
- و أنها تنادي بشعار الحياد دون أن تخفي ميولها و مواقفها الايديولوجية.

تبدو لنا هذه الخصائص تمثيلية لطبيعية مركز التفكير من مقارنة سوسيولوجيا المنظمات. لكن، هذه الأخيرة غابا ما تربط بين الخصائص العامة لهذه الهيئات و أنواعها. على كثرتها في الأدبيات الموجودة حول الموضوع، نكتفي هنا بالتعليق على واحد من أهم التصنيفات الأكثر تداولاً و هو تصنيف ويفرو ماك غين (2000). حسب هذين الباحثين – وهما خبراء مراكز تفكير قبل كل شيء- توجد أربع فئات منها : مراكز التفكير الجامعية، و التي تسمى أيضا بالجامعات من دون طلبة universities without students مثل معهد برووكينز Brookings ؛ والمعاهد البحثية التعاقدية مثل مركز راند القريب من البنتاغون الأمريكي ؛ مراكز التفكير المروجة advocacy think tanks أو مراكز التفكير الداعمة التي تصدر بحوثا هادفة إعلاميا و ايديولوجيا مثل معهد المؤسسة الأمريكية American Enterprise Institute ذي الايديولوجية المحافظة ؛ مراكز التفكير التابعة لأحزاب سياسية¹. عموما، تبدو جميع التصنيفات المقدمة بهذا الشأن مستندة على مؤشر الانتماء affiliation إلى جهة سياسية أو بحثية أو تمويلية أو ايديولوجية، وهذا المتغير لا يضيف الشيء الكثير لجوهر نشاط هذه المراكز. بشكل موجز، لاحظنا أنه استعصى على مقاربات سوسيولوجيا المنظمات تقديم تعريف عملي لأنها لم توضح الحدود الفاصلة بين مراكز التفكير و المنظمات التي تجعل من الأنشطة البحثية مقوما لها مثل الادارات السياسية (مكاتب وزارية)، المكاتب الاستشارية، المؤسسات، جماعات الضغط، الجامعات. تجاوزا لهذه الصعوبات سنحاول اقتراح تعريف وظيفي لمراكز التفكير.

2. نحو تعريف وظيفي لمراكز التفكير

ان أغلب الأدبيات تقترح تعاريف وصفية و تصنيفات لمراكز التفكير و هي بهذا الشكل جهود لا تقترح مناقشة لإشكالية التسمية في حد ذاتها think tank، أي ما الذي يحقق فعلا خاصية مستقلة لمراكز التفكير ؟ تعتبر مساهمة توماس ميدفيتز Thomas Medvetz² في هذا الاطار مثرية جدا للنقاش

¹ McGann et Weaver, *Think Tanks and Civil Societies*. Op. cit. p. 143.

² يعتبر كتابه المعنون بـ " مراكز التفكير في امريكا ؟ " (Think tanks in America ?) الصادر سنة 2012، واحدة من أهم الأدبيات المكرسة لموضوع مراكز التفكير. هذا الكتاب مستخرج من اطروحته للدكتوراه سنة 2007 بجامعة كاليفورنيا بباركلي

لأنها تجيبنا عن بعض الخصائص الحصرية لمراكز التفكير التي تميزها عن المنظمات المماثلة لها في النشاط. بدلا من اعتبارها منظمات تتسم بالصفات السالفة الذكر مع ما يطرحه ذلك الأمر من مشكلات مفاهيمية، فإن توماس ميدفيتز يعتبر مراكز التفكير فضاء هجيننا Interstitial field¹. هذا معناه أن مراكز الفكر تمثل حقلًا هجينًا بمكوناته السوسيولوجية (الخبراء)² و أن موقعه positionnement هجين أيضا من ناحية أن منتج الخبرة الذي يقدمه موجه نحو أربعة حقول؛ الحقل الجامعي أو الأكاديمي، حقل وسائل الاعلام ، الحقل الحكومي أو السياسي و حقل السوق (الاقتصادي)³. هذا معناه أيضا أن ما يميز مراكز التفكير ليس الطابع المؤسسي بل مركز السلطة الذي تحتله بالقرب من الحقول الأربعة المذكورة. لكن، بخصوص موضوع الخبرة حول الارهاب فإن هذا الرسم يجب أن يخضع للتكييف ؛ منتج الخبرة حول الارهاب يصنع ليوجه نحو أربع حقول أساسية هي الحقل الأكاديمي، الحقل السياسي، الحقل العسكري و الحقل الاعلامي. تسمح مقارنة الحقل بمفهوم بيار بورديو إذن بتقديم فهم وظيفي عن الأنشطة التي يقوم بها مركز التفكير، و التي لا يتشاركها مع فاعلين مشاهير له.

إن الميزة التي يمتاز بها مركز التفكير دون غيره من المنظمات المشابهة له في النشاط هي أنه يحتل مركز سلطة يقع بين و بالقرب من الحقول الأربعة المذكورة. هذا النوع من التحليل يقدم لنا قدرة تفسيرية نوعية عن الدور الفعلي لمركز التفكير في العملية السياسية، فهو يحصره في موقع السلطة الناجم عن القرب من مراكز القرار، كما يحصره في الوظيفة الاتصالية المترتبة منطقيا عن هذا القرب و عن التفاعل مع بقية الفاعلين. إن مركز التفكير تربطه علاقة جد خاصة مع هذه الحقول الأربعة فهي علاقة تعارض و تضارب ولكنها تجمع بين الانفصال و الاتصال في آن واحد ؛

Berkley و التي لقيت رواجا كبيرا لدى الباحثين المهتمين بهذا الموضوع، و قد نالت اطروحته جائزة أحسن رسالة دكتوراه في الو. م. أ. سنة 2008. ليس هذا الزواج دون مبرر بل لقيمته و إضافته التحليلية للموضوع، لأنه أول من قدم تحليلا مبنيا على المزج بين مقارنة سوسيوتاريخية للظاهرة في الو م أ و بين نظرية الحقل الاجتماعي لبيار بورديو لينتهي بنتيجة مفادها أن حقل مراكز التفكير الأمريكي هو حقل سلطوي يتميز بطبيعته الهجينة interstitial field.

¹ Thomas Medvetz, *Think Tanks in America* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 2014).

² بمعنى أن الخبراء في مركز التفكير يمتلكون مسارات مهنية هجينة، فهم أكاديميون، و عسكريون سابقون و سياسيون و مسؤولون متقاعدون من مختلف القطاعات و قد يجمع الواحد منهم هذه الوظائف مجتمعة جزئيا أو كليا، و هذا مدلول قولنا أنه حقل هجين سوسيولوجيا.

³ Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 06.

[...] يعمل مركز التفكير وفقا لدورة غير منتهية من و متضاربة تدمع بين الانفصال والاتصال، فهو لا يستطيع أبدا أن ينفصل بشكل مطلق عن المؤسسات السياسية البارزة والمهيمنة وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يكون جامعة، ولا مؤسسة اعلامية لأنه إذا فعل هذا فإن وضعه كمركز تفكير سيتعرض للزوال؛ يقول تماس ميدفيتز.

تعتبر مسألة المحافظة على الهوية المؤسساتية كمركز تفكير أهم تحد أمام مراكز التفكير ضمن شبكة تفاعله مع الفاعلين الآخرين. لكي يستطيع مركز الفكر أن يحافظ على مكانته ووجوده ينبغي عليه أن يتجنب نوعين من المخاطر؛ خطر الامتصاص و خطر المغالاة¹ le maximalisme. فأما الامتصاص فهو الحالة التي يفقد فيها مركز التفكير القدرة على اقناع المسؤولين السياسيين و الحقول الأخرى، لأنه أصبح بالنسبة لهم ينتج خطبا تابعا تماما للمؤسسات الحكومية. و أما خطر المغالاة le maximalisme فيشير إلى الحالة العكسية و هي أن يفقد صفته و مصداقيته ولدى المسؤولين السياسيين و الجمهور و الحقول الأخرى لأنه يدافع خطأ ايدولوجيا أو حزبيا بشكل مكشوف جدا. في كلتا الحالتين يفقد مركز التفكير مصداقيته و شرعيته أمام الجمهور و المهتمين، و هذا بالنسبة لنا عنصر من عناصر الاكراه التي تقيد حرية حركة انتاج الخطاب لدى مركز تفكير ما. لا يتم انتاج المعنى والاستشارة في مركز تفكير سوى بمراعاة مثل هذه القيود التي نعتبرها في غاية الأهمية نظرا لارتباطها المباشر بمسألة البقاء La survie كمنظمة. بعبارة أخرى، يتم انتاج الخبرة عن الارهاب في مختلف مراكز التفكير في العالم ضمن إطار هذه الاكراهات المؤسساتية التي يحتملها التفاعل مع بقية الحقول المعنية باستقبال المنتج الخبير. وفقا لمنطق البقاء المؤسساتي هذا، فإن انتاج الخطاب الخبير يجب أن لا يبدو خاضعا بشكل صريح للخطاب الحكومي و لا أن يتجلى معارضا تماما له عن طريق الدفاع الصريح و المكشوف عن خط تفكيري و ايدولوجي مسبق.

¹ هذان المفهومان مستوحيان من سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية أساسا. قدم غامسون Gamson مفهوم الامتصاص سنة 1975 للتعبير عن مخاطر الذوبان داخل المؤسسات الحكومية التي تعني نهاية و زوال الحركة الاجتماعية، بينما قدم ادلمان Edelman سنة 1971 مفهوم الغلو الناتج عن تبني خط ايدولوجي أو حزبي مكشوف يعرض الحكمة الاجتماعية و الاحتاج الاجتماعي إلى مخاطر الزوال.

Murray J. Edelman, *Politics as Symbolic Action; Mass Arousal and Quiescence* (Chicago: Markham Pub. Co, 1971).

William A. Gamson, *The Strategy of Social Protest*, Dorsey Series in Sociology (Homewood, Ill.: Dorsey Press, 1975).

في هذا الإطار ايضا، تتميز أنشطة مراكز التفكير بوجود نوع من التنافس البيئي من أجل النجاح الذاتي لمؤسسة التفكير خصوصا وأن الحقل العالمي لمراكز التفكير يعرف نموا ديموغرافيا غير متوقف خلال الثلاثين سنة الأخيرة، فكيف يمكنه الحفاظ على وجوده في مثل هذه الظروف التنافسية جدا؟ تقدم بعض النماذج التي اهتمت بهذه المسألة – مثل نموذج سوق الأفكار Market place of ideas - إطارا جيدا لفهم الخصائص الوظيفية لمراكز التفكير، حيث أنه لا توجد فكرة واحدة بل مجموعة أفكار متنافسة من أجل حصص في السوق، من أجل جلب التمويل ومن أجل الحفاظ على المصداقية و الوجود. يعتبر عامل الثقة حسب هذا النموذج مهما جدا، و هي (الثقة) بدورها تتغير بحسب درجة الاستقلالية التي يحظى بها المركز في تصورات الجمهور و الفاعلين الآخرين. فمثلا تحظى مراكز التفكير المحسوبة على الانتماء الجامعي (الأكاديمي) مثل البروكينز بثقة أكبر تنعكس ايجابا على صورتها على العامة، فهي ايدولوجيا مصنفة ضمن أفكار الوسط Le centre (وسط بين اليسار واليمين)، كما أنها تخضع لتقييم مستمر من طرف نظرائها الذين يشهدون لها بدرجة وفاء عالية لقيم الحياد و الموضوعية. بينما تبدو مراكز التفكير المحسوبة على شبكات المساندة (coalitions advocacy) و الأحزاب ذات سمعة سيئة لأنها تطرح أفكارا ذات خلفية سياسية واضحة في السوق، و التي تنتهي بتصنيفها ضمن فئة الأفكار 'غير الموضوعية' بل و الموجهة ايدولوجيا، و هو ما يقوض مصداقيتها في الأخير. تعترض مصداقية مراكز التفكير مشكلات أخرى مثل قبول التمويل الخارجي، و مشكلة تشبع حقل الخبراء، بتعبير اندريو ريتش¹، التي حولت الخبراء الى مسوقين Marketing يحترفون استراتيجيات تسويقية هجومية أكثر من احترافهم للبحوث و التحليل الموضوعي، و هم بهذا الشكل يعرضون مصداقيتهم للتهديم الذاتي و للنقد المستمر من طرف المتلقين المهتمين من الحقول الأخرى. أمام هذا النوع من وجهات النظر، تسلك مراكز التفكير اسلوب تفضيل الجامعيين و الأكاديميين على باقي أصناف الخبراء بغرض الرفع من مصداقية مركز التفكير داخل هذا السوق التنافسي جدا². وعليه، فإن مضامين الخبرة المنتجة عن الارهاب تخضع لهذا النوع من الضغوط و الاكراهات والحسابات المرتبطة بالقيم في سوق الأفكار. بعبارة أخرى، انتاج خبرة متماشية مع الأفكار الأكثر رواجاً

¹ Rich, « The Policy Roles of Experts ». op. cit. p. 151.

² Forward Jacob, « History and Policy », History & Policy, 20 octobre 2021, <https://www.historyandpolicy.org/index.php/policy-papers/papers/historians-and-think-tanks-lessons-from-the-u.s-marketplace-of-ideas>. Consulté le 23-06-2023.

خلال سياق زمني معين يقلل من انجراحية مركز التفكير أمام إشكالات التمويل و في زيادة المصداقية العمومية لها.

بشكل موجز، تعكس مثل هذه الخصائص سمات خاصة بمراكز التفكير دون غيرها من المؤسسات و المنظمات المماثلة. لقد راينا أنه يمكن تعريفها انطلاقا من المركز السلطوي الذي تحتله، فبدلا من اعتبارها مجرد مؤسسات منتجة للخبرة و للرأي و للاستشارة السياسية فهي في آن واحد مؤسسات تتصف أساسا بخصائصها التكوينية الهجينة التي تسمح لها بالدخول في البنى الخفية للسلطة بحكم احتلالها للمركز البيئي interstitiel للحقول الأربعة¹ : الجامعي، الاعلامي، السياسي والعسكري.

المطلب الثالث : من هو خير الارهاب ؟

تتطلب معرفة و فهم فئة خبراء الارهاب إحاطة أيضا بمفهوم الإرهاب. إنه مفهوم ذو مسار تطوري خاص جدا، فهو شديد التأثير بالسياقات التاريخية و الجيو سياسية و الاجتماعية المختلفة. من المنطقي إذن اعتبار أن كلا المفهومين مترابطان ترابطا تكوينيا ؛ فظهور مفهوم خبراء الارهاب للوجود مرتبط قبل كل شيء بمجيء مفهوم الإرهاب تحديدا، كما أنهما مفهومين يمتلكان تاريخانية متشابهة، وإذا سلمنا بهذه التاريخانية ندرك إذن أن الارهاب ليس بمفهوم طبيعي بل هو مفهوم بنائي. لا يجب أن يفهم من هذا القول أن الارهاب بصفته أعمال عنف غير موجود من الناحية الواقعية، بل يقصد به أن حوادث العنف التي توصف بالإرهاب و أن طرق فهمنا للمشكلة تخضع لاعتبارات علاقات القوى السياسية و الاجتماعية خلال لحظة زمنية معينة. المعنى الذي نريد قوله هنا هو أن طريقة انتاج الخبراء للفهم حول مشكلة الارهاب تعرف تغيرات مستمرة عبر الفترات الزمنية المختلفة التي مر بها المفهوم منذ السبعينيات من القرن الماضي. هذا معناه أيضا أنه إذا أردنا أن نفهم طريقة بناء مفهوم الارهاب من قبل الخبراء فإنه يتعين علينا وجوبا فهم الخصائص الكبرى لهذا الحقل. من خلال ما سيأتي سوف نحاول أن نتعرف على الخصائص العامة لفئة خبراء الارهاب و ذلك بالإجابة عن سؤال من هم خبراء الارهاب وماذا يفعلون ؟ أي كيف يقومون بعملهم في تقديم معنى أو فهم للمشكلة و حلولها؟

¹ Thomas Medvetz, « Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien », *Actes de la recherche en sciences sociales* 200, n° 5 (2013): 44-55, <https://doi.org/10.3917/arss.200.0044>. p.45.

1. الارهاب : مفهوم غير مستقر فكيف يمكن تعريف خبراء الارهاب ؟

لا يتمثل الهدف هنا في تقديم تعريف مفصل عن الارهاب كمفهوم لأن مناقشته تعتبر تمرينا في غاية التعقيد من ناحية أنها ستثير التساؤلات أكثر من تقديمها للإجابات. هناك فعلا مشكلة تكوينية مصاحبة لهذا المفهوم و هي استعصاء تقديم تعريف كاف و واف. يخضع مفهوم الارهاب للاعتبارات التي تشير إليها مقولة فريدريك نيتشه كل المفاهيم عالية التركيز دلاليا تفلت من التعريف ... بينما تلك المفاهيم التي لا تاريخ لها فيمكن تعريفها ببساطة¹. إنه قبل كل شيء مفهوم ذو تاريخانية غير مستقرة بفعل عدم ثبات السياقات التاريخية المختلفة ثم بفعل الدلالات المتضاربة التي يتم انتاجها (بناؤها) عن هذه السياقات. لكن إذا كان مفهوم الارهاب يطرح غموضا تعريفيا فإنه يكرس بالمقابل وضوحا تفسيريا ؛ إنه مفهوم ذو طبيعة سياسية بحتة، فهو مرتبط بتضارب مصالح أولئك الحاملين لسلطة الدولة مع من يتفاعلون معهم في البيئتين الداخلية والخارجية. نظرا لأن موضوع دراستنا يتعلق بفهم كيفية بناء هذا المفهوم من طرف الخبراء فإننا لا نتعامل معه باعتباره نوعا من أنواع العنف (السياسي) فحسب بل باعتباره استراتيجية دعائية أيضا. إن مفهومي الدعاية والارهاب متشابهان ؛ فكلاهما تكتيك يهدف إلى تغيير السلوك عند الآخر ولكنهما يتصرفان بأسلوبين متباينين ؛ الأول عن طريق الاقناع و الثاني يتصرف بأسلوب الاكراه العنيف. تعتبر المعارف التي يتم انتاجها عن مشكلة الارهاب ذات طبيعة استراتيجية أيضا لأنها دعائية قبل كل شيء، وهذا بفعل ذلك الارتباط الموجود بين الخبراء (المكلفون باستصدارها) ومراكز القرار والسلطة الأخرى في المجتمع.

لاستكشاف بعض الخصائص العامة لخبراء الارهاب سنناقش نقطتين نعتبرهما محورتين : الأولى، أن هناك خصوصية لمسار التطور التاريخي لحقل خبراء الارهاب حيث يمكن تأويل أدوار هؤلاء على أنها جهد تحليلي يهدف الى استخلاص ارتباطات و علاقات معينة بين حوادث معينة و استجابات حكومية موافقة لها ؛ الثانية، أن هذه الخصائص تتحدد بمدى استقلالية حقل خبراء الارهاب عن الدولة و عن مراكز السلطة الأخرى في المجتمع (الدوائر التمويلية، الاعلام، مهنيو الأمن...الخ). بعبارة أخرى، لا يتم البحث هنا عن خصائص خبراء الارهاب عن طريق اللجوء الى استنطاق الصفات السوسيولوجية لهذه الفئة فحسب ولكن عن طريق الاستفسار عن الأدوار التاريخية و الحالية التي يقوم بها خبراء الارهاب في علاقته بالمراكز والدوائر السلطوية.

¹ Cité dans : Fritsch, « Situations d'expertise et expert-système ». p. 13.

1.1: غياب الاجماع في تعريف الارهاب وخصوصية التعريفات التي يقدمها حقل خبراء الارهاب

يعتبر مفهوم الارهاب من المفاهيم المثيرة للجدل و غير مستقر من ناحية دلالاته و استخداماته. منذ السبعينيات إلى اليوم تغيرت التعاريف المقدمة و المقاربات المنتهجة لمواجهته كثيرا، و للخبراء مسؤولية محورية في هذه المسألة. إن الخبراء يتكلمون عن مشكلة الارهاب من مواقعهم في مراكز التفكير بشكل يعكس ارتباطات معينة بالمراكز السلطوية المختلفة في الدولة. إن من مخلفات هذه الديناميكية هو انها انتجت عدم استقرار في تعريف مفهوم الارهاب و كذلك عدم ثبات في المقاربات المقترح انتهاجها لمواجهة المشكلة، و هذا يخفي استعمالا استراتيجيا للمفهوم أكثر من أي شيء آخر. هذه السمة العامة لكيفية انتاج الفهم عن مفهوم الارهاب تعتبر وليدة السياق الأمريكي حصرا، لكنها أيضا سمة مشتركة مع ما يتم انتاجه من طرف خبراء آخرين في فضاءات جيوسياسية و دول أخرى في العالم.

يقوم جهد تقديم تعريف لمفهوم ما على محاولة حل معادلة مشكلة بالضرورة من قسمين؛ القسم المجهول أي المراد تعريفه و القسم المعروف أي الذي نحاول أن نستخدمه لتعريف المجهول. يتضمن مثال مفهوم الارهاب قسما مجهولا (الارهاب بصفته مجهولا) و قسما تعريفيا ؛ أي الفئات المفاهيمية المعروفة التي نحاول أن نعرف بها ذلك الشق المجهول. إذا قدمنا مصطلحا تعريفيا واحدا فإننا هنا نقدم مرادفا له أو ترجمة له و ليس تعريفا. لكن إذا قدمنا مصطلحات متعددة فإننا هنا بصدد انتاج تعريف. قد يتراوح عددها من اثنين ليصل إلى العشرات أحيانا. فمثلا قد نجد تعريفا لمفهوم الارهاب من مصطلحين أو متغيرين مثل القول بأنه عنف سياسي، كما قد نجده يتشكل من أكثر من عشرين (20) متغيرا كما فعل شميث Schmid سنة 1984¹، و كما تفعله الكثير من المنظمات و الهيئات إلى غاية اليوم. لكن بالنسبة لنا يكمن السؤال الأكثر أهمية بالنسبة لنا في معرفة ماهية هذه المصطلحات التي يتم تقديمها لبناء التعريف ؟ هل هي متماثلة بين أكاديمي في العلوم الاجتماعية المختلفة و بين خبير في مركز تفكير ، و بين مهني في القطاع العسكري و الاستخباراتي؟ الاجابة بالنفي طبعا. إذا ابتدئ تعريف الارهاب بمتغير "العنف" و صفة "السياسي" فإن الأمر جدي جدا بين هذه الفواعل الأساسية الثلاثة. قد يكون هذا الوصف مقبولا عند عالم في حقل العلوم الاجتماعية لأن

¹ Alex Peter Schmid et A. J. Jongman, *Political terrorism: a research guide to concepts, theories, data bases, and literature*, C.O.M.T.-Publication, no. 12 (Amsterdam : New Brunswick, U.S.A: North-Holland ; Distributors, Transaction Books, 1984).

الأخير يعتقد بهيمنة الدافع السياسي في تفسير حركة العنف المجتمعي، ولكنه مرفوض بالنسبة لمهني الأمن و الدفاع مثلا كما أنه مرفوض أيضا بالنسبة لخبراء مراكز التفكير عموما، لأن هؤلاء لا يعترفون بتاتا بالعقلانية السياسية باعتبارها محركا أو دافعا للفعل الارهابي، بل يحبذون العقلانية التعبيرية كأساس للتعريف لأنها تسمح بتعريف الأطر التي بموجها سيتم تحقيق إدانة الفعل سياسيا و أخلاقيا من طرف المتلقين.

فلننظر مثلا إلى التعاريف التالية المقتبسة من حقول معرفية متنوعة لنرى هذه الحقيقة.

التعريف الاجماعي في حقل العلوم الاجتماعية : مساهمة أليكس شميد Alex Schmid

إن التعريف الذي يقدمه أليكس شميد يوضح أن علماء العلوم الاجتماعية يظهرون نوعا من الاجماع حول عناصر معينة. لقد قدم هذا الباحث جهدا باهرا في هذا الاطار و أحصى حوالي 22 متغيرا لتعريف الارهاب. صدر أول تعريف له سنة 1984 و ظل يستجوب اتجاهات الباحثين في حقل دراسات الارهاب *terrorism studies* عن هذه المتغيرات إلى غاية 2011. منذ سنة 1984¹ تطور الأمر على النحو التالي : بني الاجماع الأكاديمي سنة 1984 على 13 عنصرا من بين 22 الاجمالية. ولكن سنة 1988 أصبح الاجماع يتضمن 16 عنصرا تعريفيًا، وفي سنة 2011 أصبح التعريف يتضمن 12 عنصرا تعريفيًا متفقا عليها²، وهي العناصر الاثنا عشر الأولى المشار إليها في الهامش أدناه.

إن حقل العلوم الاجتماعية يقبل تعريف الارهاب بصفته عنفًا سياسيًا، غرضه التهريب و هو بمثابة تهديد و... و.... الخ، و هو التعريف الذي لا تتفق معه بالضرورة باقي الحقول الأخرى المهمة بهذه المشكلة.

¹ أول تعريف قدمه أليكس شميد كان سنة 1984 و يحصي 22 متغيرا هي كما يلي : (1) العنف / القوة (83 في المائة من المستجوبين يسلمون بسلامة و صحة المتغير في التعريف)؛ (2) سياسي (اتفاق بنسبة 65 بالمائة) ؛ (3) الخوف و التهريب (51 بالمائة اتفاق) ؛ (4) تهديد (47 بالمائة) ؛ (5) سيكولوجي (41.5 بالمائة) ؛ (6) لا مبالاة في هوية الضحايا (37 بالمائة) ؛ (7) عمل منظم، مخطط له، هادف و آلي (32 بالمائة) ؛ (8) منهج حربي، تكتيك و استراتيجية (30.5 بالمائة) ؛ (9) أفعال غير طبيعية من دون اعتبارات انسانية (30 بالمائة) ؛ (10) اكراه و ابتزاز (28 بالمائة) ؛ (11) جوانب اعلانية للجمهور (21 بالمائة) ؛ (12) الاعتدائية و اللاشخصانية و اللاتمييز (20 بالمائة) ؛ (13) الضحايا المدنيون و الحيايون و غير المقاومين و غير المحاربين (17 بالمائة) ؛ (14) التخويف (17 بالمائة) ؛ (15) براءة الضحايا المستهدفين (15 بالمائة) ؛ (16) المنفذون هم حركات ، جماعات أو تنظيمات (14 بالمائة) ؛ (17) جوانب رمزية في عرض القوة (13 بالمائة) ؛ (18) احتمالية وقوع الأحداث غير قابلة للحساب و لا للتوقع و لا للتنبؤ (9 بالمائة) ؛ (19) الطبيعة الخفية و السرية للعنف (9 بالمائة) ؛ (20) الطبيعة المتكررة و المتسلسلة للعنف (7 بالمائة) ؛ (21) اجرامي (6 بالمائة) ؛ (22) عنف يرتكبه طرف ثالث (4 بالمائة). للمزيد أنظر المرجع الشهير لأليكس شميد :

Ibid.

² هذه المقارنة يوفرها لنا بشكل رائع موقع : <https://def-frameworks.gifct.org/>

تعريفات خاصة بحقل خبراء الارهاب : هل سيظل تعريف العلوم الاجتماعية صامدا ؟

بالنظر إلى بعض التعاريف التي قدمها أهم الخبراء المؤثرين في دراسة الارهاب سنرى أن متغير 'العنف السياسي ليس اساسا مقبولا دوما، بل أن للخبراء كيفية متميزة في تعريفه حيث يركزون على السمات التعبيرية المحمولة في الفعل الارهابي (أي ما الذي يعبر عنه الارهاب؟) وذلك بهدف انتاج الزامية الادانة الأخلاقية لدى المتلقين : رأي عام، صناع قرار، إعلام...الخ.

التعريف الأول : وهو لبريان جنكينز Brian Jenkins من معهد راند وهو واحد من أهم الخبراء الذين تهيكل حولهم حقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب منذ بداياته الأولى. سنة 1974 قدم هذا الأخير التعريف التالي : يهدف الارهاب إلى المشاهدة الجماهيرية ولا يهتم بالضحايا الحاليين .. الارهاب عبارة عن مسرح¹. إنه تعريف مقتضب لا يركز سوى على العقلانية التعبيرية التي يحملها الارهاب كشكل من اشكال العنف.

التعريف الثاني : وهو لصاحبه والتر لاكور Walter Laqueur² حيث يعرف الارهاب في كتابه زمن الارهاب سنة 1987 the age of terrorism على أنه: استعمال العنف أو التهديد باستعماله كمنهج حرب أو كاستراتيجية لتحقيق أهداف معينة بغرض خلق حالة خوف و رعب لدى الضحايا بشكل قاس جدا مناقض للمبادئ الانسانية و بغرض ضرب استقرار حكومة معينة أو تغييرها³.

التعريف الثالث : وهو تعريف حديث جدا (2022) و يقدمه دافيد رابوبور David Rapoport وهو أيضا واحد من أولئك الذين يشكلون النواة الصلبة لحقل خبراء مراكز التفكير حول الارهاب في أمريكا منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث يعرفه على أنه العنف الذي يتم استخدامه لأهداف دينية وسياسية بشكل لا يتوافق مع القواعد الأخلاقية التي تؤطر موضوع العنف... يعتبر المتمردون الذين

¹ Brian Michael Jenkins, « The international terrorism : a new kind of warfare » (Santa Monica, Calif, 1974),

<https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/papers/2008/P5261.pdf>.

² وهو من أعمدة الحقل أيضا ولكن ميزة والتر لاكور أنه شديد الانتقال بين الحقل الأكاديمي و حقل مراكز التفكير وهو بالتالي تجسيد مثالي للفتنة الهجينة التي يتكلم عنها توماس ميدفيتز. والتر لاكور يعتبر مؤرخا قبل كل شيء و خصوصية مساره أنه يهودي ناج من "الهولوكوست" فهو ألماني الأصل و حامل للجنسية الأمريكية و تظهر آثار محسوسة لهذا المتغير على أفكاره حول الارهاب.

³ Walter Laqueur, *The Age of Terrorism*, Subsequent edition (Boston: Little Brown and Company, 1987). P. 09.

يلجؤون إلى استعمال العنف لتحقيق هدف سياسي أو ديني إرهابيون عندما يتصرفون من دون خضوع للضوابط العسكرية المسيرة لاستعمال العنف¹.

يلاحظ على مجموع التعاريف التي يقترحها حقل الخبراء عدم اتفاقهم مع فكرة أن الارهاب عنف سياسي فهو حسبهم ليس ذو طبيعة سياسية حتى وإن كانت منظومة الأهداف المرجوة قد تتضمن بعضها منها. فالإرهاب في منطق الخبراء لا عقلانية سياسية تحكمه بل إنه قبل كل شيء عنف غير مبرر أخلاقيا ولا معياريا. تقوم مثل هذه التعاريف إذن على منطق ادانة للفعل من خلال تعمد ترجيح متغيرات عدم التوافق مع منظومة القواعد الأخلاقية أو العسكرية التي تضبط مسألة استعمال العنف. لمثل هذه الكيفية في التعريف انعكاسات مهمة خصوصا وأنها تحظر كل محاولة تفكير أو محاولة فهم لهذا الشكل من العنف من خلال تفضيل تأطيره داخل الفئات غير القابلة للتفسير. يتفق جل الخبراء من جهة ثانية على أهمية العقلانية التعبيرية في الفعل الإرهابي، ومعنى ذلك أنها تفضل قراءته من ناحية الرسائل (الاتصالية والاستراتيجية) التي يعبر عنها الفعل العنيف. فمثلا جنكينز يقول بأنه مسرح، ووالتر لاكور يقول بأنه يهدف إلى خلق حالة الرعب و لا بوبور يهتم بالأغراض السياسية و الدينية. منطق الخبراء في تقديم تعريف للإرهاب هو منطق إدانة أخلاقية و سياسية و منطق إظهار لهذه العقلانية التعبيرية التي يتضمنها أي فعل إرهابي.

تعريف الحقل السياسي (الفاعلون السياسيون) :

تعريف كتابة الدولة الأمريكية لسنة 1999 : الارهاب هو عنف مقصود تحفزه دوافع سياسية مرتكب ضد أهداف غير حربية من طرف فواعل تحت قومية أو من طرف أعوان سريين بنوايا هدفها عموما هو جلب الأنظار. مصطلح الارهاب الدولي يشير إلى الارهاب الذي يتضمن مواطنين أو أقاليم من دولتين اثنتين أو أكثر. مصطلح الجماعة الارهابية يشير إلى أية مجموعة أو جماعة تابعة لها تمارس الارهاب الدولي².

تعريف الاتحاد الأوروبي سنة 2002 : الارهاب هو العمل الذي يؤدي إلى ترويع المواطنين بشكل خطير أو يسعى لزعزعة استقرار أو تقويض المؤسسات السياسية أو الدستورية أو القضائية أو الاقتصادية أو

¹ David C. Rapoport, *Waves of Global Terrorism: From 1879 to the Present* (Columbia University Press, 2022). P. 03.

² Department of State, « Patterns of global terrorism : 1999 », avril 2000, <https://1997-2001.state.gov/global/terrorism/1999report/intro.html>. p. III

الاجتماعية لإحدى الدول أو المنظمات مثل الهجمات ضد حياة الافراد أو الهجمات ضد السلامة الجسدية لأفراد أو اختطاف و احتجاز الرهائن أو إدارة جماعة ارهابية أو المشاركة في أنشطة جماعة إرهابية¹.

تقبل التعاريف الواردة من الحقل السياسي اعتبار أن الارهاب تحركه دوافع سياسية، وهذا أمر طبيعي جدا - داخل الحقل السياسي- لأن الغرض من مثل هكذا تعاريف يكمن في اقضاء الفاعلين الذين يتبنون أو يساندون أفراد أو جماعات ملتزمة بالعنف. عنصر العنف في تعاريف الحقل السياسي هو أداة إقصاء وإخراج من الشرعية السياسية يستخدمها صناع القرار السياسي ضد الخصوم، كما أنها تعتبر أداة بناء لصورة العدو تسمح بصياغة الاستجابات الملائمة ضد المرتكبين أو المساندين.

لاحظنا إذن تباينا في التعاريف المقدمة عن الارهاب بين الحقول الكبرى المنتجة للمعنى حول هذه المشكلة : الحقل السياسي، حقل العلوم الاجتماعية و حقل الخبراء. إن سمة التعريف الذي يشترك فيه الخبراء هو أنهم لا يعتبرونه عنفا مبررا بعقلانية سياسية، بل إنهم وبشكل مقصود يهملون هذا الاعتبار نهائيا، و بالتالي فهم يتجنبون الدخول في النقاشات السياسية ذات الطبيعة الانشاقاقية ؛ أي تلك التي تزيد من حدة الانفصال بين الايديولوجيات و الفواعل السياسية. و من ناحية أخرى، فهم يتجنبون الخوض في النقاش حول الأسباب ذات الطبيعة السياسية كمدخل لفهم الارهاب. ما معنى هذا التهميش للمتغير السياسي في تعريف الارهاب ؟ إنه يعكس قبل كل شيء نوعا من الاستقلالية و عدم التبعية² لأي من التعاريف السائدة في الحقول الأخرى، ولكنه في نفس الوقت يوضح أنها استراتيجية اتصالية من طرف الخبراء بغرض تجنب الحديث عن أنواع العنف التي تمارسها دول معينة (الوم أ. في مجهودها الحربي في بعض مناطق العالم، الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين...الخ) ضمن أطر الصراعات و الحروب الدولية المختلفة.

¹ Eugenia Dumitriu, « The E.U.'s Definition of Terrorism: The Council Framework Decision on Combating Terrorism », *German Law Journal* 5, n° 5 (mai 2004): 585-602, <https://doi.org/10.1017/S2071832200012700>.

² و فكرة التبعية / الاستقلالية فكرة أكثر من مهمة في عالم مراكز التفكير، لأن التميز والاستقلالية هي الطرح هي العنصر الوحيد الذي يكفل وجود هوية للفاعل و يحافظ عليها خصوص إذا علمنا أنها ليست الفاعل الوحيد في انتاج المعنى و الفهم عن المشكلات، بل إنهم في تنافس شرس أحيانا مع فاعلين متميزين بكفاءتهم في الميدان، مثل المهنيين في قطاع الأمن و الدفاع. إذا تبنى مركز التفكير موقفا حكوميا فهو بالتالي يعيق تطوره الذاتي كمنظمة و إذا ما تبنى موقفا موضوعيا مثل العلوم الاجتماعية فهو يعطي هويته كمركز تفكير و يتحول الى مجرد "جامعة" أو "مركز بحث". إظهار الاستقلالية نشاط جوهري بل تكويني لهوية مركز التفكير، ولذلك نلاحظ هذا التهميش المقصود للمتغير السياسي في تعريف الارهاب.

2.1 : دور خبراء مراكز التفكير في بناء مفهوم الارهاب : أداة لتقليص التضارب بين التعاريف ؟

مثل هذه التوجهات في تعريف الارهاب من طرف خبراء مراكز التفكير تؤكد أنهم :

- يدرسون الارهاب من دون اعتراف به كشكل من أشكال العنف السياسي؛
- يدرسون الارهاب من دون وجود اتفاق أو حتى شبه اتفاق على تعريف موضوع الارهاب،
- يدرسون الارهاب من دون اتفاق في تفسير أسبابه مع تحبذ الأحادية السببية إن وجدت محاولات تفسيرية مثل : التفسيرات المرضية-النفسانية، التفسيرات التلقائية (الشر عند الآخر)...الخ.

لكن، يُظهرُ التمعن في حالة 'غياب الاتفاق في التعريف و التفسير أنها حالة طبيعية بل ضرورة بالنسبة للخبراء، و ذلك لأن وجود إجماع حول تعريف موحد أو اتفاقي تعني أن هوامش الاجتهاد غير ممكنة و أن امكانية التوظيف و الاستخدام غير متاحة. إذن، حالة غياب الاتفاق في التعريف هي قبل كل شيء وضعية تسمح بإنتاج المقولات énoncés و الروايات narratifs و الخطابات discours المناسبة و الموافقة للمتطلبات الأمنية قياسا بالظروف و السياقات التاريخية المختلفة¹. تبدو عملية انتاج التعريف خاضعة للمتطلبات الامنية التي يفرضها الحقل السياسي قبل كل شيء و ليس لاعتبارات إبستمية épistémiques (معرفية) فقط . تبعا لهذا، فإن لتعريف الارهاب حساسية عالية جدا للسياقات التاريخية المختلفة² أي للاستخدامات السياسية و الاستراتيجية التي يفرضها سياق تاريخي معين، بل إن جدوى تعريف معين تقاس بمدى ملائمته لاحتياجات و متطلبات الأمن خلال فترة ما. بعبارة أخرى، تعتبر التعريفات التي يقدمها الخبراء عن الارهاب مؤشرا عن صورة الشر / العدو المهيمنة داخل الحقل السياسي خلال فترة معينة. من الأمثلة التي تشهد على هذا في الواقع السياسي نجد مفهوم دولة الارهاب أو مفهوم محور الشر الذي ظلت تستخدمه الوم أ. خلال العقود الأربعة الأخيرة. تعد كتابة الدولة الأمريكية للدفاع قائمة سنوية باسم الدول و المنظمات الراعية للإرهاب والتي

¹ Lisa Stampnitzky, « Disciplining an Unruly Field: Terrorism Experts and Theories of Scientific/Intellectual Production », *Qualitative Sociology* 34, n° 1 (1 mars 2011): 1-19, <https://doi.org/10.1007/s11133-010-9187-4>.

² Sommer, « La menace terroriste ». op. cit. p.71.

تستهدف التعريف بأعداء العالم الحر وفقا لاعتبارات سياسية بحثة¹. نجد ضمن القائمة دولا مثل ليبيا، سوريا، العراق، ايران، السودان، كوبا، كوريا الشمالية و التي يتم اتخاذ اجراءات عقابية في حقها سواء اقتصاديا (الحصار الاقتصادي ضد العراق 1991، ضد كوبا سنة 1962 ، ضد السودان سنة 1996) أو عسكريا (الغارات الجوية على طرابلس - ليبيا - سنة 1986)، من دون شرعية دولية.

نظرا لخضوع تعريف الارهاب للسياق السياسي العام خلال فترة معينة، فإن جدواه تقاس بمدى صلاحيته لخدمة الأهداف التي يتوقعها الحقل السياسي. وعليه، فإن انتاج التعريف عن الارهاب من طرف الخبراء يتأثر باستراتيجيات التوقع التي تسلكها وتنتهجها مراكز التفكير. هذا يبرر لنا لماذا تبدو تعاريف الخبراء عن الارهاب راكدة، ضعيفة التنظير، خالية من الصرامة و فاقدة للنظريات والمناهج²، كما تقوله ليزا ستامبينتزي ، أو مهتزة كما يصفها ساجمان 2013 Sageman أو تعريفات على حافة الموت بعبارة جاكسون 2007 Jackson، وهذا بسبب خضوع الموضوع للاعتبارات السياسية و الاعلامية خصوصا، و بفعل البحث المستمر للخبراء عن ذلك التوازن بين الشرعية العلمية و *légitimité scientifique* و الجدوى العملية *pertinence pratique* الذي يكفل استقلالته مقارنة بالحقول الأخرى.

تشير استراتيجية التوقع أيضا إلى أن التعريفات التي يقدمها خبراء مراكز التفكير تخضع لحسابات محاولة تقليص حجم الفجوة أو التباين بين التعاريف المتضاربة التي تنتج في الفضاءات المعرفية الأخرى. بعبارة أخرى ؛ حينما يعرف Jenkins الارهاب بأنه مسرح فإنه يعتبر أن متغير المشاهدة والاثارة وإحداث الصدى هو أهم صفة للإرهاب ، و هو بهذا الشكل لا يتناقض مع مجموع العناصر التعريفية التي تنادي بها الحقول الأخرى (الجامعي و السياسي خصوصا) لأن هذه الصفة تظل مقبولة لدى أغلبية المتدخلين. و حينما يعترف والتر لاكور - و هو مؤرخ و خبير بمركز التفكير الشهير - مركز الدراسات الاستراتيجية و الدولية *Center of Strategic and International Studies* لأكثر من 30 سنة - بالمبررات السياسية و الدينية كأساس للسلوك الارهابي، فإنه يعيد انتاج عناصر مقبولة أيضا عند

¹ لم يتم أبدا تصنيف السعودية كدولة راعية للإرهاب رغم أن 19 من أصل 26 من مرتكبي هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 يحملون الجنسية السعودية، و حصل العكس تماما بالنسبة للعراق رغم عدم وجود أية أدلة تورط نظام صدام حسين سابقا بالجماعات الارهابية ولا بأسلحة الدمار الشامل، ورغم ذلك ظلت دولة العراق تظهر سنويا في القائمة السنوية للدول الراعية للإرهاب، و هذا معنى قولنا بأن تعريف الارهاب يخضع للاعتبارات السياسية.

² Stampnitzky, « Disciplining an Unruly Field ». pp.13-14.

الحقول الأخرى، و هو هنا يعبر عن انضمامه الذاتي إلى نسق مفاهيمي سائد. بتعبير أوضح، تقوم مهمة الخبراء على التقليل من حدة التضارب بين التعاريف التي يتم انتاجها، و تبعاً لهذا فهي أداة تقليص من حدة الانقسام السياسي و الايديولوجي بين الفاعلين السياسيين المختلفين، و أداة صناعة توازن. مصدر هذا الدور الخصوصي جداً هو الموقع المتميز الذي يحتله خبراء مراكز التفكير بالقرب من حقل انتاج المعرفة العلمية و حقل اتخاذ القرار و حقل الاعلام، الذي سبق لنا توضيحه أعلاه.

2- بناء تعريف للإرهاب : وسيلة للسياسة الخارجية للقوى الدولية

رأينا أعلاه أن الاجماع الوحيد الموجود حول تعريف الارهاب هو أنه مفهوم غير اتفاقي بين مختلف الفاعلين المسؤولين عن انتاج المعارف عنه سواء كانوا أكاديميين، سياسيين، مهنيين أو خبراء. كما رأينا أن الدور المحوري لهذه الفئة الأخية يقوم على محاولة التقليل من حدة التضارب، التباين أو التعارض بين التعريفات التي تفرضها هذه الأطراف. إن مثل هذه الحركية كلها تعبر عن خضوع عملية التعريف إلى السياقات التاريخية و السياسية و الجيو سياسية المتجددة باستمرار و التي تفرض مراجعات مستمرة لتعريف الارهاب. نلاحظ إذن أن السمة الأساسية التي تحيط بتعريف الارهاب هي أنه غير مستقر تاريخياً و أن الثابت فيه هو أنه يشير إلى فئة من العنف غير النظامي Irrégulier، أي يحصل خارج البنى المؤسساتية التي تمتلك الحق الشرعي في ممارسة العنف المشروع بالمعنى الكلاسيكي لماكس فيبر. يذكر ميشال فيوفيورك¹ Michel Wieviorka أن تعريف الارهاب داخل حقل دراسات الارهاب لا يعتبر نقطة الانطلاق في البحث بل يمثل نقطة الوصول²، و أن هذه الملاحظة هي السبب المحوري الذي يجعل من الارهاب مفهوماً غير مستقر عند الخبراء و عند صناع القرار. إن صفة عدم الاستقرار مؤشر عن الاستخدامات السياسية المتنوعة و المتطورة سياقياً لهذا المفهوم، فهو إذن

¹ و هو عالم اجتماع فرنسي تتمحور أعماله البحثية حول الحركات الاجتماعية (حركات المستهلكين في السبعينيات خصوصاً) و حول ظواهر العنف و العنصرية خصوصاً. كتابه الصادر سنة 1989 بعنوان "المجتمعات و الارهاب" sociétés et terrorisme حصل على جائزة تقدمها لجنة Amalfi الأوروبية الخاصة بعلم الاجتماع و العلوم الاجتماعية، و هي جائزة جد قيمة من زاوية اعلام الاجتماع في أوروبا الذين توجوا بها أمثال Norbert Elias سنة 1987، Charles Tilly سنة 1994 و Raymond Boudon سنة 1995. تمت ترجمة المؤلف إلى العديد من اللغات كالإنجليزية و الألمانية و الإسبانية و اليابانية.

² Michel Wieviorka, « Terrorism in the context of academic research », in *Terrorism in Context*, Martha Crenshaw (Penn State University Press, 1995). pp. 597-598.

سياسي قبل كل شيء ولكنه - وبشكل متناقض جدا إلى حد الغرابة - مبني أساسا على نزع التسييس عنه Un concept dépolitisé.

إن هذا المسار الأخير (la dépolitisation) يتضمن مجموعة معتبرة من المحددات المتسمة بالثبات يتغير بموجبها تعريف الارهاب الذي ينتجه طرف معين يحتل مركزا وظيفيا ما داخل البناء المؤسساتي لدولة ما ؛

- يتم تصنيف الفعل الارهابي بصفته ارهابا دوما من طرف جهة حكومية أو دولاتية بالضرورة ؛
- يتم نفي صفة 'ارهاب' عن العنف الذي تمارسه الدولة وفقا للنظرة الفيدرالية الشهيرة ؛ (الدولة هي احتكار للعنف المشروع)؛
- يخص التصنيف الذي نتجه هذه الجهة الدولاتية كل أعمال العنف المعادية لها أو الموجهة ضدها من طرف فاعلين غير دولتيين أو تحت دولتيين؛
- يتم التصنيف وفقا لقاعدة نفي الطابع السياسي لهذا العنف ؛ لأن الاعتراف بالطابع السياسي يعني قبولاً لفهم كلاوزوفيتش بأن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى، و المعنى أن الارهاب هنا هو استمرار للسياسة بوسائل أخرى، و هو ما يترتب عنه امكانية اعتبار الارهاب شكلا حربيا¹، وهذا ما ترفضه الدول قطعا.
- يتم بناء صورة الارهابي، أي الفاعل المرتكب للفعل أو الطرف المساند له باعتباره فاعلا غير نظامي حتما، فالارهابي دوما جهة غير نظامية فلا يمكن أن يكون جيشا أو شرطة أو دولة ما. فكل فعل ارهابي يتم ارتكابه بالضرورة من طرف جهة مضادة للدولة باعتبارها كائنا سياسيا مؤسساتيا مزودا بشرعية و محتكرا لصفة النظامية.

هذه هي العناصر التي تعتبر بمثابة ثوابت تستخدم في بناء أي تعريف للإرهاب. إنها بالتالي عناصر ذات علاقة بوظيفة تحديد 'العدو، أي ذلك الطرف الذي يجب تعيينه على أنه تهديد للدولة أو لمصالحها. تعريف الارهاب إذن هو أداة لتعيين و تحديد العدو بالنسبة للدولة، و خصوصيته هي أنه يقع داخل

¹ تجدر الإشارة الى الفرق الموجود بين مفهومي الحرب و الارهاب. يتضمن مفهوم الحرب فصلا أساسيا بين فئة 'المحارب / العسكري' و فئة "غير المحاربين / المدنيين"، و من يقوم بفعل الحرب هم المحاربون فقط؛ مفهوم الارهاب حتى و ان تضمن اسلوبا عسكريا في الاداء الى أنه لا يحدث أي فصل بين "الارهابي" و "المواطن" العادي، فالإرهابي قد يكن مواطنا أو مدنيا أيضا.

الأشكال غير النظامي للعنف، أي غير المشروعة و هو ما يعتبر ثابتا رئيسيا في أية محاولة لتعريف الارهاب.

1.2 . الارهاب : عنف غير نظامي قبل كل شيء

يتم تعريف الارهاب دوما انطلاقا من التضاد الموجد مع ما هو نظامي ؛ أي ما هو مؤسساتي أو دولاتي. يتم تعريف الارهاب من هذه الزاوية على أنه عنف يمارس في حق أولئك الذين يمتلكون احتكار العنف المشروع الممثلون في الدولة و مؤسساتها. كل فاعل ينكر هذا الاحتكار للدولة في ممارسة العنف المشروع يندرج تلقائيا ضمن الفئة اللانظامية. إن الدخول في هذه الفئة الأخيرة معناه فقدان صفة المشروعية التي تخول له الاعتراف الدولي الذي يكرسه القانون الدولي للحرب. الصفة النظامية هي التي تسمح إذن لكيان نظامي بتبرير استعمال العنف المشروع للعنف، و العكس صحيح.

يترتب عن هذا القول وجود حرب نظامية و حرب غير نظامية في أرض الواقع، قياسا بوجود الفاعل النظامي. تتمثل مجموعة العناصر التي تعرف لنا هيئة نظامية فيما يلي؛

- احتكار العنف المشروع، و الذي هو خاصية تنشأ حسب نظرية الدولة من العقد الاجتماعي الموجود بين الأفراد و السلطة السياسية. بموجب العقد الاجتماعي تستمد السلطة السياسية شرعيتها و مشروعيتها *légitimité et légalité* بصفتها القناة الوحيدة التي تؤطر السلوك الحربي للأفراد داخل للدولة؛
- هذا الاحتكار لممارسة العنف احتكار قانوني ؛ فالعقد الاجتماعي يفرض على الدولة وظيفة حفظ و حماية حياة الافراد- المواطنين، و لتأدية هذه الوظيفة "تمتلك الدولة حق نزع السلاح عن هؤلاء المواطنين.. و تسليح نفسها".
- إذا كان العنف لا يمثل الوسيلة الوحيدة للدولة لتأدية وظيفة الحماية فإنه بالمقابل يعتبر وسيلتها الحصرية والخاصة.

يقصد بالصفة النظامية اذن أن الدولة هي المالك الحصري و القانوني لـ 'الحق' في استعمال العنف، فهي المقرر الوحيد الذي يحدد ماهية الهيئات التي لها الحق في استعمال العنف، و من ليس لهم الحق في ذلك. جوهر السمة النظامية هو امتلاك الحق في تسمية من لا يمتلكون هذا الحق؛ فالإرهابي هو من تمت تسميته كذلك من طرف هيئة نظامية. يعتبر الخبراء في مراكز التفكير جزءا من

المنظومة التي تقوم بتسمية الفعل الارهابي على أنه كذلك، فهم جزء لا يتجزأ من الوظيفة النظامية. وعليه تكون الخصائص الثابتة في السلوك الارهابي كالتالي :

- أنه قائم على نفي و نكران أنطولوجي لحق الدولة في احتكار العنف المشروع، فهو وسيلة إذن لكسر المنتظم السياسي الموجود و وسيلة لكسر القبول الموجود بين الأفراد و الدولة حول هذا الحق و الهدف منه هدف ميتا-سياسي لأنه يحاول استبدال النظام بقواعد سياسية بديلة.
- أنه سلوك تمت تسميته على أنه كذلك ((إرهاب) من طرف الدولة؛ فالإرهابي هو العدو الرسمي للدولة حيث لا يمكن التفاوض و لا التعاقد معه. تعتبر القدرة على التسمية و على تعيين سلوك عنف ما على أنه ارهابي أو لا امتيازاً حصرياً لسلطات الدولة. بالنسبة لهاته السلطات تكون هوية مرتكب الفعل أهم بكثير من الفعل في حد ذاته. بعبارة أخرى، سلطة تسمية الفعل الارهابي هي تسمية للصراع السياسي قبل كل شيء، حيث يسمح التعيين كعدو للسلطة السياسية بتبرير استعمال كل الوسائل الممكنة ضده.

رأينا إلى غاية الآن أن الارهاب هو صفة تفرضها السلطة النظامية على أولئك الذين لا يمتلكون حق الاستخدام المشروع للعنف، وأن هذا الامتياز إنما هو سلطة حقيقية في تسمية أشكال معينة من الصراعات السياسية على أنها كذلك، حيث يسمح التصنيف في فئة العدو للسلطة النظامية بتبرير استعمال كل الوسائل الممكنة ضد هذا العدو. لقد رأينا مثلاً أن الكثير من الدول تسمي جهودها ضد العدو الارهابي على أنها حرب، و أن بعض الدول أعطت بعداً كونياً لهذه الحرب، مثل الوم أ. في النهاية، الارهاب هو الشكل المتجدد للحرب بالنسبة لدول ضد أفراد أو جماعات او دول أخرى.

2.2. الارهاب عنف غير نظامي مرتبط بالمصالح الجيوسياسية للهيئات النظامية

إن ذلك الفصل الذي حددناه سابقاً بين العنف المشروع و العنف غير المشروع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور المصالح الجيوسياسية التي تحددها الهيئة النظامية (الدولة) والتي تعرف تغيرات مستمرة. قد يحصل و أن ينتقل الارهاب من الفئة غير النظامية إلى الفئة النظامية كما تتضمنه العبارة الشهيرة 'ارهابيو اليوم قد يصبحون مقاومين غدا (نموذج ياسر عرفات و منظمة التحرير الفلسطينية ؛ من منظمة ارهابية في السبعينيات و الثمانينيات إلى شريك في مسار السلام و العملية السياسية منذ أواسل 1993، و حت حائز على نوبل للسلام سنة 1994؟)، و العكس صحيح ؛ المقاومون اليوم هم ارهابيون غدا (نموذج المجاهدين في افغانستان ضد السوفييت في الثمانينيات ؛ من مقاومين إلى ارهابيين)، و كل

هذه العملية تخضع أصلا للحسابات الجيوسياسية التي تتكفل الهيئات النظامية بتحديددها وتعريفها. لا يعتبر مفهوم الارهاب إذن مفهوما بحثا بل إنه بناء construction ذو استخدامات سياسية¹.

على صعيد السياسة الدولية، يعتبر تحديد الخط الفاصل بين "الارهاب" و العنف السياسي الآخر الذي لا يندرج ضمن هذه التسمية أمرا مرتبطا جدا بالهدف منه، وهو ما يجعله غير واضح بل مهم و موضوع تضارب سياسي بين أطراف الصراع. فمثلا، يعتبر الكفاح من أجل التحرر من العلاقة الاستعمارية هدفا مقبولا لدى البعض لإخراج العنف الممارس باسم التحرر من فئة الارهاب، ولكنه في آن واحد يعتبر لدى الخصم أعمال عنف لضرب الاستقرار المؤسسي للدولة أو للوضع القائم. هكذا كان الحال مع الكفاح الجزائري من أجل الاستقلال من السيطرة الاستعمارية لفرنسا (1830-1962). انتهى هذا النوع من النزاعات الدولية باستقلال كثير من الدول و المعنى هنا هو أن القوى التي كانت تعتبر بالأمس إرهابية، أي غير نظامية أصبحت نظامية بل إنها أصبحت التجسيد المطلق للقاعدة القانونية. يجب أن نلاحظ إذن من خلال هذا المثال أن الارهاب باعتباره بناء (و ليس مفهوما) يتميز بطابعه المتطور évolutif باستمرار و أن خاصية هذا التطور هي أنه في لعبة السياسة الدولية يتضمن حركية الانتقال ذهابا وإيابا من اللانظامي إلى النظامي. من ناحية أخرى، تعتبر مسألة الدعم السياسي الذي توفره هيئة نظامية سمة مهمة في بناء هذه الحركية. فمثلا، لم تنتقل جهة التحرير الوطني الجزائرية من الوضع اللانظامي إلى الوضع النظامي إلا عن طريق الدعم السياسي لبعض الهيئات النظامية دولية مثل الو. م. أ. أو عن طريق الدعم المالي والعسكري لدول على رأسها مصر. وكذلك كان حال الدعم السوفييتي للحركات اليسارية في الكثير من دول أوروبا الشرقية و أمريكا اللاتينية (السلفادور مثلا)، و حال دعم الدول العربية لحركة فتح الفلسطينية. و أما مثال الوم أ. فيظل استثنائيا من خلال الدعم الذي تقدمه وكالة الاستخبارات المركزية للكثير من الكيانات في العالم خصوصا في قطاع المخدرات و ما يسمى بالثورات البرتقالية.

توضح هذه الحالات - و هي عديدة لا يسع المجال لذكرها - أن هناك ارتباط و طيد بين الهيئات النظامية (الدول) و الجماعات التي ينسب لها وصف الارهاب نظرا لأهمية الأخيرة في استكشاف أو إعادة استكشاف المصالح الجيوسياسية المختلفة للدول. حينما لا تمثل الجماعات

¹ Stéphane Moulain, éd., *Révolution, lutte armée et terrorisme*, Dissidences, v. 1 (Paris: Harmattan, 2005). P. 58.

الارهابية مصالح هذه الدول أو لا تناسب مصالحها فالعنف المرتكب يسمى إرهابا و العكس صحيح. تسمي اليوم (2023) الو. م. أ. مجموعة فاغنر الروسية Wagner بالجماعة الارهابية، بينما تعتبرها روسيا صراحة بأنها جزء من منظومتها العسكرية النظامية، في حين أن اسامة بن لادن كان رمزا من رموز الكفاح من أجل الحرية لدى الو. م. أ. زمن الحرب ضد السوفييت في افغانستان تحول فجأة إلى راية الارهاب الدولي. يتم تشكيل و بناء صورة الارهابي و مضامينها تبعا لاستخداماتها السياسية لتحقيق المصالح الجيوسياسية للدول، ويعتبر مداها الزمني قصيرا فعلا. تسمي الأدبيات مثل هذه العلاقة الوظيفية بين النظامي و الارهاب بمسميات مثل حرب بالوكالة *guerre par agents interposé* عن طريق استخدام الجماعات الارهابية كأدوات حرب. إنها استراتيجية من جيل جديد، حيث تعبر عن أساليب لتجنب الحرب التقليدية المعلنة، سواء كان ذلك بسبب المخاوف الموجودة من التكنولوجيات الحديثة جدا للحرب أو بسبب ضخامة التكاليف التي قد تتضمنها مثل هذه الحروب أو بسبب انعدام أو نقصان الموارد اللازمة لخوضها.

يستعمل الارهاب بالتالي كأداة من أدوات السياسة الخارجية، و له مزايا عدة ؛ ضعف كلفته و ضخامة عوائده (مكاسبه) السياسية في حالة النجاح و في حالة الفشل فهناك سهولة انكار بالنسبة للطرف الراعي أو الفاعل. إن عبارة الحرب الشاملة على الارهاب تعتبر بمثابة أداة شرعنة للكثير من السياسات التي نهجتها عديد القوي الدولية. الحرب الأمريكية في العراق سنة 2003 هي في حقيقة الأمر أداة لخدمة مصالح سياسية و اقتصادية في الشرق الأوسط. يصف والتر لاکور هذا الجانب بعبارة الارهاب المتعدد الدول حيث يعتبر كحرب بالنيابة بين الحكومات¹ *guerre subrogatoire entre gouvernements*.

3- من يكون خبير الارهاب ؟

نظرا للاعتبار الذي يؤكد أن الارهاب هو بناء و ليس مفهوما²، و أنه أداة للسياسة الخارجية للدولة، يمكننا أن نتعمق في الأدوار و الخصائص الرئيسية لأولئك الذين يساهمون في إنتاج هذا

¹ Walter Laqueur, *A History of Terrorism* (New Brunswick, N.J: Routledge, 2001). p. 7.

² كل مفهوم يعرف بخصائص رئيسية تتميز بالاستقرار فيسمى مفهوما لأنه يحافظ على خصائصه الجوهرية. فمثلا قولنا أن الانسان مفهوم يعني أنه فئة من الأفراد تشترك في خصائص ثابتة و مستقرة. من صفاته الرئيسية مثلا سماته البيولوجية و الفيزيولوجية المحسوسة (رجلين، يدين، عينين، شفيتين ..الخ) و العقلية و الاجتماعية. مجموعة هذه الخصائص يشترك فيها الافريقي و العربي و الأبيض و الأصفر و اللاتيني و و...الخ. لكن "الافريقي" مثلا، يعتبر مفهوما تحتيا عن الفئة الكبرى (الانسان) و يتميز بصفات (الزوجة،

البناء. ليست هذه الوظيفة حكرا على فاعل معين فقط دون آخرين مثل مهني القطاع الأمني أو الدفاعي في الدولة كما قد يتبادر إلى الأذهان. إن عملية إنتاج فهم عن الارهاب - باعتباره مشكلة سياسية تستدعي استجابة من طرف الهيئة النظامية عملية معقدة ومركبة- تتميز بما يلي :

- هناك تعدد في الرؤى وليس مفهوما واحدا نظرا لتعدد المتدخلين ؛
- تعدد المتدخلين لا يعني وجود علاقات تعاونية بالضرورة بل أن سمة التفاعل هي التنافس من أجل فرض تصور على حساب آخر؛
- هناك فهم مهيمن في لحظة تاريخية و سياق تاريخي معين و هو حوصلة لعلاقات القوة بين المتدخلين الذين يتفاوتون في مراكز قوتهم السياسية؛
- لا يعتبر الفهم المهيمن في لحظة ما أفضل تصور، بل إنه الفهم الأقوى تبعا لقوة الجماعة السياسية التي تمثله.
- يخفي الفهم المهيمن مصالح الجماعة الأقوى سياسيا و لا يعتبر بالضرورة أفضل الحلول للمشكلة.

عمليا، تترجم هذه القواعد على النحو التالي. لا يتم التعامل مع الارهاب كمشكلة من طرف المهنيين المكلفين بإدارة المشكلة الأمنية فقط، بل يتدخل في صياغة تصورات عنها فاعلون لا يقلون أهمية عنهم مثل الخبراء و الاعلاميين و الأكاديميين. يحتل خبراء مراكز التفكير مركزا محوريا في هذه العملية. فمثلا، يعتبر برنامج البحث حول الارهاب الذي أطلقته مؤسسة Rand في الوم أ. سنة 1972 أول برنامج بحثي رسمي على الاطلاق حول هذه المشكلة، حيث لا يوجد برنامج مماثل على مستوى الحقول الأخرى (الأكاديمي خصوصا) آنذاك. هذا السبق يظهر لنا محورية الدور الذي يلعبه حقل مراكز التفكير في بناء فهم عن مشكلة الارهاب، بل يوضح أنها صناعة بحثية أنتجتها مراكز التفكير. يلاحظ على التصورات التي أنتجتها مؤسسة راند بهذا الخصوص خلال السبعينيات - على سبيل المثال فقط - ما يلي :

- خضوعها الكبير للسياق الجيواستراتيجي للحرب الباردة ؛

شكل الانف، شكل الجمجمة...الخ) و بالصفات الثقافية أيضا. لا يمكن للإرهاب أن يكون مفهوما نظرا لغياب هذه الخصائص المستقرة والاجتماعية التي تجعله يحافظ على خصائص ثابتة، وهو بهذا الشكل بناء construction. الفكرة مقتبسة من الشرح الرائع الذي قدمته Madeleine Grawitz في كتابها "Méthodes des sciences Sociales". لتفصيل أكثر أنظر :

Madeleine Grawitz, *Méthodes des sciences sociales*, 11e édition (Paris: Dalloz, 2000). p.57.

- تعريف الارهاب الذي تقدمه مؤسسة راند يعكس صورة العدو السوفييتي،
- تعريف الارهاب " هو أداة للاتحاد السوفييتي من أجل دعم الحركات اليسارية"
- هو أداة للحرب قبل كل شيء.
- الارهاب كبناء هو طرح يتوافق و الادراك المهيمن عن العدو.

هذا الفهم السائد آنذاك هو في حقيقة الأمر انعكاس للتصورات التي يفرضها القطاع الأمني و الدفاعي الأمريكي الرسمي (البنتاغون). تعتبر دراسات راند إذن أدوات معرفية لدعم (مساندة) الرؤى الكبرى التي يفرضها الفاعلون المهيمنون على تسيير المشكلة (كتابة الدفاع). لا يمكن أن تخرج هذه التصورات عن إطار تحقيق المصالح المادية و غير المادية للفاعل الأقوى هنا (مؤسسات الدفاع و الأمن الأمريكية). من المهم جدا أن نلاحظ أن الدور الذي يقوم به الخبير هنا ينحصر في انتاج الدعم في قالبه المعرفي لصالح الخطاب المهيمن. نحن أمام وضعية محاولة انتاج اجماع معرفي و خطابي قبل كل شيء و الذي لا يمكن أن يتحقق سوى بانضمام الفاعلين الأقوى إليه، و القوة هنا يقصد بها قدرة الفاعل بموارده و رساميله على إضافة شرعية للخيارات و التصورات المطروحة.

يسمى مثل هؤلاء المتدخلين في رسم صورة العدو بمحددتي معالم العدو *les marqueurs d'ennemi* إذا استرجعنا الاستعارة التي يستخدمها بيار كونيسا¹ Pierre Conesa. يعتبر تحديد تعريف للإرهاب جزءا من هذه العملية المعقدة لرسم معالم العدو. علينا أن نلاحظ أن الاصطلاح الأمريكي المستخدم للتعبير عن هذه الفئة هو كلمة *strategists* (الاستراتيجيون). هؤلاء يضمون مجموع المؤسسات الرسمية و غير الرسمية المتخصصة التي يختلط بداخلها هيئات عسكرية، هيئات أمنية، هيئات الاستخبارات، هيئات إدارية (وزارات الخارجية مثلا)، و مراكز التفكير الذين يعتنون بدراسة العلاقة مع الآخر، بالإضافة إلى كل المتدخلين الذين يساهمون في بناء معالم العدو ؛ المفكرون، الجامعيون، الاعلام و الصحفيون، علماء الجغرافيا، المستكشفون...الخ². يطلق الأمريكيون صفة استراتيجي *strategist* على أولئك الذين تنحصر مهامهم الرسمية في توظيف خبرتهم *expertise* بغرض تعريف تهديد ما، تفسير و شرح أزمة ما، بناء خطاب ما و حتى تعيين العدو³.

¹ Pierre Conesa, « Sociologie de la production stratégique », *Revue internationale et stratégique* 82, n° 2 (2011): 87-96, <https://doi.org/10.3917/ris.082.0087>. p. 91.

² Ibid.

³ Ibid.

إن ديناميكية انتاج العدو من طرف الاستراتيجيين عرفت بدورها تغيرات جمة على الصعيد التاريخي وهي على الأقل ثلاث تغيرات كبرى. المحطة الأولى وهي التي صاحبت الامبرياليات الغربية الأولى مع حركة الاستعمار و ساهم كثير من الجامعيين (الجغرافيون و علماء الانثروبولوجيا خصوصا) والمفكرين في طرح أفكار إنثنية و عرقية لتبرير و شرعنة السياسات الاستعمارية. المحطة الثانية وهي فترة ما بين الحربين العالميتين و شهدت نشأة المؤسسات الأولى للتفكير الاستراتيجي، و كذلك أنظمة الاستعلامات الأولى التي كانت في البداية تحت الوصاية العسكرية ثم تحولت بعدها الى الوصاية السياسية-العسكرية في آن واحد. المحطة الثالثة، وهي الحالية و التي يعرف فيها التفكير الاستراتيجي تفتحا للقطاع العام على الخاص، ولكن مع استمرارية هيمنة التمويل الحكومي.

تقوم أنشطة الاستراتيجيين بوظائف ثلاثة رئيسية : (1) إصدار توصيف للتهديد، (2) تبرير سياسات الدفاع الموافقة لطبيعة التهديد من خلال استصدار ترتيب أولوي لها ، (3) شرعنة استعمال القوة أو السلوك الحربي للدولة. كل الأفكار الاستراتيجية التي تم انتاجها منذ بروز النظريات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية إلى اليوم تؤدي وظيفة من بين هاته الوظائف على الأقل، أو مجتمعة كلها. فضلا عن هذه الأهمية الأنطولوجية، فإن وظيفة الاستراتيجيين تزداد أهمية و جدوى قياسا بالنمو الديموغرافي للمؤسسات التي تنشط ضمن هذا الإطار. لقد تحولت إلى نظام ايدولوجي قوي¹ ، و إلى صناعة قوية جدا. أكدت دراسة للفورين بوليسي Foreign Policy صادرة سنة 2008 أن ال م أ. تستثمر خمس أضعاف فيما يسمى سوق الأفكار marketplace of ideas مقارنة بالأوروبيين (561 مليون دولار في أمريكا مقابل 112 مليون دولار في أوروبا)، كما أبرز التقرير الذي أجراه مركز السياسة الدولية Center for International Policy سنة 2020 أن 85 في المائة من مراكز التفكير الخمسين الأولى في الوم أ. تقبل التمويل من كتابة الدولة للدفاع و من الشركات الصناعية المتعاقدة معها². هذا ما لاحظته تماما بول ديكسون Paul Dickson - صاحب أول كتاب عن مراكز التفكير صادر سنة 1971-

¹ وصف ايدولوجيا هنا نقصد به مجموعة الأفكار المقبولة بشكل مسبق من طرف جماعة سياسية أو معرفية نظرا لهيمنتها و ليس لصحتها أو لسلامتها. مثلا يتم تفسير احتجاجات ذات طبيعة اجتماعية في العالم العربي بغياب الديمقراطية، بينما لا يتم تفسير احتجاجات السترات الصفراء بالمنظور المعياي الديمقراطي. مثال آخر : مقولة "الاسلام دين عنف" مقولة مقبولة داخل الحقل المعرفي الغربي و يتم استهلاكها و اعادة انتاجها باستمرار. حينما يتم اللجوء الى الأفكار الجاهزة نحن أمام طروحات ايدولوجية. سمة مراكز التفكير اليوم هي خضوعها للايدولوجيات المختلفة التي تهيك الحقل السياسي في مختلف الدول، كالمحافظين الجدد في الوم أ. و اليمين في أوروبا.

² Ben Freeman, « Defense Contractor Funded Think Tanks Dominate Ukraine Debate », Quincy Institute for Responsible Statecraft, 1 juin 2023, <https://quincyinst.org/report/defense-contractor-funded-think-tanks-dominate-ukraine-debate/>.

عندما يتحدث عن المركب العسكري الفكري تشبهاً بالعبارة الشهيرة عن المركب الصناعي العسكري، و هو توصيف للأدوار السلطوية التي يلعبها الخبير ضمن نظام صناعة القرار و تبريره على الصعيد الاعلامي و الجماهيري.

علينا أن نستخلص هنا أن خبراء الارهاب هم قبل كل شيء جزء من المنظومة التي تحدد هوية الآخر بصفته تهديداً و بصفته عدواً. تعتبر المساهمة في إصدار قرار الحرب و تبريره ضد هذا العدو أهم الأدوار التي يقوم به مركز التفكير على الإطلاق. إنه بهذا الشكل جزء من نسق عام يفرض مجموعة من الاكراهات التي تحدد نوع و شكل المضمون الذي سينتجه الخبير بخصوص مشكلة الارهاب باعتبارها مظهراً من عملية معقدة ؛ تعيين العدو و اعلان الحرب. يشير التقرير اعلاه أن ثلثي مراكز التفكير الأمريكية تتلقى أغلب التمويل الآتي من المتعاقدين مع وزارة الدفاع الأمريكية من شركات الصناعة الحربية بما فيها القطاع النووي¹.

¹ Ibid.

المبحث الثاني : أدوار خبراء مراكز التفكير : المقاربات النظرية لتفكيك الموضوع

عندما يتكلم خبراء مراكز التفكير عن الارهاب كظاهرة (و ليس كأحداث عنف متفرقة)¹ فإنهم ينتجون معارف خبرة (وهي مختلفة عن المعارف العلمية)، بغرض أن تكون قاعدة مؤسسة لعمل سياسي، أي محركه لاستجابات سياسية من طرف صناع الاستراتيجيات و صناع السياسات الأمنية و الدفاعية. لكن، رأينا أن عملية إنتاج المعارف عن مشكلة الارهاب لا تهيمن عليه حصرا مراكز التفكير بل هي وظيفة يؤديها فاعلون آخرون (مهنيو الأمن و الدفاع، الباحثون الأكاديميون، الاعلام...الخ)، و هذا مثير لكثير من التساؤلات : هل يتكلم الخبير في مركز التفكير عن الارهاب بنفس الكيفية التي يتكلم بها باحث في العلوم الاجتماعية أو إعلامي أو مهني في قطاع الأمن ؟ و ما هي استخدامات هذا المنتج المعرفي الخبير في حقل النقاش العام و السياسي ؟ خدمة لأغراض الاجابة عن مثل هذه التساؤلات سنحاول أن نحصر تحليلنا في مقاربات نظرية دون أخرى، و التي تتوافق مع التفكيك الذي نحسبه أكثر جدوى تفسيرية لموضوع الدراسة.

نحن ننطلق من فكرة مفادها أن خبير مركز التفكير عندما يتكلم عن مشكلة الارهاب فهو :

- فاعل منتج لمعارف عن المشكلة؛ إذن نحن أمام زاوية تحليل اعتنت بها كثيرا مقاربات سوسيولوجيا المعرفة، (المطلب 01 ، فرع 01)
- ينتج معارف (خبرة) لأغراض استراتيجية و ليس لأغراض ابستمية بحثية (علمية) بحكم المركز الذي يحتله في تفاعله مع الحقول المهمة بالخبرة التي يقترحها وهي الحقل السياسي، الحقل الأكاديمي و الحقل الاعلامي ؛ إذن نحن أمام زاوية تحليل تناولتها كثيرا سوسيولوجيا الحقل la sociologie du champ ؛ (المطلب 01، فرع 02)
- ينتج خبرة و معارف ذات خصوصية و هذه الخصوصية تتحدد بالإطار المؤسسي الذي يتم انتاجها فيه، بمعنى أن مركز التفكير هو إطار مؤسسي مُقَيَّد كثيرا لحرية التحليل و التفكير حول المشكلة، فمن الصعب جدا مثلا أن يناهض خبير في مركز تفكير أمريكي مقولة الاسلام دين عنف، بل هي فكرة مقبولة جدا و بشكل إجماعي consensuel في عالم مراكز التفكير، بينما يسهل نفي نفس المقولة داخل الحقل الأكاديمي ؛ بهذا الشكل نكون أمام زاوية تحليل

¹ يتميز الحدث بطابعه المعزول أو المستقل بينما تتميز الظاهرة بالطابع المتكرر و المستمر للحدث.

اعتنت المقاربات المؤسسية الجديدة néo-institutionnalisme -بفروعها المتعددة- كثيرا بتناولها. (المطلب 02)،

- ينتج خبرة بصفة تبعية للمؤسسة البحثية التي ينتمي إليها، و التي تحتاج لفهم نقدي نظرا لطبيعتها الايديولوجية ايضا ؛ إذن نحن أمام ضرورة تقديم قراءة نقدية حول طبيعة مراكز التفكير، وهو ما سنتعرض له من خلال إسقاط لطروحات أنطونيو غرامشي (مطلب 03).

المطلب الأول : مقاربات سوسيولوجيا المعرفة و سوسيولوجيا الحقل حول أدوار خبراء مراكز التفكير

إن موضوع دراستنا يقع بين ثلاث مدارس سوسيولوجية ؛ سوسيولوجيا المعرفة sociologie du savoir، سوسيولوجيا المهن sociologie professionnelle و سوسيولوجيا الحقل sociologie du champ. ما معنى هذا ؟ إن الخبير حينما يتكلم عن الارهاب فهو مُنتجٌ للمعرفة عن مشكلة ما (سوسيولوجيا المعرفة)، ولكنه ينتجها انطلاقا من مؤسسة – أي مقيدة بمجموعة قواعد و معايير – (المؤسسية institutionnalisme) فتعطي مجموعة الخصائص التي يكتسبها الخبراء صورة عن وجود حقل يسمى حقل الخبراء (سوسيولوجيا الحقل). فيما يلي سنحاول أن نفهم خصائص الأدوار التي يقوم بها خبراء مراكز التفكير من زاوية النظر التي تتأسس عليها المقاربات الثلاثة ولكن عبر إخضاعها للتساؤلات الابستمولوجية التي تفرضها العلوم السياسية ؛ أي التركيز على الرهانات السلطوية المختلفة التي يتضمنها التفاعل بن مختلف الفاعلين لإنتاج بناء معرفي معين حول مشكلة سوسيوسياسية، وكأن هذه المقاربات من وجهة النظر التي سنعتمدها ستعرض للتكيف الضروري الذي يفرضها البحث في حقل العلوم السياسية.

1- سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة لتحليل أدوار خبراء مراكز التفكير

سوسيولوجيا المعرفة هي مقارنة لفهم الخطاب قبل كل شيء، و تعنى بفهم الخطاب الذي ينتجه فاعل معين انطلاقا من التحليل السوسيوسياسي لكيفية البناء الخطابي للوقائع الاجتماعية وللمشكلات السياسية. يقصد بالتحليل السوسيوسياسي للخطاب أن هناك عناية بالغة بأدوار الفاعلين السياسيين في انتاج production و انتقال circulation و تحويل transformation

المعارف، و ذلك باستعمال أدوات التحليل الكيفية الرائجة في ميدان العلوم الاجتماعية عموما و في حقل علم اجتماع المعرفة خصوصا (الخرائط التأويلية schèmes interprétatifs، البنية الروائية structure narrative، الاستراتيجيات الحُجِّيَّة stratégies argumentatives)¹.

1.1- التحليل البنائي لأدوار خبراء الارهاب : صناع للتهديد

تعتبر سوسيولوجيا المعرفة مقارنة لدراسة الخطاب قبل كل شيء، و عند تطبيقها في ميدان العلوم السياسية يجب أن يوجه تفكيرنا نحو اعتبار أن هذا الخطاب الذي ينتجه فاعل معين يخفي و يتضمن رهانات سلطوية معينة و مصالح لأولئك الذين يحملونه أو يمثلونه. بعبارة أخرى، عندما يصدر خبراء مراكز التفكير في دولة معينة - ضمن عينة دراستنا - خطابا معيناً عن مشكلة الارهاب فإن البحث يستهدف الكشف عن هذه الرهانات السلطوية المحمولة فيه و لكن أيضا تلك الاستراتيجيات (الأدوات و الأساليب) المستخدمة للتعبير عنها. بموجب هذا الاعتبار فإن خبراء مراكز التفكير ليسوا مجرد منتجين صامتين أو حياديين للمعرفة بل فاعلون حقيقيون على قدر كبير من الأهمية في مسار تسييس politisation مشكلة الارهاب حتى تتحول إلى مشكلة عامة و سياسية تستدعي استجابة من طرف الدولة.

ضمن هذا الإطار ساهمت كثيرا مشاريع البحث في حقل السياسات العامة خصوصا بإثراء النقاش حول الأدوار التي يقوم بها هؤلاء الفاعلون غير المزودين بالصفة السلطوية او السياسية. لكن يجب أن ننوه كثيرا هنا الى أن مصدر هذه الاضافات في حقل العلوم السياسية هي السوسيولوجيا النقدية كما كرسها تقليد مدرسة شيغاغو école de Chicago خصوصا مع أعمال هوارد بيكر Howard Becker². تماثلا بالمفهوم الذي قدمه هذا الأخير عن مقاولي الأخلاق les entrepreneurs de la

¹ Reiner Keller, « The sociology of knowledge approach to discourse: An introduction », in *The Sociology of Knowledge Approach to Discourse* (Routledge, 2018). p.17.

² وهو يندرج ضمن المدرسة النقدية، و يعتبر عمله الحامل لعنوان The Outsiders (المهمشون) الصادر سنة 1963 (أول ترجمة فرنسية سنة 1972) أهم أعماله التي قلبت منهجية البحث في علم الاجتماع السائدة إلى غاية الستينيات من القرن الماضي. لقد أضاف هوارد بيكر منهجيا طريفا جديدا لتناول و دراسة المشكلات الاجتماعية، ليس من خلال البيانات المجموعة عن طريق المقابلات و الاستبيانات و لكن من خلال التفاعل المباشر مع الفاعلين بصفتهم منتجين للمشكلة الاجتماعية. لقد درس هذا الباحث مشكلة الانحراف la déviance ليس من خلال بيانات الشرطة او الصحة أو العدل أو التربية بل من خلال الاحتكاك المباشر مع منتجي المشكلة و أسس منهجيا لما يسمى اليوم بالملاحظة-المشاركة. تقوم منهجية الباحث في كتابه الشهير هذا على الاحتكاك بنوعين من المجتمعات و هم مجتمع مستهلكي الماريخوانا و مجتمع موسيقيي الجاز و كلاهما مجتمعين مهمشين في الوم أ خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية - و منه عنوان الكتاب the outsiders. حسب نتائج هوارد بيكر فإن استهلاك الماريخوانا حسب مجتمع المهمشين ليس سلوكا منحرفا، لأن القاعدة

morale، قدم باحثو العلوم السياسية مفاهيم مشابهة لعبارة بيكر Becker لوصف الأدوار السياسية التي يقوم بها مثل هؤلاء الفاعلين، ومنها خصوصا مفهوم صناع القضايا¹. (Les entrepreneurs de causes).

يتواجد مفهوم الخطاب إذن في قلب المقاربات البنائية constructivistes لفهم المشكلات السياسية. إذا كان الارهاب تهديدا فإنه غير موجود في حالته الطبيعية، أي كحدث عنف حسب الأنطولوجيا البنائية، و لكن العناصر الخطابية – أي ما يتم تداوله كمقولات - هي التي تجعل من الارهاب مشكلة سياسية – أو لا - بفعل التدخل السياسي والرمزي لمجموعة من الفاعلين في صناعته. تبدأ مشكلة الارهاب في الظهور سياسيا أو على مستوى النقاش العام انطلاقا من الجهود التي يقوم بها هؤلاء الخبراء (و آخرون) في انتاج القوالب الخطابية عن المشكلة، وهنا يلعب خبراء مراكز التفكير دور صناع للتهديد² (les entrepreneurs de menace). صناعة التهديد l'entreprenariat de la menace هي بالتالي تحويل لوقائع اجتماعية إلى مشكلة أمنية ذات رهانات سياسية تستدعي استجابة من طرف الدولة. تبعا لهذا فان صناعة الارهاب كتهديد من طرف خبراء مراكز التفكير هي تحويل لوقائع العنف الى مشكلة أمنية تستدعي صياغة استجابة من طرف الدولة. كل الجهود التي يقوم بها هؤلاء تتلخص

القانونية التي تجرم استهلاك الماريخوانا هي من جعلته كذلك و القاعدة وضعها "آخرون" لهم مصالح سلطوية في ذلك، وأن الفائدة من هذه القاعدة هي الآثار الناجمة عن مخالفتها و ليس ما سترتبه من نتائج لصالح المستهلكين، فهؤلاء هم آخر من فكر فهم واضعو القاعدة. يسمي هاوارد بيكر واضعي القواعد بمقاولي الأخلاق les entrepreneurs de la morale، و هو المفهوم الذي ستسترجه كثيرا البحوث في حقل السياسات العامة الأمريكية خصوصا. جزء من هذا التعليق نشترك فيه مع الأستاذ الفرنسي إيريك نوفو Erik Neveu، و هو واحد من أهم ناقلي البرنامج البحثي حول موضوع " المشكلات العامة Social problems " الى فرنسا من العالم الانجلوسكسوني الرائد في هذا المجال، و التي نجد بعضا من ملاحظاته في مقاله التالي :

Erik Neveu, « L'approche constructiviste des « problèmes publics ». Un aperçu des travaux anglo-saxons », *Études de communication, langages, information, médiations*, n° 22 (1 décembre 1999): 41-58, <https://doi.org/10.4000/edc.2342>.

النسخة الفرنسية لكتاب بيكر متاحة على قاعدة البيانات : cairn.info

Howard S. Becker, *Outsiders. Études de sociologie de la déviance*, Leçons De Choses (Paris: Éditions Métailié, 1985), <https://www.cairn.info/outsidere--9782864249184.htm>.

¹ Laurent Bonelli, « Entrepreneurs de cause et construction sociale des menaces », in *Menaces sociales et environnementales : repenser la société des risques*, éd. par Virginie Bonnot, Sabine Caillaud, et Ewa Drozda-Senkowska, Psychologies (Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2020), 43-55, <https://doi.org/10.4000/books.pur.141998>. p.45.

² Ibid. p. 47.

في ثلاثية فالستينر Felstiner الشهيرة (1980) Naming, Claiming and Blaming (التعريف، اللوم و المطالبة)¹.

من جهة أخرى، و نظرا للطبيعة البنائية للإرهاب كتهديد، فإن مسار صناعة التهديد ينطوي على عملية جد مهمة - في نظرنا - و هي أنه يتطلب توضيح للعناصر التي يُبْنَى ضدها التعريف السائد عن الإرهاب (الاسلام بقيمة الجهاد مثلا) خلال سياق زمني و جيواستراتيجي معين. تركز عملية صناعة التهديد على الخصائص التي ينبغي أن تُوْطَّر و تحدد ماهية و هوية العدو في آن واحد، فهي جهود ذات طبيعة عملية و ليست نظرية فحسب. بمعنى، إذا كان هناك ربط بين الارهاب و الاسلام كدين فإن عملية صناعة العدو لن تكتفي في منطق خبراء مركز التفكير بالقول أن الاسلام هو العدو لأن هذه العبارة ذات طبيعة نظرية مجردة و عامة، بينما الربط بين الاسلام و فكرة الجهاد مثلا، تسمح للمفكر الخبير بإجراء ربط بين الاسلام و بعض الجماعات (سوسيولوجيا) ذات المرجعية الدينية الاسلامية التي تقبل اللجوء الى العنف ضد الآخر. هذا الربط بين النظري و العملي هو ما يصنع الجدوى العملية للمقولات التي ينتجها الخبراء عن الارهاب في مراكز التفكير.

2.1- سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة خطابية

يقدم الخبراء في مراكز التفكير خطابا خبيرا عن الارهاب، فهم ينتجون مجموعة متنوعة من المعارف و يجمعونها علائقيا لطرحها في حقل النقاش العام و الحقل السياسي عن المشكلة. إنهم يطرحون أفكارا متنوعة قد تكون علمية، و قد تكون عامة، و أحيانا نجدها غامضة و أحيانا أخرى نجدها ايدولوجية بحتة. بحكم أنهم وكلاء منتجون لنوع مميز جدا من الخبرة فهم لا يقدمون هذه المعارف سوى وفقا لممارسات خطابية ممأسسة (انظر العنصر الخاص بالمؤسسية الخطابية)، أي أن عملية صناعة المعنى هاته تخضع للضوابط و المعايير التي تفرضها الممارسات السائدة داخل المؤسسة (مراكز التفكير). لا يقصد بالخطاب هنا ذلك المعنى البسيط الذي يشير الى استعمال اللغة و رموز الكلام مع الآخرين للاتصال أو للتفاعل معهم و لكن يقصد بالخطاب : تلك البنية الاتصالية

¹ سنعود بشكل جد مفصل لهذه الثلاثية في القسم المخصص لدراسة الأمبريقية، حيث سيكون الغرض هو الاستفسار بشكل عملي عن الكيفية التي يتم بها عرض مشكلة الارهاب في منطق خبراء مراكز التفكير و ذلك من خلال تحليل الوثائق التي ينتجها هؤلاء. تحليلنا اللاحق عن البنى الخطابية مستمد في الحقيقة من ثلاثية فالستينر هاته، و لكن بتكييفها مع ملاحظتنا الميدانية التي تظهرها وثائق الدراسة. للمزيد حول العبارة الثلاثية لفالستينر يرجى الرجوع الى :

باعتبارها أنماط تعبيرية عن نماذج معينة من الرموز و الدلالات السائدة داخل المؤسسات التي ينشأ بداخلها، كالمؤسسات الأكاديمية، مراكز التفكير، الايديولوجيات السياسية، نظم الاعتقاد الدينية...الخ. بعبارة أكثر تبسيطاً، الخطاب يشير هنا الى الكيفية التي يتم بها تداول مشكلة ما أو قضية أو مسألة ما.

هذا المعنى يقترب من الفهم الذي يقصده المفكر الألماني يورغن هابرماس Jürgen Habermas و يختلف بالتالي عن الفهم الذي قدمه ميشال فوكولت Michel Foucault. يشير مفهوم الخطاب عند هابرماس إلى التبادل المنظم للحجج (قريبة جداً من مفهوم التداولية *délibération*)، في تلك الوضعيات التنافسية و الصراعية، باستخدام منهجية صارمة بغرض تحقيق الاقناع بالحجة / بالفكرة العقلانية، و ذلك بهدف نهائي وحيد يتمثل في الوصول الى اجماع¹. بعبارة أخرى، يهتم تعريف هابرماس بظروف وسيرورة نقاش سياسي أو عام حل مسألة معينة ؛ ما هي الحجج المشكلة لهذا النقاش؟ كيف يتم استعمالها ؟ ما هي الوظائف التي تؤديها هذه الحجج؟ كيف تعكس هذه الحجج مصالح الفاعلين السياسيين الذين يمثلونها أو يحملونها؟ ما علاقات الهيمنة الموجودة بينهم ؟ كيف يمكن الكشف عن العلاقات السلطوية بين هؤلاء الفاعلين ؟ باستخدامنا لعبارة خطاب مراكز التفكير عن الارهاب فإننا نستلهم قبل كل شيء من المعنى الذي يريده هابرماس – وليس بمدلول فوكولت - لتفكيك النقاش السياسي عن هذه المشكلة. و كأن عملية تفكيك النقاش حول الارهاب يجب أن تتساءل عن الدور الذي تقوم به مراكز التفكير وفقاً للأسئلة التالية ؛

- ما هي الحجج التي يستعملها خبراء مراكز التفكير عن الارهاب ؟
- من يتكلم ؟ هل مراكز التفكير مستقلة ؟ مع العلاقات التي تربطهم بالمراكز السلطوية الأخرى؟
- ما هي استخدامات هذه الحجج ؟

بناء على هذا المعنى لمفهوم الخطاب، ماذا يقصد بعبارة تحليل الخطاب إذن ؟ إنها تشير عموماً الى مختلف المقاربات التي تعنى بتحليل كفيات سيرورة المحادثات كما تقوم به علوم اللسانيات. في موضعنا هذا، تستعمل العبارة للدلالة على كيفية سيرورة نقاش خاص بمشكلة محددة هي الارهاب داخل جماعة منتظمة هي خبراء مراكز التفكير. تحليل الخطاب كمقاربة يهتم بالإجابة على سؤال كيف

¹ André Jacob, « Jürgen Habermas, Théorie de l'agir communicationnel (1981). Tome I, Rationalité de l'agir et rationalisation de la société, Jean-Marc Ferry (Trad.) ; Tome II, Critique de la raison fonctionnaliste, Jean-Louis Schegel (Trad.), Paris, Fayard, 1987 », *L'Homme et la société* 85, n° 3 (1987): 189- 191.

ولا يهتم بالتساؤلات المتعلقة ب: المضمون (أي مما هو مضمون الحجج ؟)، ولا بالسياق الذي تتم فيه ولا بسؤال لماذا، فهي بالتالي مدخل للإجابة على الكيف فحسب. من خلال تحليل الخطاب سوف لن نتمكن سوى من معرفة : (1) من يتكلم ؟ (2) متى ؟ (3) كيف تنتظم مقولات الفاعل المنتج للخطاب ؟ سوف نحتاج إذن منهجية كيفية تكميلية لفهم السياق وأسباب انتاج المقولات بالكيفية التي تحصل بها. تعتبر إذن سوسيولوجيا المعرفة مقارنة موسعة لفهم ظروف انتاج خطاب محدد عن مشكلة الارهاب وليس مجرد مقارنة لتحليل الخطاب.

إنها تنطلق من اعتبار مهم جدا و هو أنه لا توجد طريقة أو كيفية واحدة للتعبير عن مشكلة الارهاب في عالم مراكز التفكير، بل هي متعددة بفعل الاختلافات الايديولوجية والقيمية الموجودة بين هذه المؤسسات. نظرا لتعدد ما يوجد بالمقابل – إذن - تنافس / صراع بين الخطابات (الروايات و المقولات) التي قد تنشأ بين دولة و دولة أخرى وحتى داخل الدولة الواحدة. ولكن، علينا أن ننتبه جدا لطبيعة هذا التنافس فهو شكلي جدا بخصوص المسائل المتعلقة بالتهديد الذي يواجه الدولة الواحدة. قد يظهر بعض التباين على مستوى الحلول المقترحة و كفاءات التعامل مع المشكلة، ولكن طبيعة التعريف الذي ينبغي صياغته حول طبيعة التهديد غالبا ما يكون قضية اجماع **consensus** من الصعب كسرها. ما تفسير عدم قدرة مراكز التفكير على كسر اجماع ما خصوصا على صعيد التهديدات الأمنية ؟

إذا اقتبسنا مفهومي الامتصاص **absorption** و المبالغة **le maximalisme** من سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية فستظهر لنا قدرة تفسيرية عالية جدا لفهم عالم مراكز التفكير. تم طرح هذين المفهومين من طرف كل من ايدلمان¹ Edelman (1971) و غامسون² Gamson (1975) لتحليل صعود و اندثار الحركات الاجتماعية. حتى تتمكن حركة اجتماعية معينة من الاستمرار و الحفاظ على وجودها **Survie** فإنها يجب أن تتجنب وضعيتين حرجيتين ؛ وضعية الامتصاص و حالة المطالب القصوى. تشير حالة الامتصاص الى عدم قدرة حركة اجتماعية على الاستمرار في الوجود بفعل امتصاص مطالبها من طرف كيانات أخرى (الدولة)، حيث تظهر مطالب الحركة الاجتماعية مماثلة و مطابقة لما تقترحه هذه الكيانات فتتعرض للامتصاص و الزوال التدريجي بفعل ذوبان مطالبها في هويات أقوى. و أما حالة المبالغة أو المطالب القصوى فهي تشير الى حالة ذوبان الحركة الاجتماعية في هوية أخرى عندما تدافع

¹ Edelman, *Politics as Symbolic Action; Mass Arousal and Quiescence*.

² Gamson, *The Strategy of Social Protest*.

عن خط ايديولوجي صارم و مكشوف و بشكل صريح فتفقد القدرة على اقناع الرأي العام نظرا لدفاعها عن مطالب تغيير جذرية أو مطالب متطرفة. تطبيقا لمفهومى ايدلمان و غامسون في موضوع مراكز التفكير، فإن مركز التفكير يعمل بالشكل الذي يسمح له بأن يحافظ على وجوده قبل كل شيء وذلك من خلال تجنب خطري الامتصاص و المبالغة أيضا. في طريقة عمل مراكز التفكير لا يجب على الأخيرة أن تدافع بشكل صريح عن المواقف الحكومية حتى لا تظهر كامتداد فكري لها، كما أن عليها أن لا تعارض بشكل مكشوف مواقف الحكومة حتى لا تظهر كامتداد لمعارضة ايديولوجية أو سياسية فتفقد قدرتها على الاقناع (أنظر الفصل الرابع من هذه الدراسة). نظرا لوجود هذه القيود على عملية انتاج الخطاب فإن أدوار مراكز التفكير لا يجب أن تفهم خارج هذا الإطار الذي يجعلها مجرد إعادة انتاج للإجماع، كما تسانده فكرة صناعة الاجماع عند تشومسكي وهيرمان.

بحكم مثل هذه الأبعاد الاستراتيجية في انتاج الخطاب يمكن الحديث عن وجود سياسات للمعرفة politics of knowledge تعتبر مراكز التفكير أهم مقوم فيها. تتركب هذه السياسة أولا من جهود توصيف حالة عنف ما أو مجموعة أحداث عنف على أنها إرهاب، و يكون لمهني القطاع الأمني الرسمي الدور الأهم على الاطلاق في هذا المستوى. تكون المحطة الثانية عبارة عن توصيف للجهة التي يوجه ضدها هذا الخطاب (الدين، دولة معينة، جماعة معينة، ايديولوجية معينة...الخ). و أما المركب الثالث و الأخير فيتعلق بتقديم الاستجابة الملائمة (حرب عسكرية، احتواء، تشريعات استثنائية ..الخ). هذه الثلاثية نقلت كيفية فهم الارهاب من النموذج الاستراتيجي strategic terrorism (اي الارهاب بصفته استراتيجية عمل في يد العدو) الذي ساد خلال فترة الحرب الباردة لحصر فكرة وهوية العدو في كيان سياسي هو الاتحاد السوفييتي، إلى نموذج الارهاب الهوياتي identity terrorism الذي حل محله بعد نهايتها¹، بغرض حصر هوية العدو في كيان حضاري هو العنصر الاسلامي المتطرف.

كيف حصل هذا الانتقال؟ بعبارة أخرى كيف تقدم الخطاب المعرفي- الخبير الذي يصنف العدو ضمن إطار الانتمائية إلى الآخر المختلف حضاريا و دينيا على حساب الخطاب المعرفي- الخبير الذي يفهم العدو ضمن استراتيجيات الحرب بين الدول (le terrorisme comme simple technique de guerre)؟ ما نريد قوله هنا هو أن هيمنة خطاب ما على حساب خطاب آخر، أي هيمنة تعريف ما على حساب تعريف آخر يفسر بالجدوى الاستراتيجية للفكرة المشكلة للخطاب و التي يحملها (يتبناها)

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p.56.

الفاعلون المهيمنون. في أرض الواقع، أصبحت فكرة الارهاب الهوياتي (أي هوية مرتكب الفعل متمثلة في الآخر المناهض لقيم الغرب) مهيمنة نظرا لرواج الأفكار البراديغمية التي حملها الجيل الجديد من الجيوسياسيين الأمريكيين المحسوبين على المدرسة الثقافية بعد نهاية الحرب الباردة و على رأسهم صمويل هنتيغتون بأفكار مثل : صدام الحضارات و دموية الحدود مع الاسلام والاسلام دين عنف. ليست هذه الأفكار قوية أو جيدة أو حتى صالحة بطبيعتها ولكنها تصبح كذلك بفعل قوة من يحملها و يمثلها. ما يؤكد ايلريش باك Ulrich Beck في كتابه عن مجتمع المخاطر (2008) في مقولة علاقات التعريف هي علاقات هيمنة¹ relations of definition as relations of domination يلخص لنا الفائدة من مقارنة معرفية لفهم الكيفية التي يتم بها بناء مشكلة الارهاب انطلاقا من مساءلة علاقات الهيمنة بين منتجي المعرفة. من ناحية ثانية، تكمن فائدة مقارنة سوسيولوجيا المعرفة في أنها تقترح تفسيرات للسياسات المنتهجة بخصوص مشكلة الارهاب انطلاقا من البنى الفكرية لها، اي الأفكار والخطابات و البراديغمات التي توجهها.

2.- خبراء مراكز التفكير عن الارهاب و تطبيقات نظرية الحقل Field theory

رأينا في العنصر السابق أن خبراء مراكز التفكير يقومون بإنتاج معارف عن موضوع الارهاب، وبالتالي فهم منتجون لخطاب معين عن المشكلة و لكن بآثار استراتيجية يتوقعون تحقيقها في حقل النقاش العام و في الحقل السياسي، و هي التساؤلات و الجوانب التي تهتم سوسيولوجيا المعرفة بتحليلها. من جهة أخرى، علينا أن نلاحظ أن عملية إنتاج المعارف الخبيرة عن موضوع الارهاب تتم ضمن إطار نشاط مهني ممأسس (هنا هي مراكز التفكير التي تحددها قبل كل شيء منظومة قواعد و معايير سنعرضها لاحقا) يؤدي لأغراض استراتيجية و هي بهذا النحو ذات مضامين و انعكاسات سياسية. ما هو الطريق الأنسب لفهم هذه الأدوار ؟ بعبارة أخرى، هل يمكن تحليل المعارف الخبيرة عن الارهاب بالانطلاق من كونها تخصصا أكاديميا، أم مهنة مشابهة لما يقوم به خبراء القضاء أو خبراء الطب و المهن الأخرى، أم كحقل فكري واضح الخصائص و المعالم كالحقل الاقتصادي ؟ أم أن لها مميزاتا و خصائصها الخاصة ؟ ما نحاول أن نقوله هنا هو أننا ننطلق من الاعتبار الذي مفاده أن إنتاج الخبرة عن الارهاب من داخل مؤسسات تسمى مراكز التفكير لا يمكن فهم طبيعتها من خلال التوافق مع هذا النوع من المفاهيم و المقاربات. إذا كان مفهوم المأسسة Institutionnalisation ومفهوم

¹ Ulrich Beck, « World at Risk: The New Task of Critical Theory », *Development and Society* 37 (1 juin 2008): 1-21. P. 1.

المهنة *professionnalisation* يصلحان لتحليل الفضاءات واضحة الحدود و العالم مثل تطور تخصص معين أو مهنة ما (الطب، الاقتصاد، الفيزياء... الخ) ، فإن ميدان دراسات الارهاب *terrorism studies* لا يمكن فهمه وفقا لهاتين المقاربتين لسببين على الأقل كما تؤكد ليزا ستامبينتسكي :

- غياب تعريف واضح للمشكلة التي تؤسس لهوية الميدان أي غموض موضوع الدراسة،
- غياب القدرة على التحكم في مسار الاعتراف من قبل النظراء لشرعنة الدخول والانضمام الى الميدان"، حيث أنه بإمكان من شاء أن يتطلع إلى مركز خبير ارهاب حتى بانعدام الكفاءة اللازمة للدخول الى الميدان¹.

على المقاربة الأمثل لفهم خصائص أدوار مراكز التفكير عن الارهاب أن تتوسع لتدرج الملاحظات التالية :

- أنها ظاهرة يتم انتاجها داخل مؤسسات ذات خصائص متميزة و فريدة ؛ فمراكز التفكير ليست بجامعة و لا مؤسسات بحثية خاضعة لمراقبة النظراء و ليست بمؤسسات اعلامية، بل مؤسسات ذات خصوصيات ذاتية.
- أنها مؤسسات هجينة في تركيبها السوسيولوجية ؛ ينظم اليها الأكاديمي و الصحفي و المهني المختص في قطاع ما و المتقاعد في مهنة ما أو حقل معرفي ما، كما أن منتوجها هجين أيضا من ناحية موقعها بين الحقول الأخرى الأكثر ثباتا فهو يستهدف العمل السياسي أساسا و الرأي في حقل النقاش العام ثانيا (وظيفة اتصال - سياسي).
- أنها ظاهرة يتم انتاجها داخل حدود الدولة الوطنية الواحدة و هي هنا تعبر عن وجود حقل وطني للخبرة عن الارهاب و لكن لا تحتكره مراكز التفكير لوحدها بل يشترك فيه ثلاثة حقول

¹ Richard Jackson, éd., *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*, Routledge (2016). Handbooks (London New York: Routledge, Taylor & Francis Group, 2016). P. 56. للدخول الى مهنة واضحة المعالم كالطب مثلا هناك ما يسمى في سوسيولوجيا المهن "بمسار المراقبة من طرف النظراء" *processus de certification par les pairs* و المعنى أن الدخول في جماعة الأطباء يتم بمراقبة من طرف الأطباء (توفر شهادة جامعية، وجود اعتماد للممارسة الطبية.. الخ). ميدان دراسات الارهاب يضم خبراء حقيقيون، مهنيون، علماء و أكاديميون، و صحفيون و خبراء — ذاتيون *des experts auto-proclamés*. يشير بياركونيسا Pierre Conesa الى هذا الواقع حسب الحالة الكندية، فعند حديثه مثلا عن واحد من أكبر و أشهر خبراء الارهاب في العالم الفرنكفوني و هو ايمانويل أدلر E. Adler، أنه "خبير يدرس الارهاب من مكتبه" و "أنه لم يسبق له أن أجرى دراسة ميدانية عن الارهاب" و "أن مصدره الوحيد هو الاستخبارات التي لا يمكن التأكد من صحة معلوماتها". أنظر: Pierre Conesa, « La fabrication de l'ennemi. Réflexions sur un processus stratégique », *Revue internationale et stratégique* 76, n° 4 (2009): 35-44, <https://doi.org/10.3917/ris.076.0035>.

كبرى : الدولة (مهنيو الأمن و النظام العام، الدفاع و الاستخبارات)، الحقل الأكاديمي و الحقل الاعلامي.

- أنها ظاهرة عابرة للأوطان، فهي لا تتشكل فقط داخل الأطر الوطنية للدولة بل تأخذ شكلها ومحتواها داخل شبكة عابرة للأوطان *réseau transnational*.

انطلاقا من هذه الاعتبارات، سنحاول فيما يلي فهم خصائص حقل خبراء الارهاب من خلال الأعمال التي اهتمت بتحليله من زاوية نظرية الحقل.

2-1. مفهوم الحقل و اسقاطه على موضوع مراكز التفكير

أصبح مفهوم الحقل واسع الانتشار مؤخرا في أدبيات العلوم الاجتماعية في أمريكا و في أوروبا لتحليل موضوع مراكز التفكير والخبراء على حد سواء. تمثل أعمال توماس ميدفيتز عن مراكز التفكير في الو. م. أ. (منذ 2007) و أعمال ليزا ستامبينتسكي في بريطانيا عن خبراء الارهاب (منذ 2008) أمثلة حية عن رواج مفهوم الحقل في فضاء البحث العلمي الغربي. هناك ثلاث فروع رئيسية لنظرية الحقل؛ اتجاه أول و هو الاتجاه المؤسس الذي يستلهم منه جميع الباحثين و هو سوسيو-نفساني يقوده الألماني كورث لوفين (1951) Kurt Lewin؛ اتجاه ثاني يركز على متغير الهيمنة و يقوده عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو (1966) Pierre Bourdieu؛ اتجاه ثالث و هو المؤسساتية المهمة بتحليل العلاقات بين المنظمات و ينسب الى دي ماجيو Paul DiMaggio و والتر باول Walter Powel¹. يعتبر الفهم الذي اقترحه بورديو أهم مساهمة على الإطلاق من حيث رواجها و من حيث إثارتها للنقاش؛ إنه فهم يعتبر كنظرية عامة *théorie générale*، و أن جل الأعمال البحثية بهذا الخصوص تستلهم بالضرورة من بورديو، الذي استلهم بدوره من كورث لوين، كما يشير إليه مارتن Martin، صاحب أهم المقالات تعليقاً على نظرية الحقل في العالم الانجلوسكسوني².

لقد طرح عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو Bourdieu مفهوم الحقل *le champ / the field* في مقال أول سنة 1966، و طوره بشكل أكثر دقة سنتي 1971-1972 لتجاوز النماذج التقزيمية التي تحصر المجتمع في وظيفة أو في بنية. يعرف بورديو الحقل بأنه فضاء مبني و مهيكّل بمراكز اجتماعية

¹ David L. Swartz, « Bourdieu's Concept of Field », 28 avril 2016, <https://doi.org/10.1093/obo/9780199756384-0164>.

² John Levi Martin, « What Is Field Theory? », *American Journal of Sociology* 109, n° 1 (2003): 1-49, <https://doi.org/10.1086/375201>.

(espace structuré de positions sociales)¹. بعبارة أخرى، يتشكل المجتمع من فضاءات نشاط متباينة بعضها عن بعض ولكنها مكونة من تفاعلات بين أعوان Agents (أفراد، جماعات و منظمات) يتنافسون بشكل مستمر من أجل التحكم في الموارد و الرساميل المادية منها و الرمزية. يُعرّف كل حقل بكيفية عمله المستقلة نسبياً و بخصوصية رأس المال الرئيسي الذي تدور حوله كل رهانات التنافس الحاصل بداخله. يُعرّف مثلاً الحقل الفني باستقلاليته النسبية و بخصوصية رأس المال الرئيسي بداخله (وهو العمل الفني من أجل الفن)، فالفن هو موضوع رهانات بين أعضاء الفن. يُعرّف حقل خبراء مراكز التفكير حول الارهاب باستقلاليته النسبية فكيفية عمله متميزة و متباينة عن الفضاءات الأخرى، كما أن هناك خصوصية للرأس المال (المعرفة الخبيرة un savoir expert) الذي يشكل جوهر التنافس بين المراكز التي تشكل الحقل.

كل الأفعال و الوظائف و الظواهر في المجتمع (سياسية، اقتصادية، فكرية، فنية...الخ) يجب أن تفهم انطلاقاً من :

[...] العلاقة الموجودة بين نسق الاستعدادات التي تحدده ظروف الوجود الاجتماعي و مسارات التنشئة عند كل فرد، من جهة، و بين حقول النشاط المستقلة نسبياً التي يمارس فيها نشاطه (الحقل السياسي، الحقل الاقتصادي، الحقل الفكري، الصحفي، الدبي...الخ)، من جهة أخرى. كل حقل يحدد فضاء للكفاح و النزاع بين جماعات و فاعلين غير متساوين في ملكية الموارد الشرعية داخل هذا الحقل. كل حقل يعرف بميكانيزمات تراكمية للرساميل (رأس مال اقتصادي، رأس مال سياسي، رأس مال ثقافي) و بأنماط معينة للهيمنة... التفاوت في توزيع الموارد و الرساميل اقتصادياً و ثقافياً هو ما يوضح لنا وجود استراتيجيات ينتهجها هؤلاء الفاعلون، و وجود كفاءات و أنماط لإدراك وضعياتهم المختلفة، و وجود منهجيات تسابق و اقضاء لطرف على حساب آخر².

يشير مفهوم الحقل الى ذلك الفضاء الذي يتم بداخله انتاج و انتقال و تبادل للمعارف، للخدمات و للمراكز. وهو بالتالي قائم على اعتبارين رئيسيين : الأول، و أن مسار المهنة هو حركية

¹ Patrick Champagne et Olivier Christin, « Champ », in *Pierre Bourdieu : Une initiation*, Hors collection (Lyon: Presses universitaires de Lyon, 2021), 147-83, <https://doi.org/10.4000/books.pul.5151>.

² Daniel Bensaid, « Pierre Bourdieu, l'intellectuel et le politique », 2012, <https://www.contretemps.eu/wp-content/uploads/Contretemps-04-81-86.pdf>.

لتشكيل حقل ما، فكلما تشكل حقل ما، زادت استقلاليته *autonomie*، و زادت مستويات المهنة *professionnalisation* بداخله. الثاني، وهو أنه حقل قوى وحقل تنافس *Lutte* بغرض تغيير علاقات القوى¹. عمليا، يمكن الحديث عن ظهور حقل يسمى حقل مراكز التفكير عندما يكتسب نوعا من الاستقلالية *autonomie* مقارنة بالحقول المشابهة وظيفيا (الاعلامي و الأكاديمي مثلا)، و هي الاستقلالية التي تسمح له بالتمايز عنها. عندما يكتسب الحقل هذه الميزة تزداد مستويات المهنة و المؤسسة الخاصة به لأنه ينتج القيود و القواعد و المعايير الخاصة به. ميدانيا، و في الوم أ. و هي دولة منشأ ظاهرة مراكز لتفكير، لا يمكن الحديث عن مراكز التفكير كحقل سوى اعتبارا من اللحظة التي اكتسبت فيها الظاهرة ميزة الاستقلالية مقارنة بالفضاءات الشبيهة لها وظيفيا، و هي فترة الستينيات بالتحديد، لأنها فترة النمو الديموغرافي الكبير لها و فترة تطوير الممارسات الخاصة بهذا العالم من التنظيمات، كما تؤكد أعمال توماس ميدفيتز *T. Medvetz*².

يعتبر كل حقل في نظر بورديو حقل صراع و تنافس من أجل الموارد و لذلك يصفه بأنه حقل قوى. منطق البحث عن الموارد و الرساميل و منطق تراكميتها هو الحركية الرئيسي لكل حقل. رؤوس الأموال أو الرساميل هي على أربع فئات كبرى ؛ رأس مال اقتصادي (المال و الثروة)، رأس مال اجتماعي (العلاقات و القدرة على الوصول الى المجتمع)، رأس مال ثقافي (العلم و الشهادات) و الرأس مال الرمزي (الصورة و السمعة و الجاه المترتب عن الرساميل السابقة). تتميز هذه الرساميل بطبيعتها التراكمية، و بطبيعتها الحركية، و بقابلية ترجمتها (تحويلها) الى رساميل أخرى³ (الانتقال من أكاديمي الى خبير أي تحويل رأس المال العلمي الى خبرة). حقل "الخبراء عن الارهاب" حسب هذا الفهم يعبر عن تنافس حاد من أجل الاعتراف بسلطة المعرفة الخبيرة *le savoir-expert* و هو عبارة عن رأس مال رمزي لا يمنحه سوى النظراء (الخبراء الآخرين) و لا يتم اكتسابه سوى عن طريق تراكم و تعبئة لرأسمال علمي أو لرأسمال مهني (خبرة مهنية). تؤكد فلسفة بورديو أن الرساميل في خاصيتها لا تكتسب بل تمنح من طرف الغير، أي أن مسار الحصول عليها يكون نتيجة لتوارث اجتماعي و ليس نتيجة للكفاءة و الاستحقاق. على هذا الأساس، يعتقد بورديو أيضا أن وظيفة الرساميل في المجتمع لا تكمن فحسب في تقسيم الفئات الاجتماعية الى فئتين (من يمتلكونها و من لا يمتلكون)، بل في تزويد اصحابها بسلطة و

¹ Ibid.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. pp. 56-59.

³ Olivier Meier, « Pierre Bourdieu et les formes du Capital », *RSE Magazine*, 2020.

هيمنة Un pouvoir de domination. من هنا تتشكل الحركية الرئيسية للحقل و هي التنافس من أجل تجميع الرساميل التي تزود الوكلاء بالشرعية و السلطة. عمليا، يزود مركز التفكير الخبير برأسمال رمزي (من خلال الصورة و السمعة التي يمتلكها المركز)، فتتراكم مجموعة من الرساميل لدى الخبير؛ رأسمال علمي، رأس مال خبرة مهنية، رأس مال رمزي، فيكتسب الأخير سلطة الكلام و الحديث عن الارهاب بل و قد يقدم على أنه أفضل خبير عن مشكلة الارهاب.

2.2. هل يمكن اعتبار خبراء الارهاب في مراكز التفكير كحقل ؟

و هذا استفهام عن مدى وجودي الحقل أصلا. للإجابة عنه ينبغي منطقيا التطرق الى مظاهر وجوده المادية، التركيبة السوسيولوجية له (أي ما بنيته و من هم أعضاؤه ؟)، و القوى التي تتحكم فيه. عندما يعرف بورديو مفهوم الحقل بأنه فضاء مهيكّل بمراكز اجتماعية و بأنه حقل قوى champ de forces فهو يثير عمليا هذا النوع من الأسئلة ؛ من هم المشكلون له و ما مراكزهم ؟ و ما هي القوى التي تتحكم فيه؟

من جانب وجوده الامبريقي، تؤكد ستامبنتسكي¹ أنه تمت دراسة الارهاب كموضوع للبحث من طرف الخبراء في الوم أ. قبل غيرهم من الأكاديميين و الصحفيين و لا غيرهم من منتجي المعرفة. بدأت هذه الحركية منذ سنوات السبعينيات من القرن الماضي، و هي حركية مصاحبة تماما لحركية توسع و تسارع انتشار ظاهرة مراكز التفكير كما يؤكد توماس ميدفيتز Medvetz². عرفت هذه الفترة نموا متزايدا على مستوى البرامج البحثية المخصصة لموضوع الارهاب، و حجم الموارد المالية المكرسة لها، و حجم الأعمال المنشورة و الحجم الديموغرافي للخبراء المهتمين بالموضوع، و هي مؤشرات كافية للحديث عن نشأة حقل دراسات الارهاب. أول برنامج بحثي رسمي تم إطلاقه على مستوى مركز تفكير و ليس على المستوى الجامعي و قد كان على مستوى معهد راند المقرب من الأوساط العسكرية الأمريكية سنة 1972 تحت اشراف واحد من أشهر الخبراء الأمريكيين اليوم وهو Brian Jenkins. أول مؤتمر رسمي عن الارهاب كان سنة 1972، و سيطر على المشاركين صنفين سوسيو - سياسيين هما خبراء مراكز تفكير و المسؤولين السياسيين الرسميين قبل غيرهم من الباحثين الأكاديميين و الصحفيين و

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*.. p.24

² Medvetz, *Think Tanks in America*.. p.113.

ذلك تحت رئاسة خير يسمي بن جامين نتنياهو Benjamin Netanyahu، سيصبح لاحقا رئيسا للوزراء لدولة الكيان الصهيوني.

تؤثر هذه التركيبة على الخصائص العامة للحقل، يُلاحظ أن مساري نشأة و تطور حقل دراسات الارهاب يقعان تحت سيطرة الخبراء قبل غيرهم و يتأثر بالسّمات الكبرى السائدة بداخله¹. يشير الى هذا الواقع كل من ايدنا فيرغسون رايد Edna Fergusson Reid و هيسين تشون شان Hsinchun Chen؛

[...] إن ميدان دراسات الارهاب يظهر وكأنه خاضع كثيرا لهيمنة لجماعة من الخبراء ، فهو و بالعودة الى مفهوم Derek de Solla Price يعتبر مدرسة خفية Collège Invisible ، و بتعبير ديان ستون Diane Stone هو عبارة عن جماعة ابستمية (معرفية) حقيقية؛ أي جماعة خبراء مختصين يمتلكون نظرة واحدة مشتركة عن العالم و علاقاته السببية المرتبطة بميدان الخبرة بل و يمتلكون نفس القيم السياسية بخصوص السياسات التي ينبغي تطبيقها [نهاية الاقتباس]².

بفعل هيمنة الخبراء على حقل دراسات الارهاب، فإن هذا الأخير يتميز بعدم قدرته على ضبط الحركة بداخله فالمتكلمون عن الارهاب (خبراء الارهاب) يصلون الى مركزهم من غير قيود، و ليس كما يحصل - مثلا - مع التخصصات العلمية المستقرة مؤسساتيا و تنظيميا مثل الاقتصاد أو علم الاجتماع أو القانون أو السياسة...الخ و التي تفرض قواعد للدخول اليها. نظرا لضعف القيود المؤطرة لما يسمي ب: حق الدخول الى عضوية حقل خبراء الارهاب فإن السمة الرئيسية له منذ النشأة و الى غاية اليوم هي أنه بإمكان أي كان من فضاءات ثلاثة كبرى أن يصبح خبيرا للإرهاب : فضاء مراكز التفكير، الفضاء الصحفي، فضاء الدولة ممثلا خصوصا في الممارسين السابقين من القطاع الأمني و العسكري. لكن، تؤكد ستامبينتسكي من خلال التحليل السوسيولوجي للحضور و المشاركة في أعمال أغلب

¹ Jackson, *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*. Op. cit. p. 58.

² Edna Reid et Hsinchun Chen, « Mapping the Contemporary Terrorism Research Domain: Researchers, Publications, and Institutions Analysis », in *Intelligence and Security Informatics*, éd. par Paul Kantor et al., Lecture Notes in Computer Science (Berlin, Heidelberg: Springer, 2005), 322 - 39, https://doi.org/10.1007/11427995_27. p.43.

المؤتمرات الدولية عن الارهاب أن فئة الأكاديميين أضعف تمثيلا مقارنة بالفئات الثلاثة السابقة¹. هذا معناه أن حقل خبراء الارهاب يتسم بتركيبته السوسيولوجية الهجينة ليس فقط بسبب مرونة شروط الدخول إليه و لكن أيضا بفعل الحتميات التي يفرضها التفاعل المباشر مع الحقول ؛ السياسي، الاعلامي و الاكاديمي. بعبارة أخرى، إنه حقل هجين من ناحية تركيبته السوسيولوجية ولكن أيضا من ناحية مركزه السلطوي الهجين الذي يقع بين الحقول الثلاثة الكبرى.

يتميز حقل خبراء الارهاب بمراكز التفكير بنفس هذه السمة، فهم يأتون من هذه الفضاءات الثلاثة. لكن، علينا أن نلاحظ أنه و بعد 09/11، و نظرا للاستقلالية النسبية التي اكتسبها موضوع الارهاب كتخصص (إذن بداية مسار مؤسسة)، فإن أعداد الأكاديميين ازدادت ديموغرافيا بشكل محسوس ضمن التشكيلة الهجينة للخبراء بمراكز التفكير². إذا كان حقل دراسات الارهاب العام قد تأثر كثيرا بهذا التطور (ظهور فضاء متخصص جدا يهتم فقط بدراسة مشكلة الارهاب يعد تطورا تاريخيا مهما جدا، لأنه اعتراف ضمني بأن الارهاب شكل مختلف عن اشكال العنف السياسي الأخرى ويحتاج لأدوات بحث مختلفة)، فإن المعنى الرئيسي الذي يهمننا هنا هو أن حقل مراكز التفكير اكتسب شرعية اضافية بصفته المنتج الأهم للخطاب عن الارهاب، بل إنه تحول الى خطاب مهيم. هذا الأخير لا ينافس سوى خطاب واحد و هو خطاب الزاوية الأكاديمية ضمن الحقل العام لدراسات الارهاب، لأنه تهيكل لاقتراح رؤية حيادية و موضوعية عن المشكلة أو نقدية ؛ ما يسميه جاكسون و النقديون بـ محاولات التطهير عن طريق نزع طابع التسييس عن التعريف³ dépolitisation de la définition.

يتميز حقل خبراء الارهاب في مراكز التفكير بوجود قوى مؤثرة فيه. يُلاحظ أن غياب هذه السلطة التنظيمية داخل حقل الخبراء - أي ضعف الرقابة الذاتية على المنتج المعرفي الخاص بهم - إلى خضوع محاولات تعريف مشكلة الارهاب للمتغيرات السياسية ما جعلها تعاريف مسيسة قبل كل شيء Politicized definitions، كما سبق أن أشرنا اليه أعلاه. هذا معناه أن خبراء الارهاب لا يتحكمون في مسار انتاج الخطاب عن المشكلة، بل إنهم مقيدون جدا بما تفرضه العلاقة التفاعلية مع الحقل السياسي (الدولة). كثيرة هي الأدلة التي تؤكد هذا الواقع ؛ فمثلا هناك غياب للكلام عن أشكال الارهاب غير المبرر الذي تمارسه الدولة الغربية Occidental State باسم المصالح الجيو استراتيجية لها

¹ Jackson, *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*.

² Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p.13.

³ Jackson, *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*. p.17.

(ضحيا 11 سبتمبر حوالي 3500 شخص و أما ضحايا الوم أ. في حروبها ضد الارهاب فيتجاوز عددهم 900 ألف)، كما تؤكد انتقادات جاكسون Jackson و غيره من انصار مدرسة الدراسات النقدية للإرهاب حول تغييب مسألة ارهاب الدولة عن النقاش¹. فمثلا، يذكر الباحث النيجيري Adekunle Oke من جامعة هوفارد Howard University بواشنطن أنه :

[...] بين سنتي 1968 و 1993 تمت كتابة حوالي 1677 كتابا عن موضوع الارهاب وفقا لمكتبة الكونغرس، و من بينها لا يوجد سوى 22 عنوانا يتعامل مع ارهاب الدولة أو مع الارهاب الذي تدعمه دول ما ... وأن ثلثي عناوين هذه الكتب تحمل عبارات متحيزة مثل الارهاب ضد الغرب، هجمات ضد الغرب؛ كيف يمكن للغرب أن ينتصر [نهاية الاقتباس]².

إذن، هناك هيمنة للخبراء على انتاج و انتقال الخطاب عن الارهاب داخل الحقل العام لدراسات الارهاب، و هي ميزة لهؤلاء من ناحية احتلالهم لموقع سلطوي مركزي في حقل النقاش العام حول المشكلة. ما هو مصدر هذه السلطة التي يتمتع بها هؤلاء؟ قدمت الاعمال البحثية عن الحقول غير التقليدية اجابات عن مثل هذا التساؤل، كما سنبينه فيما يأتي.

2.3. خبراء مراكز التفكير عن الارهاب كحقل سلطوي غير تقليدي

تطورت تطبيقات نظرية بورديو Bourdieu عن الحقل في السنوات الأخيرة في أمريكا الشمالية، أوروبا و آسيا لتتخلى تدريجيا عن دراسة الحقول الممأسسة و الواضحة الحدود متجهة نحو جيل آخر من الميادين التي تتسم بطابعها الهجين. يسمى هذا النوع من الدراسات بالحقول غير المنتظمة أو الهجينة Interstitiel field³، ويتناول ميادين تقييم السياسات العامة، انتاج المعارف داخل الفضاءات التي تتسم بوجود تقاطعات بين المتدخلين (مراكز التفكير)، و موضوع الارهاب. أظهرت هذه الدراسات وجود ميادين لإنتاج المعارف متسمة بعدم ثبات و عدم وضوح حدودها، و التي تجمع فاعلين و أفكار

¹ Ibid.

² Adekunle Oke, « State Terrorism: An Analysis of Third World Perspectives » (Washington, DC, Howard University, 1995), <https://www.proquest.com/openview/85cdde82c3a56231c63b4911bd83bb07/1?pq-origsite=gscholar&cbl=18750&diss=y>. 14-15.

³ من الصعب جدا اقتراح ترجمة دقيقة الى العربي لكلمة Interstitiel. هذا مصطلح بيولوجي قبل كل شيء و يشير الى مناطق التماس بين الخلايا و هي مناطق البلازما. اقتبس توماس ميدفيتز هذا المعنى من البيولوجيا لوصف مكان التقاء مجموعة من الحقول الاجتماعية. استعنا بالترجمات الفرنسية الموجودة لهذا المصطلح و هي كلمتي Irrégulier و Hybride لاقتراح ترجمة جيدة الى العربية. في هذه الدراسة تم اعتماد مصطلح الحقل الهجين لترجمة المعنى المحمول في كلمة Interstitiel.

وتقنيات و ممارسات تنتقل باستمرار بين عدة حقول. يركز مفهوم الحقل الهجين على افتراض رئيسي ذو جدوى تفسيرية عالية لموضوع دراستنا هذا و مفاده أن عدة حقول تتنافس فيما بينها لكي تتحكم في موضوع معرفي أو موضوع عملي¹. سنحاول أن نفهم ثم نسقط هذا الافتراض في النقطتين الآتيتين ؛ (1) شرح فهم ميدفيتز عن لحقل الهجين، (2) اسقاطه على موضوع خبراء الارهاب.

2-3. 1. مفهوم ثوماس ميدفيتز Thomas Medvetz عن الحقل الهجين

تعتبر دراسة ثوماس ميدفيتز Medvetz عن مراكز التفكير الأمريكية واحدة من أهم الدراسات التي استخدمت مفهوم الحقل الهجين لفهم و تحليل هذا الموضوع. يعتقد ميدفيتز أن مهمة تعريف مراكز التفكير تعتبر مهمة لا طائل من ورائها لأنها مؤسسات لا تشترك و لا تتقاسم خصائص و صفات مشتركة. يرى هذا الباحث أن مراكز التفكير يمكن التعرف على خصائصها انطلاقا من تلك الشبكة المعقدة من المؤسسات البحثية التي تحتل مركزا خصوصيا جدا بين فضاءات أربعة هي الحقل الأكاديمي، الحقل الاعلامي، الحقل السياسي و الحقل الاقتصادي². هذا الموضوع البيئي الذي يمثل نقطة تقاطع مجموعة من الفضاءات هو ما يسميه ميدفيتز بالمركز الهجين Interstitiel. هذا النوع من التعريف ينتمي الى الفئة العقلانية وليس الى فئة التعاريف المستندة على مجموعة مؤشرات منظماتية أو إجرائية. مثل هذا التعريف سمحت به منهجية قائمة على تحليل مسار التشكل التاريخي داخل السياق الأمريكي. من خلال شرحه لتاريخ مراكز التفكير في الوم أ. يعتبر ميدفيتز أن : نشأتها تعود لسنوات الستينيات و السبعينيات من القرن الماضي عندما استطاعت أن تشكل نفسها هذه المكانة الحالية عن طريق تطوير علاقات بينية و هرمية في آن واحد، و عن تطوير قواعد Règles و معايير Normes خاصة بها و بما تريد أن تحققه من أهداف و تطلعات³.

لقد أوضح ميدفيتز أيضا أن مراكز التفكير عندما تعمل من هذا المركز الهجين، فهي تتعامل مع موارد و الرساميل الموجودة في هذه الحقول الأربعة المجاورة. هذا يعني أن القرب من هذه الحقول الأربعة يخول موارد مالية و موارد رمزية (رأسمال رمزي بتعبير بورديو) لخبراء مراكز التفكير، و هو ما يؤكد أن حقل مراكز التفكير الأمريكية تطور في شكل حقل هجين، حيث يتشكل من خبراء يتحركون و ينتقلون باستمرار ما بين الحقل الجامعي و الحقل السياسي، و يخضعون للضغوط التي يفرضها كل

¹ Medvetz, « Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien ». 50.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 47.

³ Ibid.

فضاء، و يستهدفون تجميع رساميل من كل واحد منهما لكي يتمكنوا من انتاج معارف فعالة عن السياسات¹. تنبع سلطة خبراء مراكز التفكير من تراكمية هذه الرساميل التي تتجمع في النهاية في حقل مراكز التفكير، و هو الأمر الذي يعتبر تعديلا و تطورا لظاهرة السلطة في الو. م. أ. حسب توماس ميدفيتز، بل و في العالم أيضا بحكم توسع و امتداد حقل الخبراء الى أبعاد عابرة للأوطان.

تكمن الجدوى و الاضافة التفسيرية التي اقترحها ميدفيتز في انه لا يتعامل مع ظاهرة مراكز التفكير كواقعة فحسب بل باعتبارها مسارا يتعلق أساسا بتحويلات ظاهرة السلطة في أمريكا والعالم، فهي في جوهر الظاهرة السلطوية لأنها حقل عمل استراتيجي قائم على توظيف المعرفة الخبيرة لأغراض سياسية و خدمة للسياسات القائمة². مثل هذه النتيجة سمحت بها منهجية ميدفيتز التاريخية في قراءة تطور الظاهرة في أمريكا، و هي صالحة للتعميم على الصعيد الدولي أو العابر للأوطان أيضا ؛ أدى التوسع الديموغرافي لمراكز التفكير الى تشكيل شبكة تتميز بالتقارب و التماثل في الممارسات و الآراء. بعبارة أخرى، تمثل ظاهرة مراكز التفكير حقلا سلطويا وفقا لعبارة بورديو السابقة حقل قوَى أو ما يسميه مستخدمو نظرية النخب بالطبقة الحاكمة *Classe dirigeante*، أو الماركسيون مثل غرامشي بالطبقة المهيمنة. تقوم طروحات نظرية النخب على افتراض رئيسي مفاده أن مراكز التفكير يبرر وجودها بمشروع لتأسيس طبقة حاكمة موجهة نحو حماية الرأسمالية و مصالح هؤلاء النخب³. يمكن إذن فهم مراكز التفكير بصفتهما ديناميكية فكرية للنخب الصناعية، المالية و السياسية⁴، و هذا ما نريد توضيحه عند قولنا بأن خبراء مراكز التفكير يتواجدون في قلب الظاهرة السلطوية، دون أن يعني هذا أنها سلطة في حد ذاتها⁵.

¹ Medvetz, « Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien ». p. 50.

² Ibid.

³ Julien Landry, « Les think tanks, les sciences sociales et la généralisation du discours expert au Canada et aux États-Unis » (Montréal, Université du Québec, 2017), <https://core.ac.uk/download/pdf/143642834.pdf>. p. 15.

⁴ Ibid.

⁵ علينا أن نوه هنا أن طروحات نظرية النخب تلقت انتقادات كبرى خصوصا من أنصار التعددية مثل دال Robert Dahl و نيلسون بولسبي Nelson Polsby. هذا الأخير (1963) يرى أن مراكز التفكير لا تمثل "أوليغارشية خاضعة لمجموعة نخب" بل هم جزء "من نسق متعدد تكون فيه القرارات السياسية نتيجة لتقارب مصالح جماعات نافذة". مراكز التفكير على هذا الأساس لا تمثل "السلطة" بحد ذاتها بل "مؤثر سلطوي" يستمد موارده من العلاقات مع المراكز المالية و المراكز الأكاديمية. أنظر بشكل خاص رسالة الدكتوراه لـ جوليان لاندري : Julien Landry, « Les think tanks, les sciences sociales et la généralisation du discours expert au Canada et aux États-Unis » (Montréal, Université du Québec, 2017)

حتى وإن كانت نظرية النخب تركّز من خلال مفهوم الطبقة الحاكمة على العلاقات السلطوية فإن هذا الاعتبار لا يصمد كثيرا أمام الواقع الذي يظهره عالم مراكز التفكير. يخفي مفهوم الطبقة الحاكمة افتراض أن هذه الطبقة متجانسة و متعاونة بين أعضائها و هذا ليس صحيحا دوما لأن سمة عالم مراكز التفكير هي التنافس البيئي كما يوضحه الصراع الايديولوجي بينها (يمين - وسط - يسار). يسمح مفهوم الحقل بالكشف إذن عن العلاقات الأفقية المشكلة لحقل السلطة و ليس فقط العلاقات العمودية له على خلاف مفاهيم نظرية النخب. تكمن القدرة التفسيرية الأخرى التي يحوز عليها مفهوم الحقل في أنه يكشف عن المسار التراكمي للموارد السلطوية سواء كانت مادية أو رمزية وعن القيم التي توجهها، حيث أنه حقل تطور و تمت مساندته من طرف النخب الاقتصادية خصوصا لمنافسة و مقاومة الحقل الأكاديمي و الفكري، أي من أجل إبعاد و تهميش هذا الأخير، أو ما يسميه ميدفيتز بـ : مشروع ابعاد و تحييد الانتيليجانسيا الأمريكية¹.

قياسا على هذه الاعتبارات التي يقدمها مفهوم ميدفيتز عن الحقل الهجين، كيف نسقطه على موضوع خبراء الارهاب.

2.3.2. حقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب : حقل هجين و عابر للأوطان

تعتبر خبرة مراكز التفكير عن الارهاب هجينة Interstitielle، و ذلك بفعل أنها تُنتج في فضاء محدد و مستقل (شرطا تأسيس الحقل حسب بورديو)، و كنه فضاء متقاطع مع العديد من الحقول الأخرى. إن حقل خبراء الارهاب لا يجب أن يتقاطع أليا مع الحقول الأربعة الكلاسيكية عند توماس ميدفيتز بل إنه يتقاطع مع ثلاث حقول رئيسية كبرى ؛ الحقل الأكاديمي، الدولة (الحقل السياسي و الحقل العسكري-الأممي)، و الحقل الاعلامي. تم بناء هذه الرؤية على اعتبارين ؛ الأول، أن هذه الحقول الثلاث هي الحقول الرئيسية الكبرى التي تشترك و تتنافس في موضوع المعرفة / الخبرة (أي الارهاب) مع حقل الخبراء ؛ على الثاني، أن المنتج المعرفي الخبير لمراكز التفكير عن الارهاب موجه أساسا نحو هذه الحقول الثلاث، و خصوصا باتجاه الدولة. هذا الموقع الهجين الذي يحتله خبراء مراكز التفكير هو موقع سلطوي ؛ إنه موقع يزود الخبراء بالكثير من المزايا و الرساميل و الموارد التي تساعدهم على اقتراح أفكار و تحاليل ذات جدوى و أهمية بالنسبة للسياسة التي ينبغي قيادتها. إن مصدر التأثير

¹ Medvetz, « Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien ». 51.

والنفوذ الذي تتمتع به مراكز التفكير يُستَمَدُّ من هذا الموقع البيئي الهجين غير واضح المعالم¹. عندما نشير إلى أنه عالم غير واضح المعالم فإننا نقصد أن حدوده و تشكيلته مهمة لأنه يتضمن فاعلين خارجيين هم في الحقيقة دخلاء على الحقل لأنهم لا يملكون الشرعية الحقيقية لاكتساب الصفة تبعا للمسار الطبيعي لها، و أن استراتيجيتهم هي استخدام أفكار و تقنيات الخبراء الحقيقيين ليتبنوها بغرض النشر الموسع لها (نشر على مستوى الحقول الثلاث : وظيفة اتصالية بحثية)، لأنه بدون تدخل لخبراء مراكز التفكير سوف تظل أفكارهم حبيسة عندهم، سواء كانوا أكاديميين أو مهنيين في أجهزة الدولة.

من ناحية أخرى، يتميز هذا الحقل الهجين بخاصية مهمة أخرى هي أنه غير محدود بحدود الدولة-الوطنية الواحدة فهو عابر للأوطان Transnational، لأن انتاج المعارف عن الارهاب هو ظاهرة تتم على مستوى شبكة دولية موسعة سواء كانت تضم :

- أفرادا ؛ فهم متحركون باستمرار من دولة إلى أخرى،
- مؤسسات و هيئات ؛ فمراكز التفكير و غيرها من المؤسسات المختصة في دراسة الموضوع أخذت ابعادا عابرة للأوطان أيضا (مركز راند الأمريكي يضم ثلاث فروع دولية، مركز بروكينز الأمريكي يضم خمس فروع دولية)،
- مشاريع و ندوات ؛ و هي بطبيعتها دولية منذ أول مؤتمر دولي عن الارهاب سنة 1972.

هناك نقطة مشتركة مهمة للغاية بين مفهوم الحقل الهجين كما أوضحناه أعلاه و الحقل العابر للأوطان ؛ كلاهما مهم الحدود و كلاهما يتميز بغياب الاحتكار على عملية الاعتراف بصفة الخبير فلا وجود لهيئة أو لسلطة دولية تنظيمية لحق الدخول إلى الحقل²، بل و لا وجود لشروط مسبقة تحدد من هو الخبير المؤهل حقا للحديث عن مشكلة الارهاب. الأكثر من هذا هو أن حقل الخبرة داخل الحدود الوطنية لدولة ما غالبا ما يخضع لاعتبارات سيادية و تنظيمية تفرضها الدولة في حد ذاتها،

¹ هذا الاعتبار استقيناه من دراسة جيل آيال Gill Eyal وهو واحد من الباحثين المهتمين بدراسة الحقول المعرفية المختلفة عن طريق تطبيق نظرية الحقل الهجين. يعتقد هذا الأخير أن حقل خبراء الدراسات الشرق الأوسطية يخضع لسيطرة جهاز الاستخبارات الاسرائيلي و هو بهذا الشكل يستمد سلطته و نفوذه من هذا المركز الذي يحتله بالقرب من هيئة الاستخبارات. أنظر المقال المهم :

Gil Eyal, « Dangerous Liaisons between Military Intelligence and Middle Eastern Studies in Israel », *Theory and Society* 31, n° 5 (1 octobre 2002): 653-93,
<https://doi.org/10.1023/A:1021302211194>.

² Stampnitzky, « Disciplining an Unruly Field ». 13.

ولكن على الصعيد العابر للأوطان فإن هذا الاعتبار غائب تماما، و هو ما تسانده طروحات انطوان فوشيه Antoine Vauchez بخصوص ما يسميه الحقل الضعيف Weak field ، على شاكلة الحقل القانوني على مستوى الاتحاد الاوروبي حيث يصنفه كحقل ضعيف بسبب هشاشة امتداد سلطة الدولة الوطنية خارج حدودها¹، و ضعف تلك السلطة التي تفرضها مؤسسات الاتحاد الأوروبي على الدول القومية.

يتميز بالتالي حقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب بهذه الطبيعة المزدوجة (هجين و عابر للأوطان)، و هو هكذا يعرف تدفق مرن جدا (انتقال) و عابر للأوطان للأفكار والخبراء في آن واحد. إذا كانت الدراسات التقليدية التي اهتمت بخبراء الارهاب على الصعيد العابر للأوطان تناولت فئات تقليدية مثل الخبراء القانونيين أو الاقتصاديين – و هي فئات مستقرة مؤسسيا لأنها منظمة بقواعد ومعايير مستقرة نسبيا- فإن شكل الخبراء اليوم يتميز بغياب كل هذه الصفات. حسب ليزا ستامبنييتسكي فإن :

[...] خبراء الارهاب العابر للأوطان لم يستطيعوا التحكم في مسار انتاج المعرفة و الخبرة عن الموضوع ... بسبب وجود ظاهرة الخبراء الذاتيون *les experts auto-proclamés*، و بسبب غياب سلطة للاعتراف بالطابع الملائم للخبرة التي يتم انتاجها عن المشكلة، أو حتى بطابعه "المفيد *Utile*" ... و بسبب وجود الكثير من الطرق لاكتساب صفة خبير ارهاب... فمثلا صرح أحد الخبراء أنه تحول إلى خبير للارهاب لأنه أصبح يمضي وقتا طويلا في الحديث عنه².

من جهتها، أكدت أعمال إيدنا فرغيسون رايد³ Edna Ferguson Reid (1997) نفس الملاحظات ولكن بشكل آخر؛ فحقل خبراء الارهاب تطور حسب رايد في شكل مجموعة معارف غير متجانسة و غير

¹ Antoine Vauchez, « Interstitial Power in Fields of Limited Statehood: Introducing a "Weak Field" Approach to the Study of Transnational Settings », *International Political Sociology* 5, n° 3 (septembre 2011): 340-45, https://doi.org/10.1111/j.1749-5687.2011.00137_4.x.

² Stampnitzky, « Disciplining an Unruly Field », p. 11.

³ و هي صاحبة أول رسالة دكتوراه عن حقل خبراء الارهاب بعنوان "An analysis of terrorism literature: A bibliometric and content analysis study" و المقدمة بجامعة ميتشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1983 . يعتبر مقالها لسنة 1997 بالمجلة المحكمة *Information Processing & Management* واحدا من الأعمال التي لا يمكن الاستغناء عنها لفهم تطور حقل المعارف المنتجة في موضوع الارهاب. أنظر:

محددة المعالم بسبب العدد الكبير من الكُتَّاب و القليل من المختصين الحقيقيين في آن واحد. في حقيقة الأمر، يُفسَّرُ اكتظاظ عالم خبراء الارهاب بأشباه الخبراء - بعبارة ايدنا رايد - بغياب خبراء حقيقيون يراقبون حق الدخول و شرعية المعرفة المنتجة بخصوص مشكلة الارهاب ويقدرّون قيمتها التفسيرية. تؤكد ستامبنييتسكي أن هذه الخاصية ليست سمة لحقل الخبراء فحسب بل ميزة لحقل دراسات الارهاب ككل¹.

لكن، علينا ندقق كثيرا في مسألة الطابع العابر للأوطان لحقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب، فهذا الطابع لا يأتي مصدره من حركة وانتقال الخبراء من دولة الى دولة أخرى فحسب كما تؤكد القراءة السوسيولوجية للحقل، لأن جهود البحث داخل هذه المراكز :

- لم يسبق و أن أخذت صورة مشروع مشترك عابر للأوطان بينها،
- أنها لا تتمحور حول علاقة أو علاقات مع هيئة دولية مختصة، ولا مع دولة معينة،
- أنها لم تستطع أن تقترح تعريفا مشتركا للمشكلة، وهو نفس الفشل الذي اعترض الدول أيضا.

و عليه، فإن مشكلة الارهاب في حد ذاتها - بطابعها العابر للأوطان - هي الحركية أو الديناميكية الأولى التي يجب أن يسند إليها الطابع العابر للأوطان لهذا الحقل. إن نشأة الشبكة العابرة للأوطان والتي تضم خبراء مستقلين كانوا أو منضمين لمراكز تفكير أتت كديناميكية ثانية سمحت باكتساب الحقل لوجوده المادي (السوسيولوجي). تسمح هذه الشبكة بإنتاج و انتقال المقولات، و الروايات و الخطابات المهيمنة عن مشكلة الارهاب، و هي بهذا الشكل في قلب البنى الهيكلية للسياسات الجارية بهذا الخصوص.

المطلب الثاني : المؤسساتية الخطابية الجديدة لتفسير خبرة مراكز التفكير عن الارهاب

رأينا أعلاه أن المقاربات التي تستعمل مفهوم الحقل تسمح بالوقوف على خصائص نشاط انتاج الخبرة عن مشكلة الارهاب ورهاناته داخل فضاء تحكمه علاقات قوة معينة. كما رأينا أن حقل خبراء

Edna O. F. Reid, « Evolution of a Body of Knowledge: An Analysis of Terrorism Research », *Information Processing & Management* 33, n° 1 (1 janvier 1997): 91-106, [https://doi.org/10.1016/S0306-4573\(96\)00052-0](https://doi.org/10.1016/S0306-4573(96)00052-0).

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p.76.

مراكز التفكير حقل هجين و عابر للأوطان و لكنه قبل كل شيء حقل سلطوي بامتياز لأنه باحتلاله للموقع الهجين بالقرب من الحقل الأكاديمي، الحقل الاعلامي و الدولة فإنه يتواجد في نقطة استراتيجية تسمح له بتجميع الموارد و الرساميل الأساسية للهيمنة على مسارات انتاج و انتقال المعرفة بخصوص مشكلة الارهاب، و هذا امتياز تفسيري أتاحته قراءة توماس ميدفيتز لأدار مراكز التفكير.

لكن، علينا أن نهتم كثيرا بالاعتبار الذي مفاده أن هذه المعارف الخبيرة تُنتج داخل أطر مؤسسية قبل كل شيء و هي مراكز التفكير. بعبارة أخرى، إن هؤلاء الخبراء لا ينشطون في جو من الحرية المطلقة بل إنهم مجتمعون في بنى شكلية رسمية تسمى مراكز التفكير يخضعون بموجها لقواعدها، لمعاييرها و لقيمها. كل تحليل يهتم بهذه الجوانب يسمى تحليلا مؤسسيا Institutionnalisme، و يتساءل بالضرورة عن الظروف المؤسسية التي يتم بداخلها انتاج المعارف. في حالة الاهتمام بالجوانب المتعلقة بالأفكار و الخطاب نحن أمام اقتراب من جيل جديد يسمى بالمؤسسية الخطابية Néo-institutionnalisme discursif¹. ما المقصود بها و ما فائدتها التحليلية بالنسبة لموضوع دراستنا هذا ؟

1-1. المؤسساتية الخطابية الجديدة : دور الأفكار و الخطاب في تفسير السياسات

1.1.1. المسلمات الرئيسية للمؤسساتية الخطابية

هي مقارنة قائمة على محاولة تفسير خبرة مراكز التفكير انطلاقا من الأفكار و الخطاب المشكل لها. إن فهم نشاط و أدوار الخبراء من خلال الأفكار يقوم على تصور مزدوج للخطاب فهو من ناحية يهتم بتوضيح مضمون أو محتوى أو ماهية هذه الأفكار [أي ماذا يقول خبير الارهاب تحديدا؟]، و من ناحية ثانية يهتم بالخطاب باعتباره كيفية تفاعلية بين مراكز التفكير و الحقل السياسي و المجتمع [أي

¹ تعتبر المؤسساتية الخطابية جيلا جديدا – رابعا بالتحديد – بالنسبة لأنصارها، و هذا اتباعا للتقسيم الشهير المقترح من طرف بيتر هال و روزماري تايلور (Hall et Taylor) سنة 1997. حسب هال و تايلور، تنقسم المؤسساتية الى ثلاث مدارس كبرى : مؤسساتية الخيار العقلاني Institutionnalisme du choix rationnel، المؤسساتية التاريخية Historique، و المؤسساتية السوسيولوجية Sociologique. و لكن، مع مجيء ما سمي بالتحول الأفكاري في العلوم السياسية Le tournant idéal سنوات الثمانينيات في أمريكا الشمالية ثم التسعينيات في أوروبا، فقد قدمت الكثير من الأعمال التي حاولت أن تفهم مسار المؤسسة ككل عن طريق استفسار للبنى الفكرية لها. أنظر حول هذه المدارس: Peter A. Hall et Rosemary Taylor, « La science politique et les trois néo-institutionnalisations », *Revue française de science politique* 47, n° 3 (1997): 469-96, <https://doi.org/10.3406/rfsp.1997.395192>.

كيف يقوله للآخرين و ما حجه و ما استراتيجيته في التواصل مع هؤلاء؟، تماما كما يشير إليه تصور يورغن هابرماس المشار إليه أعلاه. تقوم المؤسساتية الخطابية على مُسَلِّمة كبرى ؛ أن الخطاب أو التفاعلات الخطابية محددة بالأنماط المؤسساتية الموجودة بداخلها¹، بمعنى أن ما يُقال من طرف الخبراء يتم قوله تحت شروط و ظروف تملئها و تفرضها البنى المؤسساتية التي تنتجها. هذا القول ذو فائدة تفسيرية عالية جدا ؛ إنه يقول لنا في موضوعنا أن خبير الارهاب يعمل تحت تأثير مجموعة من القيود التي تؤطر طبيعة المحتوى الذي يقوله و الكيفية التي يقوله بها في آن واحد.

تقوم الفلسفة المؤسساتية على نفي الحرية عن الوكيل و تزيد من ثقل الاكراهات المؤسساتية التي يُلزَمُ على الوكيل أن يتقيد بها. من أكبر الاتجاهات المؤسساتية التي تصف هذه الديناميكية، نظرية التبعية للمسار The Path Dependency²، التي تعتبر أن مسار الفعل للوكيل داخل الفضاء المؤسسي الذي ينتهي إليه محدد و مرسوم مسبقا، و لا يكمن دور الوكيل إذن سوى في إعادة انتاج ما هو موجود. تلخص فيفيان شميدث الخلفية الفلسفية للمؤسساتية الخطابية :

[...] تتعامل المؤسساتية الخطابية مع المؤسسات على أنها معطاة، أي كهيكل تمثل السياق الذي يتصور فيه الوكلاء الظواهر ويتحدثون عنها ويتصرفون بشأنها، و على أنها متغيرة، أي كنتائج لأفكار الوكلاء وكلماتهم وأفعالهم. كموضوع للتفسير، تعتبر هذه المؤسسات داخلية بالنسبة للوكلاء فضلا عن كونها خارجية، حيث تكون هياكل للتفكير والقول والعمل فهي تقيد الوكلاء، وكذلك بنيات (للتفكير والقول والعمل) يتم إنشاؤها وتغييرها من قبل أولئك الوكلاء. ونتيجة لذلك، يمكن رؤية العمل في المؤسسات - فضلا عن كونه نتيجة لحساب واعٍ من الوكلاء أو تبعية للمسار أو اتباع قواعد مناسبة للمعايير- بشكل أفضل إذا تمت رؤيته كعملية يقوم من خلالها الوكلاء بخلق المؤسسات والحفاظ عليها من خلال استخدام ما نسميه القدرات الفكرية الخلفية والتي تعزز من قدرة الوكلاء على التصرف في سياق أفكار محدد ... ولكن هذا لا يتوقف هنا، لأن مثل هذا العمل المؤسسي يمكن أيضا أن يعتمد على ما نسميه القدرات الخطابية الأمامية والتي من خلالها يمكن

¹ Vivien Schmidt, « Discursive Institutionalism: The Explanatory Power of Ideas and Discourse », SSRN Scholarly Paper (Rochester, NY, 10 juin 2008), <https://papers.ssrn.com/abstract=1141448>.

² Bruno Palier, « Path dependence (dépendance au chemin emprunté) », in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 4e éd., Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2014), 411 - 19, <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0411>.

للكلاء تغيير (أو الحفاظ على) مؤسساتهم ... هذا يمثل منطق الاتصال الذي يكمن في أساس قدرة الوكلاء على التفكير والتحدث والعمل خارج مؤسساتهم حتى وإن كانوا داخلها، مما يمكنهم من التداول حول القواعد المؤسسية حتى وإن استخدموها، وإقناع بعضهم البعض بتغيير تلك المؤسسات أو الاحتفاظ بها¹.

يلخص هذا الاقتباس المسلمات الكبرى للمؤسسية الخطابية :

- المؤسسات هي السياق الذي يتم فيه إنتاج الأفكار والخطاب عن الظواهر؛
- المؤسسات هي نتاج أفكار و خطاب و أفعال أعضائها،
- البيئة الداخلية للمؤسسة هي بيئة اكرابية للوكيل حيث تعتبر كخلفية أفكار بالنسبة له تقيد قدراته على القول و التصرف،
- البيئة الخارجية للمؤسسة هو ميدان الاتصال الخاص بها و يتميز أيضا باستخدام الوكيل للأفكار و الخطاب و الأفعال من أجل الحفاظ (أو تغيير) المؤسسة؛
- مسألة البقاء و الحفاظ على الوجود المؤسسي جوهري في التفكير المؤسسي، فسلوك الوكيل موجه دوما لخدمة هذا الهدف.

1-2. أنواع الأفكار ومستوياتها عند المؤسساتيين الخطابين

تعتبر الأفكار و الخطاب ذات أهمية تفسيرية بالغة لأنها أداة بناء و إعادة بناء المصالح و القيم بالنسبة للفئات السياسية و السوسيولوجية المختلفة، كما أنها أداة رئيسية في ديناميكية الاقتناع من أجل شرعية *Légitimation* السياسات اللازم اتباعها خصوصا في ظل الطلب و البحث المتزايد للجماهير عن الاقتناع بما تفعله النخب سياسيا. إذن، تعطي المؤسساتية الخطابية اهتماما بالغا لشقين اثنين : أهمية الأفكار و الخطاب في تكوين السياسات مع ما يتضمنه هذا من وظائف (و هنا تحدثنا عن وظيفتين إحداهما اتصالية و الأخرى وظيفة شرعية)، و الشق الثاني مؤسسي حيث يهتم بكيفيات التركيب المؤسساتية المحددة لطرق تشكيل و بناء المعنى و ايصاله من طرف الفاعلين².

¹ Schmidt, « Discursive Institutionalism ». p. 314.

² Schmidt et Crespy, « Néo-institutionnalisme discursif ». p. 349.

على هذا النحو، تصنف المؤسساتية الخطابية أنواع الأفكار في المجال السياسي الى فئتين اثنتين؛ الأولى ، أفكار إدراكية Cognitives و تتأسس في الغالب على خبرة مختصة في مجال معين، و غالبا ما يتم تبريرها وفقا لمصالح المتدخلين، و من أهم الأعمال حول هذا الصنف أعمال بيتر هاس (1992)¹. لقد سميت بالإدراكية لأنها أفكار تتحول فجأة إلى طريقة وحيدة و متفردة لرؤية و تحليل العالم ومشكلاته، كأن يلجأ الواحد منا مثلا الى متغير التطرف الديني لإعطاء تفسير تلقائي لأي عمل عنف يدرج ضمن خانة الإرهاب. الثانية ؛ أفكار معيارية Normatives و يتم تبريرها بمنظومة قيم تتناسب مع ثقافة سياسية معينة كما أشارت إليه أعمال توماس ريس (2001) Risse²، فأفكار حقوق الانسان عنده تمثل أفكارا معيارية تتماشى مع المثالية الديمقراطية، و فكرة صدام الحضارات هي فكرة جيواستراتيجية معيارية ديمقراطية.

من جهة أخرى، يمكن تصنيف الأفكار حسب مستوى التعميم الذي تتمتع به الى ثلاث فئات حسب ساباتييه (1998) Sabatier ؛ (1) مستوى ابتدائي أو أدنى و يتضمن أفكار مرتبطة بحقل السياسات العامة (أي أفكار سياسات عامة)؛ (2) مستوى وسطي وهي أفكار برامجية و براديغمية سياسية، و يستهدف جل ميادين التدخل في السياسات العامة ؛ و (3) مستوى أعلى، و يحتوي على أفكار و قيم فلسفية أساسية³، كتلك المبادئ الموجهة للبرالية مثلا.

يعتبر مستوى السياسات الأول المستوى الأدنى للأفكار و يتميز بطابعه السببي لأنه يربط بين مشكلة السياسة و الحلول المقترحة لها فهي بمثابة توجيهات للعمل السياسي. يعتبر المستوى الثاني مستوى وسطي في تراتب انواع الأفكار السياسية هرميا، و يتضمن تلك الخلفيات البرامجية و الإدراكية (مثل مقولة حرية السوق، أو مقولة سببية العنف هي الدين...الخ) التي توجه المستوى الأول من الأفكار. هذا النوع الثاني ذو أهمية بالغة سياسيا لأنه الأساس الذي تبنى عليه السياسات و الموجه الرئيسي الذي يوضح أهدافها، بل إن هذه الأفكار تعتبر نقطة التنسيق و الارتباط التي تلتقي فيها جميع العضويات المشكلة للشبكة السياسية (سياسيين، خبراء مراكز تفكير، إعلام، اقتصاديون، نقابات...الخ). مثل هذه الأفكار تحظى بمؤسسات تضع القواعد الرئيسية لها و تهتم بالمحافظة على

¹ Peter M. Haas, « Epistemic Communities and International Policy Coordination », *International Organization* 46, n° 1 (1992): 1-35.

² Thomas Risse, éd., *The Power of Human Rights: International Norms and Domestic Change*, 8. print, Cambridge Studies in International Relations 66 (Cambridge: Cambridge Univ. Press, 2008).

³ Schmidt et Crespy, « Néo-institutionnalisme discursif ». p.353.

استمراريتها و جدواها السياسية (مؤسسات جامعية للتدريس و البحث، مراكز تفكير، مجالس على مستوى الحكومات مثل المجلس الأعلى للأمن، مجلس للمنافسة ..الخ). و يعتبر المستوى الثالث أسمى هذه الأنواع الثلاثة لأنه يضم الفلسفة السياسية العامة و هي بمثابة رؤى للعالم تتواجد على المستوى الأساسي والقاعدي، فهو الأصل الذي يتحكم في توجيه السياسات و البرامج كلها. هذه الأفكار هي في الحقيقة مسلمات يصعب كسرها لأنها تمس بالقيم الرئيسية و بالمواقف العامة التي تشترك فيها الجماعة و هي بالتالي الميزان الذي تقاس به مدى ملائمة السلوكيات للهوية الجماعية. ميزتها أيضا أنها غير قابلة للتغيير تقريبا. يسمى كامبل Campbell هذا الصنف من الأفكار بالبراديغمات الإدراكية paradigmes cognitives و يؤكد أنها مسلمات تحدد علاقة العلة بالمعلول و أنها تحدد من حجم الخيارات المتاحة أمام الفاعلين¹، فهي بحق نسق إعدادي للتفكير حول أي وضع أو أية مشكلة و يعمل كخارطة طريق ذهنية موضحة مسبقا. ضمن هذا النوع من المستويات يتشكل اجماع سياسي ما و في حالة نشوء احتجاج ما ضده فإن الوضع يعبر عن أزمة، قد تفضي الى تغيرات جذرية.

1-3. خطاب التنسيق و خطاب التواصل عند المؤسساتيين الخطابيين

أظهرت الدراسات المهمة بالأفكار المتحكمة في السياسات المختلفة وجود نوعين من الخطابات، أو نوعين من الوظائف التي تؤديها الخطابات وفقا للاعتبارات المؤسساتية السابقة ؛ خطاب التنسيق و خطاب التواصل discours de coordination et discours de communication و قد قدمت هذا التصنيف فيفيان شميدت Schmidt (2008)².

يتم انتاج الخطاب التنسيقي Discours de coordination من طرف أنواع عدة من الشبكات السياسية منها ؛

- ما يسميه بيتر هاس (1992) الجماعة المعرفية Communauté épistémique، و هي مجموعة أفراد يشتركون في نفس الأفكار الإدراكية و المعارف و يوظفونها في المجال السياسي³، أو

¹ John L. Campbell, « Ideas, Politics, and Public Policy », *Annual Review of Sociology* 2 (2002): 21-38. p. 29.

² Schmidt, « Discursive Institutionalism ». p.317.

³ Haas, « Introduction ». p. 1.

- تحالفات نضالية Advocacy coalitions وهو مفهوم طرحه كل من Finnemore et Sikkink سنة 1998، والذي يقصد به تجمع لخبراء ونخب يتمتعون بالقدرة على الوصول الى النظام السياسي، و يضم مجموعة من الخبراء المناضلين من أجل قضايا واضحة¹ (مسألة المناخ مثلا، مسألة الجندر،...الخ)؛ أو

- الوسطاء Les médiateurs² بتعبير الفرنسيين برينو جوبار و بيار مولر Bruno Joubert et Pierre Muller، أو المقاولون les entrepreneurs بتعبير هوارد بيكر Howard Becker، الذين ينتجون خطابات خاصة في فضاءات خاصة و يقومون بنقل تصوراتهم بل و فرضها لتكون مرجعية للعمل السياسي.

يؤدي الخطاب الذي تنتجه مراكز التفكير أو غيرهم من الوسطاء وظيفة تنسيقية فهو أداة انتقال و التقاء النخب في تصوراتهم حول مشكلة ما و الحلول الممكنة لها. يؤدي الانضمام الى الفكرة الى تشكيل هذه الأنواع المختلفة من الشبكات السياسية و توسعها، فتشكل ما يمكن تسميته بالإجماع Consensus. تعمل الأفكار التنسيقية كمصفاة تحد من حجم الخيارات المتاحة أما أعضاء الشبكة، فخبير الارهاب في مركز التفكير لا يتمتع بالكثير من الحرية في اعداد تصوره عن المشكلة و عن حلولها بل هو أمام مجموعة ضيقة من الخيارات عليه أن يتوافق مع البعض منها. تتدخل الوظيفة التنسيقية للخطاب عادة في بداية المسار السياسي، لأنها تستهدف الوصول الى هذا الاجماع.

و أما خطاب الاتصال discours de communication، فيشير الى البحث المستمر للشبكات السياسية المختلفة عن شرعنة بعض القرارات السياسية في أعين المواطنين – الناخبين³. بهذا المعنى، تصبح المؤسساتية الخطابية شبيهة جدا ببعض الفروع المهمة بدراسة الحركات الاجتماعية ومن ناحية استراتيجيات التعبئة، أو الفرص السياسية، أو دور الأطر المعرفية و القيمية و دورها في تفسير أسباب و آثار الاحتجاجات داخل الفضاء السياسي. استعمال الخطاب بطريقة استراتيجية معينة سمح للكثير من الباحثين بالوقوف على نجاعة توظيف الخطاب و حججه المختلفة لتحقيق نجاحات

¹ Paul A. Sabatier, « Advocacy Coalition Framework (ACF) », in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 4e éd., Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2014), 49-57, <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0049>.

² Pierre Muller, *Les politiques publiques*, vol. 8e éd., Que sais-je ? (Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2009), <https://www.cairn.info/les-politiques-publiques--9782130575924.htm>.

³ Schmidt, « Discursive Institutionalism ». p.317.

سياسية. فضلا عن وظيفة الشرعية توجد وظيفة أخرى للخطاب تتعلق بتفسير ظواهر المقاومة لبعض التوجهات السياسية. يقصد بمفهوم المقاومة هنا "أن الفاعل مُرشدٌ و مُوجَّهٌ غالبا بما تسميه شميث ب : خلفية الاستعدادات الفكرية (prédispositions idéelles – background ideational abilities)، وهو المفهوم المسترجع من صاحبه John Searle، التي تغذي ديناميكية العطالة المؤسساتية (الركود) و إعادة الانتاج Reproduction. حتى وإن كانت الوظيفة الاتصالية للخطاب قائمة على إعادة انتاج ما هو موجود بتعبير بورديو، فإن هذا لا يعني الغياب التام لهامش من الحرية الاستراتيجية للفاعلين حسب طروحات المؤسستيين، وهو ما يشير اليه مفهوم شميث في الاقتباس السابق حينما تتكلم عن وجود المقدرات الخطابية الأمامية foreground discursive abilities، أي قدرة الفاعل على استخدام مهاراته التواصلية بغرض التمكين للحجة و الاقناع لإصدار أحكام تسمح بقبول أو رفض سياسات معينة، و هو المعنى الذي يريده يورغن هابرماس عبر مفهومه عن الفعل الاتصالي L'agir communicationnel و عن التداولية Délibération.

من ناحية أخرى، بما أننا نعتبر أن خبرة مراكز التفكير عن الارهاب موجهة أساسا و قبل كل شيء نحو الحقل السياسي، فهذا يعني أن لخطاب مراكز التفكير استعمالات من طرف الحقل السياسي والحقول الأخرى. لقد اهتمت بتحليل مثل هذه الأبعاد كرسيتينا بوزفيل Christina Boswell، عندما أثارت مفهومي الوظيفة الاستخداماتية و الوظيفة الرمزية للخطاب. تقصد بوزفيل بالوظيفة الاستخداماتية للخطاب Instrumentale، أن المنتج المعرفي الخبير يتم استخدامه بشكل عقلائي لصياغة سياسة معينة لأنه قادر على طرح تصورات و حلول تقنية للمشكلات. و أما الوظيفة الرمزية فتشير الى استخدامها كأداة لشرعنة السياسات الجارية أو لتقوية مركزها السياسي¹.

2- مفهوم الرواية / السردية السياسية Policy Narrative كأداة لتفكيك موضوع

خبرة مراكز التفكير عن الارهاب

بالنظر الى جل هذه الطروحات التي تقدمها المؤسساتية الخطابية، فإن تحليل موضوعنا هذا ينطلق من افتراض رئيسي مفاده أن وجود بعض الأفكار و القيم التي يثيرها خبراء مراكز التفكير على مستوى بنية النقاش العام حول مشكلة الارهاب - على الصعيدين الوطني و العابر للأوطان - بإمكانها أن تخلق ثقة تجاه المؤسسات و السياسات القائمة و أن تبرر استمراريتها، و أن عدم الثقة في بعض

¹ Boswell, *The Political Uses of Expert Knowledge*. p. 7.

الأفكار يؤدي الى تغير هذه السياسات. إن طبيعة الخبرة التي تنتجها مراكز التفكير هي في الحقيقة استراتيجية تسعى للبحث عن هذه الثقة في السياسات التي ينبغي نهجها، و من هذه الزاوية فهي أداة شرعنة لها. لكي تستطيع الوصول الى هذا الهدف، يجب على الأفكار أن تحمل صبغة معينة، أي أن يتم تقديمها في طابع ما. يسمي كلاوديو راداييلي Claudio Radaelli الطابع الذي تحمله الأفكار والخطاب ب : الرواية السياسية Policy Narrative. إن ما يقوله خبير الارهاب عن الارهاب يجب أن يكون في قالب معين يتلاءم مع البراديغم السائد، وهذا الطابع هو جزء تكويني للخطاب في حد ذاته.

2-1. تعريف الرواية السياسية عند راداييلي Radaelli

يعرف راداييلي الرواية السياسية بأنها الشكل الذي تأخذه العناصر المعرفية لسياسة معينة، وهي هكذا تعتبر عنصرا تكوينيا للخطاب. إنها القالب الذي يعطي المضمون، و يزود بالمعايير السلوكية الواجب اتباعها، و يبني الصور عن سياق معين فيضخمه، أو يقلل من شأنه، أو يعبر عنه موضوعيا¹. عندما يتكلم خبير الارهاب الأمريكي – مثلا - عن التهديد الارهابي فيصنّفه في خانة التهديد الوجودي للغرب، و عندما يقول أن الارهابيين يكرهوننا فإن مستوى خطورة التهديد المحمول في العبارتين ليس متكافئا، فيترتب مثلا عن الرواية الأولى استجابات بسياسات صارمة مثل النموذج المسمى ب : الحرب على الارهاب الذي غذته كل مراكز التفكير الأمريكية بعد 09/11، بينما يترتب عن الرواية الثانية استجابة غير صلبة و غير مادية مثلما روجت له سياسات تحسين الصورة التي قادتها خيرة العلاقات العامة على رأس كتابة الدولة الأمريكية للدبلوماسية العامة كارين هيوجز (2005-2007) Karen Hughes.

يحتاج مفهوم الرواية في حد ذاته الى التوضيح. يقصد بالرواية ذلك الوصف الذي نحتاجه للتعبير عن كل حادثة أو واقعة في سياق زمني معين². مثلا، إذا حصل و أن قام فلسطيني ب جرح جندي اسرائيلي (عسكري) بسلاح ابيض في ساحات الأقصى، توصف الحادثة مباشرة من طرف الخطاب

¹ Claudio M. Radaelli, « Récits (policy narrative) », in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 4e éd., Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2014), 548-54, <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0548>. p. 548.

² Simon Copeland, « Telling Stories of Terrorism: A Framework for Applying Narrative Approaches to the Study of Militant's Self-Accounts », *Behavioral Sciences of Terrorism and Political Aggression* 11, n° 3 (2 septembre 2019): 232-53, <https://doi.org/10.1080/19434472.2018.1525417>.

المهيمن بأنها اعتداء ارهابي، بينما توصف ردة فعل الجيش الاسرائيلي بأسلوب الغارة الجوية بالقنابل على حي مدني في غزة، فتخلف قتلى من عائلة واحدة على الأقل، بأنها حق في دفاع مشروع عن الذات وليس ارهاب دولة.

تسمح الرواية إذن للحدث بالوجود و لكن هذا الوجود يتم في الغالب عن طريق سرد سببي كما تؤكد ديبورا ستون Stone¹، أي أن سبب الواقعة هو فعل قام به فاعل ما. يتم انتاج الرواية وفقا لخط روائي دوما فالأحداث منتظمة بشكل تسلسلي يوضح الارتباط السببي. في المثال السابق يتم انتاج الرواية المهيمنة وفقا لتسلسل يوضح أن الغارة الاسرائيلية جاءت كرد فعل على الاعتداء بالسلح الأبيض و أنها الطريقة المشروعة و المناسبة للقضاء على الارهاب. نلاحظ إذن أن التسلسل يعتبر أهم عنصر تكويني في الرواية وليس صحة الأحداث أو دقة الوقائع، فيتم اعدادها لكي تؤدي وظائف دقيقة جدا حسب راداييلي.

إن أهم الوظائف على الاطلاق لهذه الروايات السياسية هي أنها بمثابة ضمان Garantie وإشهاد certificat على افتراضات، حيث تحافظ على استقرار الفرضيات الضرورية و اللازمة لاتخاذ قرار بخصوص واقع معقد و غامض في حقيقته، و أنها في الغالب تحمل تصورات مغلوطة عن الوقائع و رغم الاعتراف الموجود بعدم سلامتها إلا أنها قادرة على فرض نفسها². تكمن وظيفة الرواية السياسية في أنها المحرك الذي يحول المشكلات الاجتماعية (مثال الارهاب هنا) مسألة مفهومة من خلال اعطاء معنى لها، وبالتالي قابلة للاستجابة من طرف متخذي القرار. في الغالب يتم بناء الروايات بطريقة نمطية حيث يتم اقتراح مجموعة من الأحداث والأفعال دون أخرى مع عرضها في شكل يوضح علاقة بين الحاضر والمستقبل. يتم التعبير عن الحاضر أيضا من خلال عرض لمجموعة متجانسة من الأحداث التي بدأت في الماضي و ستنتهي في المستقبل، فيجب أن تعبر عن تطور متجانس و منطقي. هذا الجانب الزماني محوري جدا في جهد صناعة الرواية السياسية لأنه العنصر المفتاحي الذي بموجبه يتشكل معنى للحاضر. إذا كانت الرواية هي أداة لبناء مشكلة ما من خلال إعطاء معنى معين لها دون آخر، فهي تؤدي منطقيا الى جعل استجابة معينة أكثر تلائما معها على حساب استجابات أخرى، وعلى

¹ Deborah A. Stone, « Causal Stories and the Formation of Policy Agendas », *Political Science Quarterly* 104, n° 2 (1 juin 1989): 281-300, <https://doi.org/10.2307/2151585>. p. 281.

² Radaelli, « Récits (policy narrative) ». p. 349.

حساب تطورات أخرى ممكنة. تتواجد الاستجابة المتوقعة بشكل ضمني داخل الرواية التي تم بناؤها، فهي عنصر تكويني لها.

2.2. القدرة التفسيرية لمفهوم الرواية السياسية

يقدم مفهوم الروايات السياسية فائدة تفسيرية كبيرة لموضوع الخبرة عن الارهاب على مستوى مراكز التفكير. في حقيقة الأمر وقبل أية محاولة للفهم، تتواجد الجهود التحليلية التي يقوم بها خبراء مراكز التفكير في قلب صناعة الروايات السياسية عن الأحداث، الوقائع و السياقات المختلفة عن الارهاب، ثم عن الاستجابات اللازم اتخاذها لمواجهتها. إنه إطار تحليلي يسمح لنا بالإجابة على الكثير من الأسئلة التي لا يمكن سوى أن توضح كيف (مستوى وصفي) يتم انتاج رواية سياسية عن الارهاب داخل مراكز التفكير ؟ وهذه الأسئلة هي :

- ما هو السرد the story telling الذي يقدمه الخبراء في مراكز التفكير الأمريكية و الشرق أوسطية عن الارهاب ؟ هل هو تضخيم درامي للعنف أم وصف موضوعي له ؟
- ما هو السرد السببي المشكل للرواية ؟ هل يُربطُ الارهاب بالأيديولوجيا السياسية، أم بالدين ؟ و ما هي الكيانات و الفئات السوسيو-سياسية المرتبطة به ؟ يمين متطرف ؟ يسار متطرف ؟ جهاديون ؟ سلفيون ؟ دول ؟
- كيف يتم بناء السرد عن حاضر المشكلة لصياغة الاستجابة عن المستقبل ؟ أي كيف تتم صياغة التسلسل الزمني لماضي المشكلة، حاضرها و مستقبلها ؟
- ما هي الاستجابات المتوافقة مع الرواية السائدة ؟ هل هي ثابتة أم متغيرة وفقا للتسلسل الزمني السابق ؟

يوفر مفهوم الرواية السياسية عند راداييلي إذن إطارا تحليليا مهما لتفكيك موضوع دراستنا هذا، خصوصا و أننا نلاحظ أن خبير مركز التفكير يمر عند إصداره لكل أنواع الوثائق (تقارير، تحليل سياسية موجزة Policy brief، استشارة...الخ) بهذا النوع من الأسئلة ليضعها في أحد هذه القوالب¹.

¹ ليس المجال مفتوحا لنا منهجيا للتحليل أكثر في هذا المستوى من الدراسة. سيتم ذلك خلال تطبيقنا لهذه القراءة في الفصل المخصص لتحليل "كيفية" تشكيل الرواية السياسية عن الارهاب لدى مراكز التفكير الأمريكية و الشرق أوسطية.

3- خبراء مراكز التفكير كجماعة معرفية Epistemic Community

قدمت النظرية السياسية ي حقل العلاقات الدولية مساهمات عدة تساعدنا على تفكيك موضوع خبراء مراكز التفكير عن الارهاب. يمكن فهم هؤلاء انطلاقا من الطبيعة الشبكية و العابرة للأوطان التي تميز نشاط مراكز التفكير. هذه الطبيعة الشبكية (و التي يمن ملاحظتها على مستويين على الأقل ؛ الأول، أن مراكز التفكير الكبرى في العالم تعرف تطورا شبكيا فمركز راند مثلا ليس أميريكيا فحسب بل عبارة عن شبكة دولية تضم خمس فروع دولية ؛ الثاني، أن حركة الخبراء بين مراكز التفكير المختلفة حركة عابرة للأوطان. من المفاهيم الكبرى التي تناولت بالتحليل هذه الشبكات المستندة على عنصر "المعرفة" مفهوم الجماعة المعرفية Communauté épistémique.

3-1. مفهوم الجماعة المعرفية

طرح هذا المفهوم بيتر هاس سنة 1992 في مقاله الشهير بعنوان الجماعات المعرفية و التنسيق في السياسات الدولية، للإشارة الى تلك القنوات التي تسمح للأفكار الجديدة بالانتقال من المجتمع نحو الحكومة و من دولة الى دولة. يعرفها هاس بأنه شبكة من المهنيين و المختصين الذين يمتلكون خبرة و كفاءة معترفا بها في ميدان معين و يمتلكون القدرة على إثبات جدوى هذه المعارف بالنسبة للسياسات التي ينبغي القيام بها في ذلك الميدان¹. تجب الإشارة هنا الى مجموعة ملاحظات :

- عبارة الأفكار الجديدة لا تشير عند هاس الى الجودة من توقيت ظهورها و طرحها في سوق الأفكار بل يقصد بها الأفكار و المعارف ذات الجدوى و الفائدة السياسية²، و ليست كل المعلومات المتحركة في حقل السياسات تمتلك هذه الخاصية.
- الجماعة المعرفية هي الفضاء الذي ينتج و ينقل المعارف ذات الرواج سياسيا pertinence politique ؛
- أن الجماعة المعرفية تنشأ انطلاقا من مصادر علمية أي داخل التخصصات العلمية المختلفة بما فيها التقنية (مجالات الهندسة و العلوم الطبيعية بشكل خاص، الايكولوجيا، الاقتصاد

¹ Haas, « Introduction ». p. 03.

² و هذا بدوره مدعاة للتساؤل عما يصنع الجدوى السياسية، و بالطبع عند البنائين ليست الفكرة الجيدة أو الأفضل مرادفا للجدوى بل هي تلك الفكرة القادرة للوصول الى مراكز القرار و يتم تبنيها، و هذا بدوره يرتبط بقوة أولئك الذين يحملونها.

- والسياسات العامة)، وهذا معناه بمنطق عدم تكافؤ القدرات على الصعيد الدولي أنها تنشأ داخل الدول القوية التي تحوز على بنى تحتية لبناء القوة العلمية ؛
- تمتلك الجماعة المعرفية سلطة معرفية، حيث تعقد ثقة معتبرة في ما يقوله أعضاؤها نظرا لسمعتهم كخبراء أكفاء تحكمهم قيم الحياد والموضوعية؛
 - مصدر مصداقية الجماعة المعرفية هو بعدها من قوى التأثير الخارجية و خصوصا مصادر التمويل والايديولوجيات السياسية.

انطلاقا من هذه الملاحظات، نتبنى التعريف التالي للجماعة المعرفية فهي شبكة من الأفراد مركزها خبراء مراكز التفكير الذين يشتركون في نفس الرؤى و البنى عن الوقائع والمشكلات وحلولها¹. إنها بمثابة مؤسسات تقوم بدور بوضع حدود لكيفية إدراك هذه الوقائع. بعبارة أخرى، تعمل الجماعة المعرفية في موضوعنا هذا بشكل يَحُدُّ من عدد التصورات الموجودة حول مشكلة الارهاب ؛ لا توجد عشرات التصورات عن المشكلة بل عدد محدود جدا عنها، إن لم تكن واحدة فقط كما ما يمكن يلاحظه على طبيعة التعريف الذي يقدمه الخبراء عن الارهاب (بخصائصه التي رأيناها أعلاه وهي نفي الطابع السياسي عنه، عقلانيته التعبيرية و الشيطنة).

3.2. خبراء مراكز التفكير : تحالف نضالي Advocacy coalition أم تحالف

خطابي coalition discursive ؟

لقد طرحت الأدبيات المؤسسية مفاهيم أخرى مشابهة و قريبة جدا من مفهوم الجماعة المعرفية مثل التحالفات الاستشارية أو النضالية Advocacy coalitions الذي طرحه كل من ساباتييه و جينكينز-سميث Sabatier et Jenkins-Smith و ذلك تفكيكا لبنية هذه الشبكات، و مفهوم التحالف الخطابي الذي قدمه مارتن هاجر Marteen Hajer.

يشير مفهوم التحالف النضالي الى شبكة الأفراد و الجماعات المرتبطة بعضها ببعض عن طريق مصالح و قيم مشتركة، حيث ينتجون و يتواصلون ب خطاب مشترك الغرض منه النضال و الدفاع عن

¹ Thibault Bossy et Aurélien Evrard, « Communauté épistémique », in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 5 (Presses de Sciences Po, 2019), 140-46, <https://www.cairn.info/dictionnaire-des-politiques-publiques--9782724625110-page-140.htm>.

قضية معينة¹. يشير مفهوم التحالف النضالي الى استعمال المعرفة من طرف هؤلاء، ولكنه قبل كل شيء يعتبر أن كل سياسة تعرف وجود نسق فرعي لها يتركب من مجموعة من التحالفات (بصيغة الجمع) المتنافسة بينها². قد تكون مثل هذه السمة قابلة للتطبيق في موضوع مراكز التفكير إذا اعتبرنا أن هذه الأخيرة في حد ذاتها تمثل نسقا غير متجانس في بنيته، فهو يشهد تنافسا فكريا حادا، كما تقترحه القراءات النظرية القائمة على مفهوم سوق للأفكار، والذي يكون بطبيعته فضاء للمنافسة قبل كل شيء³، وهو الاعتبار الذي يولد في النهاية ظهور عدد كبير من الجماعات المعرفية التي تنشأ حولها تكتلات وتحالفات نضالية عدة. لكن، في موضوع الخبرة عن الارهاب قد لا يصلح هذا المفهوم للتطبيق نظرا لارتباطه بمسألة التهديد، التي لا تفرز في الغالب تنافسا بين الخبراء بل تحفز نشوء الاجماع السياسي قبل كل شيء، بما في ذلك انضمام الفضاءات الأكاديمية و المعرفية و الفكرية. بناء على هذا فإننا ننطلق في تحليلنا من الاعتبار الذي مفاده أن هناك جماعة معرفية واحدة (و ليست تحالفات بالجمع) حول رهان واحد (مسألة التهديد). بالتالي، إذا كانت الكثير من الأدبيات تتعامل مع مراكز التفكير كتحالفات نضالية فإننا نأخذ هذا المفهوم هنا بالكثير من الحذر و التحفظ.

بناء على هكذا انتقادات، طرح مارتن هاجر Marteen Hajer مفهوما قريبا جدا منه و هو مفهوم التحالف الخطابى، و هو بالنسبة لنا ذو قدرة تفسيرية أكبر من الأول. يعتبر هاجر أن مفهوم التحالف النضالي قائم على منهجية بنيوية structuraliste بحثة لأن أنصاره يحاولون الاجابة عن سؤال: من ينتمي إلى ماذا ؟ و هذا في رأيه لا يكفي للإجابة عن سؤال كيف تتمكن رؤية معينة (معرفة) من الوصول الى المواقع السلطوية على حساب رؤية أخرى⁴. للإجابة عن هكذا تساؤل يرى مارتن هاجر

¹ Emanuela Bozzini, « Advocacy Networks », in *The Wiley-Blackwell Encyclopedia of Social and Political Movements* (John Wiley & Sons, Ltd, 2022), 1-3, <https://doi.org/10.1002/9780470674871.wbespm003.pub2>.

² Sabatier, « Advocacy Coalition Framework (ACF) ».

³ وفقا لهذا التصور يرى النموذج النظري المسعى "سوق الأفكار" Le modèle du marché des idées أن نشاط مراكز التفكير هو صراع و تنافس من أجل البقاء. كي يستطيع مركز التفكير البقاء عليه أن يقدم أفكارا قادرة على البقاء. ليست الفكرة القابلة للبقاء بالفكرة الأكثر نقاء من الناحية النظرية و لكنها الفكرة الأكثر توافقا مع مصالح أولئك الذين يحملونها. أنظر كتاب دونالد أبلسون : *Abelson, American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy*.

⁴ Maarten A. Hajer, « Discourse Coalitions and the Institutionalization of Practice: The Case of Acid Rain in Great Britain », in *The Argumentative Turn in Policy Analysis and Planning*, éd. par Frank Fischer et John Forester (Duke University Press, 1993), 43-76, <https://doi.org/10.1215/9780822381815-003>.

Hajer أن الاجابة توجد في العناصر الخطابية لهذه الرؤى، فسلطة هاته التحالفات النضالية لا توجد في بنيتها بل في وظيفتها على المستوى الخطابى. إن مفهوم التحالف النضالي لا يمثل سوى وصفا مبسطا للكيفية التي ينتظم و يهيكل بها فاعلون معينون في شكل شبكات سياسية حول معتقدات وأفكار معينة¹. يؤكد هاجر Hajer أن العناصر الخطابية عموما و الروائية تحديدا هي التي تحدد سلطة التحالف النضالي. بعبارة أخرى، تخضع قوة و سلطة شبكة سياسية معينة للعناصر المعرفية والادراكية التي تبني عليها (نظم المعتقدات السياسية)، و التي بدورها تخضع للخطاب (الجانب التداولي بالمعنى الهابرماسي). إذا كانت الشبكات السياسية مبنية على نظم معرفية و ادراكية موجودة مسبقا، فإن سلطتها توجد على مستوى الخطاب و الروايات التي هي تأويلات للأحداث و الوقائع والمشكلات²، و أن ما يهم أكثر في دراسة الشبكات السياسية هو البناء الخطابى لأنه يمثل جوهر الوظيفة الأساسية التي تؤديها. بما أن الوظيفة الأساسية لمراكز التفكير تتمثل في إنتاج مقولات و روايات عن المشكلات المختلفة، فإن الأهم حسب مقاربة هاجر هو دراستهم كمقاولين للخطاب des entrepreneurs discursifs و ليس بصفاتهم جزء من شبكة سياسية منتشرة عالميا أو حتى شبكة نضالية تدافع عن قضية محددة.

تتدعم رؤية هاجر Hajer بحجج أخرى، فهو يرى أن ظهور خطاب ما و هيمنته في لحظة معينة لا يمثل سوى نتيجة لصراع حجج conflit argumentatif أفرز في النهاية هيمنة روايات و مقولات معينة على بنية النقاش العام كله³. يؤكد فرانك فيشر Frank Fischer - و هو من أنصار ما يسمى بالتحول الحِجِّي Le tournant argumentatif في حقل العلوم السياسية و الذي ازدهر في بداية التسعينيات من القرن الماضي - أن أساس السياسات المختلفة يكمن في فهم التنافس و الصراع الخطابى من أجل إنتاج انساق للمعنى meaning systems و للتحكم فيها⁴. إذن، يُقصدُ بالتحالف الخطابى عند هاجر مجموعة روايات (storylines)، و الفاعلين الذين يعبرون عنها، و الممارسات المتوافقة مع هذه الروايات و التي تنتظم مع بعضها البعض لتشكّل في الأخير خطابا ما⁵. إذن، فالتحالف الخطابى يمثل ظاهرة خطابية قبل كل شيء حيث تلعب السرديات فيها دورا محوريا، و هو بهذا الشكل يقبل جميع

¹ Ibid.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Frank Fischer, *Reframing Public Policy: Discursive Politics and Deliberative Practices* (OUP Oxford, 2003).

⁵ Hajer, « Discourse Coalitions and the Institutionalization of Practice ».

المسلمات المؤسساتية التي أشرنا إليها أعلاه، فهو كما يؤكد فيشر Fischer يُنتَج، ويُعادُ انتاجه، ويتحول من خلال فاعلين متنوعين لا يلتقون بالضرورة في فضاء مشترك بل تنبع قوتهم من أنشطتهم المتداولة حول رواية معينة تخص مشكلة ما¹. إن الجدوى التفسيرية لمفهوم هاجر أصبحت واضحة الآن فهي تسمح لنا بفهم الطريقة التي يستطيع أن يصل بها خطاب مراكز التفكير عن الارهاب الى المراكز السلطوية، وأن يصبح خطابا مهيمنًا discours hégémonique. إذا كانت نظرية الحقل الهجين تجيب بفكرة التموقع الهجين بمحاذاة الحقول ذات النفوذ وذلك عن طريق الاستخدام الاستراتيجي لديناميكية تراكم الرساميل فإن هاجر يجيب بفكرة التنافس الخطابي للتحكم في أنساق المعاني والتأويلات.

3.3. فائدة مفهوم الجماعة المعرفية لتحليل موضوع خبراء الارهاب في مراكز التفكير

هل تمثل شبكة خبراء مراكز التفكير عن الارهاب جماعة معرفية وفقا للشروط السابقة التي حددها هاس والآخرين ؟ إن إجابتنا عن السؤال ايجابية وهذا للمبررات الثلاثة التالية :

- أن هناك طلبا رسميا و غير رسمي على خبرة مراكز التفكير حول مشكلة الارهاب، وهذا الطلب المتزايد تبرره الحاجة الى المعارف و المعلومات حول المشكلة و تطوراتها. يمتلك مركز راند Rand الأمريكي و المقرب جدا من البنتاغون برنامجا بحثيا عن الارهاب منذ سنة 1972 الى اليوم، كما يمتلك المعهد أهم قاعدة بيانات عن العمليات الارهابية في العالم بكل ما تتضمنه من مكونات (احصاءات، تصنيفات للأفراد، للجماعات، لأساليب العمل، للأيديولوجيات). معنى هذا أن مراكز التفكير - خصوصا الأمريكية منها - تحوز على معارف و بيانات لا تحوزها هيئات حكومية، و هي هكذا ذات و ذات قيمة استخدامية بالنسبة لمراكز القرار السياسي. هذه المعارف عن الارهاب لدى مركز راند ذات قيمة علمية، و لكن قيمتها لا تقاس بمعيار تقنية الميدان البحثي و حصريّة الدخول و صرامة مسار الاعتراف و الاشهاد من قبل النظراء، بل بدرجة تقدم البحث في الميدان، و بالحاجة السياسية لها.
- أن الارهاب مفهوم سياسي قبل كل شيء و يتأثر تعريفه بالاعتبارات السياسية و الايديولوجية - كما رأينا أعلاه - و لهذا السبب يمكن أن نقدم اعتراضا على أنه ليس موضوعا للمعرفة المختصة مثلما هو حال مشاكل المناخ، أو الأوبئة...الخ.

¹ Fischer, *Reframing Public Policy*.

- تستمد مراكز التفكير سلطتها المعرفية من سمعتها كمراكز خبرة تمزج بين المنطق العلمي في البحث (الطبيعة الاستيمية أو المعرفية) و منطق الخبر في اقتراح الحلول و التوصيات حول المشكلة (الطبيعة العملية للخبرة). يخلف هذا المزج بين الاثنين ثقافة معرفية خيرة لدى جماعة الخبراء تسمح ببروز التناغم بين مختلف الأعضاء، و تؤطر طبيعة الأفكار المقبولة أو المسموحة داخلها. تمتد هذه الأفكار الى دول متعددة و الى مؤسسات دولية كما اكده هاس.
- أن هذه الأفكار و المعارف التي تنتجها مراكز التفكير موجهة أولا و قبل كل شيء نحو مراكز القرار السياسي و ليس نحو الحقول الأخرى، حتى و إن كانت الأخيرة معنية أيضا بالاستراتيجية الاتصالية لمراكز التفكير، فالكثير من الوثائق التي تصدرها مراكز التفكير توجه بشكل قصدي نحو السياسيين قبل غيرهم مثل (Policy Brief الحوصلة أو الموجز السياسي، Congressional Testimony مداخلة أمام الكونغرس).
- أن آلية انتقاء الأفكار، أو قدرة أفكار الجماعة المعرفية على الوصول الى مستوى القرار السياسي تتعلق بحجم و عدد الأفكار المتنافسة. في حالة الأفكار التي أفرزتها الخبرة بعد 09/11 يجب ملاحظة الهيمنة المطلقة لنموذج الحرب على الارهاب، و الذي قَدِّمَ كفكرة واحدة، أي كإجماع. لكن، الكثير من المراجعات لنموذج الحرب التي أدرجت بعد 2008 (ولاية اوباما الأولى في الوم أ.) كانت بسبب الأفكار البديلة التي قدمها معهد راند بشكل خاص.
- بإيجاز، يساعدنا مفهوم الجماعة المعرفية على فهم الخبراء حول الارهاب باعتبارهم شبكة دولية عابرة للأوطان تمتلك تصورات و إدراكات محددة و محدودة عن مشكلة الارهاب و تؤثر بالتالي على خيارات و مواقف الدول في ميدان الاستجابة لأشكال التهديد التي تولدها مشكلة الارهاب. تقع نواة هذه الشبكة في الحقل الأمريكي و تتوسع دوليا لتشمل دول النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط. كما تساعدنا على فهم خبرة مراكز التفكير عن الارهاب باعتبارها شبه اجماع بين مراكز التفكير، من ناحية أنها تشكل اتفاقا حول براديجم معين يكتسب سلطته من المركز السلطوي الذي تحتله، ما يجعله يحافظ على استمراريته عبر الزمن.

حوصلة : فائدة المقاربة المؤسساتية الخطابية لتحليل موضوع الخبرة عن الارهاب

- هناك مجموعة من الاعتبارات التي تبرر ضرورة استخدام مقاربة مؤسساتية خطابية لفهم (1) الكيفية التي يتم بها بناء مشكلة الارهاب من طرف خبراء الارهاب في مراكز التفكير الأمريكية و الشرق أوسطية، و (2) طبيعة الخطاب الذي يتم انتاجه بها، و (3) وظائفه السياسية، وهي كالتالي :

- عندما يتكلم خبير الارهاب من فضاء معين يسعى مراكز التفكير فإنه لا يتكلم عن الارهاب بنفس الكيفية التي يستخدمها المسؤول السياسي مثلا (حساباته ذات عقلانية سياسية بحتة)، و لا الاعلامي و لا الأكاديمي في تخصص ما. إذا كان هذا الاعتبار مقبولا فإن تفسيرنا المقترح يرى أن هذه الكيفية تحددها و تفرضها الشروط و الظروف السائدة داخل المؤسسة. هذه الأخيرة تعتبر عوامل اكراهيمية تقيد محتوى البراديفيمات التي ينتجها الخبراء.
- أن هذه الأفكار و الحجج التي ينتجها خبير الارهاب ليست ذات طبيعة قطاعية (السياسة الأمنية) بل أفكار براديفيمية بالمعنى الذي يريده بيتر هاس، فخبير الارهاب جزء من منظومة ادراكية أوسع تمثل براديفيم استراتيجي ابتداءً مع نهاية الحرب الباردة، و روجت له طروحات نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما، و على الأخص طروحات صدام الحضارات لصمويل هنتغتون، و هم ممثلو الجيل الجديد من الجيو-استراتيجيين الأمريكيين الذين يدافعون عن قراءات جيوسياسية géopolitiques من زاوية ثقافية و طرحها كبديل لتلك القراءات التاريخية (يمثل هذه المدرسة هنري كيسنجر) و الجغرافية (و يمثلها زيبغنيو بريزينسكي) المتراجعة تدريجيا و التي اشتهر بها الجيوسياسيون خلال فترة الحرب الباردة.
- أن الخبراء في مراكز التفكير يشكلون شبكة عابرة للأوطان و لكنها خاضعة للهيمنة الأمريكية، فما يتم انتاجه من خطاب في الو. م. أ. يشكل النواة الصلبة لخطاب يتقاسمه خبراء الفضاء الشرق أوسطي أيضا، و هذا التقاسم لا يُبرَّرُ بتوافقه مع المصالح المادية للدول المعنية فحسب بل لأن قوته تجد مبررها في تحولات الظاهرة السلطوية في العالم، و في كونها آلية رئيسية من آليات الحفاظ على الدولة.

المطلب الثالث : مراكز التفكير كفاعل في النظام المعرفي حول الارهاب

يعتبر مفهوم النظام المعرفي Knowledge regime الذي قدمه كل من كامبل و بيدارسون Campbell et Pederson¹، أداة جيدة أيضا لفهم الظروف العامة التي تنتج بها المعارف حول مشكل

¹ John L. Campbell et Ove K. Pederson, « Knowledge Regimes and Comparative Political Economy* », in *Ideas and Politics in Social Science Research*, éd. par Daniel Béland et Robert Henry Cox (Oxford University Press, 2010), 167-90, <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199736430.003.0009>.

الارهاب بصفتها واحدة من أهم الرهانات الأمنية للمجتمع المعاصر. يقدم لنا هذا المفهوم أدوات للتعرف على طبيعة الفاعلين المتدخلين في انتاج الأفكار للتعرف على المشكلة و كذلك طبيعة هذه الأفكار في حد ذاتها. بالمعنى العملي، تنتج الأفكار حول الارهاب سواء من طرف الدولة أو من طرف الوسطاء الآخرين (الجامعة، مراكز التفكير، القطاع الاقتصادي...الخ) بشكل يتوافق مع الأفكار الفلسفية و المذاهب الاستراتيجية المهيمنة. فمثلا، تختلف طريقة فهم الارهاب من طرف مراكز التفكير خلال سياق الحرب الباردة عن طريقة فهمه خلال سياق ما بعد 09/11 اختلافا كبيرا، فبماذا يفسر هذا الاختلاف و التباين ؟ هناك نظام معرفي سائد في الو. م. أ. خلال فترة الحرب الباردة و يتغذى أساسا من النسق المعرفي الغربي العام، أي من كل المسلمات التي يحملها النظام الرأسمالي و الثقافة السياسية التي يفرزها، و هو مختلف عن نظيره الشرقي السائد في الاتحاد السوفييتي سابقا. انطلاقا من مثل هذه الملاحظات، فإن انتاج المعرفة الخبيرة من طرف مراكز التفكير يتم داخل نظام معرفي.

1- مفهوم النظام المعرفي عند كامبل و بيدرسون

يعرف النظام المعرفي بأنه "صنف من الأنساق الخاصة يضم فاعلين، منظمات و مؤسسات من نوع خاص ينتجون أفكارا يتم استعمالها للتحكم أو لتعديل نمط تنظيم و عمل مسار صياغة السياسات العامة". طبق هذا المفهوم من طرف هذين الباحثين في حقل الاقتصاد¹، و هو مفيد خصوصا على مستوى تنفيذ السياسة الاقتصادية لأنه يزود صناع القرار بمجموعة من البيانات والمعلومات، النظريات، التوجيهات و التوصيات و كل الأشكال الأخرى من الأفكار التي تساعد على تحقيق هدف معين. يسمح النظام المعرفي الرأسمالي مثلا بفهم السياسة الاقتصادية لدولة رأسمالية و أيضا بفهم أهدافها (مثلا تقوية التنافسية للشركات الاقتصادية).

وفقا لمنطق كامبل و بيدرسون فإن كل سياسة تستهدف أهدافا معينة في ميدان ما هي نتيجة لأفكار و نظريات و تصورات موجودة، وهذا سليم جدا. و عليه، فسياسة التعامل مع مشكلة الارهاب في الو. م. أ. مثلا توضع و تصاغ لكي تحقق أهدافا ما، وهي (السياسة و أهدافها) هكذا نتيجة لأفكار و نظريات و تصورات موجودة و انعكاس لها. يساعد مفهوم النظام المعرفي إذن على فهم أهداف

¹ و يظهر البحث الآلي على شبكة الانترنت أن هذا المفهوم لم يتم تطبيقه في الحقول المعرفية الأخرى، و على هذا الأساس نحن نستلهم منه و ذلك لإمكانية تطبيقه في موضوع الخبرة عن الارهاب، حيث نرى أنها جزء من نسق لأفكار و نظريات جيوسياسية و جيوسياسية قبل كل شيء.

السياسة الأمريكية ضد الارهاب انطلاقا من الأفكار و النظريات و التصورات الجيو-استراتيجية والجيوسياسية التي توطرها ؛ فسلوك الو. م. أ. ضد الارهاب يفضل خيار الحرب، و السلوك الحربي الأمريكي يهدف الى تحقيق مجموعة أهداف استراتيجية من ضمنها القضاء على الارهاب، وترجمته كانت حربين و نفوذ في دولتي العراق و افغانستان.

من الخصائص الرئيسية لنظام معرفي معين في حقل العلوم الاقتصادية أنه وطني قبل كل شيء، و قد طوراً كامبل و بيدرسون هذه الفكرة في كتاب آخر منفصل¹. فالسياسات و المعلومات التي يفرزها نظام معرفي تتحدد بالاقتصاد السياسي لدولة ما، و هو ما يعني أنها تختلف من دولة الى أخرى. على هذه الأساس، تعتبر السياسات المنتهجة و المعلومات الموجودة عن الارهاب في دول العينة الدراسية (الو. م. أ. و دول الشرق الأوسط) كنتيجة للنظام المعرفي الاستراتيجي لكل دولة منها، و الذي بدوره يتحدد بالثقافة الاستراتيجية لها. هذا يساعدنا على فهم التمايز و التباين الموجود في أنماط التعامل مع المشكلة حينما ننتقل من دول الشرق الأوسط (دول عربية، تركيا، ايران، الكيان الصهيوني) الى أمريكا، و هنا تكمن القيمة التفسيرية الحقيقية لمفهوم النظام المعرفي فهو أداة للمقارنة قبل كل شيء، لأنه معطى وطني.

يقصد بالثقافة الاستراتيجية جملة المواقف و العقائد المنتشرة داخل الأجهزة العسكرية لدولة ما بخصوص الأهداف السياسية من الحرب، و بخصوص الأدوات الاستراتيجية و العملياتية الناجعة لتحقيقها². هذا المفهوم بشكل عام يعتبر مفهوما ثقافيا، أي وليدا للدراسات الثقافية، فهو يشير الى تقاليد أمة معينة، قيمها، مواقفها، أنماط سلوكها، عاداتها، رموزها، كفاءات تفاعلها مع محيطها، و كفاءات حلها لمشاكلها المتعلقة بالمخاطر و التهديدات و استخدامها للقوة العسكرية³. بشكل عام، يشير مفهوم الثقافة الاستراتيجية منذ القدم الى الكيفية التي يقوم بها شعب ما بالحرب. مفهوم الثقافة الاستراتيجية مفهوم رائج اليوم، نظرا لصعود الطروحات الثقافية في تفسير تحولات العلاقات الدولية بناء على ثنائية الأنا و الآخر [و منها تلك التفسيرات عن مشكلة الارهاب في الغرب التي تحتكم الى مقولات مثل "إنهم - أي الآخر- يكرهوننا -أي نحن الغربيون-]، كما يعبر عنه رواج مقولة صدام

¹ John L. Campbell et Ove K. Pederson, *The National Origins of Policy Ideas* (Princeton University Press, 2014).

² Jean-Marc De Giuli, « Des cultures stratégiques », *Inflexions* 11, n° 2 (2009): 123-36, <https://doi.org/10.3917/infle.011.0123>.

³ Ibid.

الحضارات عند الجيو-استراتيجيين الجدد في أمريكا الشمالية¹. يتركب مفهوم الثقافة الاستراتيجية من مكونين؛ الأسلوب le style و المذهب la doctrine. فالأسلوب هو مجموعة الممارسات والسلوكات سواء كانت ضمنية أو صريحة، و نلاحظها خصوصا في الكيفية العامة التي تلجأ لها جماعة معينة في حل مشاكلها. فالأسلوب يُعنى بكيفية رد الفعل و أما المذهب، فيشير الى بنية يفرزها الوعي بظروف معينة². المذهب كما عرفه جاك ساير Jacques Sapir، هو نتيجة للتفاعل بين مجموعتين اثنتين في دولة معينة؛ مجموعة سياسية و مجموعة اقتصادية عبر ثلاث مؤشرات رئيسية هي التطور الذي بلغته الدولة، التصورات عن المصالح و التهديدات التي تواجهها، و التطور المادي و الاجتماعي لها³.

يعتبر النظام المعرفي الأمني نتيجة اذن للثقافة الاستراتيجية لدولة ما. في الثقافة الاستراتيجية الأمريكية مثلا، يأخذ النظام المعرفي الأمني خصوصيات معينة، فالتصورات الأمريكية عن قضية استعمال القوة العسكرية و تصوراتهم عن قضايا الأمن و الدفاع عموما تظهر وكأنها انعكاس لطبيعة المجتمع الأمريكي، و هي تقبل اللجوء الآلي الى الاستخدام المفرط للقوة العسكرية، و تنتهج أسلوب شيطنة الخصم أو الآخر (الاتحاد السوفييتي أثناء الحرب الباردة، الاسلام بعد نهايتها)، و لا تتردد في حشد الموارد اللازمة مهما كان حجمها⁴. إنها مقاربات راديكالية أو جذرية مع مختلف المشكلات حتى وان كانت سوسيو-اقتصادية (المخدرات) مثلا، و هو ما نلاحظه في عبارة الحرب الشاملة على الارهاب بعد 09/11. يقوم النظام المعرفي الأمني على إدراج هذه الأفكار و التصورات ضمن السياسات المتبعة.

تطبيقا لمنطق كامبل و بيدرسون الاقتصادي، فإن النظام المعرفي في الميدان الأمني يتشكل حول مجموعة من الفاعلين المنتجين للأفكار و النظريات و التصورات و المواقف و هم : (1) الأكاديميون و هم فئة خاصة تمتلك كفاءات جد متخصصة في الموضوع (2) مراكز التفكير و البحث غير المتحيزة، (3) شبكات النضال المرتبطة بالأحزاب السياسية و بالمجموعات الاقتصادية، (4) هيئات و مؤسسات و

¹ هذه الفكرة هي واحدة من الحجج التي قدمها سنة 2007 كتاب غراي كولين -و هو عالم استراتيجيا امريكي و بريطاني الجنسية - في كتابه ذائع الصيت "الحرب في القرن الواحد والعشرين". و نحن سنسميه لاحقا بالبرادغم الثقافي. للمزيد أنظر:

Colin S. Gray et Elrick Irastorza, *La guerre au XXIe siècle : Un nouveau siècle de feu et de sang* (Economica, 2008).

² انه و بناء على التفرقة بين الاسلوب و المذهب، يعتبر المختصون الغربيون أنه لا وجود لثقافة استراتيجية غربية بل أن هناك أسلوب أمريكي و أسلوب خاص بالدول الأوروبية.

³ De Giuli, « Des cultures stratégiques ».

⁴ Ibid.

وحدات البحث التابعة للمؤسسات الأمنية و العسكرية للدولة¹. لكن، و بحكم الطبيعة العابرة للأوطان لمشكلة الارهاب فإن هناك سياسات تنسيقية عابرة للأوطان أيضا ، و هو سيجلّ يسمح لنا بالحديث عن تدويل للأفكار الأمريكية أو عن نظام معرفي أمني عابر للأوطان، يخضع للكثير من الأفكار الموجودة في النظام المعرفي الأمريكي، و منها 'الهوية الاسلاموية' للإرهابي و اللجوء الى القوة العسكرية.

يسمح لنا هذا المفهوم بتفسير طبيعة الأفكار التي يتم انتاجها و تداولها عن الارهاب من خلال استقراء النظام المعرفي الذي تتواجد بداخله و الذي تحدد هويته و خصائصه تلك الثقافة الاستراتيجية الموجودة في الدولة. سنوظف هذه القراءة خصوصا عندما نتبع تاريخيا تطور الأفكار (البراديغمات) التي انتجتها مراكز التفكير منذ الحرب الباردة في الدول المدروسة.

2.- النظام المعرفي عن الارهاب و مركزية علاقة الخبراء بالاستخبارات

تعتبر الأفكار التي ينتجها مركز التفكير جزء من نظام معرفي أمني عام، و لكن نظرا لطبيعة المتدخلين في انتاج التصورات عن طبيعة التهديد فإن العملية لا تتم في ظروف من التكافؤ السلطوي. يحوز الأكاديميون مثلا على نوع خاص من البيانات و يصعب عليهم كثيرا الوصول الى أنواع أخرى منها. و تمتلك الأجهزة الرسمية للدولة معلومات و بيانات عامة و أخرى خاصة بل و ذات طابع سري أيضا. تتمتع مراكز التفكير بموارد تمكنها من الوصول الى هذه المعلومات الموجودة في الحقلين الجامعي والرسعي، كما أنها طورت معلوماتها و بيناتها بشكل استراتيجي، فمثلا يمتلك معهد راند الأمريكي منذ السبعينيات قاعدة بيانات خاصة به عن الارهاب. و أما بخصوص المعارف السرية فلا نمتلك معلومات عن الموضوع، و لكن من الجلي أن حقل الاستخبارات في الدولة له امتدادات و تأثيرات على الخبراء في مراكز التفكير، فأغلب هؤلاء يشيرون في تحاليلهم و آرائهم الى مصادر استخباراتية، و لكن من دون أن تكون لنا القدرة على التأكد من صحتها أو خطئها، فهي غير قابلة للمراقبة اصلا.

في هذا السياق، قدمت ليذا ستامبنتسكي توضيحات مهمة فهي تعتبر أن خبراء الارهاب يخضعون لسياسة اقضاء و تهميش لطروحاتهم دال حقل النقاش السياسي، و هو ما تسميه سياسات مناهضة لمعرفة *Politiques d' Anti-savoir*،

¹ Campbell et Pederson, « Knowledge Regimes and Comparative Political Economy ». p.4.

[...]تميز كل من الخطاب الخبير والخطاب الشعبي حول الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر
بسياسة مناهضة أو معادية للمعرفة، و برفض جدي للتفسير في حد ذاته... يشير
مفهوم مناهضة المعرفة إلى زحزحة مشكلة الارهاب من فضاء النقاش السياسي. وفي هذه
الحالة، فإن الآلية ليست احتكار المشكلة من قبل خبراء يقدمون حلاً تكنولوجياً لها ؛ ما
حصل في الواقع هو العكس تمامًا، حيث اشتكى أغلب خبراء الإرهاب بعد 11 سبتمبر من
تهميش وتجاهل لأرائهم¹.

نرى في تحليل ستامبنتسكي أن النظام المعرفي يتميز أيضا بوجود حركيات تعبره، و أهمها أنه
حقل تهمين عليه أجهزة الدولة و على رأسها الاستخبارات-العسكرية، ذلك أنها الجهاز الذي يتحمل
وظيفة توفير (ومراقبة) المعلومات لصالح مراكز القرار. أكد جيل آيال Eyal Gil في دراسة عن علاقة
حقل الدراسات الشرق أوسطية بالمخابرات الاسرائيلية، أنه حقل تسيطر عليه أجهزة الاستخبارات
العسكرية بشكل جلي جدا². يصف جيل آيال هذه العلاقة بين الجانبين بأنها السر الذي لا يخفى على
أحد ؛

[...]حيث أن مختصي الدراسات الشرق أوسطية و خبراءه مطلوبون جدا من طرف
الاستخبارات العسكرية، و أنهم يؤدون خدمتهم العسكرية كاحتياطيين عندهم، و يؤدون
خدمتهم كباحثين لصالح هؤلاء ولا يتكلمون في الاعلام الا بموافقة السلطة التي تؤطرهم³.

هذه حالة امبريقية تبين ان الحقل الأكاديمي و حقل الخبراء لا ينشط بشكل مستقل عن الأجهزة
العسكرية والاستخباراتية، بصفتها ضمان لديمومة سلطة الدولة. السؤال المشروع الذي يطرح نفسه
في هذا الحالة؛ كيف تفهم هذه الحركية ؟ أي لماذا يتم اللجوء الى الخبراء (و حتى الأكاديميين) – الذين
يفترض بهم أن ينتجوا بحوثا غير موجهة لا ايدولوجيا ولا سياسيا – ليصبحوا جزءا من العمل
العسكري-الاستخباراتي ؟ وما مبرر حاجة هذه الاجهزة الى أنواع محددة من الخبراء ؟

التفسير الذي يمكن اعطاؤه لهذه الظاهرة، هي أن النظام المعرفي الأمني لا يشكله مهنيو الجهاز
العسكري-الاستخباراتي لوحدهم، كما أنه لا يتشكل بفضل الخبراء (و لا الأكاديميين) لوحدهم، بل

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. 188.

² Gil Eyal, « Dangerous Liaisons between Military Intelligence and Middle Eastern Studies in Israel », *Theory and Society* 31, n° 5 (2002): 653-93.

³ Ibid.

يتشكل في ذلك الحيز الحدي *liminal space* (أي مجال التقاء فضائين اثنين) بين الخبراء و النخب العسكرية-الاستخباراتية. يتأسس نظام معرفي أمني بمشاركة ثم بمراقبة أولئك الذين لهم اختصاص إدارة المسألة الأمنية و هذا معناه أن هناك خبرة و أفكار و مسلمات مشتركة يتقاسمها الجميع ويتأسس عليها هذا النظام المعرفي. مثلاً، يتشكل النظام المعرفي الأمني الذي يسمح بتفسير السلوك الخارجي للدولة الجزائرية من مجموعة مبادئ و تصورات و أفكار تستمد أساساً من التجربة التحريرية من الاستعمار، و من تجربتها كدولة فتية سنوات الستينيات و السبعينيات من القرن الماضي، فكل الأفكار المتداولة داخل هذا النظام سواء من طرف الأكاديميين، خبراء و مستشارين، مكاتب وزارية نشأت حول نواة صلبة فرضها الحقل العسكري – الاستخباراتي.

في الحالة الاسرائيلية، بنيت النواة الصلبة للنظام المعرفي الأمني على تعاون مشترك بين الاستخبارات العسكرية و الخبراء و الأكاديميين (علماء التاريخ و علماء الفيلولوجيا خصوصاً)، كما يؤكد جيل آيال¹. و أما بخصوص الحالة الأمريكية، يؤكد بيار كونيسا أنه بُني حول وكالة الاستخبارات الأمريكية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و الى غاية اليوم²، و أن الأخيرة هي الحاضنة لخبراء الارهاب أيضاً³، بل إنه من غير الممكن فصل حقل خبراء الارهاب في امريكا عن الوكالة. سنكتفي بمثال خبيرة الارهاب الأمريكية كلير ستيرلينغ Claire Sterling لتوضيح هذه العلاقة بين الوكالة و الخبراء.

تصنف Claire Sterling ضمن النواة الصلبة التي نشأ حولها الحقل في أمريكا، و هي صاحبة أول تحليل عن الارهاب باعتباره شبكة دولية وصاحبة واحد من الكتب المرجعية حول الموضوع *networks of terror* (1981). و هو الكتاب الذي علق عليه نعوم تشومسكي و إدوارد هيرمان بقولهما أنه انجيل ادارة ريغان كل التيارات اليمينية في العالم. إنها الخبرة التي قال بشأنها مدير الاستخبارات السابق في إدارة نيكسون، ويليام كاسي William Casey إنه اشترى بـ 12.95 دولارا كتاب Claire Sterling الذي يقترح تحاليل أفضل من أولئك الخبراء الذين يُدفع لهم 50000 دولار سنوياً⁴.

¹ Ibid.

² تأسست الوكالة سنة 1947، بفعل الحرب الباردة، و لكن ظهورها الأول كان سنة 1941 خلال الحرب العالمية الثانية ممثلة في مكتب الخدمة السرية الذي وجد لمواجهة النازية. تم حله مع نهاية الحرب سنة 1945، ليعيد بعثه في الشكل الحالي "وكالة الاستخبارات الأمريكية" سنة 1947.

³ Conesa, « Sociologie de la production stratégique ».

⁴ Thomas Riegler, « 'Terrorology': Who Analyses and Comments on the Terrorist Threat? », *Between Identity and Practice*, 2011, 43.

كتب عنها ألكسندر جورج في كتابه علم الارهاب :

"Most influential in the promotion of this threat was "The Terror Network" (1981) by Claire Sterling, an **American correspondent living in Italy**, who was said to have had excellent relationships to the intelligence services. Her main thesis was that Moscow was sponsoring and had infiltrated every major leftwing group, including the Palestinian factions, and turned them against Western targets"

مثل هذا الارتباط الذي نقرأه في مثل هذه الاقتباسات يعبر عن ارتباط نخبوي أولا. تقدم أعمال روهده Rohde تفسيرات جيدة لطبيعة العلاقة بين الخبراء والسلطة في الوم أ،. فخلال الحرب الباردة قَبِلَ أغلب العلماء الاجتماعيون و الخبراء البحوث الممولة من طرف الهيئات العسكرية، وأصبح هذا النوع من البحوث التي تجري تحت وصاية الأجهزة العسكرية مشروعا لأن الجميع كان يؤمن بأن قضية احتواء الشيوعية و هزيمتها هي قضية أمن و بقاء قوميين¹. في الواقع تعتبر خلفية وجود العدو الايديولوجي عاملا محوريا محفزا لتجنيد و تعبئة المعرفة ضد الآخر.

يعبر هذا التعاون الثنائي وفقا للقراءة التي قدمها عالم الاجتماع الأمريكي الشهير شارلز رايت ميلز C. R. Mills منذ سنة 1959، عن مسار لتشكل و تركيز السلطة بيد قلة قليلة من الأشخاص. إن كتاب ميلز سلطة النخبة The power elite، يصف تلك المجموعة الضيقة من القيايين الاقتصاديين والسياسيين والعسكريين المرتبطين بشكل متشعب بعضهم ببعض، بأنها تمتلك سلطات غير محدودة ومراكز سلطوية حصرية تسمح لهم باتخاذ كل أنواع القرارات، وحتى بما فيها تلك التي لها نتائج كبرى. انطلاقا من هذه الملاحظات يعتبر ميلز أن قسما معتبرا من علماء الاجتماع و الخبراء أصبحوا مستخدمين لدى قوى المال و العسكر و الدولة، فظهرت معاهد بحث تابعة للشركات الاقتصادية الكبرى، و مراكز بحث تابعة للقوات الجوية و للحكومة بميزانيات ضخمة جدا و هي روابط في أعلى الهرم الاجتماعي (نخبة النخبة)². هناك إذن تحول في طبيعة أدوار العلماء و الخبراء ، فهم حسب ميلز جزء من الفئة الضيقة التي تمتلك السلطة، و هم بالتالي جزء من المنظومة التي تمتلك التحكم فيما يجب أن يُعَرَفَ و فيما يجب أن يبقى سرا.

¹ Joy Rohde, « Gray Matters: Social Scientists, Military Patronage, and Democracy in the Cold War », *The Journal of American History* 96, n° 1 (1 juin 2009): 99, <https://doi.org/10.2307/27694733>.

² C. Wright Mills, *The power elite* (New York: Oxford University Press, 2000).

في حقيقة الامر، هذا يعكس وجود مستويين اثنين لاستخدام المعرفة في الحقل السياسي؛ ما هو معرف و ما هو سري، أي ما يظل في حيز الجهل. ولكن كلاهما يعبر عن استخدام استراتيجي للمعرفة؛ أي ابرازها أو إخفاؤها خدمة لأغراض استراتيجية أو سياسية. في العادة، يتكفل العلم La science بالبحث فيما هو معروف أو قابل للمعرفة عبر تقديم تفسيرات له، و هدف العلم مزدوج : فإن كانت العلوم نظرية des sciences spéculatives فالهدف هو الفهم، و إن كانت تجريبية des sciences expérimentales فالهدف منها عملي أو تقني. في كلتا الحالتين يكون للمعرفة استخدامات من طرف الحقل السياسي عبر اتخاذ قرارات معينة، ولكن بتدخل وسطاء لهم علاقات مع العلم و هم الخبراء والعلماء أنفسهم في مختلف التخصصات. في هذه الحالة نحن أمام ما يسميه نعوم تشومسكي بفئة حوّلت المعرفة الى رهان سلطوي؛ "المندريين الجدد New Mandarins"، في إشارة الى المفكرين الليبراليين الذين يوفرّون الغطاء الايديولوجي للنخب. حسب تشومسكي، فإن مسارتحويل المعرفة الى سلطة لا يتحقق عن طريق العلماء و المفكرين من الصنف النزيه – باحث عن الحقيقة بالمعنى الافلاطوني للمصطلح، باحث عن الفهم و التفسير بالمصطلح الاستيمولوجي اليوم - بل بواسطة أولئك الخبراء الذين باعوا ضمائرهم مقابل السلطة¹. حسب قراءة تشومسكي هاته، فإن مراكز التفكير تمثل هذا الصنف الثاني لأنهم مجرد مستخدمين لدى قوى المال، السياسة و السلاح².

هناك بالموازاة مظهر آخر للمعرفة و هو أنها مقيدة تارة بثقافة السر و تارة أخرى بانعدام المعلومات و المعارف بشأنها. يُعَيَّرُ المجهول Ignorance و السري Secrecy عن نفس الديناميكية و هي أن كلاهما يمثل معرفة ولكن لا يمكن الوصول اليها. هذا الأسلوب لا يبدو و أنه من سمات العلم La science، لأن العلماء عادة يضعون نظرياتهم و تفسيراتهم ليطلع عليها العالم كله، و خصوصا من طرف النظراء حتى تتم مراقبة علميتها. كل البحوث التي تركز السرية لها رهانات محددة سواء كانت اقتصادية أو استراتيجية، و هي بهذا الشكل لا تمثل جزء من المثالية العلمية الباحثة عن الحقيقة. تلجأ المعاهد المراكز البحثية التابعة للمجمعات الاقتصادية الكبرى الى ممارسات معرفية قائمة على السرية. تنسب الممارسة أيضا بشكل آلي الى الأجهزة الحكومية، العسكرية و الاستخباراتية، فهي مجالات مشبعة بثقافة السر. يعتبر مركز راند أشهر مراكز التفكير الأمريكية التي عرفت عنها ثقافة السر و الاستخدام الاستراتيجي للمعرفة السرية خصوصا خلال الحرب الباردة. آنذاك، تحددت قواعد اللعبة

¹ Noam Chomsky, *American Power and the New Mandarins* (Penguin Books India, 2003).

² Ibid.

بمدى القدرة على الحفاظ على سرية المعلومات و المعارف التي يملكها كل طرف عن الآخر خصوصا في مسائل التسليح و الجوسسة، حتى يتسنى له تحقيق نوع من التفوق في علاقة النزاع. توجد الكثير من مجالات التدخل السياسي التي تعاني من ثقل مؤثرات السر، و من ثقل المؤثرات اللا - معرفية (قلة ما يعرف عن المشكلة او غياب تام للمعلومات) و منها مشكلة الإرهاب. هل هناك ارتباطات بين جماعات اهابية و أجهزة استخباراتية لدول معينة ؟ نعم قد يكون هذا ممكنا فوكالة الاستخبارات الأمريكية صنعت المجاهدين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي، و الذين تحولوا الى اهابيين بعد 09/11، ودولة الكيان تعتبر حماس الفلسطينية حركة اهابية تعمل لصالح الاستخبارات الايرانية، والاستخبارات الغربية مولت و أطرت سرا حركة أنصار الشام في سوريا لإسقاط نظام بشار الأسد. ماذا يعرف خبراء مراكز التفكير عن هذا؟ و ماذا يعرف الأكاديميون عنها؟ لا شيء. هذه هي الاجابة.

من هذا المنظور نرى بوضوح أنه يتم تأطير المعرفة بالسر أيضا الذي تتميز به الثقافة المهنية في بعض القطاعات كالأمن، و بهذا الشكل فهي تعبر عن تفاعل استراتيجي قبل كل شيء، كما تتصوره الباحثة لينسي ماك جوي Linsey McGoey. تقول هذه الأخيرة أن تعبئة السري و المجهول في وضعية معينة يكون الهدف منه غالبا الحصول على موارد معينة و التحكم فيها، التنصل من المسؤولية في حالة السيناريوهات الكوارثية، وتأكيد سلطة الخبراء أمام النتائج المتوقعة و غير المتوقعة في دراساتهم¹. بعبارة أخرى، عندما لا يعرف الخبراء (و حتى أجهزة الدولة المختصة كالاستخبارات) الشيء الكثير عن مشكلات معينة، فإن الوضعية الاتصالية المثلى تكمن في اسناد سلطة الرأي للخبير، لأنه الأنسب شكليا لهذا الغرض، فيمكن بسهولة كسب الثقة في آرائه، ثم إنه من السهل إلقاء المسؤولية على عاتق الخبير لأنه غير مسؤول سياسيا عن نتائج تحاليله و آرائه. هذا ما يقصده تماما داي Dayé عندما يقول أن ردود الفعل الطبيعية للإنسان أمام وضعيات غياب المعرفة و غياب الأمن هي إعطاء حجم كبير جدا من الثقة غير المبررة لمواقف اجتماعية أو ثقافية منتقاة بعناية و لمناصريها². تصبح في النهاية آراء الخبراء في وضعيات اللا-معرفة الاستراتيجية عبارة عن تأكيدات تستعمل من طرف مراكز القرار

¹ Linsey McGoey, « The Logic of Strategic Ignorance: The Logic of Strategic Ignorance », *The British Journal of Sociology* 63, n° 3 (septembre 2012): 533-76, <https://doi.org/10.1111/j.1468-4446.2012.01424.x>.

² Christian Dayé, *Experts, Social Scientists, and Techniques of Prognosis in Cold War America* (Cham: Springer International Publishing, 2020), <https://doi.org/10.1007/978-3-030-32781-1>.

للتعرف على ما هو غير معروف، كما تؤكد دراسة لوكاس غريسل Lukas Griessl عن المعرفة السرية في معهد راند الأمريكي¹.

وفقا لهذا الطرح، فإن الارهاب باعتباره سلوكا هلاميا (غير قابل للتوقع زمانيا و لا مكانيا) يعتبر مشكلة غير يقينية و بالتالي فإن المعارف الخبيرة التي يتم انتاجها عنه اخذت شكلا مميزا فهي تنتج وفقا لتصورات و مضاربات ثقافية و ليس بناء على بيانات امبريقية و وقائع. سنعطي مثالا على هذا، فالإرهاب المسمى اسلاموي هو الحالة الطبيعية في أذهاننا منذ هجمات 09/11، لأن هذا ما تقوله وتردده وسائل الاعلام و الخبراء باستمرار، و حتى الأكاديميون من خلال حجم الأعمال التي كرست له. هذا التصور مغلوط لأن المعطيات الامبريقية لا تؤكد كحقيقة احصائية. فلنقرأ ما يقوله مثلا تقرير مكتب الشرطة الأوروبي Europol بتاريخ 27 جويلية 2011، وهو عبارة عن حوصلة تصنف الهجمات الارهابية -الناجحة و الفاشلة و التي تم احباطها- التي ارتكبت في دول الاتحاد الاوروبي بين فترتي 2006 و 2010، و ذلك بحسب هوية المرتكبين السياسية أو الايديولوجية أو الدينية. خُصّ التقرير أن " من بين 2056 اعتداء أو محاولة اعتداء ارهابية، فإن الجماعات الانفصالية ارتكبت 1750 اعتداء أي ما نسبته 85 في المائة، بينما تورط الاسلاميون في تسع (09) حوادث، و تورط اليمين المتطرف في ست منها (06)، أي ما نسبته على التوالي 0.4 بالمائة و 0.3 بالمائة² ؛ هذا معناه أن الارهاب الإسلامي هامشي جدا شأنه شأن ارهاب اليمين المتطرف. تقوم منهجية مراكز التفكير و الخبراء على تغييب هذه الحقائق و استبدالها بمقاربات هوياتية و ثقافية، و التي هي في واقع الأمر حوصلة لأراء مجموعة ضيقة جدا من الخبراء³. تتواجد سلطة القرار في ظروف اللا - معرفة و اللايقين فعلا في يد مجموعة ضيقة من الخبراء بحكم خبرتهم في ميدان اختصاصهم، و هذا مدلول عبارة الايبستوقراطية Epistocracy (سلطة المعرفة). إنه عبارة عن نظام توجهه القناعة الراسخة بأن بعض الخبراء يمتلكون الكفاءة

¹ Lukas Griessl, « The Power of Secret Knowledge: The RAND Corporation, Ignorance Studies and Sociology », *The American Sociologist*, 8 mars 2023, <https://doi.org/10.1007/s12108-023-09567-2>.

² European Police Office, *TE-SAT 2011 : EU Terrorism Situation and Trend Report* (NL: European Police Office, 2011), <https://data.europa.eu/doi/10.2813/14705>.

³ سنرى في الفصل الثاني أن حقل خبراء الارهاب تشكل حول نواة صلبة من الخبراء الأمريكيين، و عددهم محدود جدا ولكنهم لا يزالون مؤثرين الى غاية اليوم.

والأدوات اللازمة لتحديد الطريق الأفضل الذي يجب أن تسلكه سياسة معينة مقارنة بباقي المتدخلين¹.

المبحث الثالث : مقاربات تفسير التأثير السياسي لمراكز التفكير

رأينا أعلاه أن هناك استعصاء نظري في تحديد الخصائص المميزة لمراكز التفكير و التي ترتب عنها غموض في طبيعتها. فعبارة مراكز التفكير تخضع للكثير من المتغيرات التي تؤثر على محتواها و أهمها : الخصوصيات الوطنية لكل دولة في تعريف المركز القانوني لها، وجود التقليد الخيري و اقتصاد الهبات économie de dons، ثقافة الاعتماد على الخبراء، هيكلية قطاع التعليم الجامعي و تمويله، طبيعة النظام السياسي للدولة. لقد أفرزت هذه المتغيرات غيابا للخاصية التكوينية La substance الرئيسية لطبيعة هذه المؤسسات، كما يؤكد النقاش النظري الذي ارتبك في الوقوف على الخاصية الرئيسية والمبرر الوجودي لها La raison d'être. هذا النقاش أظهر وجود ثابتين اثنين : الأول، أن لمراكز التفكير أساليب عمل خاصة بها دون غيرها من المؤسسات الشبيهة، الثاني، و أن هذه الأساليب يجب أن تفهم على أنها استراتيجيات للتأثير السياسي قبل كل شيء. و عليه، فإن نموذج التأثير السياسي لخبراء الارهاب يستمد قوته من الخصائص النخبوية للحقل و الذي أفرز تلك الخبرة الهجينية التي تجمع بين العلم و الايديولوجيا، المعرفة و اللا- معرفة².

المطلب الأول : نظرية النخب لتفسير أدوار مراكز التفكير في العملية السياسية

في الوم أ. هيمنت - بعد 09/11 - أربع مراكز تفكير كبرى مقربة جدا من مستويات رفيعة جدا في الحكومة و البنتاغون الأمريكيين على مسار السياسة الخارجية الأمريكية، و هي مركز راند، مجلس العلاقات الخارجية Council on Foreign Relations، مجموعة بيلديربيرغ Bilderberg و اللجنة الثلاثية Trilateral Commission. بفضل الروابط المباشرة التي تربط الخبراء مع المسؤولين الحكوميين الذين شاركوا في مختلف العمليات السرية، خلقت مراكز التفكير مساحة للرأي، و مناقشة الأفكار

¹ Griessl, « The Power of Secret Knowledge ». p.7.

² Anti-knowledge أو اللامعرفي، أو المناهض للمعرفة باللغة العربي، هي عبارة قدمتها ليزا ستامبينتسكي في دراستها عن خبراء الارهاب. لتشير الى الحركات اللامعرفية أو حتى المناهضة للعلم الموجودة في خطاب الخبراء (مثل غياب الموضوعية، ثقل العناصر الايديولوجية في الخطاب..الخ) و التي سندرجها في الجزء المخصص لتحليل وثائق العينة المختارة في هذه الدراسة.

ووضع السياسات لمجموعة قليلة من الأشخاص، وقد سمحت بظهور نوع من الاجماع داخل هذه الدوائر. يسمح الإطار الذي تقترحه النظرية العامة للنخب بتفسير مسار سياسة عامة ما - و منها السياسة الخارجية - انطلاقا من مساءلة طبيعة التدخل الذي يقوم به خبراء مراكز التفكير في العملية من خلال الكشف عن ارتباطات هؤلاء بالمراكز السلطوية (مؤسسات اتخاذ القرار). بعبارة أخرى، يسمح مثل هذا الاطار التحليلي بالإجابة على سؤال من يحكم في حالة سياسات التعامل مع الارهاب ؟ أي كيف تعمل شبكة التخطيط السياسي لرسم أجندة التعامل مع مشكلة الارهاب؟

1- مراكز التفكير كسلطة نخبوية : تشارلز رايت ميلز & ويليام دومهوف

تعتبر مساهمة شارلز رايت ميلز منذ سنة 1956 في كتابه نخبة السلطة ، ذات فائدة تحليلية لموضوعنا لأنها تعيننا على فهم جهود الخبراء في بناء أجندة فريدة أو وحيدة للسياسة الخارجية الأمريكية، أو في بناء إجماع ما انطلاقا من العلاقات النخبوية في هرم السلطة. لا تتعامل نظرية النخب كإطار تحليلي مع العملية السياسية باعتبارها تعددية، أي تقبل تدخل للعديد من الفاعلين، بل تتناولها بصفتها نخبة ضيقة من الأشخاص تمتلك سلطة كل القرارات بما فيها تلك القرارات ذات الأبعاد المصيرية للمجتمع والدولة¹.

يرى ميلز أن مراكز السلطة تشكلها ثلاث أنواع من النخب ؛ النخب الحكومية (السياسة)، النخب الاقتصادية (المال)، و النخب العسكرية (السلاح). يعكس مفهوم سلطة النخب The Elite Power تلك الفئة الضيقة من الأشخاص التي تنتج عن تقاطع النخب الثلاثة. إنها اليوم تتجسد في مراكز التفكير كما يدافع عنه توماس ميدفيتز بقوله أن مراكز التفكير أصبحت أهم أداة اليوم في الربط بين النخب الفكرية و النخب السياسية في الحياة السياسية الأمريكية. وهذا يعني أن منتجي المعارف من الفئات الأخرى قد تراجعوا الى مراكز هامشية جدا في حقل النقاش العام خصوصا بسبب النمو الهائل لأعداد هذه المعاهد². يستخلص ميدفيدتز من هذه الملاحظة أن الأفكار أصبحت تحدد سلطة المال و السياسة و لا تتحدد بالأفكار في حد ذاتها³، وان هذه الحركية لا تعبر سوى عن تحولات مست بنية السلطة داخل الوم أ. و خارجها. وفقا للقراءة التي اقترحها ميلز فإن ملاحظة توماس

¹ Mills, *The power elite*. 7.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. 7.

³ Ibid. 226.

ميدفيتز تعتبر نظرية نخبة أيضا لأنها تنظر الى خبراء مراكز التفكير باعتبارهم أدوات تم وضعها بطريقة محسوبة استراتيجيا لخدمة الأهداف و أجندة طبقة حاكمة. و السبب الرئيسي في هذا الحكم على أنها نظرية نخبة¹ يكمن في أنواع الحجج التحليلية التي يقدمها ميدفيتز، فهو يعتبر أن ظهور مراكز التفكير الأولى في أمريكا بدأ كمشروع للطبقة الحاكمة كان الغرض منه هو إعادة تكييف الرأسمالية مع الظروف الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية و توجيه السياسة الخارجية الأمريكية في اتجاه زيادة نمو قوتها على الصعيد الدولي².

تعتبر مقارنة ميلز سليمة لتحليل سياقات وجود اجماع بلمسة الخبراء، فهي مفيدة خصوصا لأنها تسمح بقراءة هيمنة رؤى على حساب أخرى نظرا لعدم تكافؤ القوة بين النخب المتعددة. لقد ساهمت مقارنة ويليام دومهوف William Domhoff - وهو من أهم كتاب نظرية النخب على الإطلاق³ - في تقديم إضافة لهذه القراءات لأنها أعطت تحليلا مفصلا للعملية السياسية من خلال تقديم مراحل تدخل النخب فيها. ينطلق دومهوف في تحليله من تأكيد الطبيعة النخبوية للعملية السياسية وذلك بناء على ثلاث اعتبارات ؛ الأول و هو اعتقاده أن الطبقة الحاكمة واعية بمركزها كنخبة، كما تشير اليه سجل الاتصالات الخاصة، Le carnet d'adresse لكل واحد منهم حيث يمثل قائمة حقيقية لشخصيات من المجتمع الرفيع. الثاني، يؤكد أن الطبقة الحاكمة متماسكة و متناغمة (مسار تنشئة

¹ هذا تقديرنا الشخصي من خلال قراءتنا المتمعة في أفكار ميدفيتز و اقتباسا عنه بشكل مباشر. لكن و بشكل غريب، لا نفهم كثيرا لماذا يتنقد ميدفيتز نظرية النخب. من المعروف عن ميدفيتز أن مقالاته التي اعقبت نشر كتابه "مراكز التفكير في أمريكا" سنة 2012، تحتوي على انتقادات يوجهها ضد أنصار نظرية النخب خصوصا ضد بيتشاك Peschek ، فهو يعيب عليهم قراءتهم السطحية لمراكز التفكير إذ يعتبرونها "جزء من مشروع سلطة لطبقة حاكمة". و هي ليست كذلك بالضرورة- حسب - لأن النشأة الأولى لها لم تكن ضمن النخب الاقتصادية أو العسكرية فحسب. كما يعيب عليهم اعتبارهم لمراكز التفكير "شبكات مغلقة"، و هي ليست كذلك حسب لأنها شبكات تأثير سياسي موسعة و قوية. و يعيب عليهم في الأخير أنهم ينفون وجود مراكز تفكير قادرة على توجيه ذاتها ضد مصالح الطبقة الحاكمة.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. 56.

³ نحن أمام أهم كتاب نظرية النخب على الإطلاق. يعتبر كتابه المسمى " من يحكم أمريكا؟" كتابا مرجعيا لفهم بنية العملية السياسية في السياق الأمريكي من ناحية تركيبها النخبوية. صدر الكتاب في أول نسخة له سنة 1967 و نحن اليوم مع نسخته الثامنة 2022. لأن الكتاب قائم منهجيا على التعريف بأولئك الذين يحتلون المراكز السلطوية الثلاثة الشهيرة في نظرية دومهوف و هي (1) مجالس ادارة الشركات الكبرى، (2) المؤسسات الخيرية للأغنياء و مراكز التفكير و (3) مجموعات النقاش السياسي Policy-discussion groups، فإنه يحتاج الى التحديث مع كل ولاية للديموقراطيين أو للجمهوريين في سدة الحكم في أمريكا. الكتاب هو خلاصة دورية للمشروع البحثي "النخب السياسية الأمريكية" الذي يترأسه ويليام دومهوف - استاذ علم الاجتماع السياسي- بجامعة كاليفورنيا سانتا كروز.

G. William Domhoff, *Who Rules America?* (Prentice-Hall, 1967).

الأبناء و البنات يتم في نفس المدارس الخاصة، العائلات تلتقي في نفس الأماكن، و الزواج يتم بين نفس العائلات). الثالث، و هو الأهم و هو أن مصالح هذه النخب يتم تتبعها و الحفاظ عليها عن طريق السياسات العامة، و يتم هذا خصوصا عن طريق تمويل الحملات الانتخابية، و الحصول على مكاتب في مجالس الادارة لكبريات الشركات الاقتصادية، و في تمويل مراكز التفكير.

إن الاضافة الأهم التي جاء بها دومهوف هي أنه اعتبر أن مسار سياسة عامة معينة في أمريكا تتدخل فيه بشكل مشترك و خطي أنواع متعددة من المؤسسات ذات طبيعة نخبوية، فهو يبدأ عند نخب تدافع عن مصالح و أفكار معينة و ينتهي في بهو المؤسسات الرسمية مثل الكونغرس أو البيت الأبيض.

[...] أولا، يبدأ هذا المسار حسب تصوره في قاعات إدارة الشركات الكبرى و مراكز التفكير و النوادي الجماعية و اللقاءات غير الرسمية حيث يتم تقديم قضايا معينة كمشكلات تستدعي الحل من خلال التدخل. المرحلة الثانية هي التمويل، حيث يتم توجيه الأموال نحو مراكز معينة، أي نحو نخب أخرى من الخبراء في مراكز التفكير، حيث يتم تحضير قائمة الخبراء بعناية بالغة لأن مهمتها هي إعداد الاقتراحات التي تتماشى و مصالح جماعة النخبة *elite community*. ثالثا، يلتقي مطورو المقترحات من الخبراء مع القيايين الاقتصاديين و مع المسؤولين السياسيين الرسميين في أفواج عمل للخروج بالإجماع المناسب حول المبادرات التي يجب أن تصل الى الكونغرس أو الى البيت الأبيض¹.

كل هذه المحطات ذات طبيعة نخبوية، فالإجماع هو إجماع نخب فحسب و ليس إجماع ديمقراطي. لا يظهر تحكم النخب في مسارات السياسات من خلال التمويل فقط بل من خلال التحكم في المناصب في مجالس الادارة سواء بالنسبة للشركات الاقتصادية أو بالنسبة لمراكز التفكير، وهذا نوع من التحكم الفكري لأنه يسمح بتوجيه الأموال نحو مشاريع بحثية دون أخرى. من المعروف أن عالم مراكز التفكير يتميز بخصوصياته في هذا المجال نظرا لهذه المراقبة التي تمارس عليهم من طرف الممولين، فليست كل المشكلات الاجتماعية و السياسية مرشحة لأن تكون موضوعا للخبرة و للبحث في مركز التفكير بل تلك المشكلات التي تتمتع بصفة الجدوى بالنسبة لسمعة مركز التفكير في حد ذاته

¹ Tuğrul Keskingören et Patrick R. Halpern, « Behind Closed Doors: Elite Politics, Think Tanks, and U.S. Foreign Policy », *Insight Turkey* 7, n° 2 (2005): 99-114. 101.

ولمصالح من يقفون خلفه هي اتي يمكنها أن تحتل حيزا من الاهتمام البحثي من طرف مركز التفكير. لا يجب أن تفهم الجدوى هنا بالمنطق الاقتصادي (منطق الكلفة و الربح) بل بمنطق مركز التفكير، فموضوع الارهاب الانفصالي (الذي تحركه مطالب انفصالية) لا يحظى بالاهتمام البحثي في مركز التفكير، بل إنه غير مهم بتاتا بالنسبة لهم، بينما يعتبر موضوع الارهاب الاسلامي موضوعا ممتازا. يكفي البحث بالباحث الالكتروني باستخدام الكلمتين لنقف على الحجم الحقيقي لمدى اهتمام مراكز التفكير بأحد الموضوعين على حساب الآخر.

يشير توماس داي T. Dye الى هذا المعنى بقوله : لقد اعترف بروس ماك لوري Bruce McLaury وهو مدير سابق لمركز التفكير Brookings بأن مجلس الادارة يتحكم في صلاحية توجيه مشاريع البحث و أن الباحثين أو الخبراء ليس لهم الحرية في البحث فيما يريدونه من مواضيع، و غالبا ما تواجه مقترحاتهم بالرفض¹. هذا معناه أن مشاريع البحث ذات الجدوى في مركز التفكير تحددها سلطة (نخبة) المال و الممولين و ليس الأكاديميين و الخبراء. تظهر سيطرة النخب على مسار السياسات من خلال قدرتها على الربط بين القياديين الاقتصاديين (المال)، و الخبراء (المعرفة) والمسؤولين السياسيين، الصحفيين فيما يسميه دومهوف مجوعات النقاش السياسي، و هي أدوات للبحث عن الاجماع حول مقترحات يجب الوصول بها الى مركز القرار ليتم تبنيها. داخل هذه الهندسة المتشعبة تلعب مراكز التفكير الدور الأهم كما يقول ريتشارد هاس وهو سابقا مدير البحث و التخطيط في كتابة الدولة الأمريكية للخارجية : تلعب اليوم مراكز التفكير اليوم خمس أدوار مهمة جدا : إنهم ينتجون أفكارا جديدة يستفيد منها صناع القرار، إنهم يزودون بالخبراء للخدمة في الكونغرس و في الادارات الحكومية، إنهم يوفران مساحات للرأي تسمح بإنتاج مفاهيم مشتركة يستفيد منها صناع السياسات، إنهم يقدمون توعية للمواطنين في العالم كله، كما أنهم يقدمون وساطات في الحالات النزاعية².

في آخر نسخة من كتاب دومهوف من يحكم أمريكا ؟، يؤكد ويليام دومهوف أن فئة مراكز التفكير تضم الهيئات التالية : البروكينز the Brookings Institution ، و the American Enterprise Institute و the Heritage Foundation. و تضم فئة المنتديات أو ما يسميه بمجموعات النقاش السياسي ما يلي؛ the National Association of Manufacturers - و the U.S. Chamber of Commerce - و the Council on Foreign Relations - و the Business Council - و the Committee

¹ Thomas R. Dye, *Who's Running America?: The Obama Reign* (Routledge, 2015).

² Cité dans : Keskingören et Halpern, « Behind Closed Doors ». 103.

the Business Roundtable و for Economic Development. كما يلاحظ دومهوف أن الشبكات السياسية اليوم لم تعد متجانسة لأن مجموعات النقاش السياسي الثلاثة الأولى ذات طبيعة محافظة جدا وتتبعها منطقيا مركزي التفكير the American Enterprise Institute و the Heritage¹ Foundation.

تعتبر نظرية دومهوف عن الطبقة المهيمنة عن وجود فائدة تفسيرية لموضوعنا، وهي أن مراكز التفكير فلا يمكن يجب فهمها خارج إطار انتمائها النخبوي، فهي ليست مجرد أداة في يد نخبة اقتصادية غنية جدا - يسميها بالطبقة المهيمنة - كما يعلق عليه معارضون نظرية النخبة، بل هي حلقة الوصل بين النخب الاقتصادية و النخب السياسية. يؤكد منظرو الطبقة المهيمنة أن الأخيرة تتشكل انطلاقا من قدرة الأغنياء على تحويل سلطتهم الاقتصادية الى خبرة سياسية ثم الى وصول سياسي الى مراكز القرار وهي ما تجعل منهم (الأغنياء) الطبقة المهيمنة فعلا. يجب التنبيه إلى أن سلطة الطبقة المهيمنة ليست مطلقة، فهذا الجمع لمصادر السلطة لا يعبر عن احتكار مطلق للسلطة حسب دومهوف بل يعبر عن قدرة الطبقة المهيمنة على التحكم في الأطر الفكرية السياسية و الاقتصادية التي يجب على جميع الفاعلين الانضمام إليها². إنها آلية هيمنة مادية على مسار صناعة الاجماع حول خيارات وتوجهات سياسية معينة.

2- دور خبراء مراكز التفكير في صياغة وتوحيد الأجندة السياسية

لقد أخذت السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر 2001 طابعا حربيا واضحا في مجملها وعرفت سياسة مواجهة مشكلة الارهاب عسكرة بدورها سواء على الصعيدين الداخلي أو الخارجي. تحول هذا الطابع الحربي الى براديفم دولي فعلي لمواجهة الارهاب و امتد نحو الفضاءات الجيوسياسية الأخرى مثل الشرق الأوسط. حاولت الكثير من الدراسات أن تفهم طبيعة الاجماع الحربي المميز للسياسة الخارجية الأمريكية، و خصوصا أسباب انضمام الخبراء والأكاديميين الى الخيارات الحربية. أشارت دراسة ريتشارد هانانيا Richard Hanania و ماكس أبرامس Max Abrahms إلى أن الخبراء في مراكز التفكير أكثر دعما للخيارات الحربية من الأساتذة و الباحثين، و هو ما يعتبر شكلا من أشكال

¹ G. William Domhoff, *Who rules America? the corporate rich, white nationalist republicans, and inclusionary democrats in the 2020s*, Eighth edition (New York, NY: Routledge, 2022).

² Ibid.

² Ibid. p. 14.

النضال الدولي عبر شبكات أو منظمات دولية¹. تعتبر قراءة دومهوف السابقة جد مفيدة لتفسير هكذا تساؤلات، فهي ترى أن قُرب خبراء مراكز التفكير من مراكز السلطة، أي المؤسسات السياسية والعسكرية الرسمية، هي عامل يفسر سبب توجه الخبراء نحو تبني الخيارات الحربية للسياسة الخارجية الأمريكية ودعمها، وهذا بدوره يعبر عن وجود ميكانيزم انتقائي للخبراء الذين لهم اتجاهات مناصرة ومدعمة للخيارات الحربية التي يحملها خصوصاً مهنيو الأمن والدفاع.

تعتبر السياسة الخارجية ذات طابع نخبوي²، ولمراكز التفكير ومجموعات النقاش السياسي كما يسميها دومهوف الدور المركزي. هناك أربع مراكز تفكير ومجموعات نقاش سياسي تهيمن على مسار السياسة الخارجية الأمريكية : مجلس العلاقات الخارجية CFR، معهد راند، مجموعة بيلديرغ، و اللجنة الثلاثية³، ويمثل هؤلاء النواة الصلبة لنخب السياسة الخارجية الأمريكية. يعبر مصطلح ال *establishment* (هيئة السياسة الخارجية) عن هيمنة هذه النخب على عملية انتاج الخطاب المهيمن والاستراتيجية الكبرى للوم أ. ، فهي مدخل مهم جداً لفهم طبيعة الخطاب الذي يتم انتاجه عن السلوك الاستراتيجي الخارجي. يفرض ال *establishment* في الوم أ. وجهة نظره المنسجمة بشكل موسع على جميع أعضائه، كما أن الخيارات التي يتبناها تكون في الغالب مسيطرة حيث تلعب دور الخطاب المهيمن الذي بواسطته تفهم المشكلات كلها، وبواسطته تتم شرعنة السياسات المنتهجة في أعين الرأي العام.

هل يمكن التأكيد على وجود ال *establishment* ؟ هذه الرؤية التي تؤكد على وجود ال *establishment* (هيئة للسياسة الخارجية في الولايات المتحدة) وأن سياسة الولايات المتحدة في الخارج هي في جوهرها عملية تقودها النخبة - يطرح لغزين من ناحية تعارضه مع فكرة الديمقراطية : الأول، القول بأن هناك نخبة في الولايات المتحدة يتعارض مع القيم الديمقراطية و صوصاً فكرة

¹ Richard Hanania et Max Abrahms, « What Do Think Tanks Think? Proximity to Power and Foreign Policy Preferences », *Foreign Policy Analysis* 19, n° 1 (1 janvier 2023): orac031, <https://doi.org/10.1093/fpa/orac031>.

² Christopher Layne, « The US Foreign Policy Establishment and Grand Strategy: How American Elites Obstruct Strategic Adjustment », *International Politics* 54, n° 3 (1 mai 2017): 260-75, <https://doi.org/10.1057/s41311-017-0033-0>.

³ Ray McGinnis, « 9/11, the Power Elite, and the U.S. Think Tanks That Plan the Future », *The American Journal of Economics and Sociology* n/a, n° n/a, consulté le 24 septembre 2023, <https://doi.org/10.1111/ajes.12532>.

المساواة المتجذرة في الثقافة السياسية الأمريكية. كما يطرح هذا الأمر إشكالا بديها حول الدور الذي يمكن أن تلعبه الفئات الاجتماعية في صنع استراتيجية للسياسة الخارجية الأمريكية، في ظل وجود شعار و خطاب أبدي أن الولايات المتحدة هي مجتمع بدون طبقات في الغالب. الثاني، تسلط رواية الديمقراطية الأمريكية الضوء على دور هيمنة المواطنين على الحكومة. و بناء على روايتي المساواة وهيمنة المواطنين على الحكومة، يوجد شعور بالارتياح لدى الأمريكيين من فكرة أن صنع السياسة الخارجية في الولايات المتحدة تختص بها هيئة يتكون أعضاؤها من طبقة نخوية، المعفاة من المسؤولية أمام هؤلاء المواطنين، كما يقول عالم السياسة ج. وليام دومهوف : فكرة أن مجموعة ثابتة نسبيا من الأشخاص المحظوظين قد تشكل الاقتصاد والحكومة لصالحها تتعارض مع ثقافة الولايات المتحدة¹. رغم هذا، فإن معظم المهتمين في الولايات المتحدة يعترفون بالوجود الفعلي لـ ال establishment - هيئة للسياسة الخارجية- خصوصا و أنه لا يزال يتم الاحتفال بإنجازاتها الكبيرة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية - مثل الاحتواء، وبناء المؤسسات الدولية (الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي)، وخطة مارشال، وتأسيس الحلف الأطلسي...الخ.

يعرف هودجسون Hodgson - و هو صاحب أول مقال حول هذا الموضوع (1973)- هيئة السياسة الخارجية، ال Establishment في مجال السياسة الخارجية بأنه نظام ذاتي التجنيد والانتقاء لمجموعة من الرجال (بالكاد يضم نساء) ذوي فلسفة سياسية ثنائية الحزبية، فيما يتعلق بقضايا السياسة الخارجية و قضايا الدفاع الأمريكي، و يمتلكون من خلال خبرتهم و ممارستهم تأثيرا عمليا فعليا على مجرى هذه السياسات². حسب هودجسون فإن ال establishment في مجال السياسة الخارجية ثنائي الحزبية. يرى هذا الأخير أنه ومنذ أواخر القرن التاسع عشر حتى سنوات 1920 ، كان لـ establishment الدور الحاسم في دفع الولايات المتحدة نحو مكانتها كقوة عظمى. و على الرغم من دورها كأقوى قوة اقتصادية ومالية في النظام الدولي، إلا أنه خلال معظم فترة ما بين الحروب، لم تقم الولايات المتحدة بالخروج خارج حدودها لتولي دور الهيمنة الريادية. حسب هودجسون، قدم سياق الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة لـ establishment فرصة ثانية، حيث أمسكت بزمام مؤسسات السياسة الخارجية بقوة لتأكيد الهيمنة الأمريكية ولتشكيل النظام الدولي. كان هدف ال establishment في مجال السياسة الخارجية أن تنجح الولايات المتحدة بدلا من بريطانيا كضامنة

¹ Domhoff, *Who rules America?*. 1.

² Godfrey Hodgson, « The Establishment », *Foreign Policy*, n° 10 (1973): 3-40, %https://doi.org/10.2307/1147778. 5.

عسكرية واقتصادية وقائدة أخلاقية لنظام عالمي متحضر وليبرالي وديمقراطي ورأسمالي¹. بُنيت رؤية ال establishment منذ عام 1945، على فلسفة لبرالية تنسجم مع الدور المنوط بالولايات المتحدة في السياسة الدولية. هذه الرؤية تستند على ثوابت : (1) الزعامة الأمريكية و التفوق الأمريكي، (2) ضرورة الأمن القومي، (3) الايديولوجية اللبرالية، و (4) القيادة الأخلاقية والسياسية للعالم².

هناك نسختين ل establishment منذ بروزها في الوم أ ؛ الأولى تبدأ من نهاية القرن التاسع عشر و الى غاية سنوات الستينيات من القرن العشرين، و تضم نخبا من قمة النخب الاقتصادية الغنية جدا، مركزها هو الساحل الشرقي، و عضويتها هي العرق الأبيض و الذكورية و البروتستانتية و أما تكوينها العلمي و المعرفي فيكون في رابطة ايفي Ivy League التي تضم بشكل خاص جامعات هارفارد و برينستون و يال. يؤكد ايزاكسون و ايفان توماس في كتابهما الشهير الحكماء (1986) أن ال establishment يستند أيضا الى مبدأ الاستحقاق méritocratique، فهو نظام له أسلوبه الخاص لأنه نظام تنمية عملية خاصة للأعضاء، فأولئك الذين يريدون الانضمام اليه إنما يبحثون عن الوصول الى نخبة خاصة جدا، و مقابل هذا تسعى المجموعة الى احتضانهم و تهيئتهم و صقلهم للانضمام الى تقليد عمل نخبوي³.

و أما النسخة الثانية فتبدأ منذ الستينيات و الى غاية اليوم. أصبح ال Establishment في مجال السياسة الخارجية أقل تكوينا من العنصر الأبيض ، وأقل ذكورية ، وأقل بروتستانتية، وأقل تركزا بالساحل الشرقي، وزادت أعداده بشكل كبير بوجود النساء وأفراد ملونين من أصول مختلفة، وكاثوليك ويهود. مع هذه التغيرات، من المنطقي الاستنتاج أن هؤلاء الأعضاء الجدد غير التقليديين قد جلبوا معهم منظورات جديدة بشأن دور الولايات المتحدة في العالم. ومع ذلك، لم يحدث ذلك، لأن ال Establishment نجح بشكل كبير في استيعاب ودمج أعضاء جدد تم تجنيدهم من خلفيات غير تقليدية⁴.

ما أهمية التحليل القائم على اعتبار وجود ال establishment في السياسة الخارجية؟ لأنه يصف لنا الحركات المهيمنة على مسار القرار السياسي الخارجي، و التي تخضع لها مراكز التفكير الكبرى. أولا،

¹ Ibid. 10

² Ibid. 11

³ Walter Isaacson et Evan Thomas, *The Wise Men: Six Friends and the World They Made* (Simon and Schuster, 1986). 28.

⁴ Ibid. 12.

إنه تحليل يسمح لنا بتصور نشاط مراكز التفكير باعتباره جزءاً من ال Establishment قبل كل شيء. فمثلاً نحن نعلم أن مسيرة الجيوستراتيجي الأمريكي الشهير زبيغنيو بريززينسكي Brzezinski تضمنت كل أشكال العضوية التي ذكرناها انطلاقاً من قرائتنا لنظرية دومهوف، فهو واحد من أعمدة ال establishment. بعد عمله كمستشار أمن قومي لدى الرئيس كارتر (1977-1981)، و بعمر 52 سنة سيقضي حياته بين عالمي الجامعة و مراكز التفكير ؛ كأستاذ و كخبير لدى مركز التفكير ؛ مركز الدراسات الاستراتيجية و الدولية. مؤلفاته المهمة و غير المتقطعة، مشاركته في مجموعات التفكير السياسية (هو من أسس برفقة الملياردير دافيد روكفيلر سنة 1973 اللجنة الثلاثية la commission trilatérale)، قدرة الوصول الى المسؤولين السامين، شخصيته الاعلامية، كلها جعلت منه سلطة معرفية حقيقية في قلب ال Establishment¹.

ثانياً، يقوم الدور الرئيسي ل establishment بفصل الخيارات السياسية المقبولة عن تلك التي ليست كذلك، و وجوده يمثل بهذا الشكل ضامناً قوياً للاستمرارية في استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى Grand strategy. ثالثاً، يعتبر ال establishment في مجال السياسة الخارجية جزءاً من النخبة الاقتصادية والمالية. وهذه الصفة، فهو يعكس على نطاق واسع مصالح النخب الاقتصادية والمالية، ونظرتها، ورؤيتها للعالم. رابعاً، بحكم كونها شبكة تربط صانعي السياسات بالنخب الاقتصادية والمالية، وأيضاً بشبكة النقاش السياسي و مراكز التفكير المهمة، يعتبر ال establishment في مجال السياسة الخارجية أداة دمج للتفضيلات السياسية (الخيارات المفضلة) بنظرة النخب الاقتصادية والمالية في عملية صنع الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة. تسمح هذه الوظائف التي يقوم بها ال establishment بضمان استقرار و استمرارية السياسة الخارجية الأمريكية و استراتيجيتها الكبرى، و هذا معناه استمرارية نظام الاعتقاد السياسي الذي هو جوهر مأسسته و الذي ينتقل من الجيل القديم الى الجدد باستمرار.

ما طبيعة الخطاب المهيمن الذي تدافع عنه هيئة السياسة الخارجية الأمريكية Establishment؟ يقوم ال establishment على اعتقاد راسخ مفاده أن كل استراتيجية للوم أ. يجب أن تكون مبنية على فكرة التفوق لأنها الطريقة الوحيدة التي تكفل استمرار المصالح الأمريكية، و هو

¹ Justin Vaïsse, « Chapitre 7. L'âge de l'autorité », in Zbigniew Brzezinski, Hors collection (Paris: Odile Jacob, 2015), 311-47, <https://www.cairn.info/zbigniew-brzezinski--9782738133427-p-311.htm>. 311.

مذهب يفرز بالضرورة حتميات كثيرة و منها ضرورة بدل مجهود حربي متزايد و مستمر، و الخوض في سياسات امبريالية. تقوم هيئة السياسة الخارجية بإنتاج الخطاب الذي يصاحب نظام العقائد الاستراتيجية لديهم. من خلال الممارسات الخطابية يتمكن ال establishment من تأطير النقاش العام حول دور الوم أ. و من التحكم فيه عبر النشر الموسع للمواقف السياسية المشروعة. يستعمل إذن خطاب ال establishment عن السياسة الخارجية لإقناع الرأي العام بحاجة الوم أ. لسياسة تدخلية دولية اقتصاديا و استراتيجيا، و يتم فرض هذه الرؤية باعتبارها القاعدة التي لا يجب الخروج عنها، فميدان السياسة الخارجية ليس ميدان نقاش متعدد للأفكار تنتهي المنافسة فيه بانتصار فكرة على حساب أخرى. إنه نموذج تسلطي يفرض خطابا مهيمنًا يتحقق باستعمال مقولات كبرى، أساطير و الدروس التاريخية¹. يؤكد كامبل في هذا المعنى أن خطاب هيئة السياسة الخارجية المهيمن يتميز بحمله لمفهوم الخطر؛ حيث يتم تضخيمه خارجيا باستمرار لتحويله الى تهديد من طرف الآخر ضد الهوية الأمريكية، بينما داخليا فيتم استعمال الخوف من أجل فرض الانضباط السياسي². من الاستعمالات الاستراتيجية مثل هذا الخطاب هي أن ستخدم لنشر اعتقاد عام بين الأمريكيين بأن الوم م. أ. ملزمة بتوفير خدمة الزعامة من أجل قيادة النظام العالمي، ومن أجل الأمن الجماعي، و من أجل الديمقراطية و من أجل الرأسمالية. يستعمل هكذا خطاب مهيمن من أجل ضرب مصداقية النقد الذي قد تتعرض له السياسة الخارجية، فيكون بالتالي أداة تحول دون ظهور بدائل لما يسمى بالاستراتيجية الكبرى القائمة على فكرة التفوق³. يعمل خبراء مراكز التفكير داخل هذه الهندسة، فهم جزء من هيئة السياسة الخارجية الأمريكية و هم من أقوى المدعين لها لأنهم أساسا منتجو معارف، فهم يمتلكون أنواعا متنوعة من المعارف حول المسائل التي يتكلمون فيها، بسبب عامل القرابة من مراكز القرار، ما يجعل مقولاتهم ذات مصداقية.

المطلب الثاني: البحث عن التأثير السياسي كوظيفة رئيسية لمراكز التفكير

تعرف استراتيجيات التأثير السياسي و مجالات المشاركة في مسارات اتخاذ القرار تطورا واضحا ومهينة متزايدة. تضم أجندة عمل مراكز التفكير في العالم اليوم أنشطة بحث و انتقاء للمعلومات،

¹ Layne, « The US Foreign Policy Establishment and Grand Strategy ». 269.

² Campbell, « Ideas, Politics, and Public Policy ».

³ Layne, « The US Foreign Policy Establishment and Grand Strategy ». 270.

تحليل للسياسات، و تفكير حول المشكلات و خصوصا صياغة الحجج التي تدعم التصورات السياسية الموجودة بشكل مسبق.

1- استراتيجيات اتصال ناجعة لمراكز التفكير

تتميز استراتيجيات التأثير السياسي لمراكز التفكير بتركيزها الشديد على استراتيجية اتصال واضحة مع الحقل السياسي و الحقول الأخرى. يقوم الاتصال في مراكز التفكير على الجمع بين طرق التحرير الأكاديمية و الإدارية. يسمح هذا الأسلوب لمركز التفكير بتقديم خبرة في صورة سلسلة لا تخلق انطبعا لدى المتلقين بأنها محاولة سيطرة على أدوار السياسيين أو حرمانهم من سلطاتهم في تقدير طبيعة المشكلات الموجودة و طبيعة الاستجابة اللازمة لها، عبر إملاء النهج الذي يجب اتباعه. يقوم مركز التفكير بإعداد توصيات و تحاليل مكيفة و مخرجة لتتوافق مع مجموعة متنوعة من الوسائط الاتصالية أهمها ؛ الكتب، التقارير، و مختلف أنواع المذكرات أو الأوراق التحليلية الرقمية. كل هذه الوسائط تدور حول أداة رئيسية هي ورقة الرأي Position paper تسمح لمركز التفكير بالتعبير عن موقفه من المشكلة محل النقاش.

تتطلب استراتيجية التأثير عند مركز التفكير الخضوع لبعض القواعد التي تملها لعبة التأثير وهي؛

- الجهود المستمرة و الدائمة للاستثمار في أشكال متجددة من الخبرة،
- جهود مستمرة و دائمة للاستثمار في التعبير الاعلامي عن المواقف والآراء،
- جهود مستمرة و دائمة في الضغط و المرافعة من أجل خيارات معينة.

تتجسد هذه الجهود عمليا في أنشطة كثيرة تحمل الصبغة الأكاديمية ؛ كتابة جماعية مشتركة للاقتراحات داخل مجموعات عمل يُراعَى التوازن فيها بعناية تامة، تنظيم مؤتمرات و محاضرات أكاديمية و ملتقيات تضم مواطنين و جماعات من خلفيات متنوعة، نشر مقالات رأي في الصحافة،

نشر رسوم بيانية ومقاطع فيديو قصيرة، و حتى القيام بمهام دبلوماسية موازية أو دبلوماسية عامة¹. تعتبر هذه الأنشطة ميزة استراتيجية من اكتشاف مراكز التفكير قبل غيرها من الهيئات.

يلاحظ المختصون في دراسة الاستراتيجيات الاتصالية لمراكز التفكير، كما يؤكد كل من ماك غين و ويفر² McGann et Weaver، أن هذه الأنشطة يصاحبها خطاب تبرير ذاتي *autojustification* يحضر في أغلب الوسائط الاتصالية المستخدمة؛ فهم مثلا يروجون لفكرة أن المساهمات التي يقومون بها تمثل مصدرا لتنويع المعلومات والأفكار حول المشكلات المختلفة، وأنهم يعملون من أجل تحقيق هدف مثالي وهو إثراء النقاش العام، وأنهم يرافعون من أجل القرارات السياسية الأفضل والأحسن. يقوم خطاب التبرير الذاتي أيضا على حجج أخرى حيث يقدمون أنفسهم على أنهم قنوات تدافع عن عقلنة و ترشيد التسيير، كما يتبنون بشكل صريح الدفاع عن المفاهيم المثالية الكبرى مثل "المنفعة العامة"³.

بيّنت بعض البحوث و خصوصا الأعمال التي قدمها كل من كالستروب و ديالار Karsltrup et Dialer سنة 2019 أن استراتيجيات التأثير عند مراكز التفكير تقوم على قدرتها على اقتراح خبرة بشكل أسرع مقارنة بالأكاديميين وحتى المستشارين المباشرين للمسؤولين السياسيين، و أن التحاليل التي يقدمونها تتميز بصرامتها و جودتها مقارنة بما ينتجه الآخرون من مستشارين و صحفيين⁴. تبني مراكز التفكير استراتيجياتها الاتصالية على المكتسبات و الانجازات التي حققتها بالماضي. يُبينُ الفحص البسيط للصفحة الالكترونية التقديمية لمركز بروكينز Brookings مثلا هذا الأسلوب في الترويج للمنجز الذاتي، وهي في الحقيقة طريقة لتثمين المنجز ولصناعة الصيت للمؤسسة، و من بين ما يمكن قراءته نجد :

¹ Lucile Desmoulins et Émeline Seignobos, « Un think tank dans son art du lobbying et de la prescription : la défense du modèle mutualiste par l'Institut Montaigne », *Études de communication* 49, n° 2 (2017): 73-88, <https://doi.org/10.4000/edc.7106>. p. 74.

² McGann et Weaver, *Think Tanks and Civil Societies*. p. 113

³ Lucile Desmoulins, « Les think tanks : des stratégies d'influence politique entravées par une raison d'être ambiguë et contestée », *Hermès, La Revue* 89, n° 1 (2022): 72-75. p. 72.

⁴ Jesper Dahl Kelstrup et Doris Dialer, « EU Think Tank Lobbying Strategies: Between Theoretical Advice and Practice », in *Lobbying in the European Union: Strategies, Dynamics and Trends*, éd. par Doris Dialer et Margarethe Richter (Cham: Springer International Publishing, 2019), 445-59, https://doi.org/10.1007/978-3-319-98800-9_33.

[...]1935 : قانون الحماية الاجتماعية الأمريكي تم تحديده من طرف البروكينز؛
1948: بطلب من لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، لعب خبراء
البروكينز دورا محوريا في اعداد وتطوير ما سمي بمشروع مارشال؛ 1959 : البروكينز يؤكد
في دراسة لروبينسون أن سياسة تسقيف الدين العام لها نتائج عكسية.. وأن دراسة
روبينسون هاته استخدمت كثيرا في النقاش السياسي منذ الستينيات و الى غاية سنة
2023..¹

تؤكد إذن هذه الحالة أن مراكز التفكير تحاول ان تتبنى أُبُوَّة الكثير من الأفكار التي تمكنت من
أن تستلهم النقاش السياسي، أو القوانين أو السياسات التي تم العمل بها. مثلا، يوجد هناك ربط
تلقائي لدى المختصين بين عهدي حكم رونالد ريغان (1980-1988) و مراكز التفكير المحافظة،
والمحافظون الجدد و ولاية بوش الابن الأولى (2000-2004) تعبيرا عن ثقل التوغل و التأثير الذي
حققته هذه الهيئات البحثية على مسارات السياسة العامة و السياسة الخارجية الأمريكية.

2- مراكز التفكير: أدوات تدوير للأفكار السياسية

في مقابل هذا الترويج للنجاح أشارت الكثير من الأعمال البحثية الى قراءات نقدية تعتبر أن
جهود مراكز التفكير التحليلية ليست بالضرورة نجاحات بل اخفاقات أيضا. يشير تقرير ستيفان
بوشييه S. Boucher نشره سنة 2014 عن أداء مراكز التفكير الأوروبية، يحمل عنوانا ناقدا مراكز
التفكير: امكانات غير مكتملة *Un potentiel inaccompli*، إلى أن مراكز التفكير لا تحقق أية إضافة
على الاطلاق لمنظمات المجتمع المدني². بالإضافة الى هذا، عبرت الباحثة الفرنسية في العلوم
السياسية أغاته كاجيه Agathe Cagé سنة 2020 أن النظر بتمعن ودقة في المنتج المعرفي لمراكز
التفكير يثير خيبة كبرى اليوم³.

¹ Brookings, « Our History », Brookings, consulté le 15 septembre 2023, <https://www.brookings.edu/about-us/our-history/>.

² Stéphane Boucher, « L'Europe et ses think tanks: un potentiel inaccompli », *Institut Jacques Delors* (blog), consulté le 15 septembre 2023, <https://institutdelors.eu/publications/leurope-et-ses-think-tanks-un-potentiel-inaccompli/>.

³ Agathe Cagé, « Les Think Tanks : Une Déception Française ? », *The Conversation*, 27 janvier 2020, <http://theconversation.com/les-think-tanks-une-deception-francaise-129111>.

تبين هذه الانتقادات أن خطاب التبرير الذاتي يعتبر في طبيعته خطاب ترقوي و صناعة للسمعة، وهذا ما تؤكد ديان ستون : تمتلك مراكز التفكير مهارات و كفاءات عالية جدا في الترويج للأفكار و التسويق لها Marketing des idées و إعادة تدويرها recyclage des idées، أكثر من امتلاكها لكفاءات في التحليل الصارم و في صياغة مقترحات ابداعية و جديدة¹. يحمل هذا الانتقاد ملاحظتين اثنتين يجب أن تناقشا خدمة لأهداف الموضوع :

الأولى ؛ أن فاعلية مراكز التفكير فاعلية تسويقية قبل كل شيء : و يفسر هذا الابداع بحيازتها على الموارد و الرساميل (بتعبير بورديو) اللازمة لذلك، فهم يوظفون بشكل ذكي الموارد المكتسبة في الحقل الأكاديمي لبناء المصداقية و تدمج في آن واحد مع الموارد المكتسبة في الحقل الاعلامي و حقل العلاقات العامة. أسلوب المؤتمر و المحاضرة مثلا يعتبر أسلوبا أكاديميا، و لكن انعقاد محاضرة عند مركز التفكير يصاحبها نشاط تسويقي فعال فهو موجهة في آن واحد نحو الرأي العام، الأكاديميين والمسؤولين السياسيين.

فكرة التدوير recyclage des idées عند ديان ستون Stone فكرة مهمة فهي تثير اشكالية جدّة و اصاله الأفكار التي يطرحها مركز التفكير، و هي مناقشة حقيقية لأبوة الأفكار التي تزعمها بعض هذه المراكز. في حقيقة الأمر، تلك الأفكار الابداعية الناجحة التي لقيت رواجا و نجاحا في حقل السياسات بسبب مراكز التفكير نادرة جدا كما تؤكد أغاثه كاجيه، و على نذرتها فهي لم تنشأ حصريا داخل مراكز التفكير، بل لدى الأكاديميين على وجه التحديد و كل ما حصل هو أن مراكز التفكير سوقتها بشكل جيد ثم زعمت أبوتها². كنتيجة إذن ، مراكز التفكير هي أدوات نقل لأفكار و أدوات دفع لها نحو الأمام لتكون في مركز الاهتمام السياسي، و نجاح فكرة ما في الوصول الى القرار السياسي بفعل تدخل مراكز التفكير يعبر قبل كل شيء عن نجاح السياسة التسويقية و الترويجية لها و لا يعبر بالضرورة عن أبوة للأفكار، التي ينبغي تتبع مصدرها.

يوضح مثال الأفكار التي روجت لها مراكز التفكير حول السياسة اللازم اتباعها لمواجهة مشكلة الارهاب بعد 09/11 هذه القراءة بشكل جيد. يلاحظ أن مراكز التفكير الأمريكية دافعت عن نوعين من الأفكار؛ غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر مباشرة حصل اجماع لدى الخبراء بدون استثناء على

¹ Stone, Denham, et Garnett, *Think Tanks Across Nations*. P. 156.

² Cagé, « Les Think Tanks ».(En ligne).

لزوم نهج أسلوب الحرب ضد الارهاب، و هي بشكل أو بآخر انضمام الى الاجماع السياسي المتمثل في سياسة بوش الابن المسماة ب'الحرب الكونية على الارهاب'. ابتداء من سنة 2008، ظهر خطاب جديد للخبراء ينادي بضرورة التخلي عن سياسة الحرب لصالح سياسة الاحتواء، و روج له قبل غيره من المعاهد مركز راند Rand، كما سنناقشه تفصيلا أدناه. إن فكرة عدم نجاعة سياسة الحرب ضد الارهاب، و لا ملائمتها ليست بالفكرة الجديدة في حقل النقاش الاستراتيجي الامريكي و العالمي، فهي موجودة ؛

- على المستوى التاريخي ؛ ترجع أفكار الاحتواء الى جورج كينان 1947 ؛
- على مستوى الحقل الأكاديمي تجسدت أفكار الاحتواء خصوصا بعد اطلاق برنامج الدراسات النقدية للإرهاب 2007،
- على مستوى الحقل السياسي، عند الديموقراطيين خصوصا، و لكنها انتظرت فترة التغير الرئاسي سنة 2008، بمجيء الرئيس اوباما.

إذن، لم يكن معهد راند سوى أداة نقل و ترويج لفكرة حتمية الانتقال الى نموذج احتواء للإرهاب بدلا من الحرب الشاملة عليه. حينما تم نشر دراسة راند سنة 2008 التي كانت سببا في تغير السياسة الرسمية الأمريكية نحو حرب ذكية على الارهاب، تم الترويج لها إعلاميا بشكل غير طبيعي عبر جميع أنحاء العالم، فإلى غاية اليوم لا أحد يدري بوجود برنامج الدراسات النقدية للإرهاب الذي ينتقد استراتيجية الحرب الأمريكية الشاملة، ولكن بمجرد صدور دراسة راند و استرجاعها من طرف الحقل الاعلامي أصبح الجميع و بمختلف لغات العالم على دراية بضرورة التخلي عن هذه السياسة لصالح نهج بديل قائم على الاحتواء. في النهاية اصبح يظهر للجميع أن نموذج احتواء الارهاب هو فكرة من صنع الخبراء، و قد نُسبَت الأبوة فعلا لمركز راند. هذا مثال توضيحي يعكس حقا منهج التدوير le recyclage السائد عند مراكز التفكير.

المطلب الثالث : قراءة نقدية نيو- غرامشية لأدوار خبراء مراكز التفكير

لقد رأينا من خلال المقاربات السوسيولوجية و المؤسسية أعلاه أن خبراء مراكز التفكير يمثلون حقا هجينا تشكله وتقطعه الكثير من الحركات الفكرية و السوسيولوجية و السياسية. تُفسر سلطة

هذا الحقل -هذه المساهمات- بالعوامل الرمزية (المؤسسية الخطابية كما رأينا)، و بالعوامل المادية (سوسيولوجيا الحقل). هذا الدمج النظري لاقتراح قراءة متوازنة عن خبراء الارهاب هو ما قصدناه تحديدا لأن مصدر سلطة خبراء مراكز التفكير لا يفسر بالعناصر غير المادية (الفكرية و الخطابية) فحسب بل بالتوزيع غير المتكافئ للسلطة في منتظم معين، حيث أن جماعات معينة تهيمن على أخرى. إذا كانت الاتجاهات الماركسية الكلاسيكية تحاول أن تفهم علاقات الهيمنة من خلال البنى المادية (الاقتصادية) للسلطة، فإن اتجاهات أخرى مثل الغرامشية الجديدة تحاول أن تقترح تفسيراً يجمع بين الاثنين حيث تعتبر أن البنى الفكرية و المادية للسلطة غير قابلة للفصل بعضها عن بعض. تعتبر المفاهيم التي اقترحها انطونيو غرامشي Gramsci في سبعينيات القرن الماضي حول الهيمنة L'hégémonie، الخطاب Le discours و المفكر L'intellectuel أدوات تحليلية جد مفيدة لفهم طبيعة الأدوار التي يقوم بها الخبراء في مراكز التفكير.

إن الربط بين هذه المفاهيم الثلاثة، أي الهيمنة، الخطاب و المفكر، يجعلنا نعتبر مراكز التفكير أدوات ايديولوجية مدمجة في المجتمع المدني يتم بواسطتها تبرير النظام الاجتماعي و السياسي الموجود و شرعنته، و الحفاظ عليه و إعادة انتاجه. بعبارة أخرى، تساهم ممارسات المجتمع المدني وعلى رأسها مراكز التفكير في الحفاظ على علاقات القوة غير الاكراهية بين مختلف الجماعات و القوى في الدولة. حسب المنطق الغرامشي، هذا يتم بواسطة أداة هي انتاج الخطاب لشرعنة الجماعة المهيمنة.

يعرف غرامشي الهيمنة بأنها اللحظة التي تمارس فيها مجموعة ضيقة من الجماعات المتحالفة تسمى الجماعة المهيمنة le groupe dominant قيادة و زعامة leadership فكرية و أخلاقية وسياسية، دون معارضة أو احتجاج نوعي معتبر من طرف الآخرين، بل و تمارس عليهم برضا و موافقة أغلبية الجماعات الخاضعة لهم¹. على عكس الفهم الماركسي للهيمنة الذي يقترح تفسيراً قائماً على التحكم في البنى المادية و الاقتصادية، فإن مفهوم الهيمنة hégémonie عند غرامشي يدرج عناصر الأفكار و الرضا consentement و اللحظة التاريخية لتفسير النظام السياسي و الاجتماعي. لقد استعمل

¹ Thomas R. Bates, « Gramsci and the Theory of Hegemony », *Journal of the History of Ideas* 36, n° 2 (1975): 351-66, <https://doi.org/10.2307/2708933>. p. 355.

غرامشي مفاهيم إضافية لفهم حركية الهيمنة مثل : مفهوم المجتمع المدني، الكتلة التاريخية le bloc historique، و المفكر العضوي L'intellectuel organique.

تكمن الخصائص الكبرى لمفهوم الهيمنة عند غرامشي فيما يلي؛ أولاً، تعرف الهيمنة بأنها علاقة قوة بين قوى اجتماعية في لحظة ما. إنها ليست علاقة اكرائية. بل هي فوز بالرضا و الموافقة le consentement من خلال الزعامة الفكرية و الأخلاقية الممارسة عليهم. هذه الأخيرة عبارة عن نسق أخلاقي يسميه غرامشي بالعالم الأخلاقي-السياسي، والذي يُعتبر الأساس الذي يتأسس عليه نظام الهيمنة و يستمر به. فكرة العالم السياسي-الأخلاقي هي البعد الآخر الذي يضيفه غرامشي الى فكرة ماركس عن طرق الانتاج. يتكون العالم السياسي-الأخلاقي عند غرامشي من ثلاث أنساق هي، النسق الاقتصادي، السياسي و الايديولوجي و تترجم في أرض الواقع فيما يسمى بالمجتمع المدني¹.

يقتبس مفهوم المجتمع المدني عند غرامشي من الفهم الذي كرسه الفيلسوف الألماني هيجل عندما ميّز بين المجتمع المدني الخاص و المجتمع السياسي العمومي. إذا كان المجتمع المدني يمثل الوسط أو البيئة التي يتحقق فيها الرضا le consentement فإن المجتمع السياسي العمومي هي الوسط الذي يتحقق فيه الاكراه، وبناء على هذا فإن هذين العنصرين مجتمعين يشكلان سلطة الدولة، التي لا تقتصر فقط على الجانب الاكراهي كما تنادي به أغلب النظريات الفلسفية الألمانية ؛ الدولة هي الاحتكار الشرعي للعنف، يقول ماكس فيبر. هناك مفهومان للدولة عند غرامشي، أحدهما ضيق و الآخر موسع. فأما الضيق فيشير الى الدولة كجهاز شكلي رسمي (إداري و قانوني و اكرائي)، وهو نمط للدولة لا يوجد به فصل بين المجتمع السياسي العمومي و المجتمع المدني الخاص²، و هي ميزة بعض الدول التسلطية و خاصة المجتمعات التقليدية، و خاصة للمجتمعات التي تعرف سيطرة مالية لأجهزة الدولة في تمويل جميع أنشطة المجتمع المدني (وسائل الاعلام، النقابات، الجمعيات...).

و أما المفهوم الموسع للدولة عند غرامشي فهو يتوافق مع ظروف المجتمع الرأسمالي المعاصر، حيث يعتبرها (الدولة) ضرورة للسير الحسن للرأسمالية، و لذلك فقد جاءت على شكل ديموقراطية ليبرالية³. لكن، بالنسبة لغرامشي يجب أن تُفهم الدولة المعاصرة على أنها جمع بين نمطي الاكراه و الاقناع في الحكم consentement et coercion. و عليه فالدولة في المجتمع الرأسمالي الحالي هي

¹ Ibid.

² Ibid.

³ Ibid.

مجموعة معقدة من الأنشطة النظرية والعملية التي تتمكن بواسطتها الطبقة الحاكمة *ruling class* من المحافظة على هيمنتها و أيضا من كسب رضا و موافقة المحكومين¹. الدولة هي مجتمع سياسي مدمج في مجتمع مدني متشكلة في صورة هيمنة محفوظة بالإكراه².

يشير مفهوم الكتلة التاريخية Bloc Historique الى الحالات أو الوضعيات التي يكون فيها توافق سياسي في أعلى درجاته بين أنواع متعددة من علاقات القوى. حسب غرامشي، يوجد هناك ثلاث أنواع من علاقات القوى. الأول، هيكلي أو مادي (الجغرافيا، السكان، الانتاج...الخ). الثاني، سياسي وهو الأهم بالنسبة لنظرية غرامشي وهو يعكس مدى الوعي السياسي عند الطبقات في المجتمع. الثالث، عسكري و يتضمن استخدام القوة العسكرية سواء على لصعيدين الداخلي أو الخارجي وهو مهم أيضا لأنه يتحكم في التطور التاريخي لمجتمع معين³.

توجد على مستوى الفئة الثانية (علاقات القوى السياسية) ثلاث لحظات من الوعي تطورت بشكل تاريخي ؛ اللحظة الاولى "اقتصادية بين الشركات" و ظهرت من التضامن بين التجار و التجار أو الحرفيين و الحرفيين، مخلفة تضامنا بين الجماعات Une solidarité de groupe. الثانية؛ هي لحظة التضامن الاقتصادي الشامل بين أعضاء الطبقة الواحدة. و هذه اللحظة هي التي انتجت إصلاح للدولة التي كانت موجودة أصلا بمؤسسات معينة. اللحظة الثالثة، و هي سياسية لأنها أحدثت نقلة حاسمة من البنية la structure الى البنية الفوقية la superstructure، لأنها سمحت للطبقة الاقتصادية القوية و المهيمنة بخلق وحدة اقتصادية وسياسية قوية بالإضافة الى وحدة فكرية Intellectuelle. هذا هو ما يسميه غرامشي بالكتلة التاريخية، فهي تنشأ من التضامن و من الرابطة العضوية بين البني التحتية والبنى الفوقية (السياسية و الفكرية). لا تنشأ الكتلة التاريخية بشكل عفوي بتاتا أو من تلقاء الحاجة الاقتصادية بل تعبر عن أعمال مقصودة و عن قيادة و زعامة leadership مرتكزة على درجة عالية جدا من الوعي السياسي داخل الطبقة المهيمنة⁴.

حسب غرامشي، تحتاج الكتلة التاريخية الى مفكر عضوي لتمتين العلاقات بين البنية التحتية و البنية الفوقية. يمثل المفكرون أدوات تحريك محسوسة للأيديولوجية المهيمنة التي تعطي التجانس

¹ Ibid.

² Ibid. p. 357.

³ Ibid. p. 358.

⁴ Ibid. p. 359.

والقوة للكتلة التاريخية و تقوي روابطها و وحدتها¹. لا يعتبر المفكرون مجرد منتجين للأيديولوجيا، بل أيضا مُنظمون للهيمنة لأنهم ينظرون للكيفية و الاستراتيجية التي تتركس الهيمنة و تحافظ عليها. إنهم يمثلون قوة القيادة التي تمارسها الطبقة المهيمنة باعتبارها كتلة تاريخية. تكمن أهمية مفهوم المفكر العضوي في قدرته على وصف الرهانات السلطوية للإيديولوجية المهيمنة، على عكس مفهومه الآخر المفكر التقليدي L'intellectuel traditionnel، الذي لا يصف سوى بعض الوظائف الاجتماعية للمفكر مثل الانتاج الثقافي و المعرفي.

تتضح فائدة المفاهيم الغرامشية السابقة في أنها توفر لنا الأدوات اللازمة لفهم العلاقة بين الفكرة / الخطاب / المعرفة و النخب (الطبقة) المهيمنة. وفقا لمفاهيم غرامشي فإن مراكز التفكير يجب أن تفهم من هذه الزاوية التي تعتبرهم كمفكرين عضويين لأنهم يساهمون في انتاج الايديولوجية المهيمنة و الحفاظ عليها، وفي انتاج علاقات الهيمنة (داخليا و خارجيا) و الحفاظ عليها. حسب غرامشي، يتم انتاج ايديولوجية بالضرورة وفقا لمسار بطيء جدا من الناحية التاريخية و يجمع في الغالب بين الكثير من التناقضات حيث يضم العديد من المفاهيم و النظريات عن العالم التي يعاد اكتشافها و صياغتها باستمرار بفعل النشاط الفكري. لكي تتمكن طبقة مهيمنة من الاستمرار يجب عليها أن تعتمد على مفكرين مبدعين من أجل صياغة و تعديل و نشر مفاهيم هذه الطبقة. خلال القرن العشرين يعتبر غرامشي أن الكتلة التاريخية تشكلت بواسطة البرجوازية و بمساعدة الأحزاب السياسية و عن طريق المفكرين العضويين². لكن اليوم، وبسبب ما يسمى بأزمة الحزب السياسي³، يعتبر الغرامشيون الجدد أن هذا الدور تقوم به أساسا مراكز التفكير و خبراء المكاتب الوزارية والأكاديميون في حقل العلوم الاجتماعية.

تؤدي مراكز التفكير حسب التصور الغرامشي وظيفة المفكر العضوي حيث تساهم في الحفاظ على علاقات الهيمنة غير الاكراهية. تكمن مهمتها الأساسية في انتاج خطاب الشرعنة اللازم لحماية مصالح الكتلة التاريخية. بحكم طبيعتها كمنظمات تشكل المجتمع المدني، فهي أيضا - حسب رؤية

¹ Ibid. p 359.

² Ibid.

³ Nicolas Sauger, « Raisons et évolution du rejet des partis », *Pouvoirs* 163, n° 4 (2017): 17-26, <https://doi.org/10.3917/pouv.163.0017>.

الفيلسوف الألماني أليكس ديميروفيتش - عبارة عن أدوات لإعادة تنظيم الدولة حسب القيم والمعايير النيولبرالية المهيمنة حالياً¹.

¹ Alex Demirovic, « On the Re-Formation of Critical Knowledge », transversal texts, consulté le 25 septembre 2023, <https://transversal.at/transversal/0806/demirovic/en>.

الفصل الثاني :

ديناميكيات حقل مراكز التفكير

في الولايات المتحدة الأمريكية

والشرق الأوسط

الفصل الثاني : ديناميكيات حقل مراكز التفكير في الولايات المتحدة الأمريكية و الشرق الأوسط

إن مراكز التفكير اليوم عبارة عن مؤسسات غير تقليدية تساهم بشكل حاسم في صياغة الفهم والادراك حول مختلف المشكلات السياسية، فهي ليست شبيهة بالإعلام و لا بالحقل الأكاديمي. تعتبر هذه الظاهرة أمريكية المنشأ و قد تطورت أدوارها السياسية بشكل محسوس و اكتسبت الاستقلالية اللازمة لتمييزها عن الفضاءات الأخرى المنتجة للمعارف و المعلومات فأصبحت حقلا مستقلا بذاته (1). لقد انتشرت الظاهرة ايضا على مستوى الدول الشرق أوسطية ولكن بدرجات متفاوتة بين "اسرائيل" و الدول العربية في المنطقة من ناحية حجم الأدوار السياسية التي تقوم بها لمصاحبة السياسات الرسمية للدولة القطرية (2).

فيما يلي سنتعرض بالتحليل لمسار التطور التاريخي للظاهرة في الفضائين الأمريكي و الشرق أوسطي. يفيد هذا النوع من التحليل في أنه يكشف لنا عن مكانة هذه المؤسسات ضمن الهندسة العامة للسياسات التي تنتهجها الحكومات بخصوص مشكلة الارهاب. بعبارة أخرى، تعتبر مراكز التفكير مكونا للعملية السياسية لأنها مساهم مهم اليوم في انتاج الأطر الادراكية والتأويلية التي تقود السياسات المتبعة من طرف الحكومة، ولكنها بالطبع ليست وحيدة في هذا المجال. لكن، ما يلاحظ اليوم هو أن أدوارها تتفوق على بقية الفاعلين الآخرين، بل إنها مهيمنة بشكل حصري على مستوى سياسات معينة، و منها سياسات التعامل مع مشكلة الارهاب. بالتالي، يمد فهم هذه المركزية التي تقوم بها مراكز التفكير في صياغة السياسات من خلال فهم لمسار تبلور الظاهرة تاريخيا داخل السياقين الأمريكي و الشرق أوسطي. يقوم الطرح هنا على اعتبار مفاده أن تطور ظاهرة مراكز التفكير في كلا الفضائين إنما يعكس تحولات في بنية السلطة داخل الدولة الواحدة، أي انتقال للشرعية ولأدواتها من مؤسسات تقليدية (الأجهزة الرسمية للدولة) نحو مؤسسات مراكز التفكير، و انتقال من سلطة حقول تقليدية (الأكاديميون و الصحفيون) نحو سلطة الخبراء.

المبحث الأول : مراكز التفكير : تجربة أمريكية

تعتبر مراكز التفكير ظاهرة أمريكية بامتياز، فهي من ناحية نشأتها أمريكية و من ناحية تبلورها كحقل مستقل أمريكية ايضا. هناك حوالي 11.175 مركز تفكير في العالم حسب تصنيف ما غين لسنة

2020، منها 2203 أمريكية، و 8% منها مقرها في واشنطن، أي بالقرب من مراكز القرار السياسي¹. إنه مؤشر على وجود صناعة للرأي تقوم على شرعية غير تقليدية هي الخبرة، وأن مؤشر استشهاد واقتباس المسؤولين السياسيين الأمريكيين يؤكد أن السياسات المنتهجة تُرسم و تُبرَّر بحجج مراكز تفكير. فمثلاً، خلال سنة 2020، اقتبس هؤلاء المسؤولون حوالي 16277 مرة من المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية (NBER)، وأكثر من 10.900 مرة من معهد بروكينجز، وأكثر من 5750 مرة من معهد الـ Urban Institute². كيف اكتسبت مراكز التفكير هذه السلطة؟

انطلاقاً تحليل للمسار التاريخي لتطور أدوار هذه الهيئات سنتمكن من فهم مركزها السلطوي.

المطلب الأول : نشأة مراكز التفكير وتطورها كمؤسسات مستقلة بذاتها

لا يسمح تحليل مسار تطور التاريخي للظاهرة بقياس عمرها تاريخياً بل يسمح بفهم حركية المؤسسة ككل. إن مراكز التفكير عبارة عن مؤسسات تتأثر في عملها بالسياقات الخارجية لها مثل الظروف المؤسسية للدولة، العوامل الاقتصادية، التاريخية والثقافية أيضاً. لقد نشأت وتطورت الظاهرة بسرعة كبيرة في الوم أ. منذ بداية القرن العشرين، وعرفت تبلورها خلال الستينيات تحديداً.

1- أهمية فهم مسار النشأة في السياق الأمريكي

لا يوجد إجماع حول منشأ هذه الهيئات ولا عن مصدر التسمية في حد ذاتها. لكن إذا ركزنا على الأدبيات التي اهتمت بفهم المسار التاريخي لتطور ظاهرة مراكز التفكير فإننا سنلاحظ وجود مقاربتين. الأولى، تقوم على تحديد تاريخ مراكز التفكير في مراحل تاريخية محددة زمنياً وكل واحدة منها لها مميزاتها وخصائصها السياسية والاقتصادية والثقافية التي أفرزت ظهور هذه الهيئات بخصائصها السياقية. من أهم الكتاب الذين اعتمدوا هذه المقاربة نجد خصوصاً جيمس ماك غين James McGann الذي يحصر تاريخها في أربع مراحل³: (1929-1900)، (1959-1930)، (1975-1960)،

¹ James G McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report," *TTCSP Global Go To Think Tank Index Reports*. 18, 2021, <https://repository.upenn.edu/handle/20.500.14332/48577>.

² Overton, "Spotlight on Think Tanks: What Is the Picture in the US?," July 31, 2023, <https://blog.overton.io/spotlight-on-think-tanks-what-is-the-picture-in-the-us>.

³ James G. McGann, "Academics to Ideologues: A Brief History of the Public Policy Research Industry," *PS: Political Science & Politics* 25, no. 4 (December 1992): 733–40, <https://doi.org/10.2307/419684>. p. 733.

(1975-1990) [الكتاب صدر سنة 1992]¹، بسبب وجود أحداث تاريخية كبرى تركت بصمتها على مراكز التفكير مثل الحربين العالميتين والحركات الاجتماعية لسنوات الخمسينيات و الستينيات، والركود الاقتصادي في بداية السبعينيات. من جهته حدد آندي سميث A. Smith سنة 1991 ثلاث أجيال لمراكز التفكير؛ الأول يمتد من نهاية القرن التاسع عشر الى نهاية الحرب العالمية الثانية، الجيل الثاني هو جيل سنوات الخمسينيات و الستينيات و أما الجيل الثالث فيمتد من السبعينيات الى التسعينيات [الكتاب نشر سنة 1991]². تربط مقارنة سميث أيضا التقسيم الزمني بالأحداث الكبرى التي شهدتها القرن العشرين. من خلال هذا المنظار يفترض مثلا كل من سميث و ماك غين أن فترة التقدميين (الخمسينيات و الستينيات خصوصا) أفرزت مراكز تفكير ذات شرعية علمية فقد أفرزت الفترة مؤسسات بحثية في العلوم الاجتماعية، بغرض المساعدة على اتخاذ القرار. بينما - مثلا- تميزت فترة الحربين العالميتين بثقل دور الدولة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو ما أظهر مراكز تفكير تابعة للدولة أي المتعاقدة مع الدولة خصوصا للمساعدة على صياغة استراتيجيات العسكرية كمثال معهد راند المتعاقد مع البنتاغون.³

وأما المقاربة الثانية فهي مقاربة توماس ميدفيتز (2012)، فهي مختلفة و تتعامل مع مراكز التفكير باعتبارها "فضاء اجتماعي ظهر م بداية القرن العشرين و تطور بشكل خطي"⁴، أي أنها مقاربة تقوم بتتبع تطورها التاريخي من الداخل الذي أفرز في النهاية تشكيل صنف خاص *catégorie sociologique* من المنظمات البحثية المنتجة للمعرفة تميزها عن باقي المنظمات الشبيهة. تعتبر مساهمة ميدفيتز طرحا قويا للغاية لأن التسمية في حد ذاتها لم تتبلور سوى بداية السبعينيات⁵ ولأنها تتساءل عن ما أفرزه التطور التاريخي، أي عن النتيجة (تشكل حقل جديد أ مؤسسات جديدة تسمى بمراكز

¹ في آخر كتاب له "The Fifth Estate: Think Tanks, Public Policy, and Governance" صادر سنة 2016، تولى الباحث عن هذه المراحل الأربعة، و أصبح يعتمد مفهوم الموجة: موجة أولى من نهاية القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الثانية، بينما عرفت فترة ما بعد الحرب الكبرى ثلاث موجات رئيسية، سنراها لاحقا.

James G. McGann, *The Fifth Estate: Think Tanks, Public Policy, and Governance* (Brookings Institution Press, 2016).

² James Allen Smith, *The Idea Brokers: Think Tanks and the Rise of the New Policy Elite* (Free Press, 1991). p. 18.

³ Ibid. p. 56.

⁴ Thomas Medvetz, *Think Tanks in America* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 2014). p. 48.

⁵ في هذه الفترة تحديدا كتبت أول دراسة فعلية عن مراكز التفكير وهي دراسة بول ديكسون Paul Dickson التي حملت عنوان "مراكز التفكير"، سنة 1971.

التفكير) وليس عن الأحداث التاريخية فحسب¹. ببساطة، وفقا لمنطق ميدفيتز لا يمكن الحديث عن مراكز تفكير حقيقية الا اعتبارا من اللحظة التي طورت فيها خصائصها المؤسسية التي تميزها عن المؤسسات الشبيهة بها. حسب ميدفيتز، هذا لم يحصل سوى ابتداء من سنوات الستينيات. و عليه فإن المراكز التفكيرية التي ظهرت قبل هذه الفترة هي بالنسبة له نماذج أولية عن مراكز التفكير proto-think tanks. تكمن الاضافة المنهجية لميدفيتز في أنه يحاول التعرف على الخصائص العامة لعالم مراكز التفكير كفضاء أو كحقل عن طريق مساءلة ظروف نشأته و تطوره. حجة ميدفيتز هي أن عالم مراكز التفكير أبرز خصائصه العامة بفضل اندماج ممارسات مراكز التفكير في شكل واضح خاص بها سمح لها بتشكيل هويتها المتميزة اعتبارا من سنوات السبعينيات. هذه الخصائص تطورت ضمن السياق الأمريكي، أي يفعل العوامل السياسية و الثقافية التي أثرت في مسار التشكيل.

فيما سيأتي سنلجأ الى منهجية كرونولوجية و التي من خلالها سنوضح بشكل غير مفصل مختلف الأحداث و الظروف التي سمحت ببلورة مراكز التفكير كمنظمات بحثية من نوع متميز. سنتمكن من خلالها من فهم أدوار الخبراء. لقد مر مسار التطور التاريخي للظاهرة بمرحلتين رئيسيتين: فترة النشوء و البروز la genèse (1890-1960)؛ فترة التوسع و الانتشار و تمتد من سنوات الستينيات من القرن العشرين خصوصا و إلى غاية اليوم، وهي فترة تشكل مراكز التفكير ك"ظاهرة" بخصائصها الحالية.

2- فترة نشوء حقل مراكز التفكير الأمريكية (1890-1960)

ليس هناك اجماع بين المختصين حول التاريخ المرجعي الأول للظاهرة. البعض يرجعها إلى التجربة البريطانية و الأكثر من الباحثين ينسبها الى السياق الأمريكي. تكفي إطلالة بسيطة على الكتابات المتاحة بهذا الخصوص لنستخلص مثل هذه النتيجة ؛

- من الباحثين المهتمين بهذا الموضوع من يذكر بأن أول تجربة لمراكز التفكير بصيغتها الحالية هي أمريكية و تعود الى معهد فرانكلين The Franklin Institute الذي أنشئ سنة 1824 لتكريم انجازات بنجامين فرانكلين²،

¹ Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 49.

² Neeta Krishna, "A Think Tank History," accessed June 25, 2023, <https://onthinktanks.org/articles/a-think-tank-history-a-view-from-india/>.

- يشير البعض الآخر بدوره إلى أن أول تجربة تعود إلى سنة 1831 ببريطانيا بتأسيس معهد الخدمات الملكية المتحدة لدراسات الدفاع والأمن في المملكة المتحدة¹ the Royal United Services Institute for Defence and Security Studies ،

- معهد فابيان Fabian Society يصرح على موقعه الرسمي بأنه أول مركز تفكير في بريطانيا² ، إذا كان الخلاف حول المصدر الأول لظاهرة مراكز التفكير موجودا، فإن مسألة التطور خلال القرن العشرين ليست كذلك. تعتبر الظاهرة أمريكية بامتياز منذ الحرب العالمية الأولى. أول معهد ظهر في هذه الفترة هو معهد بروكينز (1916). أول معهد كان سببا في استخدام وانتشار تسمية Think Tanks هو معهد راند Rand corporation سنة 1948. بالتالي، إذا كانت الظاهرة انجلو- سكسونية المنشأ فهي أمريكية التوسع والانتشار خصوصا بفعل ظروف الحربين العالميتين³ والتي تزامنت أيضا مع رواج فكرة مثالية مفادها أن معالجة المشكلات الاجتماعية وتسيير المؤسسات الحكومية يمكن أن يتم بشكل أكثر نجاعة عن طريق اللجوء إلى "المعرفة" العلمية كسبيل لذلك⁴.

تغطي فترة (1890-1960) الكثير من الظروف و التغيرات التي أثرت في مسار التطور التاريخي لمراكز التفكير. يمكن تقسيمها الى مرحلتين ؛ الأولى تمتد من 1890 الى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية وهي فترة صعود الأفكار التقدمية progressistes وسميت بفترة العهد الجديد أيضا new deal. المرحلة الثانية وتبدأ من 1945 الى غاية نهاية الستينيات.

¹ Priscilla Roberts, "A Century of International Affairs Think Tanks in Historical Perspective," *International Journal* 70, no. 4 (2015): 535–55.

² Fabian Society, "About Us | Fabian Society," accessed June 25, 2023, <https://fabians.org.uk/about-us>.

³ مصطلح Think tank استعمل لأول مرة من طرف العسكريين الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية، للتعبير عن تلك الخلايا المصغرة التي كان يشكلها هؤلاء لمناقشة المسائل المتعلقة بالحرب. تنبغي الإشارة إلى أمر جد مهم أيضا هنا وهو أن هؤلاء العسكريون يسمون باللغة الانجليزية strategists وليس خبراء . انتقلت التسمية لاحقا لتشمل البنى المنظمائية التي تقوم على مثل هذا النشاط. أنظر كتاب بول ديكسون :

Paul Dickson, *Think Tanks* (New York: Atheneum, 1971).

⁴ Donald E. Abelson, "Old World, New World: The Evolution and Influence of Foreign Affairs Think-Tanks," *International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-)* 90, no. 1 (2014): 125–42.

2-1. فترة التقدمين والعهد الجديد¹ : مراكز تفكير موضوعية في خدمة

الحكومة.

ظهرت أغلب مراكز التفكير الأولى في بداية القرن العشرين، وقد صاحب هذا البروز نمو نزعة اهتمام متزايد بالعلوم الاجتماعية وبالأفكار التaylorية (أفكار تقسيم العمل). بدأت أولى البرامج البحثية بالظهور في الجامعات وعلى المستوى المحلي وليس على المستوى الفيدرالي². الحركة الأساسية خلال هذه الفترة هي حركة تأسيس المؤسسات الخيرية المعروفة الى اليوم The Foundations، فقد عرفت ظهور مؤسسة كارنيجي (1911) ومؤسسة روكفيلر (1913) والتي ساهمت في بعث منظمات البحث الأولى بتمويل خاص، وهو ما يعني نشأة العلاقة بين الباحثين/ الخبراء والقطاع الخاص. استمدت أفكار هذه المراكز البحثية الأولى من الأفكار التقدمية السائدة وخصوصاً فكرة "قدرة المعارف العلمية على المساهمة في حل المشكلات الاقتصادية للطبقات الشعبية وعلى ترشيد السياسات الحكومية"³.

من أمثلة مراكز التفكير الأمريكية التي جسدت هذه المثالية مؤسسة راسل Le Russel Sage Foundation التي أنشئت سنة 1907 وكانت مهمتها الأساسي هي تحسين الظروف الاجتماعية وظروف الحياة في الولايات المتحدة". المثال الآخر الذي يعكس الروح التقدمية هو مثال البروكينز Brookings. تاريخ هذه الأخيرة نخبوي حقاً، فهي تجد جذورها في معهد البحوث الحكومية Institute for Governmental Research الذي أسسه مجموعة من رجال الأعمال، على رأسهم روبرت بروكينز الذي كان رجل أعمال في الصناعة الحربية خلال الحرب العالمية الأولى وكان ممثلاً للعلاقة بين الصناعة

¹ فترة التقدميين (1896-1917) تشير الى فترة عرفت ازدهار الأفكار التقدمية التي بنت شرعيتها على مشكلات المجتمع الأمريكي الصناعي مع نهاية القرن التاسع عشر؛ فشل ديمقراطي وفشل في بناء نظام قائم على العدالة. ثلاث أفكار توجه الايديولوجية التقدمية - وهي يسارية بالتالي-: تعاطف أخلاقي ذو مصدر ديني مع الفقراء، ضرورة اصلاح الدولة والعمل الحكومي بغرض الرفع من كفاءتها وحماية للنظام التمثيلي، وتوزيع عادل للثروة. أنظر:

Élisabeth Fauquert, "Chapitre 8. L'ère progressiste (1896-1917)," in *Civilisation américaine*, Portail (Paris: Armand Colin, 2019), 108-22, <https://www.cairn.info/civilisation-americaine--9782200621841-p-108.htm>.

تشير عبارة New Deal (عهد جديد، أو اتفاق جديد) الى تلك الفترة التي أعقبت الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، وهي فترة تميزت باطلاق برامج اقتصادية كبرى من طرف الرئيس الأمريكي روزفلت -ديموقراطي- خصوصاً بين 1933 و 1936 (مساعدة الفئات الاجتماعية الهشة، اصلاح الاقتصاد المالي، واعادة بعث الاقتصاد). أنظر:

Élisabeth Fauquert, "Chapitre 11. Les années Roosevelt : le New Deal et la Seconde Guerre mondiale (1932-1945)," in *Civilisation américaine*, Portail (Paris: Armand Colin, 2019), 147-63, <https://www.cairn.info/civilisation-americaine--9782200621841-p-147.htm>.

² Smith, *The Idea Brokers*. p. 48.

³ Ibid.

والحكومة¹. تحت هذه الظروف كان روبرت بروكينز هو أول من آمن بضرورة وجود هيئة من الموظفين مهمتها الأساسية هي البحوث و الدراسات في الاقتصاد. يعتبر Institute for Governmental Research هو أول مؤسسة مكلفة حصرياً بدراسة السياسات العامة وتحسين الحكومة². علينا أن نلاحظ هنا أن البروكينز لا تبني القيام بمهام بحثية بصفتها جامعة أو جماعة ضغط، ولكن تحاول أن تتأسس بصفتها جماعة من الخبراء المستقلين وغير المسيسين والذين يعملون من أجل الصالح العام حيث يسمح لهم عملهم بالمركز من تطوير معارفهم الخاصة و خبراتهم³. خلال نفس هذه الفترة ظهرت المعاهد المتخصصة في الشؤون الدولية مثل كارنيجي (1910) Endowment for Carnegie (International Peace) و مجلس العلاقات الخارجية (1921) Council on Foreign Relations، و هذا كان انعكاس أيضاً لنمو أدوار الو. م. أ. على الصعيد الدولي⁴.

أخذت مراكز التفكير النموذجية الأولى proto-think tanks شكل معاهد خاصة، و تأسست بمبادرات شخصية من الأكاديميين أو رجال الأعمال الأثرياء، ومولتها مؤسسات خيرية كبرى، ولم تكن متحيزة ولا مسيسة، و تطورت اهتماماتها البحثية استناداً إلى طلبات الحكومة. هذه الفترة عرفت ازدهار الأفكار التقدمية، فلم تكن هذه المراكز تدافع عن رؤية سياسية معينة، بل اعتمدت على تعزيز البحث الواقعي بنمط أكاديمي⁵. من الأمثلة النموذجية على هذه الخاصية، نجد المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية (NBER)، الذي تأسس في عام 1920 على يد الاقتصادي ويسلي ميتشل Wesley Mitchell، حيث يذكر سميث أن الكتب التي كان ينشرها المركز (الوسيلة الوحيدة المستخدمة للنشر في تلك الفترة) مليئة بالآراء المختلفة والمتضاربة بين أعضائه. كما أن المؤسسات الخيرية التي تمول هذه المراكز كانت تشجع بشدة على استقلالية البحوث العلمية والاستقلالية الفكرية⁶.

¹ Brookings, "Our History," Brookings, accessed September 15, 2023, <https://www.brookings.edu/about-us/our-history/>.

² Ibid.

³ Andrew Rich, ed., "The Policy Roles of Experts," in *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), 104–51, <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889.004>.

⁴ McGann, "Academics to Ideologues."

⁵ Donald E. Abelson, *American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy* (Macmillan Press, 1996). p. 74.

⁶ Smith, *The Idea Brokers*. P. 66.

لكن، هذه التصورات المهمة بالموضوعية العلمية بدأت تتلاشى تدريجيًا كلما اندمج الخبراء أكثر فأكثر في حقل النقاش السياسي الأمريكي. لقد ساهم التعاون المتزايد بين الخبراء والحكومة، خصوصًا خلال فترة الكساد الكبير، في توسيع الحكومة الفيدرالية في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، و مع هذا المتغير تم إنشاء آلاف المناصب للباحثين في كافة العلوم الاجتماعية، وبدأت معها مراكز اتخاذ القرار تنتقل إلى واشنطن العاصمة¹. كرد فعل هذه الحركية، انتهجت جماعات الضغط نفس السلوك ونقلت اهتمامها نحو العاصمة كذلك، حيث أنشئت فرقها الخاصة من الباحثين والمحللين. و كنتيجة، أدت حركية تضاعف أعداد الفاعلين (الوكالات الفيدرالية، والمعاهد البحثية، وجماعات المصالح) إلى زيادة مشاركة الخبراء في النقاش السياسي².

2.2. فترة (1945-1960) : نموذج الخبير – technocrate L'expert

على الرغم من أن فترة الأزمة الاقتصادية (1929) قد بينت إلى حد ما جدوى الحلول المقترحة من طرف الخبراء لحل المشكلات الاجتماعية، إلا أن الحرب العالمية الثانية والتدخل المتزايد للدولة الأمريكية في الشؤون الاجتماعية والدولية، قد أعطيا شرعية متزايدة لتدخل الخبراء في مجال صناعة السياسات العامة، حتى وإن كانت مسألة الفعالية أو الجدوى غير محسوسة بعد³. أمام الاحتياجات الحكومية المتزايدة للبحث في مجال السياسات العامة والخبرة التقنية، عكفت الحكومة على توظيف الباحثين مباشرة، حيث تم احتضانهم في مؤسسات خاصة تعمل بعقود مع الوكالات الفيدرالية، كما تم أيضًا إنشاء عدد من المؤسسات غير الربحية لإنتاج التكنولوجيا الضرورية لجهد الحرب التي تخوضها أمريكا⁴.

تعتبر مؤسسة راند RAND Corporation أكثر المنظمات رمزية وشهرة في هذه الفترة. تأسست عام 1946 تحت اسم "مشروع RAND" (اختصارًا لكلمتي البحث والتطوير Research AND Development) بمبادرة من الجنرال أرنولد Arnold في سلاح الجو الأمريكي، وكان الهدف الأولي من إنشائها هو تقوية التعاون بين العلماء والحكومة الذي بدأ أثناء الحرب العالمية الثانية. كان الهدف من

¹ Ibid. p. 79.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 56.

³ Andrew Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889>. p. 42.

⁴ Ibid.

المشروع هو الرد على التحديات الجديدة التي تنتظر الولايات المتحدة في مجال الدفاع¹، مثل خطر الحرب النووية. بدأت مؤسسة راند كوحدة بحثية بعقد مع شركة دوغلاس لتصنيع الطائرات، ولكنها تأسست فيما بعد كشركة Corporation بعقد مع سلاح الجو الأمريكي في عام 1948. خلال نشأتها هذه، حاول مسؤولو راند أن يضمنوا للمؤسسة نوعاً من الاستقلال الفكري والمالي و قد نجحوا في ذلك فأصبحت نموذجاً للمؤسسات غير الربحية التي تعمل لصالح الحكومة، وتحافظ على استقلالها التنظيمي². هكذا نُسبَ مصطلح "مركز التفكير" (think tank) بالأساس إلى شركة RAND ، - الذي كان يشير في السابق إلى العقل³ - نظراً للدلالة العسكرية لكلمة tank، قبل أن يصبح شائعاً لدى الجميع بدلالته الحالية، أي مركز التفكير.

يعكس تطور شركة RAND، بشكل عام، التدخل الكبير للخبراء، بما في ذلك خبراء مراكز التفكير الأولى، في المسائل الحكومية في أوائل الستينيات. تؤكد الكثير من المصادر على تعاون إدارة كينيدي بشكل وثيق مع عدد من الأكاديميين و خبراء في مراكز بحثية موجودة فعلياً مثل مؤسسة بروكينغز. في هذا السياق اشتهر وزير الدفاع في إدارة كينيدي، روبرت ماكنامارا، بتوظيف فريق من المحللين من شركة RAND Corporation، عرفوا بلقب الخبراء الشباب ، وذلك لمساعدة الجيش على رفع قدرته على توقع السيناريوهات المستقبلية للسلوك الخارجي الأمريكي⁴. كاستمرارية للإجماع اللبرالي الذي نشأ خلال فترة العهد الجديد وكاستمرار لفكرة ضرورة التدخل لحكومي الفدرالي لحل المشكلات الاجتماعية، أصبحت الهيئات الحكومية مقتنعة تمام الاقتناع بالرؤية المثالية التقنوقراطية ؛ أي فن الحكومة هو مشروع عملي و براغماتي وليس أيديولوجي. لقد شهدت صناعة البحث في مجال العلوم السياسية والاجتماعية نمواً كبيراً في الستينيات والسبعينيات؛ ففي سنة 1975، أنفقت الحكومة الفيدرالية حوالي مليار دولار في هذا القطاع مقارنة بـ 235 مليون دولار أنفقتها سنة 1965⁵.

¹ ظهرت في هذه الفترة الكثير من مراكز التفكير المتخصصة في القضايا الدولية وقضايا الدفاع : تأسس مركز Foreign Policy Research Institute سنة 1955، وتأسس مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية Strategic and International Studies سنة 1962، تأسس مركز Hudson Institute في نفس العام. أنظر:

McGann, "Academics to Ideologues." op. cit. p. 735.

² Smith, *The Idea Brokers*. p. 116.

³ يقول ميدفيتز أن مصطلح think tank كان يستخدم في بداية القرن العشرين كعبارة هزلية و كاريكاتورية لإشارة إلى "عقل شخص ما"، أي مكان وجود دماغه.

⁴ Pierre Conesa, "Sociologie de la production stratégique," *Revue internationale et stratégique* 82, no. 2 (2011): 87–96, <https://doi.org/10.3917/ris.082.0087>. p. 91.

⁵ Smith, *The Idea Brokers*. p. 149.

تميزت مراكز التفكير خلال هذه الفترة - سواء القديمة منها أو الجديدة - بمساهمتها المباشرة في العملية السياسية و في صناعة السياسات الحكومية و خصوصا تلك المرتبطة بعقود مع الهيئات الحكومية. هذا النموذج يعمل بناء على طلبات الحكومة و لهذا أصبحت طبيعتها مختلفة نسبيا، فهي أقل نظرية من سابقتها. الميزة الأخرى في هذه الفترة هي التخصص؛ تحت تأثير البرامج الاجتماعية للرئيسين كينيدي و جونسون، تحولت مراكز التفكير القديمة الى مراكز متخصصة في مجالات حساسة، ليس فقط في المجال العسكري بل في جميع المجالات الاقتصادية و الاجتماعية. فمثلا، محصلة هذه الحركية هي تأسيس معهد **Urban Institute** من طرف الرئيس الأمريكي جونسون سنة 1968 استجابة للانتقادات حول عدم نجاعة البرامج الاجتماعية الكبرى¹.

إن فترة النشوء و البروز (1890-1960) مليئة بالدروس. إنها أهم فترة على الإطلاق لأنها عرفت ميلاد مراكز التفكير الريادية المختصة في دراسات الشؤون الدولية و السياسة الخارجية. من ناحية ثانية، استطاعت أغلب المراكز التي أنشئت في بداية القرن العشرين أن تحافظ على بقائها إلى غاية اليوم و أن تشكل لنفسها مكانة ريادية ضمن حقل مراكز التفكير مثل Chatham House, the Carnegie Endowment for International Peace (CEIP), the Council on Foreign Relations (CFR) التي ظلت دوما تحتل مكانة ضمن العشر الأوائل في الو. م. أ.² يؤكد التصنيف السنوي الصادر سنة 2015 والذي ينشره جيمس ماك غين، أن هناك اثني عشر مركزا من بين العشرين الأولى في العالم مختصة في الشؤون الدولية و تعود نشأتها إلى بدايات القرن العشرين³. يلاحظ توماس ميدفيتز بهذا الخصوص أن كل من المؤسسات الأمريكية المعنية بهذه الخاصية تعتبر نفسها عموما فريدة من نوعها من حيث الطبيعة والوظيفة، وبالتالي فهو يفضل تسميتها بـ "النماذج الأولية لمراكز التفكير" (proto-think tank). يفسر توماس ميدفيتز مجيء مراكز التفكير ونجاحها في الاستمرار في العمل بذلك الفراغ التكنوقراطي الذي تعاني منه الأجهزة الحكومية في امريكا. بالتالي، تشكل مراكز التفكير في صبغتها الأولى التي تعود لبداية القرن العشرين نواة الشرعية التكنوقراطية الأمريكية، ثم العالمية⁴.

¹ McGann, "Academics to Ideologues." p. 738.

² Roberts, "A Century of International Affairs Think Tanks in Historical Perspective."

³ James McGann, "2015 Global Go To Think Tank Index Report," *TTCSP Global Go To Think Tank Index Reports*, February 9, 2016, https://repository.upenn.edu/think_tanks/10.

⁴ Thomas Medvetz, "Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien," *Actes de la recherche en sciences sociales* 200, no. 5 (2013): 44-55, <https://doi.org/10.3917/arss.200.0044>.

3- فترة تبلور حقل مراكز التفكير (1960 –اليوم)

تعكس مراكز التفكير التي ظهرت خلال النصف الأول من القرن العشرين وجود إدراك لدور الخبراء في العمل الحكومي وفقا لقناعة بالأفكار المثالية التي أدت إلى ظهورها. باعتبارها نتيجة لمبادرات شخصية تهدف الى تحقيق أهداف دقيقة فإن مراكز التفكير تمثل ابتداء من سنوات الستينيات مجموعة غير متجانسة من المنظمات البحثية. ولكن، و ابتداء من سنوات السبعينيات فإن مراكز التفكير الأمريكية أخذت منحى آخر، فتحت تأثير تغيرات المشهد السياسي و المالي و الايديولوجي فإن ممارسات مراكز التفكير أضحت أكثر تناعما و انسجاما سواء على صعيد المواقف، أو على صعيد استراتيجيات ترقية "الأفكار" و تسويقها. بعبارة أخرى، تعتبر الظروف السياقية لسنوات الستينيات و ما تلاها السبب في تبلور هذا النوع من المنظمات حول هوية موحدة و متجانسة (تسمية واحدة، أهداف، أنشطة، نوع خطابي).

3-1. تحولات السياق الأمريكي خلال السبعينيات و ظهور نموذج الخبير- المناضل

الحركي الكبرى المهيمنة خلال هذه الفترة هي الحرب الباردة و الصراع الايديولوجي. ابتداء من السبعينيات ظهر جيل جديد من المراكز البحثية في السياسات العامة، مستقطب سياسيا و ايديولوجيا مقارنة بالجيلين الأول و الثاني، و موجه نحو الدفاع الشرس عن أفكار معينة دون أخرى. تضم هذه المعاهد نوعا جديدا من الخبراء موجه قبل كل شيء نحو انتاج بحث الغرض منها هو التأثير في الرأي السياسي¹. هناك عاملين اثنين، سياسي و مالي، يفسران التوجه الجديد لهذه المؤسسات.

في المقام الأول ، يعتبر مجيء المحافظين، و هي حركة ترسخت أسسها الفكرية في الستينيات، العامل الأساسي الذي وفر أرضا خصبة لظهور هذا النوع الايديولوجي من مراكز التفكير. لقد خلقت الحركات الاجتماعية الاحتجاجية حالة من عدم اليقين لدى النخب السياسية و المثقفين، و أدت الى تخلي الكثير من المفكرين عن نضالهم المناهض للشيوعية لصالح الدفاع عن موقف هجومي مؤيد لأمريكا في مواجهة فشل الإجماع الليبرالي. أصبحت صحيفة The Public Interest ، التي أسسها إيرفينج كريستول و دانيال بيل عام 1965، بمثابة منصة لنشر أفكار المحافظين، التي وُصفت بأنها حركة محافظة جديدة في السبعينيات². كما ساعدت تعبئة المسيحيين الإنجيليين والأصوليين، كرد فعل

¹ Medvetz, *Think Tanks in America*. P. 98.

² Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. P. 50.

مطالب الحقوق المدنية والحركات النسوية، في إرساء الأسس الأيديولوجية للحركة المحافظة، التي ترسخت في السبعينيات والثمانينيات.

هذه الفترة تميزت بصعود مراكز التفكير ذات الطبيعة الأيديولوجية المحافظة. لقد بلغت الأيديولوجية المحافظة أوجها سنوات الثمانينيات مع إدارتي الرئيس رونالد ريغان، و بلغت شكلها القوي مع ما سمي بالمحافظين الجدد خلال فترة رئاسة جورج بوش الابن الأولى (2000-2004). بالمقابل، كان انتشار المراكز التقدمية progressistes (المحسوبة على اليسار، أي قريبة من طروحات الحزب الديموقراطي) أقل شأنًا من نظيرتها اليمينية.¹ و لكن، عموما هي فترة تميزت بالتضارب الأيديولوجي، أي سمة الحرب الباردة؛ فاليمين (الجمهوريون، المحافظون) كان يعتبر مراكز التفكير أدوات في يد الفكر اليساري والشيوعي، و التقدميون (الديموقراطيون و اليساريون) يعتبرونها بدورهم أدوات تحكم فكري في يد المركب الصناعي العسكري، كما كان ينتقده بشدة الرئيس ايزنهاور.²

في المقام الثاني، أثر العامل المالي كثيرا في ظهور هذه التحولات. لقد تقوت كثيرا مراكز التفكير المحافظة بالدعم المالي الذي تمنحه الشركات الاقتصادية و بعض الشخصيات النافذة للحركة المحافظة. واحد من أهم شخصيات هذه الفترة هو المحامي الشهير لويس باول Lewis F. Powell الذي نادى بضرورة تشكيل نخبة محافظة مضادة.³ يجب أن نشير هنا أيضا الى أن قوانين الاعفاء الضريبي للجمعيات الخيرية التي دخلت حيز التنفيذ سنوات الستينيات قد شجعت كثيرا نمو الهبات المالية لمراكز التفكير. ولكن، أصبح تمويل المعاهد يخضع لاعتبار ايديولوجي، أي التوافق مع القيم و الأفكار التي تساندها المجمعات الاقتصادية و المالية المانحة.⁴ من الشخصيات المانحة الكبرى للمراكز المحافظة خلال هذه الفترة نذكر: جوزيف كور Joseph Coors و عائلة كوخ Koch و عائلة ريتشاردسون Richardson.⁵ بفضل هذه الاعانات المالية و الطموح السياسي للشخصيات المحافظة تمكنت الحركة

¹ Martin Michelot, "Les modes d'influence des think tanks dans le jeu politique américain," *Politique américaine* 22, no. 2 (2013): 97–116, <https://doi.org/10.3917/polam.022.0097>.

² Dickson, *Think Tanks*. Op. cit. p. 28.

³ Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 103.

⁴ Donald E. Abelson, *Capitol Idea: Think Tanks and U.S. Foreign Policy* (McGill-Queen's University Press, 2006).p. 79.

⁵ Medvetz, *Think Tanks in America*. P. 104.

المحافظة من الهيكل في شكل مؤسسات خاصة للبحث، ومنها Heritage Foundation (1973) و Cato Institute (1979).¹

لكن، خلال سنة 1969 تم التصويت على قانون الاصلاح الضريبي Tax Reform Act الذي أحدث تغيرات كبيرة على مستوى شروط وظروف تمويل مراكز التفكير. كان الهدف منه هو اضعاف النشاط السياسي للمؤسسات الخيرية الكبرى Foundation، حيث أصبحت الأخيرة ممنوعة من تمويل أي نشاط بإمكانه أن يؤثر على مسار تصويت على مشروع قانون ما أو حملات انتخابية.² أثر هذا القانون بشكل ملحوظ على تطور ظاهرة مراكز التفكير؛ حدث هبوط ملحوظ في حجم الهبات الآتية من الخواص ومن الهيئات الحكومية أيضا، ونتيجة هذا كانت ضعف استقرار الكثير من مراكز التفكير، باستثناء المراكز لمحافظة والمراكز العريقة التي ظلت تستفيد من الدعم المباشر للشخصيات الغنية. رغم هذا، فإن الحجم الديموغرافي لمراكز التفكير الأمريكية انفجر بعد هذا القانون أي ابتداء من 1970؛ يذكر ريتش أن ثلاث أرباع مراكز التفكير الموجودة سنة 2000 تم تأسيسها بعد 1970.³

بفعل هذين العاملين (مجيء المحافظين و اصلاح قوانين الضريبة)، أخذ عالم مراكز التفكير شكلا جديدا تسميه الأدبيات بالجيل الثالث أو نموذج الخبير-المناضل expert-militant. جسد هذا النموذج بشكل خاص جدا معهد American Enterprise Institute في السبعينيات. لقد ظهر هذا المركز سنة 1943، ولكن بفضل الدفع القوي الذي أحدثته الشخصيات التي تقف وراءه استطاع أن يتحول الى نموذج حقيقي من جيل آخر. منذ أن ترأسه ويليام بارودي William Baroody سنة 1954، اعتمد المعهد استراتيجية قائمة على تعبئة المفكرين من العيار الثقيل مثل ميلتون فريدمان Friedman و بول ماك كراكن P. McCracken.⁴ تحولت استراتيجية بارودي Baroody الى مركز اهتمام الجميع واعتُبرَ نموذجه نقطة تحول في تاريخ مراكز التفكير الأمريكية. بالنسبة لبارودي Baroody فإن فضاء اتخاذ القرار في الوم أ. يجب أن يفهم كأنه سوق للأفكار و وحده السوق يسمح بتبني الأفكار الجيدة والقوية.⁵ لكي تنجح الأفكار في السوق يجب أن تعتمد استراتيجية تسويقية ناجعة. قامت استراتيجية

¹ Abelson, *Capitol Idea*. p. 78.

² Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. P, 57.

³ Ibid.

⁴ Smith, *The Idea Brokers*. 175.

⁵ هذا الفهم الذي فرضه بارودي هو الذي استلهمه جيمس آندي سميت الذي عنوان كتابه بـ "The idea brokers أي مضاربو الأفكار". (Smith, 1991, 175)

بارودي على ثلاث عناصر كما يذكره ابلسون (Abelson : 1) دعوة الشخصيات من الحكومة الى الملتقيات، (2) توسيع النشر، (3) ضرورة تقوية العلاقة بين الخبراء وعالم المال والاقتصاد¹. عرف مركز American Enterprise Institute أوج ازدهاره نهاية السبعينيات خصوصا بانضمام الرئيس السابق جيرارد فورد إليه. هذه الاستراتيجيات التي نجح بها بارودي في AEI سرعان ما انتقلت الى كافة مراكز التفكير الجديدة منها والقديمة، و تحول معها نموذج الخبير التقنوقراطي كما عرفته راند الى نموذج الخبير المناضل expert-militant ou activiste². نفس هذه الملاحظة يذكرها ابلسون :

[...] لقد حول الـ AEI الدور التقليدي لمراكز التفكير من هيئات منتجة لأبحاث غير

متحيزة إلى هيئات صانعة للرأي السياسي والايديولوجي.. سمح الـ AEI بشكل واسع جدا بفتح الطريق أمام الجيل الثالث من مراكز التفكير المناضلة³.

3-2. اندماج ممارسات مراكز التفكير وتبلور الحقل

لقد لاحظ صاحب أول كتاب عن مراكز التفكير - بول ديكسون - أن مراكز التفكير خلال فترة السبعينيات أخذت شكل تجمعات نخبوية جدا تجمع بين الجامعيين، الشركات الاقتصادية الكبرى ورجال السياسة، وتحتل مكانا مهما وغير معروف في السلطة⁴. هذا الحيز المهم للسلطة الذي تحتله مراكز التفكير هو ما يثير النقاش إلى غاية الساعة. يعتبر توماس ميدفيتز أن هذه الفترة شهدت نضج الشرعية التكنوقراطية خصوصا خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات ثم تحولها إلى شكل آخر؛ أي الشكل الذي هي عليه مراكز التفكير اليوم. إذا كان النصف الأول من القرن العشرين شهد بروز النواة الأولى للنموذج التكنوقراطي فإن السبعينات والثمانينيات تعكسان صعودا لنموذج الخبراء - المناضلين (experts-militants)⁵. إذا كان النموذج الأخير يعتبر تحديا وتهديدا لوجود الأول، فإن مسار التطور اللاحق لا يشير بتاتا إلى نهاية القديم وغلبة الجديد، بل إن التضارب لم يدم طويلا وسرعان ما أصبح الاثنان متعاونان جدا وأفرزا معا النموذج الفعلي الذي نسميه اليوم مركز تفكير⁶.

¹ Abelson, *Capitol Idea*. P. 81.

² Medvetz, *Think Tanks in America*. 85.

³ Abelson, *Capitol Idea*. 84.

⁴ Dickson, *Think Tanks*.

⁵ Medvetz, "Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien." art. cit.

⁶ Michelot, "Les modes d'influence des think tanks dans le jeu politique américain." art. cit. p. 105

تتأكد هذه الديناميكية من خلال العديد من الأمثلة، ومنها حركية المهنة *professionnalisation* داخل الفضائين. في حين تميز فضاء الخبراء - المناضلين باتجاه حركية المهنة نحو الأشكال المغلقة¹، فإن المعاهد الخاصة بفضاء التكنوقراطيين سلكت الاتجاه المعاكس تماما عن طريق تفضيل الانفتاح على الحقول الأخرى من خلال تطوير ممارسات انتاج التقارير القصيرة و انتاج الآراء الاستشارية في شكل موجز *Policy Brief* موجه للمسؤولين السياسيين و وسائل الاعلام. نظرا لنجاعة هذه الاستراتيجيات سنوات الثمانينيات خصوصا وبسبب كون الاهتمام واحدا بين الفوجين فسرعان ما سيتم استحداث الكثير من التقنيات التي ستثبت فاعليتها بل و ستتحول إلى العلامة المميزة لمراكز التفكير مثل ال *policy brief* أو التقارير السياسية القصيرة - و هو ورقة بحثية مختصرة تعطي صورة عن المشكلة و الحل الواجب نهجه و تكون موجهة لوسائل الاعلام و السياسة عموما - أو دليل التحول الرئاسي² (دليل موجه للإدارة الرئاسية الاتية للحكم مع فترة نهاية ولاية رئيس مغادر كل أربع سنوات). لقيت هذه الأساليب نجاحا معتبرا و استطاعت أن تحل مكان المنتجات المنافسة مثل البحوث الجامعية، و ذلك لأنها استبدلت الصرامة المعروفة نسبيا داخل هذه الأطر المؤسسية، بالسلاسة التقنية و السهولة الاستخدامية من طرف الصحفيين و رجال السياسة.

من الاتجاهات الحركية في هذه الفترة أيضا نجد أن توسع فضاء مراكز التفكير ديموغرافيا صاحبه تركز و انحصار قرب دوائر صنع القرار³، أي في العاصمة واشنطن. إذا كانت مراكز التفكير قبل السبعينيات متفرقة عبر كامل الاقليم الأمريكي مع أغلبية في مدينتي واشنطن و نيويورك، فإنها بعد السبعينيات تركزت بشكل خاص جدا في واشنطن، و حتى القديمة منها انتقلت إليها. اتجهت مراكز التفكير أيضا نحو خلق نظامها التقييمي الذاتي الخاص بها، و يظهر هذا من خلال برامج التكوين في

¹ و هو مفهوم تعبر به سوسيولوجيا المهن عن مسار التطور داخل المهنة الواحدة الذي يتم عن طريق تطوير ممارسات داخلية تصبح محورية لهوية تلك المهنة و تسمى المغلقة لأنها تنظر إلى الاطار التنظيمي و المؤسسي الضيق و الخاص بالمهنة فقط.

² يشير في هذا الاطار دونالد ابلسون إلى أن فترة التحول الرئاسية في أمريكا مهمة جدا لمراكز التفكير، فهي فترات استثمار عالية جدا لهؤلاء حيث ينجح الكثير من الخبراء الموالين للرئيس الفائز انتخابيا في الصعود إلى مناصب مسؤولية. يقدر عدد المناصب الشاغرة مع فترة كل انتقال رئاسي بحوالي 5000 منصب، يعود القسط الأكبر منها لخبراء مراكز التفكير المساندين للرئيس القادمة عهدته. أبهى فترة بهذا الخصوص هي سنوات الثمانينيات مع ولايتي الرئيس رونالد ريغان أين نجح المحافظون كثيرا في تمرير اجندتهم البحثية سياسيا. أنظر:

Abelson, *American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy*. Op. cit. p. 123.

³ هذا الاتجاه نحو التركيز في العاصمة واشنطن أي قرب ال Capitol هو الذي استلهم دونالد ابلسون في كتابه عن مراكز التفكير سنة 2006 حيث عنوانه كالتالي "The Capitol Idea".

الطور الثالث و فرص التربصات الممنوحة للباحثين الشباب. كما برز اتجاه مهم جدا يتعلق بخلق شبكة ارتباطات بينية تجمع مراكز التفكير بعضها ببعض حتى وإن كانت بينها اختلافات ايدولوجية. فمثلا أنشأت الـ Heritage Foundation سنة 1992 شبكة السياسة و الدولة State and Policy Network و هو تجمع يضم مراكز التفكير المحافظة المرتبطة بالحكومة. و في سنة 1998، أنشأ AEI (محافظ) و البروكينز (وسط) معهد الدراسات التعديلية المشترك. و في سنة 2002، قام Urban Institute و البروكينز بإنشاء مركز السياسات الضريبية، وهي كلها أمثلة تعكس توجه مراكز التفكير نحو نماذج الشراكة الثنائية أو المتعددة الأطراف¹.

إن نتيجة هذه الحركات المختلفة منذ السبعينيات هي اندماج كل من نموذج التكنوقراطي ونموذج الخبير- المناضل ليعطيا شكلا مميزا من السلطة لمن نسميهم اليوم خبراء سياسيون. تحت تأثير التغيرات التي فرضتها البيئة السياسية و المالية الأمريكية، حدث اندماج للممارسات التي تنتجها مراكز التفكير فأصبحت السمة التكوينية لحقل مراكز التفكير منتظمة حول هدف محدد، و معارف خاصة، و أسلوب خاص و خطاب من نوع خاص. هذه الممارسات الخاصة لمراكز التفكير وعلاقاتها بالنخب المالية و السياسية هي ما كان يعبر عنه بول ديكسون بالفضاء المهم للسلطة وهي ما يسميه توماس ميدفيتز اليوم بالفضاء الهجين للسلطة.

المطلب الثاني : مراكز التفكير الأمريكية و تحول حقل السلطة الأمريكي

تعتبر التحولات و التطورات السابقة التي عرفت مراكز التفكير مؤشرا حقيقيا على أن عالم مراكز التفكير قد أكتسب الخصائص الفعلية للحقل، خصوصا بفعل تبلور فئة الخبير السياسي. إنه عبارة عن مفكر هجين يخضع لمتطلبات طريقة الوجود، و لشروط الكفاءة و لجميع أنواع القيود التي يفرضها فضاء انتاج المعرفة الخبيرة. يجمع نموذج الخبير الهجين الكثير من الرساميل و الكفاءات - المتناقضة أحيانا - التي اكتسبها في الحقول الأخرى؛ الجامعة، الحقل السياسي، المؤسسة الاقتصادية و الاعلام.

1- صعود الفئة الهجينة من الخبراء و انتقال للسلطة نحو مراكز التفكير

¹ Medvetz, *Think Tanks in America*. p.96.

تطرح فكرة تطور ظاهرة مراكز التفكير تاريخيا ملاحظة مهمة تخصنا بشكل عميق هنا و تتعلق بتحويلات حقل السلطة في الوم أ في حد ذاته، ثم في العالم بعدها. إن التطور التاريخي السابق الذكر يعتبر مسارا لتحول حقل السلطة في الوم أ. لأنه من افرازات تحول التحالفات و الشراكات بين نخب مختلفة، وذلك منذ بداية القرن العشرين. إن التأمل في طبيعة الشراكة التي أدت الى ظهور مركز راند مثلا هو الذي يحيلنا بالضرورة إلى هذا النوع من القراءات. يعتبر هذا الأخير ثمارا لشراكة بين النخب العسكرية و النخب الجامعية بعد الحرب العالمية الثانية، فمعهد راند ¹ Rand تأسس سنة داخل شركة Douglas Aircraft Company - و هي شركة صناعية في ميدان الطيران المدني و العسكري سابقا - بهدف تقديم استشارات للجيش الأمريكي، و لا يزال إلى غاية اليوم قريبا جدا من البنتاغون و من الحكومة الأمريكية (أي عسكري-سياسي-أكاديمي).

بعد سنوات الستينيات من القرن الماضي، أدى النماء الديموغرافي لظاهرة مراكز الفكر داخل السياق الأمريكي إلى اكتساب هذه الأخيرة لنوع من الاستقلالية المؤسسية المتميزة بممارستها المهنية الخاصة بها، و هو العنصر الذي يسمح لنا بالحديث عن نشأة الحقل. في حقيقة الأمر، إذا كان مفهوم بورديو للحقل محوريا في كل البحوث العالمية فإن له تصورات و مقاربات أخرى متعددة اليوم، خصوصا داخل الفرع الأمريكي من النظرية العامة للحقل السياسي. استنادا على المعنى الذي يريده مارتين ؛ فالحقل هو عبارة عن تنظيم لجهود جماعية متجهة نحو هدف معين، فإن التجربة الأمريكية تعكس من خلال تطور ازدهارها اعتبارا من ستينيات القرن الماضي وجود توجه عمل استراتيجي ² جديد للنخب السياسية و الاقتصادية و الفكرية الأمريكية نحو ممارسة السلطة وفقا لأنماط و أشكال جديدة. علينا إذن أن نتساءل هنا عن شكل هذه السلطة التي يمثلها حقل مراكز التفكير الأمريكي (المعولم لاحقا!).

من ناحية أولى، و بتطبيق المسلمات الرئيسية لنظرية الحقل عند بيار بورديو، فإن مراكز التفكير في الوم م. أ. هي عبارة عن تركيبة مختلطة و معقدة لمجموعة من الموارد و أشكال من الرساميل

¹ و هو اختصار لكلمتي البحوث و التنمية باللغة الانجليزية "Research AND Developement".

² العبارة مستوحاة من مفهوم حقل العمل الاستراتيجي عند Fligstein و McAdam في كتابيهما نظرية الحقول. انظر خصوصا الفصل السابع بعنوان "نحو نظرية لحقول العمل الاستراتيجي " ؛

Neil Fligstein and Doug McAdam, "Toward a Theory of Strategic Action Fields," in *A Theory of Fields*, ed. Neil Fligstein and Doug McAdam (Oxford University Press, 2012), 0, <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199859948.003.0007>.

المستقاة من الحقل الأكاديمي والاقتصادي والسياسي والاعلامي. إنها بعبارة أخرى تشكيلات هجينة التكوين و لكن بعلاقات خفية و غير بادية مع حقول أخرى أكثر استقرارا (السياسي، الاعلامي والاقتصادي والجامعي) وهي ملاحظة تمس بجوهر مسألة السلطة داخل السياق الأمريكي.

هاته القراءة النظرية والتاريخية ذات فائدة تحليلية من عدة جوانب :

- تطرح هذه القراءة بوضوح الأهمية البالغة و الأولوية للعلاقات السلطوية التطبيقية (ما بين النخب) في بناء مسار تحول السلطة ؛ بهذا المعنى أنشئت مراكز التفكير من طرف نخب لأغراض سياسية قبل كل شيء، وظلت وتظل ودية للقيم وللتفضيلات السياسية لمؤسسيها و لداعميها. و لكن لا يجب أن يفهم هذا المعطى على أن النخب تشكل وحدة متجانسة، بل أنها متعددة ومتنافسة.

- أنها قراءة للعلاقات السلطوية في شكلها الأفقي وليس العمودي، فمسار النشأة و التطور التاريخي يشير إلى علاقات التناغم النخبوي و التعاون الأفقي بينها، كما يشير إلى علاقات التصادم و التنافس.

- أنها قراءة تشير إلى أن الرهانات السلطوية داخل هذا المسار لا تتعلق بقضية التراكم السلطوي فحسب، و لكن أيضا بالقيم السياسية التي يحملها هذا النوع من السلطة التي يمارسها الخبراء.

يمكننا إذن أن نقرأ في مسار التطور التاريخي للظاهرة أن هذه المراكز تمتلك خاصية مشتركة وهي الانتماء النخبوي (المؤسسون هم جزء من النخبة و مصادر التمويل كذلك)، و بهذا المعنى نستنتج أن إنشاء مراكز التفكير في حد ذاتها يمثل ثمرة و نتيجة لمشروع قامت به (ولا تزال) الطبقة السياسية الحاكمة. هذه النتيجة لها ابعاد إضافية. فهي من ناحية أولى تعبر عن رغبة و طموح و نوايا للمؤسسين لهذه المراكز بتشكيل جماعة سياسية أولا و قبل كل شيء. من ناحية ثانية، أنها لا تعبر عن مصالح فئوية محددة مسبقا بل إنها تستهدف خلق تحالفات خاصة جدا تضم نخبا متنوعة ؛ اقتصاديون رأسماليون، قانونيون، علماء، سياسيون، مفكرون...الخ. من ناحية ثالثة، نظرا لكون المراكز التفكير وضعت من طرف نخب معينة فقد أنشئت بالضرورة لمواجهة نخب أخرى، وهي هنا أداة لزيادة سلطة نخب معينة على حساب أخرى. فمثلا ؛ يعتبر بروز و صعود مراكز التفكير قبل كل شيء إضعافا بل وتهميشا للاندليجانسيا الأمريكية (المفكرون)، و صعود فئة علماء الاقتصاد الرأسماليين المدعمون لمراكز التفكير (فريدمان مثلا) كانوا سببا في النهاية التاريخية لفترة العهد الجديد، و هيمنة علماء

الاقتصاد les économistes على مسار القرار الاقتصادي الأمريكي يعتبر تحكما شبه مطلق لفئة علماء الاقتصاد مقارنة بعلماء آخرين من تخصصات أخرى.

2- تفسير المكانة السلطوية لمراكز التفكير داخل الحقل السياسي الأمريكي

مراكز التفكير الأمريكية ليست مجرد مؤسسات مستقلة بذاتها بل إنها أيضا فضاء يحتضن ويجمع خبراء من آفاق متنوعة و برساميل متنوعة، فهي تمتلك القدرة على الربط بين الأشكال المختلفة للسلطة و للبرساميل المتعلقة بها، و هي بهذا الشكل عامل من عوامل زيادة تأثير المعرفة المنتجة من قبل الخبراء على مصطلحات ومحتويات واتجاهات النقاش العام. كيف يمكن تفسير هذا المركز السلطوي الذي بلغته مراكز التفكير في الو. م. أ. ؟

وفقًا للتحليل الذي يطرحه توماس ميدفيتز، يمكن التمييز بين ثلاث عوامل رئيسية تفسر تبلور مراكز التفكير في الولايات المتحدة. الأول ؛ يتعلق بالوجود الدائم لقطاع أعمال قوي يمتلك الوسائل المادية والرغبة في إقامة صناعة حقيقية لإنتاج فكري خاصة به. بالمقارنة مع دول أخرى، يعتبر رجال الأعمال الأمريكيين نشطاء جدا في البحث عن وسائل للتحكم في ظروف النقاش العام والسيطرة على برامج الاقتصاد والسياسة الخارجية. العامل الثاني ؛ و يتعلق بغياب أو ضعف المؤسسات السياسية البديلة التي بإمكانها أن تجعل من وجود مراكز التفكير أمرا غير ضروري، و التي تقوم باستيعاب الفائض من العلماء في البلاد. تعتبر المساهمة التي تقوم بها الدولة في الو. م. أ. لإنتاج المعرفة التقنية منخفضة نسبيا و هذا مؤشر كاف على عدم سيطرتها على المسار بشكل محسوس. بالإضافة الى هذا، يجب التشديد على ضعف الأحزاب السياسية والنقابات الأمريكية في هذا الجانب. العامل الثالث الذي يشرح ظهور مراكز التفكير هي الطابع التكنوقراطي للعلوم الاجتماعية الناشئة. إن مؤسسة التمثلات الجماعية للباحثين في العلوم الاجتماعية تمت وفقا لنموذج مهني Professionnel في الو. م. أ. وليس وفقا لنموذج فكري Intellectuel و هو ما خلق لدى جماعة الباحثين استعدادات أولية للتحويل الى خبراء. حسب توماس ميدفيتز، هذه هي الظروف و العوامل التي كانت مسؤولة عن ظهور هذه المؤسسات البحثية المسماة بمراكز التفكير، و أيضا عن تشكل فضاء متميز بذاته للإنتاج المعرفي والفكري¹.

¹ Thomas Medvetz, « Les think tanks aux États-Unis », *Actes de la recherche en sciences sociales* 176-177, n° 1 (18 mars 2009): 82-93. p. 93.

من جهة أخرى، قدمت أدبيات العلوم السياسية تفسيرات عدة لديناميكية صعود مراكز التفكير في حقل السلطة الأمريكي. فيما يلي سنحاول مناقشتها في عنصرين؛ الأول يخص بيئة اتخاذ القرار في النظام السياسي الأمريكي، والثاني يخص اقتصاد الهبات وانسحاب الدولة الرسمية.

2.1. بيئة اتخاذ القرار

اقترحت كارول فايس Carol Weiss بشكل خاص جدا تحليلًا لهذه الاشكالية سنة 1977. أغلب الأدبيات حول مراكز التفكير تسترجع أفكار فايس لتقديم تفسيرات عن قدرة مراكز التفكير على التوغل في بنية النظام السياسي الأمريكي. قدمت كل من ديان ستون Diane Stone و دانييل بيلاند Daniel Béland أهم التعليقات على مقال كارول فايس الذي يعتبر مرجعياً بحق. انطلاقاً أيضاً من مقال فايس سنركز أيضاً على خمس عوامل كمتغيرات تفسيرية للطرح القائل أن مراكز التفكير هي مُنتَجٌ للثقافة السياسية و المؤسساتية الأمريكية ؛ "تجزأ-تشتت- النظام الحكومي الأمريكي، ضعف الأحزاب السياسية، وتعدد مشكلات السياسة العامة وترابطها البيئي، نفاذية البيروقراطية الأمريكية للفاعلين الخارجيين، و انفتاح النظام الأمريكي أمام المصادر الخارجية للاستشارة والخبرة¹.

أ. تجزأ ولا مركزية النظام السياسي الأمريكي

يمثل صعود مراكز التفكير الأمريكية في حقل السلطة الأمريكي استجابة عملية لطبيعة النظام الأمريكي المتسم بطبيعته المجزأة fragmentée (توازن السلطات) و اللامركزية décentralisée (الفيدرالية)، وهي خصائص تفتح المجال للمفاوضات. يتميز النظام الأمريكي الذي يؤطره دستور 1787 بتعدداته السوسيو-سياسية (جماعات ضاغطة، جماعات مصالح، وسائل الاعلام، مراكز التفكير...) و بتعديته المؤسساتية (التنفيذي، التشريعي، الدولة الفيدرالية و الدول تحت الفيدرالية). تُعبر ديان ستون عن هذه السمة فتقول بأنها البيئة الخصبة التي تساعد على نمو منتج يسمى مراكز

¹ Carol H. Weiss, "Research for Policy's Sake: The Enlightenment Function of Social Research," *Policy Analysis* 3, no. 4 (1977): 531–45. p.533.

التفكير¹. لقد بُنيَ النظام السياسي الأمريكي على خاصية عامة هي التنافس الدائم من أجل تقاسم السلطات بين مختلف المؤسسات الموجودة. حتى وإن كانت الطبيعة المجزأة واللامركزية للنظام السياسي لا تفسر في حد ذاتها ظاهرة بروز و تبلور مراكز التفكير إلا أنها هي المسؤولة عن خلق ديناميكية الطلب على الخبرة من طرف كل المؤسسات السياسية الباحثة دوماً عن تأكيد سلطاتها واختصاصاتها، وهذا ما يعني إمكانية تدخل الكثير من الفاعلين من المجتمع المدني في العملية السياسية. مثل هذه الملاحظة يقتسمها الكثير من الباحثين، حيث يرى مثلاً دانييل بيلاند D. Béland أن النظام الأمريكي يتميز بخاصية جوهرية كبرى وهي تشتت الادارة الفيدرالية و نفاذيتها للعناصر الخارجية. تتميز الادارة الفيدرالية حسب بيلاند بتجزئتها و تشتتها و بضعفها مقارنة بالمؤسسات الاقتصادية من القطاع الخاص، كما تتميز بنفاذيتها للمؤثرات الخارجية من المجتمع المدني². لهذا السبب نجد أن الكثير من الموظفين الحكوميين السامين و المسؤولين السياسيين يطورون مساراتهم المهنية في القطاع الخاص قبل أن يدمجوا في الوظائف الحكومية العليا ليعودوا مرة أخرى إلى القطاع الخاص. أمام هذه المعطيات فإن مؤسسات الدولة الفدرالية تعرف في نوع من الضعف الوظيفي الذي يجعل من اللجوء الى مصادر الخبرة الخارجية أمراً ضرورياً و الزامياً. هكذا تخلق هذه الظروف المؤسسية الحاجة للاعتماد على المستشارين و الخبراء من المؤسسات الخارجية المختصة لتحليل المشكلات المختلفة و لاقتراح الاجابات المناسبة لها³.

ب. ضعف نظام الأحزاب السياسية

من المدخلات التفسيرية التي تساعد على بروز و صعود منظمات سياسية غير تقليدية، ذلك الضعف و النقص في التناغم الفكري الذي تمتاز به الأحزاب السياسية الأمريكية. يتسم الحزبان العريقان في ال م أ. خصوصاً بضعف الانضباط الداخلي للأعضاء و هو ما يعتبر تحدياً داخلياً للأحزاب السياسية. يمثل الحزبان العريقان قبل كل شيء تجمعات مصالح غير متجانسة قبل أن يكون لقاء فكرياً و ايديولوجياً يتحد بموجبه مختلف أعضائه، كما قد تشير اليه التجارب الأوروبية الشبيهة⁴.

¹ Diane Stone, *Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process* (London: Routledge, 1996), <https://doi.org/10.4324/9780203044292>. P. 38.

² Daniel Béland, "Idées, institutions politiques et production de l'expertise : une perspective comparative sur le rôle des think tanks au Canada et aux États-Unis," *Quaderni* 70, no. 3 (2009): 39, <https://doi.org/10.4000/quaderni.505>. p.41.

³ Stone, *Capturing the Political Imagination*. p. 38.

⁴ Ibid. p. 41.

يلاحظ ضعف الانضباط و هشاشة التجانس الايديولوجي و السياسي خصوصا على مستوى الكونغرس، ففي الكثير من المناسبات تخرج شخصيات معينة عن الأطر الفكرية المألوفة للحزب، وهي ظاهرة متكررة و مستمرة. من ناحية أخرى، تعترف مراكز التفكير بحد ذاتها بأنها بديل للأحزاب السياسية، فمثلا تعترف البروكينز بأن ضعف الأحزاب و هشاشتها الايديولوجية قد أعطيا أهمية إضافية لأدوار مراكز التفكير في العديد من المجالات.¹ كتب بيلاند :

[...] يتمتع أعضاء الحزب في الوم أ. بنوع من الاستقلالية الايديولوجية أمام جهاز الحزب، وهذا الأمر يساعد أعضاء الكونغرس من الحزبين وكذلك أعضاء الحكومة على طلب استشارات خارجية من خبراء يعملون أساسا في مراكز تفكير، خصوصا عندما يتعلق الأمر بإعداد مشروع قانون. يعاني أعضاء الكونغرس بل و الكونغرس كله من قابلية النفاذية لتأثيرات جماعات المصالح و جماعات الضغط و مراكز التفكير ، و هو هكذا مؤسسة مفتوحة جدا أمام صناع الخبرة المعتمدين.²

أمام ضعف الأحزاب تجد مراكز التفكير أهميتها الوظيفية في اقتراح التحاليل اللازمة والأفكار اللازمة لإعداد مشاريع القوانين. فضلا عن هذا فإن الوتيرة السريعة نسبيا للانتخابات التمثيلية في الكونغرس و مجلس الشيوخ (كل سنتين هناك تجديد كلي بالنسبة لغرفة النواب و ثلث أعضاء مجلس الشيوخ ؛ ما يعرف بالميدترم Midterm) تزيد من نفاذية الأعضاء للتأثير الخارجي. تُولي مراكز التفكير عناية بالغة لهذه الخصائص التي يتميز بها نظام الانتخابات الأمريكي. يتركز الاهتمام بشكل خاص على فترات التحول périodes de transition الرئاسية حيث تكون امكانيات التأثير على الإدارة القادمة عالية نسبيا. لقد اشتهر مركز التفكير المحافظ the Heritage Foundation سنة 1981 باستثماره الجيد في فترة التحول الرئاسية عبر إعداداته للبرنامج الشهير Un mandat pour le leadership (عهدة من اجل الزعامة). هذا البرنامج عبارة عن خطة من 20 مجلدا، أي ما مجموعه حوالي 3000 صفحة، تشتمل على أكثر من 2000 توصية، وقد تم تبني أكثر من ثلثها 3/2 من طرف إدارة ريغان الأولى. فترة التحولات الرئاسية فترة مهمة أيضا لأنها فترة تجديد للموظفين الحكوميين في الادارة العليا، حيث يتم تجديد حوالي 4000 الى 5000 منصب مع مجيء رئيس جديد الى مبنى ال Capitol (البيت الأبيض). قام رونالد ريغان مثلا بتوظيف حوالي 150 خبير من the Heritage Foundation و

¹ Béland, "Idées, institutions politiques et production de l'expertise." p. 42.

² Ibidem.

American Enterprise¹ Institue. عندما يقول هنري كيسينجر [أننا] في الادارة العليا نأتي لصرف رأس المال الذي كنا قد جمعناه في أماكن أخرى، فإنه يشير الى أن حركات الدخول الى الوظيفة العليا في الو. م. أ. لا تمر بالضرورة عبر بوابة الأحزاب السياسية بل إن القنوات الأخرى على قدر عال من الأهمية بالنسبة للرئيس و للمؤسسات الأخرى.² تشير عبارة سياسات ما بعد الأحزاب Post-partisan³ politics بشكل صريح الى الفترة الحالية التي تخلت فيها الأحزاب عن الكثير من المجالات لصالح فاعلين جدد في مقدمتهم مراكز التفكير.

ت. التعقيد المتزايد لمشكلات السياسات العامة بفعل الترابط البيئي

تشير كارول فايس أيضا الى الطابع المعقد و المتداخل للمشكلات العامة التي يجب على الحكومة التعامل معها. ترى فايس أن مشكلات السياسة العامة لا يتم التعامل معها من طرف فضاء واحد نظرا لأنها مشكلات مترابطة بمشكلات أخرى تتواجد في فضاءات أخرى. كل مشكلة عامة تتواجد أمام حكومة معقدة مؤسساتيا، و أمام تدفق رهيب للمعلومات من كل صوب (من طرف جماعات ضاغطة، شركات و جماعات مصالح)، و هو عامل يجعل من اللجوء الى الخبرة أمرا ضروريا، لأنها تسمح على الأقل بتوضيح تعريف المشكلة وحلولها الممكنة.⁴

ث. انفتاح النظام السياسي الأمريكي أمام المصادر الخارجية للخبرة

لوقت طويل نسبيا أكدت مقاربات سوسيولوجيا الدولة على مسألة ضعف الدولة الأمريكية مقارنة بالتقليد الغربي في أوروبا أو في باقي الفضاءات الجيوسياسية الأخرى. يعود السبب في هذا كما أشرنا اليه آنفا الى غياب و عدم استقرار الوظيفة العليا في تسيير الحكومة الفيدرالية و هو ما حال دون استقلاليتها المؤسساتية مقارنة بباقي الوظائف في المجتمع و الدولة، و الذي يشير في النهاية الى نوع

¹ Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. p. 56.

² Béland, "Idées, institutions politiques et production de l'expertise." p. 42.

³ هذه العبارة تم استخدامه منتصف سنوات الستينيات من طرف الاعلاميين خصوصا للإشارة الى تصاعد قوة جماعات المصالح في العملية السياسية على حساب الأحزاب التقليدية. لكن ورغم النقاش الضخم الموجود عن أزمة الأحزاب إلا أنها ظلت تستخدم من فترة لأخرى للإشارة الى تراجع سلطة الأحزاب السياسية أو خيبات الأمل لدى الناخبين. أعيد استخدام العبارة كثيرا خلال الحملة الرئاسية بين ماك كايين و اوباما سنة 2007، للإشارة الى غياب الانضباط الحزبي. أنظر:

Harry Holloway, "Interest Groups in the Postpartisan Era: The Political Machine of the AFL-CIO," *Political Science Quarterly* 94, no. 1 (1979): 117–33, <https://doi.org/10.2307/2150159>.

⁴ Weiss, "Research for Policy's Sake." p.337.

من عدم القدرة على التصرف الإداري (State Capacity)¹. يؤدي الضعف الداخلي لأجهزة الدولة الأمريكية على التصرف إلى اللجوء إلى المصادر الخارجية للخبرة، وهو ما يؤكد التوجه العام الملحوظ منذ سنوات السبعينيات، والذي أصبح اليوم مؤشرا على تبعية الحكومة الفيدرالية للخبرة الخارجية وليس مجرد ارتباطات ظرفية. خصوصية الدولة الفيدرالية الأمريكية هي أن مسار بناءها لم يتم وفقا لقاعدة تهميش وإقصاء للبنى الاجتماعية والسياسي - كما حصل مع مسار بناء الدولة الأوروبية - ولكن تم عن طريق تجميع ودمج للشركاء ينتمون للمجتمع السياسي وللمجتمع المدني في آن واحد². لا يعتبر هذا المعطى إشكالا بالنسبة للمنظرين السياسيين الأمريكيين، فهذا الانفتاح لا يعرقل الأداء الحكومي الفيدرالي، كما تؤكد نجاعة السياسات الصحية والزراعية على المستوى الفيدرالي، بل إنه يعبر بالأحرى عن وجود إدارة عليا متخصصة مجسدة في مؤسسات الخبرة السياسية المستقلة عن الدولة. يشير مفهوم الإدارة-المحيطة peri-administration إلى هذه الديناميكيات التي تميز السياق الأمريكي عن غيره³.

2.2. اقتصاد هبات قوي جدا في دولة منسحبة⁴

لقد ولد هذا الواقع المؤسسي والسياسي الأمريكي انسحابا للدولة من العديد من الأنشطة التي تعتبر في فضاءات أخرى في صميم عمل الدولة، ومنها مسألة تمويل منظمات المجتمع المدني ومراكز التفكير. لا يرتبط مصير مراكز التفكير الأمريكية بالتمويل الحكومي بتاتا بل إنه يعتمد على القطاع الخيري الخاص قبل غيره.

¹ Ulrike Lepont, "The most consulted experts in the United States: the hypothesis of a peri-administration," *Revue française de science politique* 66, no. 6 (2016): 887–913. P. 887.

² Desmond King and Robert C. Lieberman, "American State Building: The Theoretical Challenge," in *The Unsustainable American State*, ed. Lawrence Jacobs and Desmond King (Oxford University Press, 2009), 0, <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780195392135.003.0011>. p. 302.

³ Lepont, "The most consulted experts in the United States." p. 888.

⁴ مصطلح اقتصاد الهبات économie de dons يشير إلى حجم القطاع الخيري le secteur philanthropique في الاقتصاد العام لدولة ما، ويسمى أيضا بالقطاع غير الربحي Nonprofit sector- Secteur non lucratif. كلها عبارات تستخدم لتمييز هذا القطاع عن القطاع العمومي (الدولة عبر تدخلها العمومي لإنتاج منفعة عامة)، وعن القطاع الربحي (وهو نشاط خاص أو عمومي الغرض منه تحقيق منفعة خاصة). ولكن علينا أن نضع في الحسبان أن النشاط الخيري مرتبط ارتباطا وثيقا بالجباية، لأن أغلب الهبات هي عبارة عن إعفاءات جبائية لأصحابها، وهذا معناه أن النشاط الخيري هو في الحقيقة دعم من الدولة بطريقة غير مباشرة. دعم الدولة للقطاع الخيري يتم بطريقتين؛ الأولى مباشر عن طرق صفقات عمومية للشركات المعنية، أو عن طرق غير مباشر يتم سواء بتحفييزات جبائية أو بإعفاءات ضريبية.

2. 1. القوة الاقتصادية للقطاع الخيري الأمريكي كمدخل لتفسير ازدهار مراكز

التفكير في الولايات المتحدة

يعتبر هذا الأخير قوة مالية بامتياز ؛ خلال الثلاثي الأول من سنة 2023 قدر الحجم المالي للاقتصاد غير الربحي في الوم أ. بحوالي 1500 مليار دولار¹، أي ما يعادل قيم الدخل القومي الخام لبعض الدول المتوسطة مثل استراليا (1675 مليار دولار سنة 2022)، أو كوريا الجنوبية (1660 مليار دولار) وأكثر من اسبانيا (1400 مليار تقريبا)². إنه قطاع ضخم جدا أيضا على صعيد المساهمة في قوة العمل، فهو يوظف حوالي 12.5 مليون عامل، أي ما يعادل 12.75% من اليد العاملة الحقيقية³. هذه القوة الاقتصادية للقطاع غير الربحي الأمريكي ليس لها نظير في العالم، و نتيجتها هي أنها أنتجت فسيفساء من المنظمات الخيرية التي تشجعها السياسة الضريبية الأمريكية.

أثار اهتمام البحث العلمي بالقطاع الخيري الكثير من النقاش النظري. يعتبر كتاب روبرت بريمر Robert Bremner بعنوان American Philanthropy مرجعيا بحق، فهو يوضح الانجازات التي حققها القطاع للمجتمع الأمريكي، خصوصا تلك التي حققتها المؤسسات الخيرية الكبرى les Fondations⁴. قدم التيار النقدي، ممثلا في جيل من الكتاب الغرامشيين الجدد مثل روبرت آرنوف Arnove Robert (1980) – (Philanthropy and cultural imperialism)، قراءات أخرى تعتبر هذه المؤسسات الخيرية أدوات لإعادة انتاج النظام الرأسمالي و الثقافي الأمريكي و الحفاظ عليه داخليا، و أما على الصعيد الخارجي فهو أمركة ثقافية و امبريالية اقتصادية على العالم⁵. ابتداء من التسعينيات ظهر جيل جديد من الدراسات تم بموجبه تحليل القطاع الخيري بمفاهيم جديدة تعتبره نسق حركة عابرة للأوطان

¹ Independent sector, "Health of the U.S. Nonprofit Sector : A Quarterly Review," June 30, 2023, <https://independentsector.org/wp-content/uploads/2023/01/Quarterly-Health-Report-June-2023.pdf>. p. 3.

² Fati Hadouni, « Classement des pays par PIB 2023 : les pays les plus riches du monde », *Business Cool* (blog), 24 juillet 2023, <https://businesscool.com/decryptage/classements/pib-classement-pays-riches-monde-2022/>.

³ Independent sector, "Health of the U.S. Nonprofit Sector : A Quarterly Review."

⁴ Nicole Fouché, "De la philanthropie en Amérique," *Revue d'histoire moderne & contemporaine* 60–3, no. 3 (2013): 151–62, <https://doi.org/10.3917/rhmc.603.0151>. p.151.

⁵ Robert F. Arnove, *Philanthropy and Cultural Imperialism: The Foundations at Home and Abroad* (G.K. Hall, 1980).

للأموال و للأفكار. في الحقيقة يعتبر السلوك الخيري الأمريكي في الخارج براديفم عمل، فهو حسب ليدوفيك تورناس Ludovic Tournès مال خاص وقضية دولة¹.

يعتبر القطاع الخيري الأمريكي سلطة حقيقية، مختصة في تمويل التغير الاجتماعي (فلسفة كارنيجي) و هذا يبرر القول بغياب تدخل للدولة ، حوله النظام الليبرالي الأمريكي الى عقيدة راسخة وواقع عملي حتمي. بُني القطاع الخيري الأمريكي قبل كل شيء على شخصية كبرى هي اندريو كارنيجي Andrew Carnegie، وفلسفته صريحة وجريئة جدا، فهو يعتقد أنه يقوم بتمويل التقدم الاجتماعي والذي يقصد به تطوير حياة النوع الانساني²، وهذا اختصاص لا يُنادى به في فضاءات أخرى سوى من طرف الدولة. لكن، قامت استراتيجية كارنيجي أساسا على احداث قطيعة مع نظام الخيرية المسيحية أي الدينية³، فهي نوع من الاستثمار، إذ توجه الأموال - و هنا حرية توجيه الأموال حسب خطط استراتيجية استثمارية خارجة عن مراقبة الدولة - لاستثمارها في التنظيم الاجتماعي للسكان، في داخل الو. م. أ. أو خارجها، خصوصا في ميادين التعليم العالي، العلوم ، الصحة، محاربة الايديولوجيات المتطرفة. تنتهج اليوم أغلب المؤسسات الخيرية هذا النهج الذي سلكه كارنيجي منذ بداية القرن العشرين⁴.

برزت شخصية جون روكفيلر John Rockefeller كمنهج ثان قائم بذاته أيضا، و هو قائم على التقريب بين النخب الغنية جدا، و الاصلحيين و القطاع العلمي، و التكنولوجيا و قطاع الخبراء⁵. بنمو الأدوار التي لعبها القطاع الخيري في المجالات الاجتماعية، تحول هذا الأداء الى تحالف مع الدولة الفدرالية. يُعبر مفهوم الدولة الجموعية الذي بدأ مع الرئيس هيربرت هوفر عن هذا التحالف الثنائي بين الدولة الفدرالية و القطاع الخيري و هو نموذج قائم على توجيه أنشطة القطاع الخيري الخاص نحو خدمة الأهداف المعلنة للدولة الفدرالية⁶. يبلغ حجم المؤسسات الخيرية اليوم في الو. م. أ. أكثر من

¹ Fouché, "De la philanthropie en Amérique." p. 151.

² Élisabeth Chelle, "Les fondations philanthropiques états-uniennes, des acteurs privés de la protection sanitaire et sociale dans le monde," *Informations sociales* 203–204, no. 2–3 (2021): 118–21, <https://doi.org/10.3917/inso.203.0118>. p. 119.

³ Fouché, "De la philanthropie en Amérique." p. 151.

⁴ Chelle, "Les fondations philanthropiques états-uniennes, des acteurs privés de la protection sanitaire et sociale dans le monde." p. 119

⁵ Fouché, "De la philanthropie en Amérique."

⁶ Ellis W. Hawley, "Herbert Hoover, the Commerce Secretariat, and the Vision of an 'Associative State,' 1921–1928," *Journal of American History* 61, no. 1 (June 1, 1974): 116–40, <https://doi.org/10.2307/1918256>.

85 ألف مؤسسة خيرية Foundation ، أكثر من مائة منها تبلغ مواردها المالية وممتلكاتها أكثر من مليار دولار¹.

توجد إذن غزارة مالية في تمويل أنشطة البحث في مراكز التفكير، تغذيها الثقافة الخيرية ، وتشجعها التشريعات الجبائية التحفيزية. تتمتع مراكز التفكير بمركز قانوني خاص بها فهي معفاة ضريبيا على عكس اللوبيات والمؤسسات الأخرى.

2.2.2. وفرة التمويل الخاص : عامل استقلالية سياسية لمراكز التفكير عن

الدولة

تساهم هذه القوة المالية للقطاع الخيري في ازدهار مراكز التفكير، وفي تطوير أنشطتها. باعتبارها عصب كل نشاط مهني، فإن الموارد المالية التي يوفرها القطاع الخيري لمراكز التفكير قد كرس استقلاليتهما، أي تبلورها كحقل مستقل عن الإدارة العمومية بشكل يضمن لها نوعا من الحرية السياسية. إن مصادر تمويل مراكز التفكير الأمريكية متنوعة و لكنها تأتي من القطاع الخاص في مجملها؛ المؤسسات الخيرية les fondations، مساهمات الشركات الاقتصادية، الأوقاف legs، عقود البحث المبرمة مع متلف المنظمات الحكومية و الخاصة، حقوق المتدربين و التكوين، علاوات المحاضرين، المساهمات المالية في الملتقيات، أعمال البحث و المنشورات. جل مراكز التفكير الأمريكية تمتلك سلة جد متنوعة من التمويلات ولا تخضع للتمويل المباشر من الدولة كما هو الحال في كثير من مراكز التفكير الشرق أوسطية².

تعمل مراكز التفكير الأمريكية الكبرى بميزانيات كبيرة جدا. قدمت الدراسة المعنونة ب: مليار دولار من أجل الأفكار One billion for ideas صادرة سنة 1999، أن مراكز البحث الأمريكية المحافظة أنفقت ما يعادل مليار دولار خلال عشرية التسعينيات لوحدها³. يتزايد حجم ميزانيات عمل مراكز التفكير بمعدل يتراوح ما بين 5 و 6 في المائة سنويا، وهي نسبة معتبرة حقا. لكن، منذ سنة 2016

¹ Chelle, "Les fondations philanthropiques états-uniennes, des acteurs privés de la protection sanitaire et sociale dans le monde." p. 119.

² Alain Faupin, "La pensée au service de l'action : les think tanks américains," *Revue internationale et stratégique* 52, no. 4 (2003): 97–105, <https://doi.org/10.3917/ris.052.0097>. p. 101.

³ "\$1 Billion For Ideas - National Committee For Responsive Philanthropy," March 18, 1999, <https://www.ncrp.org/publication/1-billion-ideas>, <https://www.ncrp.org/publication/1-billion-ideas>.

اصبح رقم مليار دولار رقما سنويا وليس لعشرية كاملة، حيث تنفق مراكز التفكير الواحد و العشرين الأولى في الوم أ. ما قيمته 1.25 مليار دولار سنويا¹. توظف المراكز الـ 21 الأولى حوالي 7700 عامل، و تقدر أصولها المالية بـ 2,59 مليار دولار². تضم قائمة المراكز الأقوى ماليا : مركز راند (ميزانية سنوية تقدر بـ 327 مليون دولار)، يتبعه مركز بروكينز (105 مليون دولار)، ثم معهد الموارد العالمية (90 مليون دولار)، ثم الـ Urban Institute بـ 88 مليون دولار، ثم الـ Heritage Foundation بـ 81 مليون دولار³.

توضح هذه الأرقام مدى حجم الدعم المالي مدى الارتباط الموجود بين مراكز التفكير والمؤسسات الخيرية الكبرى، فهذه الأخيرة تقوم في الحقيقة باستثمارات لتنمية نفوذ مراكز التفكير في الشبكات السياسية. يعمل نموذج تمويل المؤسسات الخيرية لمراكز التفكير وفقا الاستراتيجية التالية :

- توفر المنظمات و المؤسسات الخيرية الكبرى الدعم بالموارد المالية و المادية حتى تتمكن من ترقية أفكار مراكز التفكير داخل الشبكات السياسية،
- لكل مؤسسة خيرية أو مجموعة مؤسسات خيرية شبكة سياسية تنشط بداخلها مراكز التفكير،
- يسمح الدعم المالي بتمويل النخب الجديدة التي تساهم لاحقا في إعادة انتاج الأفكار و الحفاظ عليها.

المطلب الثالث : الديناميكيات الكبرى العابرة لحقل مراكز التفكير الأمريكي

لقد مر مسار صعود مراكز التفكير الأمريكية بثلاث لحظات كبرى خلفت أثارا على بنية الحقل و اتجاهاته. تعتبر حركة الأدلجة Idéologisation أولى الحركات التي أثرت في معالم و سمات الحقل الأمريكي، و يعبر عنها أيضا بحركة التسييس Politisation لتتبعها منذ نهاية الحرب الباردة حركة التدويل و تعميم لهذا النموذج عبر لعالم.

1- أدلجة مراكز التفكير الأمريكية و تسييسها

¹ للعلم فإن ميزانية قطاع التعليم العالي في الجزائر في نفس اسنة أي 2016 هو 9.5 مليار دولار، بمعنى أن مراكز التفكير العشرين الأولى في الوم أ. تنفق واحد من تسعة (9/1) ميزانية التعليم العالي في دولة متوسطة الحجم مثل الجزائر.

² Hans Gutbrod, "US Think Tanks Continue to Grow: New Transparify Analysis," accessed September 30, 2023, <https://onthinktanks.org/articles/us-think-tanks-continue-to-grow-new-transparify-analysis/>.

³ Ibid.

لقد صاحب مسار صعود ظاهرة مراكز التفكير داخل السياق الأمريكي ديناميكية أدلجة منذ الستينيات من القرن الماضي. أغلب المراكز التي ظهرت ابتداء من هذه الفترة تحمل لونا إيديولوجيا. تعتبر الحركة المحافظة أكبر الحركات الايديولوجية أهمية لأنها اعتمدت استراتيجية ترقية مراكز التفكير كأداة لصعودها السياسي، بل وابتدعت نماذج عمل جديدة و ثورية داخل حقل مراكز التفكير في حد ذاتها، لأنها أحدثت ما يسمى باستراتيجيات التسويق الهجومية التي لم تكن موجودة من قبل (معهد AEI). يعتبر العامل الايديولوجي أهم المتغيرات تأثيرا في بنية حقل الأمريكي لمراكز التفكير. في دراسة أجراها اندريو ريتش سنة 2004، على عينة متكونة من 306 مركز تفكير أنشئت منذ السبعينيات، لاحظ هذا الأخير أن 170 منها ذات انتماء ايديولوجي إما محافظ (يمين) و إما تقدمي أو لبرالي (يسار)، في حين تبقى الـ 136 الأخرى مراكز تابعة للوسط (أي من دون ايديولوجية معلنة)¹. من جهة أخرى، فقد لاحظ أن عدد مراكز التفكير المحافظة تشكل ضعف عدد المراكز الأخرى في هذه العينة، بينما تبلغ ميزانيتها مجتمعة ثلاث أضعاف ميزانيات المراكز الأخرى. إن هذه الخاصية بالضبط هي ما يعبر عنه بحركية الأدلجة و التسييس. توجد مقابل مراكز التفكير التي اتجهت إما نحو تبني الأفكار المحافظة و إما نحو الأفكار التقدمية، فئة ثالثة هي مراكز التفكير الوسطية Centristes و قد ركزت جهودها على تطوير استراتيجيات الانتشار و التسويق بدلا من الدفاع عن ايديولوجيات محددة.

لقد صاحب مسار تطور مراكز التفكير حركية أدلجة، و هذا يعني أن هناك تحول في وظيفة و في أهداف هذه المؤسسات على حد سواء. إذا كانت هذه الأخيرة قد ارتكزت في البداية على مثالية استعمال الخبرة لإرشاد مسار القرار السياسي، فإنها تغيرت في طبيعتها بفعل التسييس و الأدلجة وأصبحت الخبرة المستندة على الايديولوجيا تخدم أغراض النضال السياسي أو المرافعة السياسية La plaidoirie². هذا تعبير عن تغير و تحول في طرق التدخل ؛ هناك انتقال من نموذج العلوم الاجتماعية التقنوقراطي الى نموذج النضال السياسي. و لكن لا يجب أن ينظر الى هذا التحول على أنه جوهري جدا، لأنه في كلا النموذجين هناك تأثير على طبيعة السياسات المنتهجة³ ؛ بعبارة أخرى، ما الفرق بين الدور الذي لعبه معهد البحوث الحكومية في بداية القرن العشرين مثلا و تعبئة مراكز التفكير

¹ Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. p. 122.

² Abelson, *American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy*. pp. 56-57.

³ Evert Lindquist, "Organizing for Policy Implementation: The Emergence and Role of Implementation Units in Policy Design and Oversight," *Journal of Comparative Policy Analysis: Research and Practice* 8, no. 4 (December 2006): 311-24, <https://doi.org/10.1080/13876980600970864>. p. 313.

المحافظة اليوم؟ في حقيقة الأمر، لا يوجد فرق سوى على صعيد الصورة الخارجية التي تغطي نشاط مراكز التفكير، ففي الحالة الأولى التصقت بها صورة الحياد، أي تجنبت الاقتراب من الأحزاب والايديولوجيات، وفي الحالة الثانية دمجت أنشطتها بإيديولوجيات محددة كاستراتيجية للنضال. تعبر حركية الأدلجة عن تغير في الاستراتيجيات المستخدمة وليس عن استبدال لنموذج بنموذج آخر، وهذا ما يؤكده بقاء واستمرارية النموذج الأول كما قد نلاحظه في حالات مراكز التفكير الوسطية مثل البروكينز التي تنتهج استراتيجية الابتعاد عن الايديولوجيا والأحزاب.¹

إذا كان هذا النوع من التفسيرات لا يصمد، فكيف يمكن فهم مسار الأدلجة والتسييس؟ إن التفسير الأكثر اقناعا بالنسبة يستند على اعتبار مفاده أن الخطابات السياسية المناهضة للخطاب المهيمن والاجماعي في لحظة ما يحتاج أيضا لأن يتهيكّل في صورة خبرة حاملة لرمزية علمية حتى يتمكن من مواجهة الخطابات المنافسة. إذن : لا تعبر حركة الأدلجة عن حاجة مراكز التفكير للأيديولوجيا بل على العكس تماما من هذا فالأيديولوجيا هي من تحتاج لوعاء مؤسسي يقدمها في صورة خبرة مشبعة بالرساميل العلمية. لقد ابتدأت هذه الحركية سنوات الستينيات والسبعينيات وهي سنوات ازمت سياسية واجتماعية كبرى، وفترات الأزمت هي فترات استعصاء لأفكار معينة قبل كل شيء، ولذلك نلاحظ أن بناء مراكز التفكير الايديولوجية في هذه الفترة قد حصل كردة فعل لمواجهة التقنوقراطية من جهة ولمواجهة الأفكار الليبرالية من جهة أخرى.

لقد اقترح كتاب آخرون تفسيرات إضافية لا تقل أهمية عن التفسير السابق. يعتبر اندري ريتش أن السبب يعود إلى تغير بيئة التمويل التي أصبحت تخدم أكثر الايديولوجية المحافظة.² جيمس ماك غين بدوره يعتبر ان السبب هو التغيرات الجذرية التي مست استراتيجيات الاعلام والاتصال ووصولاً الى العولمة، وكلها عوامل ساهمت في تسهيل انتشار الأفكار حيث وفرت مجالا أوسع لعقد شراكات مع فاعلين آخرين، وهي عوامل ساعدت في النهاية على أدلجة الحقل.³ ديان ستون من جهتها تعتقد أن توسع فضاء طالبي الخبرة مثل الجمعيات المهنية، الجامعات، الشركات الاقتصادية، المكاتب الاستشارية، فروع جماعات الضغط، والمنظمات غير الحكومية هو العامل الذي كرس اتجاهات أدلجة حقل مراكز التفكير.⁴ أفرزت حركية الأدلجة والتسييس نتيجتين مهمتين : الأولى أنها كسرت

¹ Ibid.

² Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. P. 115.

³ McGann, *The Fifth Estate*. P. 95

⁴ Stone, *Capturing the Political Imagination*. pp. 262-264.

الاجماع الفكري¹ السائد في الوم أ. بعد الحرب العالمية الثانية (تراجع الأفكار الكينزية و أفكار دولة الرفاه) خصوصا بسبب صعود الايديولوجية المحافظة²، و الثاني هو تشكل سوق الأفكار بالمعنى الحقيقي للعبارة خصوصا بسبب ازدياد حدة المنافسة بين مراكز التفكير المختلفة في سياق اتسم بالانفجار الديموغرافي لها³.

1.1- 1. صعود مراكز التفكير المحافظة

تعتبر مراكز التفكير المحافظة عنصرا تكوينيا أساسيا للحياة السياسية الأمريكية اليوم و تتخذ من واشنطن مقرا لها بشكل مدروس ضمن الهندسة العامة ل: حرب الأفكار في الولايات المتحدة، حيث يتيح هذا التموقع سهولة الوصول إلى أماكن السلطة. يمثل عقد السبعينيات فترة انفجار عدد مراكز التفكير المحافظة، فهي من جهة فترة تراجع المعاهد التكنوقراطية و المعاهد غير المتحيزة وهي من جهة أخرى فترة صعود مراكز التفكير الترويجية أو النضالية، حيث تتمحور برامج البحث حول الدفاع عن أيديولوجية معينة. بدأ المحافظون مساهمهم الهجوم من خلال إنشاء مؤسسة هيريتيج Heritage Foundation سنة 1973 ومعهد كاتو Cato Institute عام 1977. حظيت هذه المعاهد بالكثير من النجاح نظرا للمساهمات السخية التي قدمها جيل جديد من الممولين الاثرياء مثل جوزيف كورز Coors (هيريتيج) وتشارلز كوخ Koch (كاتو)، الذين بنوا مشروعا يتمثل في قيادة هجوم فكري محافظ ضد الليبرالية، والتي تعتبر الأيديولوجية المهيمنة لدى الحكومة الفيدرالية الأمريكية منذ الثلاثينيات من القرن الماضي.

تمثل السبعينيات إذن تلك الفترة التي شهدت الولايات المتحدة فيها بروز و صعود ردة الفعل المحافظة ضد ما كان يُقدم كإفرازات للبرالية المفرطة و ضد موجة الاضطرابات الاجتماعية التي عرفتها

¹ تشير "عبارة اجماع ما بعد الحرب العالمية الثانية" الى التوافق السياسي و الفكري السائد بين مختلف الأحزاب و الحركات السياسية حول السياسات العامة. تكمن عناصر اجماع في : سياسات تأمين واسعة، اتفاقات تجارية قوية مع الخارج، تعديلات اقتصادية ثقيلة، سياسات ضرائب مرتفعة، و دولة رفاه قوية. بعبارة أخرى إنه إجماع قائم على الترويج لسياسات كينزية، على تشجيع اقتصاد مختلط (اقتصاد حر مع ضرورة تدخل الدولة من خلال التخطيط)، و على نموذج دولة الرفاه. كانت بداية تراجع هذا اجماع في السبعينيات خصوصا و انكسر فعلا مع مجيء المحافظين في الوم أ. الى الحكم خلال حكم رونالد ريغان، و مع مجيء المحافظين في بريطانيا خلال فترة مارغريت تاتشر 1979.

² McGann, "2015 Global Go To Think Tank Index Report." p. 11.

³ Abelson, *Capitol Idea*. p. 03.

الو. م. أ. نهاية الستينيات. في حقيقة الأمر، ظلت الأفكار المحافظة مهمشة جدا في الساحة السياسية الأمريكية لفترة طويلة، ولكنها شهدت عودة قوية خلال السبعينيات وعرفت ذروتها مع انتخاب الرئيس ريغان سنة 1980. لقد تشكلت الحركة المحافظة في الخمسينيات خصوصا، ولكنها كانت في الأساس محصورة في دوائر الفكر الفلسفي وواجهت صعوبة في التجسد بشكل ملموس في ساحة النقاش العام الأمريكي. يعتبر معهد American Enterprise Institue أقدم المراكز المحافظة، حيث تعود نشأته الأولى الى سنة 1938 بتسميته الأصلية American Enterprise Association ثم أعيد بعثه بتسميته الحالية سنة 1962، وعرف ثورته الحقيقية التي بعثته الى مقدمة أكبر المراكز تأثيرا في السياسة الأمريكية سنة 1954 مع مجيء ويليام بارودي كرئيس تنفيذي له.

يُفسر صعود المحافظين في فترة الستينيات والسبعينيات بالسياق العام آنذاك فهو يتميز بشكل خاص بأزمة نموذج دولة الرعاية، وبمشكلة الركود والتضخم الاقتصادي، وبالفضائح السياسية (بما في ذلك فضيحة ووترغيت)، وبرجوع حركة المطالبة بالحقوق المدنية، وبالتصور الذي يرى بانحسار القيم الأخلاقية داخل المجتمع الأمريكي، وبوجود انطباع عام بتراجع الولايات المتحدة على الساحة العالمية. لقد ساهمت هذه المعطيات في صناعة جاذبية جديدة للأفكار المحافظة. حيث لقيت الثورة المحافظة، كما يعبر عنه المؤرخ لي إدواردز Lee Edwards دعما منقطع النظير من طرف الرأي العام ومن طرف النخب على حد سواء. يحدد أندريو ريتش في هذا الإطار أربعة تطورات مهمة في سبعينيات القرن العشرين أدت إلى نضج الحركة المحافظة سياسيا : (1) التحرك السياسي للشركات الكبيرة التي طالبت بتخفيف القوانين التعديلية وتقليل الأعباء الضريبية عنها؛ (2) ظهور فكر المحافظين الجدد، وهم في الغالب شخصيات سابقة من اليسار نادوا بسياسة خارجية ودولية قوية؛ (3) تنظيم الحركات الإنجيلية والمسيحية الأساسية ؛ وأخيرا، ازدهار افكار المدرسة الكلاسيكية الجديدة في الاقتصاد. هكذا ظهرت مراكز التفكير الترويجية المحافظة ضمن هذا السياق الذي خدم أفكارهم بشكل خاص، ضف الى ذلك سخاء التمويل الذي استفادت منه أهم هذه المراكز، حيث سمح هذا الوضع للمفكرين المحافظين بالحصول على موارد كبيرة لإجراء الأبحاث ونشر النتائج. كنتيجة لهذا، ساهمت مراكز التفكير المحافظة في بناء سريع ل : النخبة المعارضة المحافظة التي استهدفت ما تبقى من إجماع (توافق) ليبرالي في واشنطن.

مثلت فترة ما بعد السبعينيات فترة هيمنة لمراكز التفكير المحافظة على سوق الأفكار الأمريكي. هذه الهيمنة ذات طبيعة ديمغرافية أولا، فهي من الناحية الرقمية أكثر عددا من نظيراتها التقدمية أو

الوسطية. لقد قدر أندري ريتش عددها سنة 2005 باثنين مقابل واحد، أي الضعف¹. بينما يعتبر جيمس ماك غين أنها تمثل في سنة 2015 حوالي 20% من المجتمع الكلي لها في حين يبلغ عدد المراكز التقدمية (البرالية) ما نسبته 13%². ثانيا، تتمتع مراكز التفكير المحافظة بأفضلية نسبية على صعيد استراتيجيات التسويق و الترويج لأفكارها. هذه الأخيرة تقوم على الاعلان الصريح و المباشر لخلفياتها الايديولوجية، فهي ذات طبيعة هجومية على عكس المراكز التقدمية التي تعمل وفق منطق الحياد وإخفاء الانتماء الايديولوجي. يعتبر مجيء ال Heritage Fondation سنة 1973 نقلة نوعية في بعث هذه الاستراتيجية الهجومية لأنها كرست ديناميكية تسييس حقيقية للبحوث في هذه المؤسسة، مستعملة في ذلك تقنيات تقترب من ممارسات جماعات الضغط أكثر منها من مراكز البحث و التفكير³. قمة النجاح الذي حققته هذه المؤسسة كان سنة 1980 عندما تم تبني وثيقة عهدة من اجل الزعامة Mandate For Leadership من طرف فريق الانتقال الرئاسي لإدارة ريغان الأولى. اعتبارا من سنوات الثمانينيات إذن، أصبحت استراتيجيات ال Heritage Fondation مصدرا للإلهام لكل مراكز التفكير الأمريكية بما فيها المراكز التقدمية في الجهة المقابلة من المشهد السياسي⁴.

1-2. مراكز التفكير التقدمية : اعادة التوجه نحو النشاط النضالي

كان لنجاح مراكز التفكير المحافظة سنوات الثمانينيات بالغ الأثر على الحركة البرالية (التقدمية)، حيث اضطرت بعد خسارة الديموقراطيين القاسية للانتخابات الرئاسية سنتي 1980 (جيمي كارتر ضد رونالد ريغان) و 1984 (والتر موندال Walter Mondale ضد ريغان أيضا) الى إعادة مراجعة لاستراتيجياتها. تقوم هذه الأخيرة على محاكاة استراتيجيات مراكز التفكير النضالية، و أيضا على مراجعة ايديولوجية الحزب الديموقراطي.

1-2.1. مراجعة الأفكار البرالية كمشروع للحزب الديموقراطي

عقب تراجع الديموقراطيين انتخابيا أمام البرامج المحافظة للجمهوريين، برز جيل جديد منهم يسمى نفسه الديموقراطيين الجدد new democrates حيث أعلنوا سنة 1985 عن إنشاء ما يسمى بالمجلس الزعامة الديموقراطية (م. ز. د.) Democratic Leadership Council، و هو عبارة عن مجموعة

¹ Rich, *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. p. 73.

² McGann, "2015 Global Go To Think Tank Index Report." P, 47.

³ Medvetz, *Think Tanks in America*. p. 96.

⁴ Ibid.

تضم منتخبين ديموقراطيين وشخصيات من الحزب الديموقراطي ورجال أعمال، وليس هيئة رسمية للحزب، و ذلك بهدف إعادة تحديد التوجهات الايديولوجية لحزب الديموقراطي¹. حضي المجلس بتمويل سخي من طرف كبريات الشركات الاقتصادية و الشخصيات الثرية، خصوصا بسبب التوجه الضريبي المحافظ الذي يدافع عنه الحزب الديموقراطي. تبنى المجلس استراتيجية بديلة بعد هزيمة الديموقراطيين سنة 1988 (ميكاييل دوكاكيس Michael Dukakis أمام جورج بوش الأب) تمثلت في البحث عن هوية جديدة أو بديلة تحرره من تراكمات الماضي، وهذا ما نفهمه من خلال تبنيهم لتسمية التقدميين progressists بدلا من الليبراليين. يعتبر تأسيس معهد السياسات التقدمية Progressive Policy Institute سنة 1989 تجسيدا لهذه النظرة البديلة.

يعتبر هذا المعهد في الحقيقة نموذجا جديدا من مراكز التفكير حسب الكثير من متخصصي البحث في هذا الموضوع، حيث يمثل فئة مراكز التفكير الحزبية Partisan Think Tanks، نظرا للعلاقات القوية التي تربطه بنخب الحزب الديموقراطي و لمصادر تمويله أيضا. قامت خطة رئيسه الأول ويل مارشال Will Marshall على ضرورة و حتمية تقديم افكار جديدة لا يسيطر عليها الحزب بشكل مطلق، وهكذا طور ما سمي بالطريق الثالث The third way، اي طريق وسطي بين المحافظين/الرأسماليين و الليبراليين/الاشتراكيين². توضح بعض الأمثلة المستقاة من الوثائق البحثية للمعهد هذا التوجه : فقد حملت أول وثيقة له سنة 1989 كتبها الاقتصادي الشهير روبرت شايرو Robert Shapiro موقفا معارضا لسياسة رفع الحد الأدنى من الأجر، كما تضمنت توصيات بضرورة تشجيع مبدأ حرية الأسواق بين الوم أ. و المكسيك، وهي آراء غير مألوفة تماما عند الديموقراطيين³. على الصعيد المنهجي في العمل لم يختلف المعهد التقدمي للسياسات عن الاستراتيجيات التي تقوم بها مراكز التفكير النضالية خصوصا عن طريق محاكاة نموذج ال Heritage ، من أجل تقوية حضورهم في مشهد النقاش العام، وبناء خطاب مناهض خاص بالديموقراطيين. نجح المعهد في أن يصنع مكانة مرموقة له ضمن المعاهد الثمانية الأولى الأقوى في الوم أ. خلال فترة التسعينيات. تؤكد دراسة كانت ويفر Kent Weaver وأندريو ريتش Andrew Rich أن المعهد التقدمي للسياسات يحتل المرتبة الثامنة بين سنتي 1991-1997 بناء على مؤشر عدد الاقتباسات المأخوذة من مراكز التفكير. من جهة أخرى، تعتبر دراسة

¹ Jon Hale, « The making of new the democrates », *The political science quarterly* 110, n° 2 (1995).

² Ibid.

³ Ibid.

المعهد بعنوان سياسات الهروب The Politics of Evasion من أهم الدراسات النقدية الموجهة ضد الحزب الديموقراطي ولقيت قبولا معتبرا عند نخب الحزب الديموقراطي. استخدمت ملاحظات هذه الدراسة من طرف بيل كلينتون Bill Clinton، و قدم المعهد مساندة معتبرة له خلال رئاسيات 1992 التي انتهت بعودة الديموقراطيين الى البيت الأبيض. سعي المعهد التقدمي للسياسات على إثر هذا النجاح المزدوج بمصنع الأفكار Idea mill¹، وذلك بفعل الوثيقة الشهيرة Mandate of Change (1992) الشبيهة بوثيقة مؤسسة ال Heritage (Mandate of leadership) سنة 1980. ظل تأثير المعهد التقدمي واضحا على إدارة كلينتون حتى خلال عهده الثانية (1996-2000)، حيث عين مثلا عالم الاقتصاد روبرت شابيرو (رئيس المعهد) كاتب دولة للتجارة، و قدم آل غور Al Gore و هو الكاتب الرئيسي للدراسة الشهيرة building the Bridges التي نشرها المعهد التقدمي سنة 1997 كمرشح عن الحزب الديموقراطي في رئاسيات سنة 2000. يوضح صعود هذا المركز فكرة مهمة وهي أن مراكز التفكير في ظل صعود الايديولوجيات تحولت الى مراكز منتجة للأفكار البراغمية، أي تلك الأفكار التي تستطيع الوصول الى الحكم.

1-2. الانتقال نحو مراكز تفكير حزبية

يوضح مثال ال Heritage و مثال المعهد التقدمي قوة الارتباطات بين مراكز التفكير، الممولين الأثرياء و الحزبين الجمهوري و الديموقراطي، لكنها تعبر أيضا عن اتجاهات جديدة بلغتها حركية التطور. يُعبر مالك غين عن هذا الاتجاه الجديد في آخر دراسة له لسنة 2021 حيث يذكر أن تطورات مراكز التفكير تمثل استجابة للتطورات التي يعرفها حقل السلطة الداخلي و العالمي، فهي أصبحت تستند أكثر على وجهات النظر الحزبية (اذن أدوات ترويج للرؤى الحزبية) و أنها لا تقوم ببحوث إلا إذا كانت هذه الأخيرة سندا مقويا لأجندة الحزب.

هذا يشير الى ملاحظتين على الأقل ؛ الأولى أن معيار نجاح أفكار مركز التفكير في حقل الأفكار الأمريكي يقاس بقدرته على صناعة الأجندة الحزبية القادرة على كسب الرهانات الانتخابية، الثانية؛ لكي ينجح في هذه المهمة يجب على مركز التفكير أن ينتهج أجندة بحثية الغرض منها دعم وجهات نظر الحزب وليس من أجل أهداف معرفية أو علمية. هذا التحول في منطق عمل مركز التفكير ليس بالأمر الهامشي بل إنه مهم جدا لأنه أعاد تعريف معايير "اختيار الأجندة البحثية"، فمركز التفكير لا يجري

¹ Ibid.

بحوثا حول مشكلة معينة لأنها مهمة من ناحية قيمتها البحثية بل لقيمتها العملية في خدمة الأجندة الحزبية، داخل الشبكة السياسية التي يناضل بداخلها (جمهوري أو ديموقراطي).

في هذا الإطار، علينا أن نشير أن النقاش الايديولوجي الذي تهيكله ثنائية المحافظين مقابل التقدميين يعرف نوعا من التراجع لصالح طروحات بديلة طفت الى السطح منذ مجي الرئيس دونالد ترامب سنة 2016. تشير دراسة حديثة جدا لمجلة الـ The Economist (جولية 2022)، أن الاتجاه الحالي (سنوات 2020) الذي تعرفه مراكز التفكير الأمريكية لا يصب في صالح المحافظين ولا في صالح التقدميين بل في صالح ما سمي بـ اليمين الجديد New-Right، و يحتضنها بشكل خاص الحزب الجمهوري. في الحقيقة، يمكن تفسير صعود مراكز تفكير اليمين الجديد برواج الأفكار اليمينية الجديدة، في المجالات الأربعة الكلاسيكية التالية : حماية اقتصادية، سياسة خارجية اقل تدخلية، حظر سياسات مساعدة الفقراء، و تضيق لسياسات الهجرة¹. بعبارة أخرى، يمثل هذا النوع من الأفكار مفتاح البرامج الانتخابية للوصول الى الحكم، فهي تمثل الأجندة التي يجب الترويج لها من طرف مراكز التفكير.

2- حركية التدويل و الانتشار العابر للأوطان Internationalisation et

transnationalisation

تتناول أغلب الدراسات الموجودة موضوع مراكز التفكير داخل أطره القومية، و يفرز هذا نوعا من عدم الاهتمام بالأبعاد العابرة للأوطان لهذه المؤسسات. منذ التسعينيات من القرن الماضي هناك حركية ثالثة تعبر الحقل الأمريكي لمراكز التفكير و هي التدويل. يظهر هذا على الأقل من استقراء مؤشرين؛ الأول و هو أن تركيبة النخب المشكلة للحقل الأمريكي الداخلي هي تركيبة دولية ليس فقط بالمعنى السوسيولوجي (أي جنسيات الباحثين و الخبراء) بل بالمعنى الشبكي لعلاقات التعاون و البحث. فمثلا، يشارك الكثير من الباحثين من دول متعددة في كتابة تقارير تخص فضاءات جيوسياسية معينة، فإذا كان التقرير يخص الشرق الأوسط فتتم كتابته في الغالب من طرف خبراء ينحدرون من فن افق دولية متعددة و من تخصصات متعددة. المؤشر الثاني، و هو أن مراكز التفكير في حد ذاتها توسعت فروعها خارج حدود الو. م. أ. و توسعت شبكات تعاونها مع مراكز تفكير أخرى في العالم؛

¹ Raymond Struyk, "New Right Think Tanks in the US," accessed October 11, 2023, <https://onthinktanks.org/articles/new-right-think-tanks-in-the-us/>.

يملك معهد راند خمس مكاتب له في الوم أ. و أربع فروع في الخارج¹. تعبر هذه الديناميكيات عن تدويل لمراكز التفكير الأمريكية ؛ اي عن انتشار للنموذج الأمريكي في مختلف أنحاء العالم.

2.1. انتشار مراكز التفكير عبر العالم : انتشار للتقليد الأمريكي ؟

منذ التسعينيات من القرن الماضي اتجه العالم نحو صورته المعولمة التي مست شتى مجالات القطاعات. عرف بدوره قطاع البحث و الخبرة نصيبه من حركية العولمة فقد عرفت الجامعات و مراكز التفكير تغيرات جوهرية مست أساسا متغيرات حجم المؤسسة، دائرة حدود الاهتمام و استراتيجيات العمل على الصعيد الدولي. أعطت ديان ستون قراءة تفسيرية لتوسع انتشار مراكز التفكير، فهي ترى أن نمو حجم المنظمات الدولية سواء كانت حكومية أو غير حكومية (و هو ما يعني ازدياد فرص التمويل) قد حفز فعلا الطلب على الخبرة². من جهته، يرى جيمس ماك غين أن السبب يعود الى سياق العولمة في حد ذاته ؛ فبفعل الطابع العابر للأوطان الذي أصبح يطغى على مختلف السياسات و الذي فرضته الطبيعة الكونية للمشكلات السياسية المختلفة (كالإرهاب مثلا)، فإن مراكز التفكير أيضا عرفت حركية تكيف لمصاحبة هذه المعطيات. يوضح جيمس ماك غين خصوصية هذا السياق المعولم بقوله:

[...] رغم أنه لا يمكن اعتبار مراكز التفكير كنتيجة مباشرة للعولمة إلا أنها تحركت كثيرا بمجيتها... إذا اعتبرنا فقط أنه سنة 1950 لم يكن هناك سوى 50 دولة في العالم و عددا جد محدود من المنظمات الدولية فإنه بإمكاننا أن نفهم درجة تعقد عالم اليوم و حجم الرهانات التي يجب على صناع القرار أخذها في عين الاعتبار و مدى الحاجة الى الخبرة عندما يريدون صياغة سياسية خارجية ما³.

إذا كانت العولمة حركية حفزت بشدة ظاهرة مراكز التفكير فإنها بالتالي كرسست مسارين اثنين داخل الحقل ؛ مسار لبروز مراكز التفكير الجديدة و مسار تثبيت لمكانة مراكز التفكير العريقة. اصبحت

¹ Conesa, "Sociologie de la production stratégique." p. 90.

² Diane Stone, "Think Tank Transnationalisation and Non-Profit Analysis, Advice and Advocacy," *Global Society* 14, no. 2 (April 2000): 153–72, <https://doi.org/10.1080/13600820050008421>.

³ James G McGann, "Think Tanks and The Transnationalization of Foreign Policy," *U. S. FOREIGN POLICY AGENDA* 7, no. 3 (November 2002), https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fpa/fpa_nov02_mcgann.pdf. p. 16.

الجديدة منافسا للقديمة بعبارة أخرى، وهي منافسة حثمت على المراكز القديمة ابتكار استراتيجيات جديدة تحول دون قدرة الجديدة على الحيلولة مكانها. واحدة من اهم هذه الابتكارات هي التدويل والانتشار في دول فضاءات جيوسياسية ذات أهمية. ولكن، حركية التوسع الدولي لمراكز التفكير ليست بالاستراتيجية يسيرة التنفيذ. في حقيقة الأمر لا يوجد إلا عدد قليل من مراكز التفكير التي استطاعت أن تكتشف التدويل. يمتاز هذا الصنف المعولم بخصائص منها ما ذكره كل من ماك غين و ساباتيني ، Mc Gann et Sabatini

[...] يقوم مركز التفكير المعولم بخلق فروع عملية له بالخارج، مكاتب خارجية، أو مراكز انتشار له خارج حدود دولته الأصلية، كما ينشئ لنفسه واحدة من الأشكال الثلاثة للتوسع الشبكي (شبكة توسع عن طريق البحث، عن طريق العضوية، وعن طريق الشركاء) بشرط أن يكون الباحثون، الأعضاء أو الشركاء متواجدين خارج حدود الدولة الأصلية¹.

هل هذه الحركية عبارة عن أمركة لمراكز التفكير أم أنها انتشار لنموذج أمريكي أصبح عالميا مع إخضاعه للاعتبارات القومية للدولة الحاضنة ؟

في حقيقة الأمر تعبر حركية الانتشار العالمي عن الأمرين معا. من جهة أولى، تشير استراتيجيات توسع مراكز التفكير الأمريكية على المستوى الدولي من خلال الأشكال الثلاثة السابقة للانتشار قبل كل شيء عن أمركة للنموذج الأمريكي، بمعنى البحث المستمر عن فرض نموذج الأمريكي عن طريق الأفكار. يوضح عالم الاجتماع الأمريكي هوفارد فياردا Howard Wiarda - وهو خبير سابق لدى مركز الـ American Enterprise Institute المحافظ - أن هذه الحركية ابتدأت سنوات الثمانينيات من خلال أنشطة التعاون الدولي. لا يجب أن يفهم هذا الانفتاح على التعاون الدولي في معناه المطلق بل إنه تم في أطر محددة. يقول فياردا :

[...] إن توسع ظاهرة مراكز التفكير في الخارج يجب أن تفهم في ظل الارتباطات التي تقيمها مع مراكز التفكير الأمريكية.. عندما تم ارسالنا سنوات الثمانينيات الى أوروبا و أمريكا اللاتينية بغرض البحث عن ربط علاقات مع مراكز تفكير محلية كان لزاما علينا أن نؤسس شبكتنا الدولية من خلال البحث عن مراكز تفكير ذات ايدولوجية وسط / يمين

¹ James G. McGann and Richard Sabatini, *Global Think Tanks: Policy Networks and Governance*, 1st publ, Routledge Global Institutions 47 (London: Routledge, 2011). p. 73.

- أي مع الديمقراطية المسيحية بالمعنى الأوروبي- و خلال هذه السنوات من البحث لم نستطع أن نجد سوى بعض العناصر المؤمنة بالملكية و ذات التوجه الفاشي ، و بعض الجماعات المقربة من الديكتاتوريات العسكرية و هي عناصر لا يكن بالطبع التعامل معها بتاتا.. و اليوم تضاعف عدد مراكز التفكير بشكل معتبر ولكن المشكلة هي أن القليل منها يعمل في جو من الاستقلالية إذ أن معظمها تعتبر فروعاً حكومية و هذا يجعل من فكرة التعاون معها أمراً مستعصياً وإشكالياً¹.

تعتبر هذه الشهادة بمثابة تصريح عن كيفية بناء شبكة تعاون في مركز تفكير امريكي؛ ليست كل المرجعيات الايديولوجية مسموحة بل يقتصر التعاون على تلك الهيئات التي يوجد معها تناغم ايدولوجي، و تلك التي لها ميزة الاستقلالية عن الحكومة في الدول المستهدفة.

تشير حركية الأمركة الى معنى إضافي هو قدرة السياسة الخارجية الأمريكية على التأثير الخارجي و قدرتها على فرض الرؤى المعولة Global visions. بما أن تاريخ مراكز التفكير الأمريكية لا يظهر أنها وليدة حركية العولة، فإنها بالتالي أدوات لزيادة النفوذ الأمريكي في النظام الدولي. يشير مفهوم مراكز التفكير المعولة Global think tanks الى جيل جديد من مراكز التفكير التي تحتضن و تدافع عن الرؤى الكونية للنظام الدولي². هذا الصنف بدوره يعرف هيمنة أمريكية و هو في حد ذاته أداة للهيمنة الأمريكية. هذا ليس استخلاص مستعجل لإصدار حكم عليها بل معطيات تؤكدتها الأبحاث التي أجريت بهذا الخصوص. لقد أوضحت دراسة لكل من مات غروسمان و صهيب محمود من جامعة ميتشيغان الأمريكية³ تبحث في طبيعة الارتباط بين مقترحات و توصيات مراكز التفكير المختصة في السياسة الخارجية الأمريكية و الرؤى المعولة globalist للو. م. أ. أن هناك اتفاقاً للأغلبية حول ضرورة التوجه المعولم للسياسة الخارجية الأمريكية؛ 57% من المقترحات التي تصدرها مراكز التفكير تصب في اتجاه دعم و تمكين الدور الأمريكي في العالم و ليس للتراجع (11%). كما رأت الدراسة أن ما نسبته 62% من المقترحات التي تخص مسألة دعم الدور الأمريكي في العالم (اتفاقات اقتصادية، مساعدات و تدخل

¹ Howard J Wiarda, "Think Tanks and Foreign Policy in a Globalized World: New Ideas, New 'Tanks,' New Directions," *International Journal* 70, no. 4 (2015): 517–25. p. 524.

² Wang Xinhua, "Trends towards Globalization and a Global Think Tank," *Futures* 24, no. 3 (April 1, 1992): 261–67, [https://doi.org/10.1016/0016-3287\(92\)90035-E](https://doi.org/10.1016/0016-3287(92)90035-E). p. 261.

³ Matt Grossmann and Zuhaib Mahmood, "How the Rich Rule in American Foreign Policy" (Michigan State University, 2020), https://law.yale.edu/sites/default/files/area/center/corporate/fall2020_paper_grossmannmatt_10-29-20.pdf.

عسكري مباشر) يتم تبنيها، مقابل 31% يتم رفضها، وأن أغلب ما يتم تنفيذه من سياسات وقرارات تصب في خانة توسيع الدور الأمريكي في العالم وليس العكس¹. لاحظت الدراسة أن دعم الأجندة الكونية للوم أ. يأتي من طرف الفئات الغنية و من طرف مراكز التفكير، وأن الملفات المتعلقة بالدفاع و التحالفات الخارجية تلقى إجماعاً أكثر من المسائل المتعلقة بالتعاون الاقتصادي و بالمشكلات الاجتماعية².

2.2. تدويل مراكز التفكير الأمريكية : نموذج مركز كارنيجي

يمثل مركز كارنيجي للسلام الدولي مثالا عن التدويل الذي تعرفه مراكز التفكير الأمريكية، وهو المركز الرائد في تنفيذ هكذا استراتيجية. هذه الأخيرة كانت فعلا نتيجة للعولمة التي دفعت بالمركز الى العمل مع باحثين و شركاء من آفاق جيوسياسية متنوعة عبر العالم. تعتبر استراتيجية التدويل جزءا من الأهداف التي طمح إليها منذ النشأة مؤسس المركز أندريو كارنيجي سنة 1910 حيث بني مشروعه على فكرة القضاء على الحرب خصوصا، من خلال تشجيع عقد الاتفاقات و المعاهدات بين الدول، وخصص لها ما يعادل 10 مليون دولار آنذاك (ما يعادل 3.5 مليار دولار بقيم الدولار اليوم).

تمثل استراتيجية التدويل في الحقيقة مشروعا ينبع عن نظرة مستقبلية لأندريو كارنيجي، ففكرة التوسع الدولي توجد في صميم طروحات هذه الشخصية. فكرة التدويل إذن ليست وليدة حركية العولمة لأن المعهد افتتح أول فرع له في خارج الولايات المتحدة سنة 1912، أي سنتين فقط بعد تأسيسه في موطنه الأصلي، و قد تم نقل المكتب نحو جنيف بسويسرا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية³. هذه الحركية تعبر قبل كل شيء عن التوجهات متعددة الأطراف لمركز كارنيجي و التي تميزه عن باقي المعاهد، أي خارج الأطر التي تشجع أفكار العزلة و أفكار التدخل و الإمبريالية الأمريكية.

بعد نهاية الحرب الباردة، انشأ المركز فرعا له بروسيا (موسكو) سنة 1994، و هذا ضمن رؤية تحاول أن تمد جسرا للتواصل بين الغرب و الجمهوريات الجديدة الطامحة الى الديمقراطية. تعبر هذه المرحلة أساسا عن توجه يريد من خلاله المعهد أن يعمل على إنقاص حجم التضارب الثقافي والايديولوجي بين الدول. يعتبر المعهد إذن أداة لتقوية العمل متعدد الأطراف على الصعيد الدولي،

¹ Ibid. p. 8.

² Ibid. pp. 9-10.

³ David Adesnik, *100 Years of Impact, Essays on the Carnegie Endowment for International Peace* (Washington: Carnegie Endowment for international Peace, 2011). p. 20.

لفترة التسعينيات تتوافق فلا و صعود مثل هذا النوع من الأفكار على حساب افكار العزلة و أفكار التدخلية و الزعامة الأمريكية. استطاع معهد كارنيجي إذن أن يكون رائدا في قيادة حركية التدويل حيث افتتح مراكز له بالخارج ليعمل بها باحثون و خبراء محليون يدافعون عن رؤية المعهد الاستراتيجية. هكذا تم فتح فروع للمعهد ببيكين، ثم بيروت ثم بروكسل ثم أخيرا نيودلهي¹. يعتبر مخطط العمل هذا في صميم نشاط بناء السلام الدولي باعتباره نشاطا دوليا في الأساس، و بناء على هذا يمكن اعتباره أيضا مخططا استراتيجيا للمؤسسة حيث أنها تريد أن تصنع لذاتها إسما يجعلها في مقدمة مراكز التفكير ذات الطروحات العابرة للأوطان التي يمكن لمؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية أن تلجأ إليها. من هذا المنظور تعتبر استراتيجية كارنيجي استراتيجية تموقع في حقل سوق الأفكار. يمكن فهم مسار تدويل كارنيجي إذن استمرارا لفكرة ذات طبيعة عابرة للدول و لكن أيضا كاستراتيجية تقدم قيمة اضافية كبرى للمركز على صعيد سوق الأفكار الأمريكي.

2-3. نحو نموذج جديد : مراكز التفكير الكونية

يشير مفهوم مركز التفكير الكوني Global think tank الى صنف من مراكز التفكير موجود في مختلف دول العالم يتمحور اهتمامها حول القضايا ذات البعد الكوني، على الأصعدة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و البيئية خصوصا. توجه التوصيات و نتائج البحوث في هذا الصنف من المراكز نحو الدول و لكن أيضا نحو المنظمات الدولية و المنتديات الرسمية و غير الرسمية. تطور هذا النوع من الهيئات بفعل الطلب و الحاجة التي فرضتها الأزمات الكونية الخمسة المتعلقة بالمشكلات الكونية الخمسة الشهيرة؛ السكان، الطاقة، البيئة، الغذاء و الموارد الطبيعية. هذه الأزمات مرت بثلاث ذروات رئيسية؛ أزمة السكان و الغذاء و الموارد سنوات الستينيات، أزمة البترول و الطاقة سنوات السبعينيات، أزمة البيئة منذ الثمانينيات الى اليوم (التغير المناخي). سرعت هذه العوامل حركية نمو وانتشار لمراكز التفكير الكونية. هناك خصائص ثلاثة رئيسية لهذه المراكز :

- 1) تنوع أصناف مراكز التفكير : يتميز صنف مراكز التفكير الكونية بالتنوع حيث يسمح التنوع التنظيمي بالقدرة على الاستجابة لتنوع المشكلات الكونية و تعقيدها. عموما يوجد ضمن هذه الخاصية خمس نماذج :

¹ Ibid. p. 23.

- المعاهد الدولية المدمجة : مثل المعهد الدولي لتحليل الأنظمة التطبيقية المتواجد مقره بالوم أ. تمويل اليوم أ. وروسيا و 15 دولة أخرى في العالم هذا المعهد ويعمل وفقا لمبدأ الادارة المشتركة للمشاريع البحثية حيث ترسل كل دولة مجموعة من علماءها وخبرائها للمشاركة في أنشطته البحثية.
 - المبادرات الجماعية لمراكز التفكير : وهي عبارة عن شبكة دولية كونية تضم مراكز للتفكير ومؤسسات للبحث تقدم مبادرات مستندة على خبرة دولية و وطنية بغرض المساهمة في حل المشكلات الكونية. يعتبر مجلس حلحلة المشكلات الكونية - Council for Global Problem-solving ومقره ببرلين الألمانية نموذجا عن التعاون بين مراكز التفكير العالمية حيث يضم أكثر من 500 مركز تفكير رائدة في بلدانها.
 - جمعيات البحث المشكلة من أفراد: مثل نادي روما أو الفدرالية الدولية للمستقبلات و يتم تمويلها من القطاع الخاص أساسا.
 - المشاريع الجماعية وهي عبارة عن برامج جماعية الغرض منا هو تقييم و اختبار للأنشطة العلمية المبرمجة على مدى البعيد.
 - مراكز التفكير القومية : وهي على قلتها تهتم بالمشكلات ذات الأبعاد الكونية و من أمثلتها مكتب التقييم التكنولوجي التابع للكونغرس سابقا (1974-1995)، ومعهد راند.
 - (2) الطابع العابر للتخصصات و العابر للأوطان لأنشطة البحث : وهذه سمة من سمات المراكز البحثية التي تعمل وفقا لمبدأ أن درجة التعقيد الكبيرة للمشكلات العالمية تحتاج الى تعبئة لكفاءات من تخصصات عدة و من أوطان عدة في مسارات اتخاذ القرار.
 - (3) التركيز على المشاريع العملية : حيث تفرض مواجهة المشكلات الكونية وضع مشاريع موجهة نحو البحث عن الحلول العملية لهاته المشكلات، بالشكل الذي يتناسب مع الاختصاص و الموارد المتاحة للمعاهد البحثية¹.
- هذه الحركية لها ايجابيات معتبرة بالنسبة لمراكز التفكير فهي تزيد من انفتاح مراكز التفكير على الأبعاد العابرة للحدود و تقوي من قدرات الوصول الى المعارف. يعتبر كل من ماك غين و ساباتاني أن

¹ Xinhua, "Trends towards Globalization and a Global Think Tank." pp. 264-265.

تبادل المعارف مرادف لزيادة نجاعة مؤسسات الاستشارة والخبرة، وأن مراكز التفكير الكونية بإمكانها أن تلعب دورا مهما في تشكيل وتطوير مواردها من المعارف والمعلومات لفائدة الأعضاء والشركاء.¹

من النماذج الأخرى، نجد ما يسمى بمراكز التفكير التابعة للمنظمات غير الحكومية NGOs Think Tanks.

2-4. البعد الكوني في نشاط مراكز التفكير كرهان سلطوي

لقد رأينا أعلاه أن مراكز التفكير الأمريكية تلعب دورا مهما للغاية في هيكلة علاقات القوة كما تشير إليه أغلب قراءات المدرسة التعددية (روبرت دال)، أو نظرية النخب (دوميهوف)، أو الماركسية والغرامشية الجديدة. تبعا لهذا فإن هذه المستوى الكوني Le global يمثل رهانا سلطويا لهذه الهيئات، فهي كما رأيناها تتكيف و تتبع استراتيجيات مدروسة بغرض صياغة سياسات تتوافق مع مصالح معينة، وفي مقدمتها مصالح الشركات الاقتصادية الكبرى. إذا كانت مراكز التفكير الأمريكية قد أحتلت مركزا سلطويا محوريا على الصعيد الوطني فإنها تلعب دورا مفتاحيا أيضا على صعيد السياسات الكونية. من اليسير أن نلاحظ هذه المركزية على صعيد الأفكار الاقتصادية النيو-ليبرالية الرائجة داخل العديد من الشبكات المعرفية العابرة للأوطان و أيضا داخل المنتديات الاقتصادية العالمية و داخل المجموعات التنسيقية الدولية الكبرى (مجموعة بيلديربيرغ Bilderberg في أوروبا و اللجنة الثلاثية في الوم أ. the Trilateral Commission). باعتبار أن مراكز التفكير يلعبون دور الوسيط في العملية السياسية، فإنهم ضمن هذا الدور يحتلون أهم الفضاءات حركية على الإطلاق و ذلك لأنهم في ملتقى الطرق التي تتقاطع و تتداخل فيها المصالح الاقتصادية و السياسية عن طريق حركة التقاء النخب الاقتصادية و السياسية و الفكرية و الثقافية.

لقد لاحظنا أن صعود مراكز التفكير في السياق الأمريكي سببه خصوصا انسحاب للدولة من قطاعات معينة و الذي قابله استثمار ثقيل للقطاع الخاص الخيري. يمكن ملاحظة تراجع الدولة أيضا على صعيد السياسات الكونية لصالح فضاءات و كيانات تتمتع بسلطة معتبرة، كما يعبر عنها نموذجي مراكز التفكير الكونية و مراكز التفكير التابعة للمنظمات غير الحكومية.² إن حركية توسع و انتشار

¹ McGann and Sabatini, *Global Think Tanks*. p. 112.

² Jens Steffek, "Experts without Borders," in *International Organization as Technocratic Utopia*, ed. Jens Steffek (Oxford University Press, 2021), 0, <https://doi.org/10.1093/oso/9780192845573.003.0004>. p. 61.

مراكز التفكير الأمريكية يجب أن تفهم أيضا ضمن دينامية توسع سلطة ونفوذ نخب القطاع الخاص الأمريكي خارج الحدود. يحصل هذا بشكل خاص عن طريق إقامة شراكات وعلاقات تعاون مع النخب الايديولوجية الموافقة لها¹. تعبر برامج التكوين المختلفة الموجهة لفائدة القادة الشباب من مختلف أنحاء العالم عن تطبيقات لاستراتيجية بناء تحالفات مع نخب خارجية.

ينبغي فهم اتجاه التوسع الكوني لمراكز التفكير ضمن ديناميكية سلطوية متعددة الأبعاد، يمكن حصرها في:

- نمو معتبر لمراكز التفكير الخاصة و لمؤسسات الاستشارة الخاصة ليس فقط في مجال البحث في السياسات العامة ولكن أيضا في أنشطة الضغط؛
- هذا النمو هو مرادف لتزايد أنشطة النضال والضغط وهذا يعني نموا على حساب السلطة الرمزية للحقل الأكاديمي، حيث تسمح المشاركة النشطة داخل مختلف أنواع الشبكات و المنتديات بخلق الاجماع منظومة قيم ومعايير وسياسات معينة دون أخرى؛
- نمو مراكز التفكير ذات الطروحات الكونية يعتبر تحديا لمراكز التفكير المحلية التابعة للدولة، خصوصا من ناحية حاجيات هذه الأخيرة للمعارف المتخصصة جدا؛
- نمو مراكز التفكير من النوع لتابع للمنظمات غير الحكومية الحاملة لبدائل معينة تنافس أيضا مراكز التفكير الوطنية التابعة للدولة.

¹ تجب الإشارة هنا الى خصوصيات القوة المرنة الأمريكية soft power في هذا الجانب. تستخدم مؤسسة الدبلوماسية العامة الأمريكية استراتيجية مدروسة و طموحة من خلال برامجها لتكوين النخب في مختلف دول العالم. يمثل البرنامج المسمى بـ "القادة الشباب" Young leaders عينة عن كيفية صنع توافق مع إطارات أجنبية يتم اعدادها لتحمل المسؤوليات القيادية في بلدانها لاحقا. أغلب هذه البرامج من تمويل للمؤسسات الخيرية ولكن تحت تأطير رسمي أيضا. في مقال له بمجلة le monde diplomatique سنة 2016 أوضح Jean-Michel Quatrepoint أن النخب السياسية الفرنسية أغلبها من إفرازات برنامج "القيادة الشبابية" الذي تموله مؤسسة French-American Foundation. مر بهذا البرنامج الذي ترعاه وكالة الاستخبارات الأمريكية أكثر من 500 مسؤول فرنسي سامي كلهم تقلدوا مناصب جد راقية في مؤسسات الدولة الفرنسية و منهم رئيسين للدولة "فرنسا هولاند (2012-2017) و ايمانويل ماكرون (2017-اليوم)، و وزراء و صحفيون و رجال أعمال و رجال بنوك كبرى. بنفس الطريقة تمول الحكومة الأمريكية برنامج "الطلبة القياديين" في منطقة شمال افريقيا والشرق الأوسط لإعداد جيل من النخب "المؤمركة"، و هو موجه نحو دول مؤثرة في المنطقة كالجائر، العراق، المغرب، الكويت، مصر، فلسطين، سوريا..الخ. مثل هذه البرامج تهدف الى إنشاء قاعد لتحالفات نبوية مستقبلية تضم رجال السياسة و رجال البحث العلمي و الصحفيين و ارباب الأعمال. أنظر مقال جون ميشال كونتريوانت في مجلة العالم الدبلوماسي:

- كل هذه الشبكات تلعب دورا محوريا في تشكيل و نشر تطبيع خطاب خبير و تقنوقراطي ذو طبيعة تدخلية على المستوى السياسي و نيولبرالية على المستوى الاقتصادي، و هي بهذا الشكل فضاء مشكل لمواجهة و منافسة الخطابات المقاومة و المناهضة للنيولبرالية و التدخلية الأمريكية. لقد لعبت مراكز التفكير المحافظة الجديدة الأمريكية دورا استراتيجيا جدا في نشر الأفكار التدخلية و نموذج الحرب بخصوص مشكلة الارهاب.

المبحث الثاني : مراكز التفكير الشرق أوسطية

يعتبر ظهور مراكز التفكير في منطقة الشرق الأوسط¹ كنوع من الاستيراد / التصدير الفكري من ناحية أن الحركة الدولية للأفكار تعرف في حد ذاتها أشكالاً متنوعة من التأميم من جهة و من الامبريالية الأمريكية من جهة أخرى. رغم ثقل حركية التدويل الأمريكية (بفعل القوة المالية و السياسية للدولة و قدرتها على الانتشار الخارجي) إلا أن تطور الظاهرة في دول منطقة الشرق الأوسط يخضع كثيراً لخصائص الثقافة السياسية و المؤسساتية السائدة بها. هذه الأخيرة تتميز أساساً بعدم تجانسها بفعل التعدد الثقافي الموجود بها (عرب، أتراك، فرس، يهود) و بفعل تنوع مسارات بناء الدولة. تقطع ظاهرة مراكز التفكير في الشرق الأوسط حركيات عدة، فهي تعرف نمواً ديموغرافياً لمراكز التفكير المحلية و لكنها أيضاً فضاء لتركز مراكز التفكير العابرة للأوطان، كما أن مراكز التفكير المتخصصة و المهتمة بهذا الفضاء على المستوى العالمي واسعة الانتشار في أمريكا الشمالية، أوروبا و آسيا. تخضع تجارب مراكز التفكير في دول الشرق الأوسط إلى الخصوصيات السياسية و المؤسساتية الوطنية، فهي أدوات لترقية مصالح الدول قبل كل شيء، و هذا ما يجعل من تركيبة حقل مراكز التفكير الشرق أوسطي ذات طبيعة هجينة. إذا كانت مراكز التفكير في التجربة الأمريكية جزءاً من الحياة السياسية في جميع مجالاتها فإنها في دول الشرق الأوسط تتجه كثيراً نحو احتلال ميدان السياسة الخارجية و الأمن على حساب الميادين الأخرى. نظرة بسيطة إلى الترتيب الدولي الذي ينشره ماك غين دوريا تؤكد هذه الخاصية : أول مركز تفكير في الترتيب الشرق أوسطي لسنة 2020 هو معهد دراسات الأمن القومي (إسرائيل)، والمراكز الخمس الأولى في الترتيب كلها تختص في القضايا الدولية و الأمنية².

¹ نقصد بمنطقة الشرق الأوسط هنا ذلك الفضاء الجيوسياسي الذي يضم دول منطقة الخليج العربي و إيران و العراق و الشام و تركيا و مصر. يقتصر موضوع بحثنا على حالة بعض الدول العربية و إسرائيل فقط، في إطار أهداف المقارنة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

² Joe Holub, "Public Policy Research Think Tanks 2019: Middle East & North Africa," accessed October 12, 2023, <https://guides.library.upenn.edu/c.php?g=1035991&p=7509981>.

المطلب الأول : تجربة مراكز التفكير في الدول العربية

تعتبر مراكز التفكير في الدول العربية الشرق أوسطية تجربة جديدة نسبيا، ولكن ظهورها الأول تزامن أيضا مع فترة الصعود في الوم أ. ومع فترة الظهور أيضا بالنسبة للمراكز الاسرائيلية. لكن، يعتبر مسار تطورها الكمي والنوعي بطيئا جدا مقارنة بالكيان الاسرائيلي و بدول شرق أوسطية غير عربية كإيران وتركيا. تكفي المقارنة الرقمية التالية للتعبير عن هذا الواقع ؛ حسب تصنيف ماك غين الشهير لسنة 2020 الخاص بمراكز التفكير ، يقدر حجمها في العالم العربي ككل (المشرق والمغرب العربيين) حوالي 360 مؤسسة بحثية من بين 11.175 في العالم، بينما تمتلك الولايات المتحدة لوحدها أكثر من 2200 مركز بحث¹. هذا تعبير عن هشاشة الحقل العربي لمراكز التفكير و أيضا عن تواضعه الكبير في ميدان انتاج الأفكار على الصعيد العالمي. هذا معناه مرة أخرى أن مساهمة القطاع في جهود الدولة عبر ما يسمى بدبلوماسية المسار الثاني *Track II* التي تساعد على تحقيق الأهداف الاستراتيجية لها في محيطها الدولي تعتبر هشة بدورها (تقاس بمؤشر الانتشار الدولي مثلا). من ناحية أخرى، إذا كانت أفكار وخبرة مراكز التفكير تساهم - نظريا - في تغذية تفكير مختلف الأفراد والجماعات على مستوى مختلف أجهزة الدولة - كما تؤكد التجربة الأمريكية - فإنها في الحالة العربية لا تتمتع بنفس المركز والتأثير. تظل الدولة العربية عبر الأجهزة الحكومية المتخصصة أو القطاعية محتكرة لمسار انتاج المعارف فيما يخص القضايا الدولية وقضايا الأمن والدفاع. رغم عدم وجود دراسات امبريقية تؤكد طبيعة وحجم التأثير الذي تلعبه هذه الهيئات في العالم العربي، إلا أنه من المعقول جدا قبول افتراض أن أفكارها يتم الالتفات إليها من طرف أجهزة الأمن والدفاع قبل غيرهم، و هذا استنادا على ملاحظة أن أغلبها يختص في الشؤون الاستراتيجية. ما الغرض مثلا من وجود معهد الدراسات الاستراتيجية الشاملة في الجزائر أو مركز الأهرام للدراسات السياسية في مصر وغيرهما ؟ تؤكد الأجندة البحثية لها أنها موجهة قبل كل شيء نحو إرشاد أجهزة الدفاع والأمن قبل كل شيء، وهذا تعبير عن ارتباط هذه المؤسسات باعتبارات الأمن قبل غيرها.

¹ James G McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report," *TTCSPP Global Go To Think Tank Index Reports*. 18, 2021, <https://repository.upenn.edu/handle/20.500.14332/48577>. p. 47.

1.- نشأة وتطور مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط

يعتبر معهد البحوث و الدراسات العربية التابع للجامعة العربية أول مركز تفكير عربي وتم إنشاؤه سنة 1952. و أما المركز الثاني ظهورا فكان سنة 1956 مع تأسيس المركز القومي للبحوث (القاهرة)، تلاه ثالثا مركز الأهرام للدراسات السياسية و الاستراتيجية عام 1968، ثم مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1975.¹ تمثل هذه المراكز الأربعة الجيل الأول لحقل مراكز التفكير العربية، ويلاحظ وجود هيمنة مصرية عليه.

1.1- مسار النشأة : المركزية المصرية

ترجع البدايات الأولى لمراكز التفكير العربية الى دولة مصر و الى فترة الستينيات من القرن الماضي، و يفسر هذا أولا بوجود بنية تحتية للتعليم الجامعي و البحث العلمي ذات نوعية معتبرة مقارنة بباقي الدول العربية التي خرجت حديثا من الاستعمار الغربي. هناك مجموعة أخرى من العوامل التي تفسر لنا المركزية المصرية في حقل مراكز التفكير العربية. تفسر هذه الأخيرة بوجود قيادة مصرية لمشروعين سياسيين اثنين آنذاك ؛ المشروع القومي العربي، و مسألة إدارة الصراع العربي الاسرائيلي.² فمراكز التفكير الأولى في مصر لم يكن هدفها هو تزويد صانع القرار المصري فحسب بالمعارف اللازمة و الخلفيات الفكرية حول اسرائيل وحول الايديولوجية القومية العربية، بل كانت تستهدف أيضا مجمل صناع القرار في الدول العربية. يلاحظ أيضا أن مبرر الوجود فرضه خصوصا الهاجس الأمني الذي كان - ولا يزال - يغذيه الصراع العربي الاسرائيلي. هذا الطموح تجسد في الأخير ببروز المؤسسة التي ستحتضنه بشكل مكشوف و هي مركز دراسات الوحدة العربية سنة 1975، الذي يعبر في الحقيقة عن بداية مسار مؤسسة لأفكار المشروع القومي العربي Le panarabisme. تعتبر النزعة القومية العربية محركا للأجندات البحثية لمراكز التفكير المصرية سواء العريقة منها أو التي ستبرز للوجود لاحقا، سواء كانت حكومية أم مستقلة.

¹ Alta Folscher, "Think Tanks in the Arab World," issuu, accessed October 23, 2023, <https://issuu.com/world.bank.publications/docs/9780821369234/s/17417107>.

² Ezzat Ibrahim, "Arab and American Think Tanks: New Possibilities for Cooperation? New Engines for Reform?," *Brookings* (blog), 2004, <https://www.brookings.edu/articles/arab-and-american-think-tanks-new-possibilities-for-cooperation-new-engines-for-reform/>.

إذن يعبر ظهور الجيل الأول من مراكز التفكير العربية عن حاجة الدولة العربية لمصادر الخبرة بغرض مصاحبة مسار بناء الدولة و أيضا بغرض تجسيد المشروع القومي العربي. لقد اتسم السياق الجيوستراتيجي آنذاك بوجود الحرب الباردة، فقد ساهمت مؤسسات الخبرة كمركز الأهرام (1968) ومركز دراسات الوحدة العربية (1975) في توفير خرائط تفسيرية للسياسية الدولية انطلاقا من ازدواجية القطبية، حيث كان من السهل استعمال الإطار التفسيري المستند على مقولات الحرب الباردة بين الغرب و الشرق لفهم الرهانات المحركة لأية حادثة أو سلوك أو أزمة. بإيجاز، كان هناك عدم تعقد للأطر التأويلية و التفسيرية للمشكلات الدولية أثناء الحرب الباردة، وهذا في اعتقادنا يبرر جزئيا عدم تطور حقل مراكز التفكير العربية خلال هذه الفترة.

من ناحية أخرى، اتسم السياق التاريخي لفترة الستينيات و السبعينيات بغلبة نموذج دولة-التخطيط Etat-planificateur ، فضمن هذا الإطار لعبت مؤسسة الخبرة وظيفة تخطيطية لمصاحبة جهود و سياسات التنمية التي تقوم بها الدولة. ازدهر هذا الصنف من الخبرة أكثر داخل مؤسسات الدولة من خلال المصالح المختصة بالوزارات و القطاعات المختلفة دون وجود حاجة ملحة لمصادر الخبرة الخارجية، بينما بدا أن حقل الدراسات الاستراتيجية و الأمنية عرف تبعية نسبية لمراكز التفكير فرضته الحاجة للدراسات المعمقة و المختصة عن العدو "الإسرائيلي و الحاجة الى الترويج للمشروع القومي العربي، وهذا ما نلاحظه من خلال هيمنة الأجندات البحثية في مواضيع السياسة الخارجية والأمن، و من خلال التأسيس التدريجي في أغلب الدول العربية لمراكز بحث تحت مسمى الدراسات الاستراتيجية.

1.2. الخصائص العامة لمراكز التفكير المصرية

تعتبر التجربة المصرية فريدة على الصعيد العربي، فمسار النشأة ابتداءً في مصر قبل غيرها من الدول العربية و هي بهذا الشكل تعتبر نموذج مرجعيya PROTO-TYPE، كما أنها من الناحية الديموغرافية تحتضن اليوم أكثر من 47 مركز تفكير حسب تصنيف جامعة بينسالفانيا لسنة 2020¹، كما أن مكانتها في العملية السياسية هي تعبير عن وضعها و ثقلها في النظام السياسي للدول العربية الأخرى. لا يمكن الحديث إذن عن تأخر للظهور في العالم العربي بحكم أن ظهورها يعود للستينيات من القرن الماضي، أي بالتزامن مع نشأة مراكز التفكير في إسرائيل و مع فترة الصعود و الازدهار في

¹ McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report."

الولايات المتحدة. لقد تميزت التجربة المصرية بدورها بهيمنة نموذج مركز الأهرام¹، فهو أولا استجابة حكومية لمشكلة الفجوة المعرفية الموجودة بين اسرائيل و العالم العربي، ما جعل منه أكبر المراكز من ناحية الحجم و الموارد (حكومي) و من ناحية تأثيره على حقل مراكز التفكير العربية، فقد تأسست كثير من مراكز التفكير المصرية و العربية لاحقا وفقا لنموذج مركز الأهرام².

انتقلت أجندة البحث في مركز الأهرام من قضايا الصراع العربي الاسرائيلي (1968-1972) عند نشأته الى مواضيع أخرى تخص أساسا دراسة النظام الدولي و تأثيره على الدول العربية و كذلك قضايا و مشكلات المجتمع المصري. ارتبطت الأجندة البحثية بثبات مشاريع البحث في موضوع الارهاب و التطرف منذ الثمانينيات، و هو ما لا نلاحظه على باقي مواضيع البحث الاقتصادية و السياسية والاجتماعية. في هذا الإطار طور مركز الأهرام اتفاقات شراكة ثنائية مع العديد من مراكز التفكير الأمريكية، و حصلت مواضيع مثل التطرف الدين و مثل علاقات العالم الاسلامي بالغرب على حظ وافر من الاهتمام الثنائي قبل و بعد 11 سبتمبر 2001. من أهم مخرجات هذا المركز اصداره السنوي للتقرير العربي الاستراتيجي³.

خلال النصف الثاني من سنوات الثمانينيات ظهر جيل ثان من مراكز التفكير المصرية. لقد برز الى الوجود أول مركز مستقل تماما عن الحكومة و هو مركز ابن خلدون ليعبر عن بروز الصنف المستقل لمراكز التفكير. تم إنشاء المركز سنة 1988 من طرف المفكر سعد الدين ابراهيم⁴ بأموال جائزته التي حصل عليها من طرف دولة الكويت سنة 1985 نظير بحوثه و جهوده في ميدان العلوم الاجتماعية. يتميز مركز ابن خلدون بنمط إدارته الجماعية، فالمركز يُسَيَّرُهُ فريق مصغر من الباحثين يتمتع بنوع من الحرية في اختيار مشاريع البحث و اجراء الدراسات. لكن، يمكن اعتباره مركزا نضاليا ايضا *Advocacy Think Tank* فهو يعرف بنفسه قائلا إنه مركز حقوقي مستقل ينفذ مشاريع بحثية

¹ Ibrahim, "Arab and American Think Tanks."

² Folscher, "Think Tanks in the Arab World."

³ Ibid.

⁴ أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة و أحد رموز المجتمع المدني المصري. من خلال تأسيسه لمركز ابن خلدون حاول سعد الدين ابراهيم فتح بوابة للتعبير من خلال البحث العلمي للمطالبة بمزيد من الحرية السياسية و بمزيد من الاستقلالية من طرف الدولة المصرية خصوصا و الدولة العربية عموما. مشروعه هذا ابتداء مع رئاسته لمركز دراسات الوحدة العربية، لكن و بفعل معارضته لنظام مبارك اعترضته صعوبات عدة لعل أهمها " عقوبة السجن لمدة سبع سنوات ضده (2002) - بسبب تمويل خارجي من الاتحاد الأوروبي اعتبره نظام مبارك "اساءة لمصر"- و التي تمت تبرئته منها بضغوط أمريكية سنة 2003. تعرض المركز للغلق خلال هذه الفترة و لكنه عاد الى النشاط مجددا و تحول فعلا الى مركز نضالي على حساب البحث الحيادي. توفي سعد الدين ابراهيم في شهر سبتمبر 2023 عن عمر يناهز الـ 84 سنة.

وميدانية للدفاع عن حقوق الانسان و الحريات، وهذا يجعل أجندته البحثية مرتكزة على مسائل تتعلق بمشكلات الديمقراطية والمجتمع المدني¹.

أما أول مركز تفكير مستقل مختص في البحوث الاقتصادية فقد ظهر سنة 1992، وهو المركز المصري للبحوث الاقتصادية ECES وقد تم تأسيسه لترقية دور القطاع الخاص في بنية النقاش العام حول السياسات العامة والاحتياجات العامة للمجتمع². يأتي هذا النوع من المراكز لتلبية حاجة قطاع المقاولات للبحوث والأفكار الاقتصادية التي تساعد على النشاط في مناخ جيد. حظي هذا النوع من المراكز بتمويل مهم من طرف الشركات الاقتصادية الكبرى ومن الوكالة الأمريكية للتنمية USAID، ومن ممولين دوليين متنوعين³. يعتبر المركز المصري للبحوث الاقتصادية أيضا من الصنف النضالي Advocacy think tank لأنه مرتبط بنشاطه بجماعات ضغط اقتصادية تدافع عن خيارات وسياسات معينة دون أخرى. تتمحور الأجندة البحثية لهذا المركز حول مسائل التجارة الخارجية واللبرة ودور الدولة وقضايا رفع التعديلات، وهي أجندة نيوليبرالية واضحة.

تعطي هذه النماذج الثلاثة صورة عن خصائص الحقل المصري لمراكز التفكير. فمن ناحية الأنواع يوجد هناك نوعان رئيسيان ؛ حكومية ومستقلة. فأما الحكومية فتتميز بمصاحبتها للمشاريع السياسية للدولة و أما المراكز المستقلة فتتميز بطابعها النضالي فهي إما أدوات للنضال السياسي تطالب بفتح مجال الحريات السياسية أكثر، كما ترجمتها حالة مركز ابن خلدون، وإما أدوات للأيديولوجية الليبرالية تدافع عن سياسات لبررة مثل حالة المعهد المصري للبحوث الاقتصادية. يعبر النوع الثاني عن حركية ارتباط بالخطابات السياسية والاقتصادية المهيمنة في العالم فمراكز التفكير المصرية في هذا الاطار عبارة عن نخب محيطية ذات ارتباطات وظيفية بنخب المركز، إذا ما استرجعنا عبارات سمير أمين.

2- اتجاهات حقل مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط

¹ "Ibn Khaldun Center for Development Studies (ICDS)," accessed October 23, 2023, <https://www.devex.com/organizations/ibn-khaldun-center-for-development-studies-icds-47756>.

² صادق حجال وآخرون، *واقع مراكز البحوث والفكر في المنطقة العربية* (المعهد العربي للبحوث والسياسات، 2021)، ص 43.

³ Folscher, "Think Tanks in the Arab World."

لقد تأخر ظهور مراكز التفكير نسبيا في باقي الدول العربية مقارنة بالحالة المصرية. بدأ نمو تعدادها في هذا الفضاء خلال مرحلة التسعينيات، أي تزامنا مع عودة رأسمالية الدولة وحرية العولمة والدمقرطة في العالم.

- أولى مراكز التفكير في الأردن ثلاثة وبرزت سنة 1981، و أكثرها أهمية اليوم هو معهد الدراسات الاستراتيجية التابع للجامعة الأردنية – المرتبة 54 عالميا في ميدان الأمن حسب ترتيب ماك غين لسنة 2020-، وتم تأسيسه سنة 1984¹ ؛

- أقدم مركز تفكير فلسطيني هو مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية² تم إنشاؤه سنة 1965 لمصاحبة جهود الكفاح من أجل التحرير، ولكنه غير مصنف اليوم في تصنيف ماك غين؛

- أقدم مركز في لبنان هو مركز دراسات الوحدة العربية التابع للجامعة العربية وأنشئ سنة 1975، و أهمها اليوم هو فرع كارنيغي للسلام و الشرق الأوسط - المرتبة الثالثة شرق أوسطيا في تصنيف ماك غين 2020- ولم يتأسس سوى سنة 2006³ ؛

- أول مركز تفكير في العراق ظهورا هو مركز الدراسات الدولية، و تأسس سنة 1980 تحت اسم معهد الدراسات الآسيوية و الافريقية بجامعة بغداد⁴ ؛

- و أما في منطقة الخليج العربي، فهي حديثة جدا و ترجع فترة ظهورها الى منتصف التسعينيات، فقد تأسس مثلا مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية سنة 1994، و لم

¹ محمد الطاهرين الزاوي، "دور مراكز الأبحاث والدراسات في صنع السياسة العامة في العالم العربي" (مذكرة ماستر، ورقلة - الجزائر، جامعة ورقلة، 2016-benezawi-11636/1/123456789/jspui/bitstream/dspace.univ-ouargla.dz/), m%20ataher.pdf.pdf.

² هذا المركز له تاريخ حافل فهو جزء من كفاح منظمة التحرير الفلسطينية، أنشئ أول مرة في لبنان سنة 1965 ولكنه تعرض للكثير من الهجمات التفجيرية و الاعتداءات الارهابية من طرف الصهاينة ضد شخصياته (1971، 1972، 1974 و 1982). كان اعتداء 1982 الذي نفذه كومندوس من الجيش الاسرائيلي مباشرة الأخطر من نوعه و استولى على ممتلكاته و تراثه البحثي. أعيدت هذه المحتويات المسروقة له سنة 1983 بالجزائر بعد عملية تبادل بالأسرى وفقا للشروط التي فرضها الراحل ياسر عرفات. كان اعتداء سنة 1983 الأخطر على الاطلاق نظرا لوحشيته و لدمويته، حيث أسفر التفجير عن تدمير جزء كبير من مبنى المركز، واستشهاد ثمانية من موظفيه. انتقل المركز بعدها للنشاط في قبرص بين سنتي 1985 و 1993 نظرا لهذه المخاطر. توقف المركز عن النشاط أكثر من عشرين سنة و أعيد بعثه مجددا سنة 2016 من طرف حكومة محمود عباس.

³ Ibrahim, "Arab and American Think Tanks."

⁴ بن الزاوي، "دور مراكز الأبحاث والدراسات في صنع السياسة العامة في العالم العربي".

يتأسس مركز الخليج للدراسات - وهو أول مركز سعودي في ترتيب ماك غين لسنة 2020 على مستوى الشرق الأوسط - سوى عام 2016، وتأسس مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية - المرتبة 23 شرق أوسطيا في ترتيب ماك غين 2020 - سنة 2009، وفي قطر تأسس مركز الجزيرة للدراسات - المرتبة 11 شرق أوسطيا في ترتيب ماك غين 2020- عام 2006. فبشكل عام تعتبر مراكز التفكير الخليجية حديثة فاقدمها ظهرت منذ ثلاثة عقود فقط وأغلبها تنشط منذ 15 إلى 20 سنة فحسب.

إذا كان الجيل الأول يخضع للمركزية المصرية ولهيمنة أجندات البحث في السياسية الخارجية والأمن مقارنة بحقول السياسة العامة الأخرى، فإن هذا الوضع سرعان ما تغير بشكل ملحوظ ابتداء من سنوات التسعينيات خصوصا بفعل اندثار أطر التأويل المهيمنة خلال الحرب الباردة وانعكاسات العولمة. خلال هذه الفترة أصبحت المشكلات الدولية أكثر تعقيدا، ومعها تعقدت الأطر التأويلية لها، وهو ما نعتبره مدخلا لتفسير النمو المعترف في أعدادها وأشكالها. يسي ديدي بيغو Didier Bigo هذا التعقد في طبيعة المشكلات السياسية الدولية بـ **خطاب الفوضى**¹ بعد سنة 1991 والذي طغت عليه ما يسمى بإعادة رسكلة المعارف السائدة سابقا خلال الحرب الباردة. إنه خطاب غموض أساسا ولّد الحاجة الى بناء مفاهيم ونظريات جديدة لفهم العالم الجديد. يفسر النمو النسبي لمراكز التفكير العربية بالحاجة الوظيفية لمقولات جديدة تُعين على فهم المشكلات الجديدة. تغيرت من جهتها الأجندات البحثية للمراكز العريقة نسبيا تكيفا مع السياق الجديد، ومعها تقيّمت مواضيع الوحدة العربية.

من ناحية أخرى، إذا كان هذا السياق قد عرف صعودا قويا للطروحات الثقافية داخل الفضاء الغربي التي تضع الاسلام (العالم العربي إذن) في خانة التهديدات الوجودية للغرب، فإن مراكز التفكير العربية أعادت استرجاع نفس مصادر التهديد : أصبحت الحركات السياسية الاسلامية و الجماعات الاسلامية مشكلة وتهديدا أيضا للدولة العربية. أدى اتفاق السلام في كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر الى توغل خطاب السلام أكثر ضمن الأجندات البحثية والسياسية لعدد من الدول العربية، ويجسد هذا التوغل خصوصا إنشاء الفرع العربي لمركز كارنيجي الأمريكي لدراسات السلام في بيروت (لبنان) عام 2006. لم تعد مراكز التفكير العربية تصاحب مشروعا سياسيا للدولة، أي كمزود بخرائط

¹ Didier Bigo, "Grands Débats dans un Petit Monde," *Cultures & Conflits*, no. 19-20 (October 15, 1995), <https://doi.org/10.4000/conflits.872>.

تحليلية و تأويلية للمشكلات، بل أصبحت أداة لبناء هذه الخرائط، و البناء هنا يقصد به تحويل المعارف المتاحة الى وضعيات و الى واقع ينبغي التكيف معه و التصرف بموجبه.

يُبيّن تصنيف ماك غين لسنة 2020 أدناه الوضعية الديموغرافية الحالية للحقل في المنطقة العربية¹.

الدولة	عدد مراكز التفكير	الدولة	عدد مراكز التفكير
1- مصر	47	8- الامارات العربية	16
2- فلسطين	39	9- الكويت	16
3- لبنان	35	10- قطر	15
4- العراق	35	11- المملكة السعودية	13
5- الأردن	32	12- الجزائر	11
6- المغرب	29	13- سوريا	10
7- اليمن	29	14- ليبيا	04
8- تونس	24	15- عمان	03

الجدول رقم 01 : الترتيب الشامل لمراكز التفكير في العالم حسب البروفيسور جيمس ماك غين (ص.47)
James G McGann, « 2020 Global Go To Think Tank Index Report », TTCSP Global Go To
Think Tank Index Reports. 18, 2021

يعكس هذا الترتيب سيطرة دول مصر، فلسطين، لبنان، العراق و الأردن على ريادة الحقل العربي لمراكز التفكير، فهذه الدول الخمس مجتمعة تحتضن حوالي نصف العدد الموجود في العالم العربي كله، وهذا يعني أنه يوجد في العالم العربي ما قدره 360 مركز تفكير، اي ما نسبته 0,03 % من مراكز التفكير في العالم. هذا المعطى يعبر عن نموبطيء جدا للظاهرة في كل دولة عربية، وذلك لأسباب تتعلق تارة ببنية البحث العلمي العربي وقدرته على الوصول الى الموارد المالية و بالثقافة السياسية و المؤسسية للدولة العربية تارة أخرى. لكن، إذا استنطقنا معطيات أخرى في تصنيف ماك غين فإننا سنلاحظ أن مكانتها الدولية و الاقليمية ليست سيئة بتاتا، فمثلا نلاحظ أنه ضمن قائمة المائة الأولى عالميا لسنة 2020 في تصنيفه توجد أربعة مراكز عربية شرق أوسطية (مرتبة 04 كارنيجي للسلام

¹ McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report." pp. 46-47.

لبنان، مرتبة 53 معهد رصانة السعودي، مرتبة 74 مركز الأهرام، مرتبة 100 مركز بروكينز فرع الدوحة بقطر) و واحد "اسرائيلي" (مرتبة 47 المركز القومي للدراسات الاستراتيجية) و اثنان من تركيا (مرتبة 57 و مرتبة 89) و ينعدم وجود مراكز إيرانية في القائمة¹.

و إذا تأملنا في ترتيب أفضل مراكز التفكير عالميا في ميدان الأمن و الدفاع فإن قائمة المائة الأولى ضمت مركزا مصرياً واحد (مرتبة 32 عالميا لمركز الأهرام)، مركزين اثنين من الأردن (مرتبة 54 عالميا لمركز الدراسات الاستراتيجية و مرتبة 88 عالميا للمركز العربي للدراسات الامنية) و مركز لبناني (مرتبة 72 لمركز دراسات الوحدة العربية)، بينما كان تعداد المراكز التركية في الترتيب هو ثلاثة (مرتبة 19 و 78 و 91) و عدد المراكز الاسرائيلية اثنان (مرتبة 12 و 77)². هذه مؤشرات تعبر عن جودة المنتج المعرفي الخبير لمراكز التفكير العربية من الناحية التسويقية على الأقل، و تسمح لنا باستخلاص خاصيتين في فئة أفضل المراكز العربية : الأولى، استطاعت مراكز التفكير العربية العريقة التي شكلت النواة الأولى للتجربة العربية أن تحافظ على مكانتها و ريادتها و هي (مركز الأهرام 1968، مركز دراسات الوحدة العربية 1975 و مركز الدراسات الاستراتيجية الأردني 1984). الثانية، مثَّلت مراكز التفكير العابرة للأوطان الشكل الثاني للنجاح الدولي و الاقليمي و الاختصاصي (كارنيجي للسلام ببيروت و بروكينز بالدوحة).

تنتهج دول مجلس التعاون الخليجي أسلوب الاعتماد على مراكز ذات نوعية بمراد بشرية و مالية ضخمة بدلا من الإكثار العددي، من أجل الصعود في الترتيب العالمي و الاقليمي، فبالرغم من أن تعداد المراكز بكل دولة لا يتجاوز الخمسة عشر (15) إلا أن منها مؤسسات ريادية على مستوى صناعة الرأي العربي مثل مركز الجزيرة للدراسات (قطر). يعتبر هذا انعكاسا للكيفية الاستراتيجية التي تستجيب بها الدول العربية الشرق أوسطية للتغيرات الحاصلة في المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة، والتي أفرزت اتجاهات نذكر منها بشكل خاص :

- اندماج المجتمعات العربية في اقتصاد المعرفة و تطور البنى التحتية لتكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و قد سمح هذا المتغير ب بروز صنف من مراكز التفكير الافتراضية التي لا تحوز على مقر

¹ Ibid.

² Ibid.

مادي لها، و من الأمثلة الرائدة هنا المركز الشهير المسى Islam Online الذي ترأسه الدكتور يوسف القرضاوي من قطر و نشطه مساعدون يعملون في الغالب من القاهرة¹.

- نمونزة لدى الباحثين العرب في تأسيس مراكز بحثية بالجامعات خصوصا و أن عددا معتبرا منهم تلقى تكوينا بجامعات و مؤسسات بحثية غربية عريقة، حيث تسمح لهم خبراتهم التكوينية والبحثية بتطوير مشاريع مشابهة على شاكلة النماذج الغربية. مثلا، تأسس مركز الدراسات الأمريكية و هو تابع للجامعة الأمريكية بالقاهرة، سنة 2002 من طرف مجموعة من الباحثين المصريين الذين تلقوا تكوينهم بها ثم انتقلوا الى الوم أ. للحصول على شهادات أعلى، واحد من هؤلاء الباحثين الدكتور محمد كمال كان عضوا في لجنة السياسات بالحزب الديمقراطي².

- انتهجت مراكز التفكير الريادية في الخليج، وخصوصا القطرية منها، استراتيجية هجومية تهدف الى استقطاب الكفاءات من الخبراء العرب (و غير العرب) في الغرب. كما انتهجت استراتيجيات تأسيس مراكز التفكير مدمجة مع شركاء غربيين. من أهم الأمثلة على هذا نجد نموذج الشراكة -Rand Qatar Policy Institute الذي تأسس سنة 2003، كنتيجة للتعاون بين مؤسستي Qatar Foundation و Rand Foundation. قدم هذا المشروع المزدوج دراسة للحكومة القطرية حول مدى مساهمة النظام التعليمي الحكومي القطري في انتاج الكفاءات البشرية اللازمة للتكيف الناجح مع التغيرات الاقتصادية التي يفرضها السوق³. هذا النموذج يعكس طموح قيادات معهد راند الأمريكي في نشر رؤيته حول مشكلات الشرق الوسط من خلال دور محوري لدولة قطر، والتي بدورها تطمح لتنمية و تعزيز الامكانات العلمية و البحثية لها على الصعيد الدولي من خلال سياسة قوة مرنة فعالة. هناك اذن انتقال من المركزية المصرية التقليدية نحو مركزية قَطَرِيَّة على الصعيد العربي، لكن من خلال تطوير النموذج العابر للأوطان لمراكز التفكير. على نفس المنوال سارت بشكل خاص جدا دولة الامارات العربية المتحدة من خلال الشراكة بين مركز الخليج للبحوث Gulf Research Center و المركز اللندني (International Institute For Strategic Studies)، و ذلك بهدف

¹ Folscher, "Think Tanks in the Arab World."

² Ibrahim, "Arab and American Think Tanks."

³ Ibid.

مواجهة الصعود القطري و تشكيل خطاب مضاد¹ للاتجاهات العامة للرأي العربي التي تغذيها القوة المرنة القطرية اعلاميا (نموذج قناة الجزيرة) و علميا (نموذج راند و نموذج بروكينز الدوحة).

3- خصوصية العلاقة بين مراكز التفكير ومراكز القرار في الدولة العربية

ترتبط هذه العلاقة بكيفيات استعانة أو لجوء الدولة و أجهزتها البيروقراطية للمصادر الخارجية للخبرة. هذه الأخيرة بدورها تابعة لنمط التصور الذي تمتلكه الدولة العربية عن أشكال الخبرة الخارجية. تتأثر المنظومة العلائقية بين الطرفين بالثقافة المؤسسية السائدة و هي في الأساس ذات طابع مركزي و احتكاري للهيمنة بتعبير ماكس فيبر (الدولة هي الاطار الذي يمارس فيه العنف المشروع و الهيمنة، فهي جهاز هيمنة مشروع). إن الفعل الاحتكاري في ميدان السياسة الخارجية والدفاع و الأمن يكون أقوى في مثل هذه البنى الممركزة، و هو ما يعني على مستوى التصورات representations أنه ميدان غير قابل للتشارك. في ظل هذه الخصوصية ما الجدوى من مراكز التفكير اصلا، خصوصا و أننا رأينا نزوعها نحو الاهتمام أكثر بالمسائل الاستراتيجية على حساب المجالات الأخرى؟ تعبر العلاقة بين خبرة مراكز التفكير و مراكز القرار في الدولة العربية عن استعمال للخطاب الخبير لأغراض شرعنة الخطاب القومي و السياسات المنتهجة و عن وظيفة استهلاكية من طرف الأجهزة الأمنية المختصة في حالات عدم اليقين خصوصا.

3-1. احتكار الدولة العربية للخبرة السياسية في مجال السياسة الخارجية

يشمل احتكار الدولة العربية للخبرة كلا النوعين الحكومي و المستقل، فاذا كان النوع الأول استمرارا طبيعيا لأجهزة الدولة فإن الأخير يخضع ايضا للقيود التي تفرضها الدولة و أيضا للقيود التي تملها حتمية البقاء كمؤسسة (كل مركز تفكير يوجد ليستمر).

¹ تعبر التجربة الامارتية عن وجود اتجاه نقدي قوي لمراكز التفكير الخاصة بها ضد أغلب مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط. اشتهر مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية بهذه النزعة النقدية، فقد فتح الأبواب أمام الكثير من الباحثين العرب من مختلف التخصصات (خصوصا العلوم السياسية و العلاقات الدولية و الاقتصاد) لتوجيه انتقادات ضد التغطية الاعلامية القطرية للمقاومة العراقية ضد الاحتلال الامريكي سنة 2003، حيث اعتبر المركز أنه لا يجب اصدار مثل هذه التغطية الاحتفالية بالبطولات لأنها تغذي النزاع و الخلاف الايديولوجي العربي مع الو. م. أ. أصدر هذا المركز أكثر من 60 وثيقة رأي سنة 2003 تنتقد الموقف الاعلامي العربي من الاحتلال الامريكي للعراق !!!

تتمثل الخاصية الأخرى لمؤسسة السياسة الخارجية العربية في طابعها الاجتماعي، فهي على مستوى أجهزة الدولة تعرف انضماما للجميع للمواقف و التصورات التي يفرضها رئيس الدولة أو القائد أو الزعيم أو الملك، و على صعيد المجتمع تعرف غيابا للتقييم و للنقاش العام حول المشكلات الدولية أو الاقليمية. هناك احتكار صامت للدولة لمواضيع السياسة الدولية. يفسر هذا الاحتكار بكون ميدان السياسة الدولية خاليا نسبيا من الرهانات الانتخابية، فهذه الأخيرة وإن حصلت في ظروف من الديمقراطية الشكلية فهي لا تتعرض للقضايا الدولية على عكس الأجندة الانتخابية الأمريكية أو الاسرائيلية حيث تعتبر رهانات السياسة الخارجية مهمة للغاية (ليست مصيرية رغم ذلك) لحسم نتائج هذه الانتخابات. من جانب آخر، لا يتم ترك المجال مفتوحا أمام البرلمانات العربية لتناول ملفات السياسة الخارجية بكل حرية، فالأجندات الحزبية تقيد النواب كثيرا خصوصا و أن الأغلبية البرلمانية من صف الرئيس أو الزعيم دوما. إن حصل و جود تقييم و نقاش حول السياسة الخارجية العربية فإنه يتم من طرف المصالح البيروقراطية لقطاع السياسة الخارجية في حد ذاته. تساهم هذه الخصوصيات في إضعاف مساهمة مصادر الخبرة الخارجية (مراكز التفكير) في مسار السياسة الخارجية العربية، التي تبقى رهن مجموعة ضيقة من الفاعلين بداخل أجهزة الدولة.

3.2. الصنف التأييدي لمراكز التفكير العربية في حقل السياسة الخارجية

لقد لاحظنا سابقا أن كل الدول العربية تمتلك على الأقل مركزا بحثيا رياديا في قطاع الدراسات الاستراتيجية، و رأينا أن الأخيرة قد ساهمت كثيرا في مصاحبة المشاريع السياسية لها. لكن، رأينا أيضا أن الثقافة المؤسسية التي كرسها التراث السياسي و التاريخي داخل الدولة العربية يعطي أفضلية للمصادر الداخلية للخبرة على حساب تلك المصادر الخارجية. تبعا لهذه ملاحظات، هناك سؤال يطرح نفسه : لماذا تلجأ الدولة العربية الى مصادر الخبرة الخارجية إذن - أي الى مراكز التفكير - في قطاع الدراسات الاستراتيجية المرتبط ارتباطا وثقيا بمسائل الأمن و الدفاع و السياسة الخارجية ؟

قد يتبادر إلى أذهاننا الكثير من الافتراضات للإجابة عن مثل هذا السؤال، و منها :

- ثقل تأثيرات الثقافة السياسية التي تجعل من بعض المؤسسات السياسية (مؤسسات السياسة الخارجية مثلا) تابعة للأطر السائدة مثل عدم التبعية للمصادر الخارجية للخبرة،
- ضعف الثقة في الدور الوظيفي الايجابي الذي قد تلعبه مؤسسات الخبرة الخارجية في إرشاد الراي و بناء الخيارات، وهو ما يولد تجاهلا أو تهميشا لها.

لا تعتبر هذه الاجابات كافية لأنه من الناحية الامبريقية توجد ارتباطات بين عالم السياسة الخارجية وعالم مراكز التفكير، كما تؤكد الحاجة الوظيفية اليها. لقد أوضحنا أعلاه من خلال حالة مركز الأهرام المصري و مركز دراسات الوحدة العربية أن هناك علاقة بين النظام السياسي العربي ومشاريعه السياسية و مراكز التفكير، حيث كانت الأخيرة أدوات لبناء الفكرة القومية العربية و بعض المراكز الأخرى اليوم هي أدوات لبناء السلام" العربي-الاسرائيلي (معهد كارنيجي بلبنان)، و البعض الآخر أدوات تمكين لليبرالية الاقتصادية و السياسية في العالم العربي. في واقع الأمر يعبر هذا التفاعل بين فضاء اتخاذ القرار في السياسة الخارجية و فضاء مراكز التفكير عن هيمنة النوع التأيدي advocacy think tanks.

هذا المصطلح الرائج جدا في الأدبيات الانجلوسكسونية يترجم و يعكس واقعا محددا هو واقع الخبراء. يشير مصطلح التأيد / النضال الى مسار اللجوء و الرجوع الى أشكال المعرفة المتخصصة أو التقنية من طرف الدولة بغرض تقديم رأي حول السياسة التي ينبغي القيام بها و هذا من أجل دعمها في الغالب، و شرعنتها أمام الرأي العام. أعمال التأيد هي أعمال نضالية إذن من أجل دعم أو معارضة توجه سياسي ما.

من الطبيعي أمام هذا المعنى أن نلاحظ أن صانع القرار العربي- و حتى غير العربي – لا يلجأ الى الخبرة الا إذا كانت حزبية، أو تتماشى مع رؤيته و مصالحه (تأيدية)، فاستخدام الخبرة الخارجية هو استخدام للخبرة التأيدية قبل غيرها. على مستوى الدولة العربية يتم اتخاذ القرار السياسي في ظروف من السرية و في ظروف لا تستلزم تتبع اجراءات المرور بالخبرة الخارجية لأنه في اطار التقليد التكنوقراطي للدولة الممركزة تعتبر الأخيرة هي المحتكر الوحيد للخبرة المشروعة. حينما يتم استعمال الخبرة الخارجية فإن هذا يحصل في الغالب عبر قنوات غير رسمية (لقاءات غير رسمية)، و في هذه الحال تتحول الى الصنف التأيدي. في جميع الحالات تعتبر الخبرة الخارجية موردا مهما للدولة ولمصالحها التكنوقراطية خصوصا في حالات الاعتراض على صلاحية و نجاعة السياسات المنتهجة. أما في حالة ما إذا كانت خبرة مراكز التفكير عبارة عن اجابات لأسئلة طلبتها أجهزة الدولة رسميا حول سياسيات معينة، ففي هذه الحالة يتصرف الخبير كمزود بخدمة يراعي فيها دفتر الشروط اللازم اتباعه. تكون الآراء الواردة في مختلف الوثائق موارد لصناع القرار لأنها تعبر عن حاجتهم الحقيقية للمعلومات و المعارف الضرورية حول مشكلات معينة. في كلتا الحالتين يكون دور مراكز التفكير هو إعطاء شرعية خارجية للقرارات التي تتخذها أجهزة الدولة الداخلية، و كأن هذه الأخيرة تستعين قبل

كل شيء بصناع رأي و ليس بخبراء. تعتبر هذه العلاقة التفاعلية تجسيدا لما نستطيع تسميته بالنموذج العربي للتأييد، حيث لا يصح خبراء مراكز التفكير بالدعم و لا بالمعارضة ضد السياسات القائمة بل إن الدولة هي التي تلجأ الى آرائهم لدعم خياراتها و سياساتها. يختلف النموذج العربي للنضال و التأييد عن نظيره الأمريكي ففي الحالة الأمريكية تنضم الدولة و أجهزتها الى آراء و توصيات مراكز التفكير في أحيان كثيرة بينما في الحالة العربية ينضم مركز التفكير الى خيارات الدولة من أجل شرعنتها.

المطلب الثاني : مراكز التفكير في اسرائيل

منذ نشأة دولة اسرائيل سنة 1948 برزت الكثير من المؤسسات البحثية التي صاحبت بناء الدولة. بفعل الاشكالات الكبرى التي تواجه هذا الكيان في محيطه الجيواستراتيجي، فقد اتجهت أدوار مراكز التفكير به نحو خدمة الأهداف السياسية و الأمنية الكبرى لها. تكمن الأهداف الرئيسية و الحساسة لإسرائيل في : (1) تقوية علاقات الارتباط و التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، و (2) إقامة علاقات سلام مع الدول الشرق أوسطية. كتب في هذا الإطار شمعون بيريز في كتابه الشرق الأوسط الجديد The New Middle East سنة 1993 أن القواعد الأساسية التي ينبغي على اسرائيل أن تستند عليها مستقبلا تكمن في مدى ادراكها أن مصادر القوة في المستقبل ستكون في الجامعات و ليس في الثكنات¹. هناك إذن نوع من الطموح في بناء قوة على المستوى العلمي و المعرفي لدى النخب السياسية. في حقيقة الأمر، تم تأسيس الدولة في اسرائيل بالاعتماد على المخططات و الأفكار التي يقترحها المفكرون و الخبراء²، و هذا يوضح تبعية الدولة المعتمدة للبحوث و الدراسات، كما يعني أن أمنها مرتبط بمؤسسة العلم و المعرفة. هذا الدور الوظيفي للخبراء و المفكرين في بناء الدولة يطرح تساؤلات بخصوص طبيعة العلاقة التي تربط هؤلاء الخبراء (مراكز التفكير) بأجهزة الدولة الأمنية خصوصا. يرى جيل أيال Gil Eyal بهذا الخصوص أن حقل الدراسات الشرق اوسطية يخضع لهيمنة و سيطرة جهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلي³، و على هذا المنوال تطور حقل الدراسات الأمنية الاسرائيلي أيضا. لا يتم احتكار مسار بناء السياسات في اسرائيل من طرف الأجهزة الرسمية فحسب بل إنه يضم وسطاء متعددون على رأسهم مراكز تفكير.

1- خارطة مراكز التفكير في اسرائيل

تم تأسيس دولة إسرائيل بناء على خطط استراتيجية معمقة و جهود فكرية معتبرة لمجموعة من المفكرين و الخبراء و القادة العسكريين. لقد تطور هذا النفوذ للمفكرين الخبراء من المستوى الفردي و غير الرسمي الى مستوى مؤسساتي جسده مراكز التفكير خصوصا. هذه الأخيرة تظهر في

¹ Heba Gamal El Din, « The Role of Think Tanks in Influencing Policy-Making in Israel », *Contemporary Arab Affairs* 9, n° 2 (1 avril 2016): 187-211, <https://doi.org/10.1080/17550912.2016.1148919>. p. 187.

² Ibid. p. 188.

³ Gil Eyal, "Dangerous Liaisons between Military Intelligence and Middle Eastern Studies in Israel," *Theory and Society* 31, no. 5 (2002): 653-93. p. 653.

الحقل الاسرائيلي في أصناف عدة. تشير أغلب الدراسات عن مراكز التفكير إلى أن الخارطة الإسرائيلية تتشكل من أربعة أنواع :

- الفئة الأولى و تخص مراكز التفكير التابعة للجامعات الحكومية، و هي نموذج كلاسيكي سائد في كل دول العالم و يسمى بنموذج الجامعات من دون طلبه. تتميز هذه الفئة بتركيزها الشديد على القضايا الرئيسية للدولة و خصوصا ؛ الأمن القومي، السياسة الخارجية و المسألة الديموغرافية (من حيث أنها رهان استراتيجي مقلق لإسرائيل)؛

- الفئة الثانية و تتعلق بمراكز التفكير المنتسبة الى القطاع الحكومي (الوزارات بشكل خاص، و الكنيسيت)، و خاصيتها أنها تهتم بالبحث في قضايا مفتاحية أربعة هي السياسة الخارجية، الأمن، الاقتصاد و الديموغرافيا؛

- الفئة الثالثة و هي المراكز التابعة للأحزاب السياسية و مهمتها الأساسية هي تزويد قيادات الأحزاب بالمعلومات، المعارف و التحاليل المناسبة حول الأوضاع الداخلية و الخارجية على حد سواء؛

- الفئة الرابعة و تضم مراكز التفكير المستقلة و هي من القطاع الخاص و هي جد مهتمة بقضايا الصراع العربي-الاسرائيلي و بالتطورات الاقليمية¹.

يشير هذا التنوع الى ضعف الطابع الحكومي من ناحية أنها تتمتع بنوع من الاستقلالية في وضع مشاريع البحث و في اقتراح مشاريع القوانين و الاصلاحات. تعتبر منظمة البحوث الزراعية أول مراكز التفكير ظهورا في اسرائيل، فقد برز مع تاريخ تأسيس دولة الكيان سنة 1948. يمكن تفسير ظهور أول معهد في القطاع الزراعي بألويته آنذاك حيث أن الاقتصاد "الاسرائيلي" اقتصاد زراعي اساسا².

1.1- مراكز التفكير الجامعية

توجد في إسرائيل ست جامعات حكومية إلا أن الفاعلة منها في موضوع مراكز التفكير خمس فقط، هي جامعة تل أبيب، والجامعة العبرية، وجامعة بار إيان، وجامعة حيفا، وجامعة بن غوريون³. يعمل في هذه الجامعات عدد من مراكز الفكر الجامعية بدون طلبه تقوم بمهمة تحليل قضايا

¹ وليد عبد الحى، « دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الاسرائيلي » (بيروت، 2022، <https://is.gd/Q2QtND>).

² El Din, "The Role of Think Tanks in Influencing Policy-Making in Israel." p. 190.

³ Ibidem.

السياسة العامة، يعمل بها باحثون من خلفية أكاديمية، من حملة الماجستير والدكتوراه من خريجي الجامعات المرموقة بالعالم. وتهتم بالأساس بإعداد الأوراق العلمية الأكاديمية. باستخدام أساليب وأدوات بحثية دقيقة ومتخصصة في العلوم الاجتماعية. وتعود جذور مراكز الفكر الجامعية بدون طلبه إلى عام 1959 - إلى معهد روفن شيلوح Reuven Shiloah الذي يحمل اسم مؤسسه الرئيس الأول لجهاز الموساد الإسرائيلي، ثم اندمج المعهد عقب ذلك مع جامعة تل أبيب، ثم نشأ على أنقاضه مركز موشيه ديان Moshe Dayane بعد اندماج المعهد مع وحدات التوثيق بالجامعة عام 1983. وتعكس هذه البداية ذات الخلفية الاستخباراتية الدور المتوقع أن تلعبه تلك المؤسسات في توفير المعلومات اللازمة لمساعدة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، ثم أخذ وضعها في التطور مع تغير الأوضاع الداخلية والعالمية كي تلبى الحاجات المتزايدة والمتطورة للمشروع الصهيوني الاستيطاني لدولة إسرائيل¹.

لكن ورغم انتمائها الى الفضاء الجامعي الذي من المفترض ان يكون مستقلا إلا أن هذا النوع يظل يتراوح ايدولوجيا بين اليمين واليسار²، من حيث التوجهات والأجندة البحثية التي تتبناها، بل ويتدرج على الخط المتواترين المعسكرين وفقا للقناعات الفكرية. على سبيل المثال، نجد أن معهد دراسات الأمن القومي يعبر بشكل جيد عن فكر معسكر اليمين إذ يرفع من أهمية التسليح والأمن، ويصدر دراسات تدعو لرفع قوة وعتاد جيش الدفاع... إلخ، بينما يتبنى معهد ترومان لدراسات السلم فكرا يساريا يهتم بالحوار بين العرب والإسرائيليين ويهتم بالدراسات المدعمة للسلام وتطبيع العلاقات العربية - الإسرائيلية. ويعد مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط مركز يسار وسط حيث يقف على مسافة واحدة من التيارين، ويهتم بمبادرات السلام. ولكن رؤيته تختلف عن رؤية معهد

¹ Ibid. p. 190.

² يشير مصطلح اليسار في مختلف دول العالم الى الأيديولوجية السياسية التي تنادي بقيم المساواة والعدالة الاجتماعية، ولكنه في "اسرائيل" مختلف، فهو يشير الى الأحزاب العمالية التي تلجأ إلى تسمية "اليسار" للتعبير عن القيم العمالية، ولكنها لا تنشط سوى في إطار "الاجماع الصهيوني" الذي لا يمكنها كسره، فتلجأ بالتالي الى "إظهار القيم العمالية وإخفاء العنصرية الصهيونية الهيكلية"، على عكس الأحزاب اليمينية التي تعبر وتعلن صراحة عن العنصرية الصهيونية. يعود النجاح الذي حققه العماليون في "اسرائيل" حسب عالم التاريخ زائف ستيرنهال Zeev Strenhell الى نجاح الحركة العمالية في إيجاد التناغم اللازم بين "الاشتراكية" و "الصهيونية"، ولكن مع سمو "للمشروع القومي الصهيوني" على حساب المشروع "الاشتراكي" في ايدولوجية الحزب العمالي. بالتالي، لا يمكن الفصل بين الصهيونية والقيم الاشتراكية في الحالة الاسرائيلية. للمزيد حول هذه النقطة أنظر كل من المسيري و Denis Charbit :

عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق (القاهرة، 1999).
Denis Charbit, "Le sionisme, un projet de gauche ou de droite ?," *Cités* 47-48, no. 3-4 (2011): 115-40, <https://doi.org/10.3917/cite.047.0115>.

ترومان، كما أنه يهتم بالأمن الإسرائيلي ولكن لا يتبنى الطابع اليميني المكشوف لمعهد دراسات الأمن القومي¹.

تتميز التركيبة السوسولوجية للباحثين المنتمين لهذه الفئة من مراكز التفكير بتنوعها. يعمل في كل مركز تفكير فريق متميز يتخصص في قضايا مختلفة وفق أجندة اهتماماته. وقد يستعين المركز بخبراء آخرين من منظمات أخرى داخل إسرائيل أو من خارجها وفقا لحاجة المشروع البحثي لهم. ويجمع فريق العمل خلفيات عدة أكاديمية وعسكرية ومنهم من له سابقة العمل بالسياسة العامة كالدبلوماسيين، كما يضم فريق العمل خبراء وطلبة الدكتوراه ومساعدو البحث². تنظم المراكز ندوات ومؤتمرات ومحاضرات وورش عمل، ومناقشات عامة، وزيارات دبلوماسية، وملخصات (ملخصات الشرق الأوسط) يشارك فيها الخبراء والباحثون.

وأما من ناحية التخصصات التي تدخل في مجال الاهتمام فإنه لا يمكن القول بانفراد مركز محدد بميدان معين من الأنشطة البحثية. فالمركز الواحد يهتم بأكثر من مجال بحثي تنطوي على عدة قضايا كدراسة التاريخ الحديث، وشؤون الشرق الأوسط، والعلاقات مع العالم العربي. من ناحية أخرى، هناك من المراكز ما يهتم بدراسة قضايا السلام بالمنطقة كمعهد هاري ترومان للأبحاث وخدمة السلام، ومنها ما يهتم بدراسة قضايا الشأن العربي - الإسرائيلي، خاصة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ومبادرات السلام، ودعم العلاقات بين العرب واليهود بإسرائيل خاصة عبر تقليل الفجوة المعرفية القائمة بين الطرفين. وهناك ما يهتم بدراسة المجتمعات العربية، والنظم السياسية العربية، وهناك ما يتخصص على نحو أكبر ويهتم بدراسة بعض الدول كدراسة الشأن المصري، والإيراني، والعراقي، والسوري، واللبناني، واليمني، والمغربي. وهناك مراكز تهتم بقضايا العالم الإسلامي (بما يشمل شمال أفريقيا)، تركيا، وأفريقيا جنوب الصحراء كمركز موشيه دايان. علاوة على دراسة النظام الإيراني وما يمثله من تهديد أمني لإسرائيل خاصة قضية الخطر النووي الإيراني³.

¹ محمد عزاب و هبة جمال الدين، دور مراكز الفكر في صنع السياسة العامة : دراسة حالة إسرائيل، الطبعة الأولى، 117 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2015). ص. 41.

² المرجع نفسه، ص. 42.

³ المرجع نفسه، ص. 43.

1-2. مراكز التفكير التابعة للدولة

تختص مراكز الفكر هذه بالبحث في قضايا سياسية، واقتصادية، وديمقراطية، وتكنولوجية تتناول قضايا متعلقة بأوضاع المنطقة. وتتعدد تبعية تلك المؤسسات البحثية ما بين مؤسسات تابعة للسلطة التشريعية مركز المعلومات والبحث التابع للكنيست Knesset Research and Information، ومؤسسات أخرى تابعة للسلطة التنفيذية (للوزارات) كمركز البحوث والتخطيط السياسي بوزارة الخارجية، أو الأجهزة الأمنية كمركز معلومات الاستخبارات والإرهاب Intelligence and Terrorism Information Center.

هذا الصنف من مراكز التفكير المنتمية للدولة يتم إنشاؤها بقرار حكومي سواء من السلطة التنفيذية أو التشريعية، وتحصل على امتيازات الجهات الحكومية وعليها نفس الواجبات، تستهدف صانع القرار بالدرجة الأولى إذ تأسست لدعم ما يصدره من سياسات وما يتخذه من قرارات، فهي تقدم الخبرة اللازمة للهيئات والإدارات وموظفي الحكومة وأعضاء البرلمان، وتمول من ميزانية الدولة. تشمل التخصصات البحثية لهذه المراكز المجالات الثمانية الشهيرة عند جيمس ماك غين؛ أي التنمية الدولية، السياسة الصحية، قضايا البيئة، الشفافية والحكم الرشيد، الأمن والشؤون الدولية، السياسة الاقتصادية المحلية، السياسة الاجتماعية، العلوم والتكنولوجيا¹. لكن، تولي مراكز التفكير الحكومية أهمية بالغة للقضايا التي تتعلق بالأمن القومي ووضع خطط طويلة ومتوسطة المدى، ولدراسة المخاطر الأمنية الموجهة ضد إسرائيل، وللإرهاب، كما تسعى إلى تبني قضايا اجتماعية (السياسة الاجتماعية) عبر الاهتمام بدراسة أوضاع جهود الشتات وتقوية العلاقة بينهم وبين دولة إسرائيل².

1-3. مراكز التفكير التابعة للأحزاب السياسية

تخدم هذه المراكز مصالح الأحزاب الإسرائيلية، وأجندتها السياسية وتلبي حاجاتها السياسية. فهي الذراع البحثي للأحزاب السياسية. إن أهم أدوار هذه الفئة يتمثل في الدور الذي تلعبه في تبرير

¹ Cité dans : El Din, "The Role of Think Tanks in Influencing Policy-Making in Israel." art. p. cit. p. 194.

² Asadollah Athary Maryan and Ehsan Ejazi, "The Impact of Israeli Think Tanks on Israel's Foreign Policy (2006-2017)," *World Sociopolitical Studies* 2, no. 2 (July 2018), <https://doi.org/10.22059/wsps.2018.240061.1019>. p. 267.

السياسات التي تمارسها قيادات الحزب التابعة إليه. ويختلف التوجه الأيديولوجي لتلك المراكز وفقا لأجندة الحزب الذي تتبعه أو تقدم له الدعم اللازم. ومن ثم تراوح بين اليسار ويسار الوسط ويمين الوسط واليمين، واليمين الديني والعلماني¹. من الأمثلة على هذا الصنف من المراكز معهد الدراسات العربية (مقرب من اليسار وتأسس سنة 1963)، ففضلا عن مهمته في تقديم الخبرة للقيادة الحزبية فهو يقوم بأدوار تنفيذية عبر ما يقدمه من أنشطة تعليمية وتثقيفية كبرامج تعليم اللغة العبرية للعرب وتقوية التعاليم اليهودية بين اليهود². من الأمثلة عن المراكز المقربة من اليسار أيضا نجد جمعية المشروع العربي - الإسرائيلي للبحوث والعلاقات الذي تأسس سنة 1971، والذي يهتم بدراسة مواضيع حول انطباعات العرب عن اليهود أو حول المفاوضات العربية - الإسرائيلية³.

1.4. مراكز التفكير المستقلة

يهتم هذا الصنف - وهو ضخيم ديموغرافيا مقارنة بالفئات السابقة الذكر - بقضايا الصراع العربي - الإسرائيلي، والتطورات الحاصلة في المنطقة، وما يميزها هو استقلالها عن الحكومة وقيامها بعمل مشروعات وأبحاث لأغراض تجارية. إنها قبل كل شيء تعبر عن توجهات القائمين والداعمين لها. وتختلف الجهات المؤسسة لها فهناك مراكز جاءت نتيجة لجهود مجموعة من رجال الأعمال كمعهد فان لير للأبحاث بالقدس Van Leer Institute in Jerusalem، إذ تأسس بجهود أسرة رجل الأعمال الراحل فان لير، وهناك مراكز تأسست بجهود بعض الساسة ورجال الدولة بشكل فردي كمنظمات خاصة مستقلة لا تنتمي لأي من مؤسسات الدولة مثل مركز شيمون بيريز للسلام. داخل هذه الفئة أيضا يوجد نوع من المراكز أنشأته وتدعمه ماليا جمعيات وتنظيمات يهودية في أميركا وأوروبا، وتعتمد المراكز المرتبطة منها بالدوائر الإسرائيلية أو الأميركية، أو بالجامعات أو المعاهد الأكاديمية على مجالس استشارية تضم شخصيات سياسية وأكاديمية بارزة من داخل وخارج إسرائيل، هنري كيسنجر وهارولد براون وبرنارد لويس⁴.

يعتبر هذا النوع قديما نسبيا في إسرائيل، إذ ترجع نشأته إلى سنوات الخمسينيات، فمعهد فان لير مثلا تم إنشاؤه سنة 1959 ليعمل كمعهد متخصص في الدراسات المتقدمة Advanced Studies

¹ محمد عزاب وهبة جمال الدين، "دور مراكز الفكر في صنع السياسة العامة: دراسة حالة إسرائيل"، مرجع سابق، ص. 53.

² المرجع نفسه، ص. 53.

³ المرجع نفسه، ص. 55.

⁴ El Din, "The Role of Think Tanks in Influencing Policy-Making in Israel." p. 197.

وفي انتاج خطاب عام فكري. ازداد انتشار هذا النوع من المراكز منذ التسعينيات، و بدأ أنه جيل يهتم خصوصا بإشكاليتي الديمقراطية من جهة (سياق ما بعد الحرب الباردة و حركية الديمقراطية في العالم) و السلام (عقب اتفاق أوسلو 1993) الرائجتين آنذاك، مثل إنشاء مركز الاسرائيلي للديموقراطية (1991)، و مركز شمعون بيريز للسلام (1996) و المركز الدولي للسلام في الشرق الأوسط (1995)¹. بحكم التعداد المعتبر للمراكز المستقلة فإن مجالات التخصص البحثي تتعدد بدورها، فتهتم بقضايا السياسة الاجتماعية والاقتصادية المحلية والدولية والأمن، وقضايا الديمقراطية والمجتمع المدني، وسبل بناء الديمقراطية بإسرائيل، والثقافة اليهودية، ودراسة المجتمع الإسرائيلي، وقضايا التعاون الإقليمي والاقتصادي وبناء السلام، وقضايا البيئة والتكنولوجيا والفن². تلعب مراكز التفكير المستقلة أدوارا ثلاثة، ترتبط أساسا بأجندة الممولين. فهي إما مراكز نضالية advocacy مثل معهد فان لير، و إما مراكز تفكير و فعل (think and do tanks) مثل المركز الاسرائيلي للديموقراطية، و إما مراكز دعائية تقوم بوظائف صناعة الرأي العام و تبرير السياسات المنتهجة كمعهد الدراسات الاستراتيجية³.

من خلال قراءة في خصائص الاصناف الأربعة السابقة لمراكز التفكير الاسرائيلية يمكن تسجيل ملاحظتين اثنتين ؛ فأما الأولى فتتعلق بتأثير السياق الاستراتيجي و السياسي و الثقافي على الأجندة البحثية لها، و أما الثانية و هي ذات ارتباط عميق جدا بالأولى و هي أنها أدوات دراسية لمصاحبة المشروع القومي الاسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط، و هي بهذا الشكل الحساس جدا أدوات لبناء الدولة الصهيونية، لأنها تحتل مكانا جوهريا في جميع المسارات السوسولوجية (اهتمام فريد من نوعه بالديموغرافيا و وضع العرب و اليهود) و القانونية (باعتباره أحد أهم المسارات على الإطلاق في بناء الدولة) و الاقتصادية (باعتبار أن مسار بناء الدولة قائم على الموارد الاقتصادية) و الأمنية التي تبنى عليها الدولة.

2- مدى تأثير مراكز التفكير في العملية السياسية الاسرائيلية

تحظى مراكز التفكير الاسرائيلية بمكانة ايجابية على الصعيدين الدولي و الاقليمي (1)، و لكن تأثيرها يرتبط في السياق الاسرائيلي بمتغير القرب / البعد من مراكز القرار السياسي (2). يتضح هذا

¹ Ibid. p. 197.

² محمد عزاب و هبة جمال الدين، "دور مراكز الفكر في صنع السياسة العامة : دراسة حالة إسرائيل"، مرجع سابق، ص. 53.

³ Athary Maryan and Ejazi, "The Impact of Israeli Think Tanks on Israel's Foreign Policy (2006-2017)." *art. cit.* pp. 266-267.

أساساً من خلال دراسة السياسات المنتهجة من طرف الحكومة كاستجابة لمقترحات مراكز التفكير. فمثلاً، يعتبر مركز التفكير بيغن -سادات BESA محورياً ضمن جماعة معرفية ترى بضرورة necessity القوة كأداة للأمن الإسرائيلي، وهي جماعة ذات نفوذ قوي خصوصاً وأن أفكارها تمثل المرجعية الرئيسية للنخب العسكرية و للسياسيين من اليمين. هذا المثال يأتينا من قطاع السياسة الخارجية

2.- 1. مكانة وأهمية مراكز التفكير الإسرائيلية

يوضح تصنيف سنة 2020 للأستاذ جيمس ماك غين من جامعة بنسلفانيا الأمريكية أن مراكز التفكير الإسرائيلية تحظى بنوع من التقدم سواء على الصعيدين الدولي و الاقليمي. يحتل معهد دراسات الأمن القومي INSS المكانة الأعلى بين بقية المراكز الإسرائيلية الـ 78 الأخرى، وقد حصل هذا المعهد على المرتبة 109 عالمياً بين بقية مراكز الدراسات (11,175 مركزاً)، وهو ما جعله يتبوأ المرتبة الأولى بين 373 مركز دراسات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. كما أنه احتل المرتبة 12 عالمياً من حيث المكانة في ميدان تخصصه، وهو الأمن القومي، والمكانة 86 عالمياً في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية¹. على العموم، تحتل مراكز التفكير المختلفة في اسرائيل مراتب متقدمة على المستوى الاقليمي (الشرق الأوسط و شمال افريقيا)، حيث أن هناك مركزان (02) وقعا ضمن العشر الأوائل، كما أن هناك 08 مراكز جاءت في المراتب من 11 إلى 50، وأن هناك 60 مركزاً جاءت ضمن المراتب 101 إلى 373². كما حظيت مراكز التفكير الإسرائيلية بمراتب متقدمة على الصعيد العالمي، فقد كانت أعلى المراتب عالمياً بين مراكز الدراسات الإسرائيلية في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية لمعهد الأمن القومي الإسرائيلي INSS (المرتبة 86)، والمعهد الإسرائيلي للسياسات الخارجية الإقليمية (ميتفيم Mitvim) (المرتبة 130)، ومنتدى كوهيليت للسياسات The Kohelet Policy Forum³ (المرتبة 154)⁴.

¹ McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report."

² Ibid.

³ وهو المركز الذي يعتبر وراء مشروع اصلاح قانون القضاء المثير للجدل حالياً (2023) في اسرائيل نظراً للأزمة السياسية التي خلفها في الدولة العبرية حيث يعتبر عند الكثير من الملاحظين كمقدمة لاحتضار الديمقراطية في اسرائيل.

⁴ McGann, "2020 Global Go To Think Tank Index Report." op. Cit.

2.2. حجم التأثير السياسي لمراكز التفكير الاسرائيلية

تطرح قضية تأثير مراكز التفكير نفس الاشكال دوما عندما تنتقل من تجربة دولة ما الى تجربة أخرى. في إسرائيل أفرز النقاش نوعين اثنين من المواقف، أحدهما سلبي والآخر ايجابي.

فأما الموقف الأول فهو سلبي حيث ينفي وجود تأثير محسوس لهذه الهيئات على العملية السياسية. يرى الباحثون المساندون لهذا الرأي أن ميزة مراكز التفكير الاسرائيلية هي غزارة الانتاج العلمي و المعرفي الذي تستعين به لتعويض حاجاتها المالية خصوصا، و أن أدوارها لا تقارن بأدوار نظيراتها الأمريكية، و هو ما يجعل تأثيرها في العملية السياسية و مسار القرار ضعيفا نسبيا. تكمن أسباب الضعف في عناصر تتعلق بطبيعة النظام السياسي الاسرائيلي و في خصائص البيئة للمجتمع والدولة في اسرائيل، ومنها :

- طبيعة النظام السياسي الإسرائيلي القائم على النظام البرلماني؛ إذ تتحكم الأحزاب في صنع القرار، ويضطر ممثلو الأحزاب في الكنيست الإسرائيلي إلى الالتزام بتوجهات أحزابهم، مما يجعل عملية بحث النائب الإسرائيلي عن استشارات خارجية أمرًا جدوى منه؛
- إن النظام الانتخابي النسبي المعمول به في إسرائيل يُضعف فرص انتخاب النخب الفكرية ذات الرأي المستقل والمتجدد، فتشكيل الحكومات الائتلافية يضع مصالح الأحزاب الصغرى (كالأحزاب الدينية الصغيرة مثلاً) ضمن أولويات الحزب الأكبر لضمان جُلهم لائتلافه، وهو هنا ليس بحاجة لأي دور لمراكز الدراسات، لأنه منشغل بأولوية تأليف الحكومة أكثر من سياساتها؛
- إن درجة انفتاح النظام السياسي الإسرائيلي في القرارات الاستراتيجية تجعل مجال تدخل مراكز الأبحاث أقل شأنًا. فمثلاً لم يكن لمراكز الدراسات أي دور في قرار رئيس الوزراء الأسبق أرييل شارون Ariel Sharon بالانسحاب من قطاع غزة، بالرغم من البعد الاستراتيجي للقرار؛
- إن القدرات المالية لمراكز الدراسات الإسرائيلية لا تقارن مع نظيرتها في بلدان أخرى، مما يجعل قدراتها أقل كفاءة وتأثيراً. فمثلاً يشير مسؤول في أحد أقدم مراكز الدراسات في إسرائيل وهو معهد فان لير، إلى أن أحد وقفيات المعهد تصل إلى 6.5 مليون دولار، وهو رقم كبير في إسرائيل لكنه لا يقارن بمراكز دراسات في دول أخرى خصوصاً في أمريكا أو أوروبا، كما أن مساعدات الحكومة أوجال الأعمال لمراكز الدراسات ليست مشجعة بالقدر الكافي؛
- إن النظام الضريبي في إسرائيل، خلافاً للعديد من دول العالم، لا يعفي مراكز الدراسات من الضريبة ولا يعفي الجهات المانحة من الضريبة، حتى لو كان ربع هذه الجهات المانحة ذهب

بعضه للمراكز البحثية. كما أن المجتمع الإسرائيلي غير معتمد على تقديم المنح لمؤسسات مثل مراكز الأبحاث، خصوصاً أن الانطباع السائد لدى المجتمع هو أن وزن هذه المراكز في القرار ضعيف، مما لا يشجع الجمهور أو الشركات لتقديم الدعم المالي لها، وهو ما يفسح المجال أمام المتبرعين الأمريكيين للتغلغل في مراكز الأبحاث الإسرائيلية من خلال استغلال حاجتها للدعم المالي كما جرى مع مركز شاليم Shalem Center في مدينة القدس، وهو ما يدفع هذه المراكز الإسرائيلية إلى الارتباط بشكل أو آخر بالجامعات لتتحول إلى شبه رسمية.

- إن ارتباط المراكز البحثية بالجامعات يجعل توجهاتها البحثية أكثر ميلاً للبعد الأكاديمي منه للسياسات التطبيقية أو اليومية، وهو ما يجعل إنتاج هذه المراكز أقل جذباً لصناع القرار؛
- إن بعض القطاعات لا سيّما العسكرية لديها خلايا بحثية متخصصة لوضع البدائل والتحليل، مما يجعلها أقل حاجة للمراكز البحثية، ناهيك عن أنها تمتلك المعلومات الحساسة التي لا تملكها مراكز الأبحاث¹.

و أما أنصار الموقف الايجابي فهو يؤكدون وجود تأثير محسوس لمراكز التفكير الاسرائيلية على المسار السياسي خصوصاً في مجالي السياسة الخارجية و الأمن. يستند هؤلاء على حجج منها :

- هناك مراكز أبحاث تابعة للمؤسسات الرسمية وللجامعات، فالمؤسسات الرسمية كوزارة الخارجية، أو الكنيسة، أو الأجهزة الأمنية، هي جزء أساسي في صياغة القرار بحكم وظيفتها وموقعها في هيكلية دوائر صنع القرار.
- هناك علاقة ووطيدة بين الحقل الأكاديمي وجهاز الاستخبارات الاسرائيلي. يرى الاستاذ السابق في الجامعات الإسرائيلية ايلان بابيه Ilan Pappé، أن نصف أساندة الجامعات الإسرائيلية يعملون لصالح الأجهزة الأمنية، وهو ما يعني أن الصلة بين صناع القرار ومراكز التفكير قائمة ولكنها في الظل ومحاطة بالسرية².
- هناك علاقة عضوية بين الجيش الاسرائيلي والخبراء في مراكز التفكير؛ فعلى سبيل المثال كان مدير معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي السابق عاموس يادلين Amos Yadlin، جنراً في

¹ حول هذه الملاحظات أنظر بشكل خاص : عبد الحى، "دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الاسرائيلي." مرجع سابق الذكر.

² Jonathan Cook, "Academic Freedom? Not for Arabs in Israel," Text, The Electronic Intifada, March 5, 2008, <https://electronicintifada.net/content/academic-freedom-not-arabs-israel/7398>.

الجيش الإسرائيلي، ورئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية (أمان Aman)، وكذلك نائبه في المركز عودي ديكل Udi Dekel¹.

- هناك روابط وثيقة بين مراكز التفكير و الحقل السياسي أيضا ؛ أما حالياً، فنجد ضمن فريق الباحثين بمعهد دراسات الأمن القومي كلاً من تسيبي ليفني Tzipi Livni وزيرة الخارجية السابقة، ودوريت بينليتش Dorit Beinisch رئيسة المحكمة العليا سابقاً، ومائير بندشبات Meir Ben-Shabbat، والذي عمل مستشاراً للأمن القومي في رئاسة الحكومة، كما أنه من الذين أسهموا في ترتيب اتفاق أبراهام Abraham Accords، ومارك ريغيف Mark Regev، والذي عمل مستشاراً أيضاً في رئاسة الوزراء لشؤون الإعلام الدولي، وقبلها سفيراً في لندن، وهاغي إتكس Haggay Etkes، الذي كان ممثلاً لإسرائيل في صندوق النقد الدولي².

- وعمل الصعيد البحوث الامبريقية، ثمة دراسات³ حول تأثير مراكز الدراسات تبنت هذه الرؤى بناء على مناهج قياس العلاقة بين توجهات الدراسات الصادرة عن مراكز التفكير، وبين سياسات الحكومة، ومقارنة درجة التطابق بين الاثنين⁴. وبتطبيق ذلك على معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي، فقد اتضح أنه كان ينشر دراسات تقترح الخطوط الرئيسية للسياسات الدفاعية والأمنية الإسرائيلية، وتبين من هذه الدراسات أنها تتطابق مع السلوك الإسرائيلي اللاحق لنشر هذه الدراسات. فمثلاً في مجال إدارة الصراع مع قوى إقليمية محددة، كان المعهد في دراساته يعتبرها مصادر و يؤر خطر و تهديد على الأمن الاسرائيلي، وهو ما يظهر في مجال الدراسات الخاصة بحركة حماس وحزب الله وإيران، وعند مقارنة الأفكار المركزية لهذه الدراسات ومطابقتها مع السياسات الإسرائيلية خلال حروبها مع لبنان سنة 2006،

¹ عبد الحي، دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الاسرائيلي.

² Ibid.

³ Athary Maryan and Ejazi, "The Impact of Israeli Think Tanks on Israel's Foreign Policy (2006-2017)."

⁴ Zhiru Sun and Zhiqiang Zhang, "Measuring Think Tank Influence Using Quantitative Text Analysis," in *Proceedings of the 2013 International Conference on Information, Business and Education Technology (ICIBET-2013)* (2013 International Conference on Information, Business and Education Technology (ICIBET-2013), China: Atlantis Press, 2013), <https://doi.org/10.2991/icibet.2013.214>.

وحماس خلال الأعوام 2009/2008، و2014، ثم توجهاتها الاستراتيجية نحو إيران، يتبين أن هناك تطابقاً عالياً بين الجانبين¹.

حوصلة :

يعتبر حقل مراكز التفكير الاسرائيلي ذو أهمية بالغة و هذا ليس بسبب تأثيراته على توجيه القرار السياسي كما رأيناه في قطاعي السياسية الأمنية و الخارجية بل لأنه في قلب ديناميكية بناء الدولة. يجب أن يفهم دور مراكز التفكير في اسرائيل قبل أي اعتبار آخر وفقاً لهذه القراءة، لأن نشأة هذه الدولة تعتبر مشروعاً استعمارياً أفرزته المخططات و الأفكار التي تستمد جذورها من التعاليم الدينية. نظراً لهذه الأهمية فإن مراكز التفكير الريادية كمعهد دراسات الأمن القومي INSS ماهي سوى انعكاس للمهاجس الأمني الذي يحكم الدولة و المجتمع على حد سواء. لكن، لا تتمتع مراكز التفكير الاسرائيلية بنفس القدر من الانفتاح الذي يسمح به النظام السياسي الأمريكي و لا بنفس الفرص في التمويل فهي حبيسة للقيود التي يحتمها النظام البرلماني و الحزبي. بالمقابل، هناك ارتباطات وثيقة بين مراكز التفكير الريادية و النخب السياسية، العسكرية و الاستخباراتية، كما توضحه التركيبة السوسولوجية لها و حركة النخب بها. يخضع بالتالي حقل مراكز التفكير كثيراً لهيمنة جهاز الاستخبارات و الجيش و هذا معناه أن ظروف انتاج الخبرة في مراكز التفكير الاسرائيلية تحكمها قيود نسميها هنا بقيود المهاجس الأمني. لا يمكن في عالم مراكز التفكير الاسرائيلية أن ينتج خطاب ما خارج البراديجمات الثلاثة التالية : براديجم المواجهة و النزاع conflictual paradigm و يمثله خصوصاً معهد بيغين – سادات (BESA)²؛ و مقولته الرئيسية سياسات قوة من أجل الأمن الوطني، و يتحقق بأدوات ثلاثة هي الردع النووي، استخبارات قوية و نظام دفاع صاروخي فعال. الثاني، البراديجم الأمني securtiy-oriented paradigm و يمثله معهد دراسات الأمن القومي (INSS)³؛ و يقوم على مقولة أن الأمن القومي الاسرائيلي يتحقق بقدرتها على تحييد الدول الأعداء و تأثيراتهم السلبية بأدوات ثلاثة : سياسية، ثقافية و مادية.

¹ Athary Maryan and Ejazi, "The Impact of Israeli Think Tanks on Israel's Foreign Policy (2006-2017)."

² Prof Louis René Beres, "Beyond Realpolitik: Israel's Strategic Imperatives," *Begin-Sadat Center for Strategic Studies* (blog), March 31, 2019, <https://besacenter.org/israel-strategic-imperatives/>.

³ Udi Dekel, "Obstacles to Israel's Strategic Objectives: Main Insights from the INSS 12th Annual International Conference," *INSS* (blog), 2019, <https://www.inss.org.il/publication/obstacles-israels-strategic-objectives-main-insights-inss-12th-annual-international-conference/>.

الثالث وهو براديجم السلام Peace-Oriented paradigm¹ ويمثله كل من معهد ميتفيم ومركز ترومان وتمثل مقولته الرئيسية في أن السلام يضع القواعد التي تسمح بازدهار العلاقة بين إسرائيل ومحيطها.

تعتبر هذه البراديجمات الثلاثة كلها عن أدوات استراتيجية لتحقيق أهداف البقاء والأمن. لا تخرج سياسة الدولة الاسرائيلية الرسمية بدورها عن هذه البراديجمات الثلاثة وهذا يعكس درجة تطابق جد مرتفعة بين عالم القرار السياسي وعالم مراكز التفكير. من ناحية أخرى مهمة جدا، يوجد توغل مالي أمريكي في مراكز التفكير الاسرائيلية، وهذا معناه وجود توافق فكري (تطابق احيانا) بين الحقلين تماما كالذي يوجد بين السياسات المنتهجة من كلا الطرفين. باعتبار أن إسرائيل عبارة عن دولة / مشروع - أي منتج لمشروع امبريالي صهيوني أمريكي المركز- فإنه من المنطقي جدا أن يتم انتاج خطاب مهيمن حول السياسة الخارجية لإسرائيل و حول الارهاب وفقا للكيفية التي يقرها الإجماع الأمريكي-الاسرائيلي.

¹ Lior Lehrs, "Addressing Needs, Promoting Peace: A Proposal for an International Incentives Package for Israeli-Palestinian Peace," *Mitvim* (blog), accessed October 15, 2023, <https://mitvim.org.il/en/publication/addressing-needs-promoting-peace-a-proposal-for-an-international-incentives-package-for-israeli-palestinian-peace/>.

الفصل الثالث :

حقل خبراء الارهاب في الولايات

المتحدة و الشرق الأوسط

الفصل الثالث : حقل خبراء الارهاب في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط

تضم مراكز التفكير الأمريكية و الشرق أوسطية خبراء من اوساط متعددة يتمتعون بمؤهلات وكفاءات اكتسبوها في فضاءات مهنية أخرى، فهي تلجأ بشكل خاص إلى أنواع ثلاثة من الكفاءات ؛ (1) أكاديميين، (2) سياسيين، دبلوماسيين و مهنيين من القطاع الأمني (عسكريين و استخباراتيين) و (3) صحفيين. تساعد هذه الموارد البشرية مركز التفكير على صنع مصداقيته و الحفاظ عليها. يلاحظ من ناحية أخرى أن حقل دراسات الارهاب تميز منذ نشأته الأولى بسيطرة خبراء مراكز التفكير عليه (وليس الأكاديميين و لا المهنيين) وبالمركزية الأمريكية منذ بروزه بداية السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية الى اليوم (1). شكل الجيل الأول من خبراء هذه المراكز النواة الصلبة لحقل دراسات الارهاب، و ساهمت هذه النواة الصلبة في صنع مصداقية العديد من مراكز التفكير الأمريكية والاسرائيلية على حد سواء، ولكنها ساهمت بشكل أدق في انتاج السرديات المهيمنة / الخطاب المهيمن حول مشكلة الارهاب (2). من جهته الحقل العربي لخبراء الارهاب ظل أقل حجما من ناحيته الديموغرافية و أيضا من ناحية مساهمته في صناعة رأي أو خبرة عربية نموذجية عن الارهاب، و تطور في شكل حركة تبعية للسرديات الأمريكية والاسرائيلية المهيمنة (3).

المبحث الأول : المركزية الأمريكية : نشأة و تطور الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب

تمأسس الارهاب كمشكلة بحثية في الو. م. أ. و ليس في فضاء آخر، بفعل نشاط جيل أول من الباحثين المنتسبين الى مراكز تفكير. لقد هيمنت جماعة قليلة من الخبراء على حقل دراسات الارهاب و استطاعت أن تهيمن على شكل و طبيعة نماذج الفهم والاستجابة التي يطلبها الحقل السياسي. من هم هؤلاء الخبراء ؟ و ما رهاناتهم السلطوية المخفية في منتجهم المعرفي الخبير ؟

المطلب الأول : النواة الصلبة للحقل الأمريكي لخبراء الارهاب

لا يمكن الحديث عن خبراء ارهاب سوى بفهم الحركية التي أدت الى وجود المشكلة التي اسست لاختصاصهم في موضوع اسمه الارهاب. لقد ظهر خبراء الارهاب اعتبارا من اللحظة التي بدأت فيها بعض أنماط العنف السياسي والاجتماعي تسمى إرهابيا. قبل هذه اللحظة التاريخية بالذات، لا يمكن الحديث عن خبراء حول الظاهرة. إنها بالتالي لحظة تتضمن بُعْدَيْنِ اثنين ؛ بُعْد أول يتعلق بمسار خلق القالب المفاهيمي الذي يسمح بتأهيل و توصيف مجموعة معينة من أعمال العنف و إدراجها ضمن

هذا القالب (1)، ويُعد ثان يتعلق بماهية و هوية الفاعل الذي ابتكر هذا القالب المفاهيمي والذي أفرز في النهاية ما نسميه حقل خبراء الازهاب (2).

متى أصبح الارهاب مشكلة تستدعي الدراسة ؟ لماذا أصبح الارهاب مشكلة طارئة تستدعي الدراسة في سنوات السبعينيات خصيصا ؟ كيف تشكل حقل خبراء الارهاب (من هم و ما هي أنشطتهم) ؟

1- ابتكار الارهاب كموضوع للخبرة من طرف مراكز التفكير

رغم أن مصطلح الارهاب يعتبر قديما قدم تاريخ الحرب بين البشر، إلا أنه كمشكلة سياسية بتعريفاتها وباستعمالاتها السياسية الحالية ليس قديما. يعتبر هذا المصطلح اكتشافا و مفهوما خضع للبناء سنوات السبعينيات من القرن العشرين و بالضبط عقب هجمات أولمبياد برلين سنة 1972 ضد الرياضيين الاسرائيليين¹، كما أن النواة الصلبة للدراسات و التحاليل و الخبرات التي تم انتاجها عن المشكلة تعتبر أمريكية المنشأ. تعبر هذه التاريخانية عن وجود علاقة بين دولة "اسرائيل" و الولايات المتحدة الأمريكية" و حقل دراسات الارهاب عموما.

يتفق أهم خبراء الارهاب الأمريكيين أنفسهم أن حقل الخبرة حول الارهاب نشأ بفعل تأثيرات أحداث ميونخ 1972، حيث يؤكد كل من برايان جنكينز Brian Jenkins و بوير بيل Bowyer Bell و روبرت كوبرمان Robert Kupperman أن هذا الواقعة تعتبر الحدث المؤسس لدراسات الارهاب، خصوصا بسبب أثاره الاعلامية (نقل مباشر أمام حوالي 900 مليون مشاهد آنذاك)². لكن إذا كان الحدث موجودا فإن مسألة توصيفه بالإرهاب هي النقطة المثيرة للتساؤلات، خصوصا و أن هناك أحداثا مماثلة و مشابهة (من حيث التكتيك و الهدف منها) لا تزال توصف بأنها مثلا أعمال إجرامية. ما الذي أعطى هذا الوصف (بالإرهاب) ؟ و من الذي صنع المعنى لأحداث ميونخ التي يتفق عليها الجميع في الغرب بأنها تأسيسية لحقل دراسات الارهاب ككل ؟

إن الطرف المعتدي في هذا الحدث هو منظمة التحرير الفلسطينية و الضحايا هو الرياضيون من دولة الاحتلال الاسرائيلي، أي أن هناك ربط بين حدث و نزاع دولي بفعل وجود فعل كولونيالي انتهى

¹ Lisa Stampnitzky, *Disciplining Terror: How Experts Invented "Terrorism,"* 1st ed. (Cambridge University Press, 2013), <https://doi.org/10.1017/CBO9781139208161>. p. 56.

² Robert H. Kupperman, Debra van Opstal, and David Williamson, "Terror, the Strategic Tool: Response and Control," *The Annals of the American Academy of Political and Social Science* 463 (1982): 24–38. P. 27.

بتوصيف الحدث على أنه ارهاب. بعبارة أخرى، هل كانت الحادثة لتسمى ارهابا في حالة ما إذا كان الطرفان المعنيان بإنتاج هذا الحدث ليسوا فلسطينيين و لا اسرائيليين؟ هذا يعتبر بالنسبة لنا أهم مدخل ينبغي الانطلاق منه للإجابة عن هذين السؤالين. عمليا، تؤدي عملية التوصيف بالإرهاب الى خلق فئة جديدة من العنف غير المشروع الذي ينبغي إدانته سياسيا و أخلاقيا، وهذا هو أهم مغزى من وراء توظيف مصطلح الارهاب و الصاقه بالحدث. إن الفاعل الذي أعطى التوصيف بالإرهاب هو طرف له مصالح في اعتبار نوع العنف الذي مارسه الفلسطينيون ضد الإسرائيليين عنفا غير مشروع يجب إخراجه بشكل نهائي من دائرة المشروع، فهو بهذه الاستراتيجية يعيد انتاج علاقة القوة للحفاظ على مصالحه المادية و غير المادية المحمولة في مشروعه الكولونيالي. في حوادث ميونيخ 1972، هذا الطرف يتمثل في الو. م. أ. و اسرائيل عبر مختلف المؤسسات التي تتدخل في صناعة المعنى (الاعلام، الأكاديميون، الخبراء، الأجهزة الأمنية، البيروقراطيات المختلفة..الخ). في كتاب صناعة الارهاب¹ يسمي كل من ادوارد هيرمان و جيرى اوسوليفان Herman and O'Sullivan هؤلاء بالمؤسسات التي تصنع نظرتنا عن الارهاب.

لكي يتحول الحدث الموصوف من الآن فصاعدا بالإرهاب الى موضوع للدراسة يجب أن يحظى بالأهمية الكافية لنقله إلى صدارة المشكلات ذات الجدوى العلمية، المعرفية، الاقتصادية والسياسية. هذا ما سيحصل في أقل من خمس سنوات من طرف الخبراء. يذكر أهم مختصي الموضوع في الو. م. أ. هذا الأمر بنوع من الاجماع، فمثلا يؤكد Donald Crelinsten، في مقال له عن صورة الارهاب في وسائل الاعلام خلال الفترة 1966-1985 أن الصحف الكبرى الأمريكية (The New York Times) و البريطانية (The Times) لم تكن تفهرس مواضيعها مطلقا بكلمة الارهاب قبل سنة 1972²، و هذا دليل على غياب المفهوم أصلا. وأما على صعيد الحقل الأكاديمي فلم تكن الكتابات الأكاديمية قبل 1972 منعدمة بل كانت قليلة و يتم انتاجها بوتيرة متقطعة و أن استعمال هذا المصطلح أصبح واسعا و متسارعا جدا بعد هذا التاريخ. تؤكد ليزا ستامبنتسكي هذا الواقع عندما تؤكد أنه لم يكتب تقريبا أي مؤلف عن الارهاب مع بداية عشرية السبعينيات إلا أنه ومع نهاية هذه العشرية و بالضبط سنة 1977 تم وضع ما لا يقل عن 11 دليل ببليوغرافي في الو. م. أ. عن موضوع

¹ Edward S. Herman and Gerry O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View of Terror* (Pantheon Books, 1989).

² Ronald D. Crelinsten, "Images of Terrorism in the Media: 1966–1985," *Terrorism* 12, no. 3 (January 1, 1989): 167–98, <https://doi.org/10.1080/10576108908435785>. p.173.

الارهاب لضخامة ما تم كتابته عن الموضوع¹. (ص 24). أكد أيضا ايدوارد ميكولوس Edwards Mickolus في دراسة له سنة 1980 - و هي امتداد و توسعة لدراسة بيبليوغرافية مشروحة سابقة أصدرها سنة 1976 لفائدة وكالة الاستخبارات الأمريكية - أنه بين سنة 1968 و 1980 عرف حقل دراسات الارهاب نموا معتبرا لأعداد الدراسات و المؤلفات المكتوبة عن الارهاب². إذن، أخذ موضوع الارهاب يتشكل كمشكلة في حقل النقاش العام اعتبارا من حوادث ميونيخ 1972، و لكن أيضا كموضوع للخبرة.

كيف ولماذا أصبحت مشكلة الارهاب تهم الأجندة البحثية للخبراء في مراكز التفكير؟

هناك جملة من التفسيرات التي يمكن طرحها هنا. من ناحية أولى، يعتبر الحادث مؤسسا للمشكلة، فظهور الخطاب عن الارهاب بمختلف أشكاله (اعلامي، خبري، سياسيا، علمي) سبقه وجود مشكلة اكتسبت حجما غير طبيعي من الاهتمام. من جهة ثانية، يمكن فهم نشوء الخطاب عن الارهاب بأنه استراتيجية لبناء مصالح الأطراف المعنية بالصراع و قد حددناها سابقا في النخب الغربية المتحالفة مع اسرائيل نظرا للسياق الذي جرى فيه الحدث المؤسس و ما أعقبه من افرازات، و هذا الخطاب تم انتاجه ليعكس و يجسد مصالح هاته النخب. يعتبر هذا النوع من التفسيرات جيدا لأنه يركز كثيرا على المتغيرات التي يفرضها السياق العام للحدث، و لكنها تفسيرات تتميز بالسطحية لأنها لا تجيب عن سؤال لماذا لا يتم توصيف حادث اختطاف طائرة آنذاك (و هو تكتيك ازدهر كثيرا و يتضمن كل الخصائص التي نستعملها اليوم في وصف الارهاب اجرائيا و منها : حيازته على الجانب المسرحي فهو يهدف الى التضخيم الاعلامي بحثا عن تعظيم الأثر السياسي له خصوصا و أن سنوات الستينيات و السبعينيات هي سنوات ثورة التلفزيون و البث المباشر للأحداث، موجه ضد مدنيين، تقوم به جماعات تحت دولانية...الخ) بأنه فعل ارهابي بينما وصفت اعتداءات الأولمبياد بالإرهاب؟ إذا لم تكن أفعال العنف وتكتيكاتها بالجديدة فما الذي تغير؟ الأمر الجديد الذي طرأ هو أنه تم اكتشاف الفئة المفهومية المناسبة [تسمى بالإرهاب] ليتم تطبيقها على مجموعة معينة من أحداث العنف.

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p. 24.

² و هو في الأصل محلل لدى وكالة الاستخبارات المركزية و لكنه أيضا صاحب صيت و سمعة في حقل دراسات الارهاب خصوصا بعد مناقشته لأطروحة الدكتوراه بجامعة يال Yale الراقية سنة 1981 ("Combating international terrorism : a quantitative analysis", Phd dissertation, Yale University, 1981). و هذا مثال حي نستشف من خلاله طبيعة الرابطة الموجودة بين خبراء الارهاب الأمريكيين و وكالة الاستخبارات الأمريكية.

وفقا لهذا المنطق ليست بالضرورة كل أحداث العنف إرهابا بل بعضها فقط، فما هي صفات هذه الفئة الأخيرة ؟ لقد تدخل الخبراء في هذه العملية بشكل رئيسي و حاسم لأنهم هم الذين ابتكروا خصائص هذا المفهوم، و قام جهدهم أساسا - و بالمطلق هذا يستمر الى غاية اليوم - على خلق ارتباط بين حادث العنف و متغير آخر ؛ في حالة حوادث ميونيخ تم هذا عن طريق اقتراح ارتباط بين الحادثة و الصراع العربي الاسرائيلي. إذن لا يتم توصيف أعمال العنف بأنها إرهاب إلا عن طريق توظيف ارتباطات بين الأصل (هوية معينة) و السليل (حوادث العنف)، و هذه مهمة الخبراء الأساسية و ليست مهمة الأكاديميين. إنها مهمة سياسية و ايديولوجية أساسا لأنها وُجِدَت لترجمة مصالح قوى معينة عن طريق انتاج الخطابات الملائمة لها.

بالموازاة مع هذا الاعتبار الأخير يمكن اقتراح افتراضات أخرى عن أسباب نمو الاهتمام بمشكلة الارهاب و الذي يؤكدده خصوصا حجم الكتابات المنجزة بخصوص الموضوع. هذه الأخيرة تعبر عن محاولة لتأسيس حقل معرفي جديد، حيث ترمي الجهود الأولى للفهم و التفسير عند كل من الأكاديميين و الخبراء في مراكز التفكير الى شرعنة للمشكلة كموضوع بحثي قابل للتحويل الى حقل معرفي مستقل، أو الى تخصص مستقل إن شئنا. نعلم اليوم أن هذا المسار قد أعاقته طبيعة الموضوع في حد ذاتها فهي من ناحية كونها مشكلة عابرة للتخصصات لم تستطع أن تهيكّل في تخصص مستقل. من ناحية ثانية، في بداية مسار الاهتمام بالمشكلة كموضوع للبحث (أي السبعينيات)، لوحظ أن تطورها تم بشكل محسوس داخل أطر مؤسساتية غير أكاديمية (غير جامعية) و هي مراكز التفكير الأمريكية، وهو ما يمكن أن يُقرأ على أنه هيمنة للخبراء على الموضوع مقارنة بالأكاديميين. يكفي تتبع المؤشرات الأولى الخاصة بطبيعة البرامج البحثية و المؤتمرات التي اطلقت في فترة السبعينيات فأغلبها احتضنته مراكز تفكير و ليس جامعات، ليس فقط بسبب سخاء التمويل بل لحاجة الخبراء [الجدد] لفضاء مؤسسي غير تقليدي (لا جامعي، و لا اعلامي) يتكلمون انطلاقا منه، فضاء يمكن فيه للعسكري أن يتكلم انطلاقا منه ليس بصفته عسكريا بل بصفته خبيرا، ويمكن للصحفي أن يتكلم انطلاقا منه ليس بصفته صحفيا بل بصفته خبيرا.

2- مراكز التفكير و حقل دراسات الارهاب ؛ نحو هيمنة للخبراء على الموضوع ؟

لقد أصبح الارهاب كمفهوم جديد في السبعينيات الاطار المفاهيمي المرجعي الذي تفهم و تفسره حوادث العنف، و أنه أصبح يُطبَّقُ باثر رجعي حتى على الحوادث التي سبقت فترة انتشار استعماله.

حاولنا أن نقدم تفسيرات لهذا من خلال تجاوز آراء أنصار نظرية النخب التي مفادها أن اكتشاف مفهوم الارهاب هو إنتاج خطابي تفرضه الطبقة الحاكمة، لأنها في حقيقة الأمر تفسيرات من النوع الذي لا يسلط الضوء سوى على جوانب الجِدَّة Nouvelle فيهِ. تم إثراء هذه الرؤية من خلال تحليل لسياق الحدث الذي تشكل فيه المفهوم (حوادث ميونيخ)، و من يقف وراءه وكيف. رأينا أن تفسيراً أشمل يركز على علاقة التفاعل بين الحدث من جهة أولى، والخبراء من جهة ثانية، واستراتيجياتهم من جهة ثالثة، يمكن أن يكون أكثر قدرة تفسيرية للرهانات التي تحكم مسار توصيف مشكلات العنف بالإرهاب. سمح لنا هذا التحليل بملاحظة أن دور الخبراء في هذا المسار المعقد دور محوري و حاسم، فهم من خلاله لا يهدفون الى شرعنته كموضوع للمعرفة فحسب بل يطمحون للهيمنة عليه مقارنة بمتدخلين آخرين (اعلام و اكاديميون).

2.1. الموقع الريادي لمراكز التفكير الأمريكية في دراسة موضوع الارهاب

لقد لعبت الدولة دوراً أساسياً في تطوير أدوار خبرة مراكز التفكير حول الارهاب من خلال الرعاية المباشرة و التمويل لمشاريع البحث، و من خلال تنظيم المؤتمرات التي تجمع الخبراء و صناع القرار السياسي. مباشرة بعد حوادث ميونيخ 1972 أنشأ الرئيس نيكسون أول هيئة حكومية مكلفة بالتركيز على مشكلة الارهاب، وهي لجنة ديوان مكافحة الارهاب¹ Terrorism (The CCCT) The Cabinet Committee to Combat. يُلاحظ إذن أن الطلب الناشئ بداية السبعينيات كان يصدر بشكل خاص من طرف القطاع الحكومي (أجهزة الدولة ذات الاختصاص الأمني). يرجع تفسير هذا أساساً الى الطابع الدولي للمشكلة آنذاك، فتأطير الارهاب كمشكلة سياسية في بداياته الأولى تم ضمن الأبعاد الدولية لها (مشكلة الارهاب الدولي)، أي ضمن الاختصاصات الحصرية للدولة، فالهدف الرئيسي المعلن للجنة مكافحة الارهاب (CCCT) كان يتمثل في توفير الأمن لبعض الأصناف من الأفراد الخاضعين للمسؤولية الأمريكية (المواطنون الأمريكيون داخل و خارج البلد، الدبلوماسيون الأجانب داخل الاقليم الأمريكي)².

من جهة أخرى، يفسر الاهتمام بالبعد الدولي للإرهاب بقوة طروحات التيار المحافظ، فإذا كان مسار البحث حول الارهاب قد انطلق سنوات السبعينيات فإنه بهذا الشكل قد تزامن مع فترة التحول الأولى التي شهدتها مراكز التفكير الأمريكية حيث انتقلت مما سميناه أعلاه الجيل الأول (العلمي) إلى الجيل النضالي أو التأيدي (advocacy)، و هو الانتقال الذي أحدثته أساساً ثورة

¹ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. P. 176.

² Ibid.

المحافظين. لم يكن بناء مشكلة الارهاب أمرا استثنائيا داخل ثورة المحافظين فقد خضعت صناعة مفهوم الارهاب بدورها الى الرهانات الايديولوجية و السياسية التي فرضها التيار المحافظ. إذا كان مفهوم الارهاب نُسبَ سابقا الى العنف الداخلي في الدولة أين أُطِرَ باعتباره مشكلة "جريمة crime" تُحلُّ عن طريق القواعد القانونية الداخلية، فإنه مع صعود المحافظين في السبعينيات أصبح يُفهم بالمتغير الدولي أساسا، فهؤلاء يولون أهمية بالغة للشأن الدولي و قلقا من العنف الذي قد يسبب توسع دائرة النزاعات الدولية المختلفة. إن الإضافة التي طرأت بفعل المحافظين هي أن أفكارهم حول سياسية خارجية أمريكية أكثر تدخلية في الشأن الدولي مهدت الى تحول سياق البنى الادراكية العامة حول طرق الاستجابة لمشكلة الارهاب ايضا، فهي من الآن فصاعدا ستُحلُّ أيضا بأداة القوة العسكرية الدولية أي الحرب¹. هذه التدخلية لا يجب أن تفهم ضمن اطار الحرب الباردة فقط بل أيضا ضمن مسار صعود الأفكار المحافظة الاسرائيلية أيضا، فالاهتمام بمشكلة الارهاب باعتبارها مشكلة دولية كان أيضا نتيجة لرواج الرؤى الاسرائيلية كما سنراه لاحقا في هذا العنصر².

لكن و بحكم أن مصادر الخبرة السياسية الرئيسية في الو. م. أ. تتواجد اساسا في بُنى خارجية عن المؤسسات والأجهزة الحكومية، فإن المعنى الذي يجب أن نكتشفه أيضا في دور لجنة مكافحة الارهاب هو أن استجابة الادارة الأمريكية للمشكلة تتضمن جزئيا تشكيل علاقة مع الخبراء القادرين على اقتراح فهم معين عن مشكلة الارهاب. من خلال طلب الخبرة الخارجية و من خلال توفير التمويل للبحث، فإن هذه الهيئة كانت أداة للجمع بين مختلف الخبراء و الأكاديميين و الرسميين من أجل اقتراح تعريف للإرهاب و طرق للاستجابة له. حسب ستامبنتسكي من جهة و هيرمان من جهة أخرى فإن هذه الهيئة تعتبر أول هيئة رسمية طلبت رسميا خبرة خارجية عن الارهاب، كما أنها من أكبر المؤسسات الممولة للبحوث حول الارهاب بالإضافة الى كتابة الدولة للدفاع، و وكالة الاستخبارات الأمريكية و كتابة الدولة للعدل³.

تعتبر مراكز التفكير من أهم الأطراف التي استفادت من التمويل الحكومي للبحث في موضوع الارهاب، و ذلك على حساب الجامعات التي تشترك في نفس الوظيفة معها. فما مبرر ذلك؟ لم يكن الحقل الأكاديمي قادرا على التكفل بالمشكلة البحثية الجديدة بنفس الشكل الذي حصل عند مراكز

¹ Ibid.

² Kevin Toolis, "Rise of Terrorist Professors," *New Statesman*, June 14, 2004, newstatesman.com/long-reads/2004/06/rise-of-the-terrorist-professors.

³ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 179 ; Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p. 27.

التفكير، فهذه الأخيرة تتمتع بالقدرة على تعديل و تكييف استراتيجياتها البحثية بينما تعاني الأولى من ثقل المعايير و الاجراءات. على هذا الأساس برزت أولى الدراسات عن الارهاب من طرف خبراء تابعين لمراكز التفكير و ليس من طرف أكاديميين من الجامعات، كما تم تنظيم أهم المؤتمرات الدولية عن الارهاب خارج الأطر الأكاديمية، و تحت اشراف مراكز التفكير الكبرى. لعب متغير حجم مركز التفكير دورا حاسما في الهيمنة على الموضوع البحثي الجديد، فاستفادت مراكز تفكير مثل راند، البروكينز من الكثير من عقود تمويل للبحوث بمقارنة بمراكز أخرى. تؤكد ليزا ستامبنتسكي أنه مع نهاية سنة 1972 كان معهد راند أهم فضاء لإنتاج الخبرة حول مشكلة الارهاب، فقد استفاد الأخير من جميع المشاريع التي اقترحتها كل من لجنة مكافحة الارهاب CCCT، و كتابة الدولة للدفاع و السي آي آي، و الايف بي آي¹.

توجد سمة رئيسية هنا و هي محورية مركز راند ضمن الهندسة الأولى لحقل الخبرة الأمريكي حول الارهاب ؛

- فأول مشروع بحثي عن الارهاب انطلق سنة 1972 بقيادة برايان جنكينز من معهد راند،
- وأول قاعدة بيانات حول الارهاب - و هي الأضخم اليوم - أطلقت سنة 1972 ضمن نفس المشروع²،
- وأول مؤتمر دولي عن الارهاب ممول من كتابة الدولة للدفاع أشرفت عليه راند كان سنة 1972.

و هذه المركزية لا يفسرها متغير حجم مركز التفكير بل متغير القرب من دوائر القرار الأمني، فمعهد راند يحتفظ منذ نشأته و الى غاية اليوم بقربته من البنتاغون. هناك مراكز تفكير أخرى ساهمت في هندسة الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب خلال السبعينيات مثل المعهد الدولي لعلوم الجريمة الذي نظم المؤتمر الدولي حول الارهاب الجريمة السياسية سنة 1973، و معهد القضايا الدولية بجامعة ويسكونسين الذي نظم مؤتمر الارهاب الدولي سنة 1974، و معهد الدراسات الدولية و الاستراتيجية بجامعة جورج تاون الذي نظم مؤتمر الارهاب و حقل الأعمال الأمريكي سنة 1977³.

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p. 28.

² Brian Michael Jenkins and David Ronfeldt, "The Origin and Evolution of the RAND Corporation's Terrorism Databases : Defining and Building a New Field of Knowledge," November 2021, rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PEA1200/RAND_PEA1203-1.pdf.

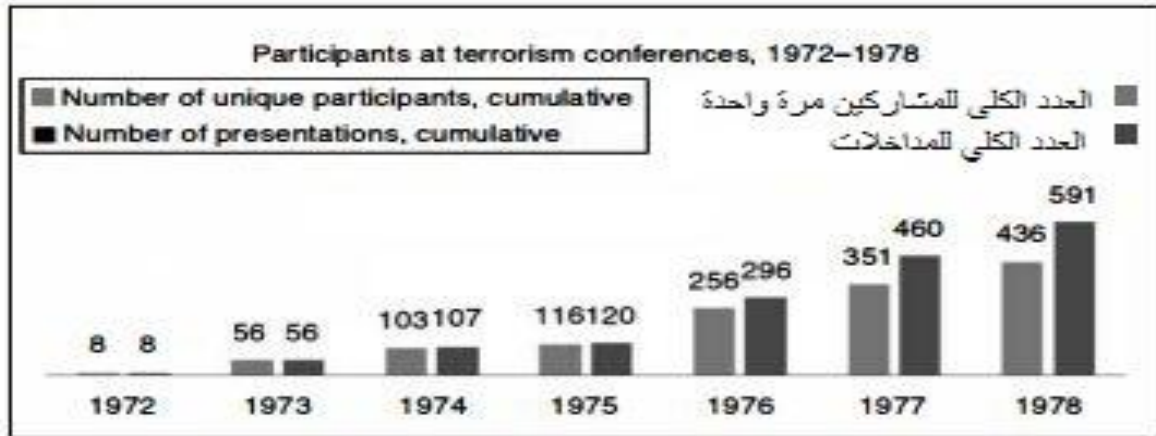
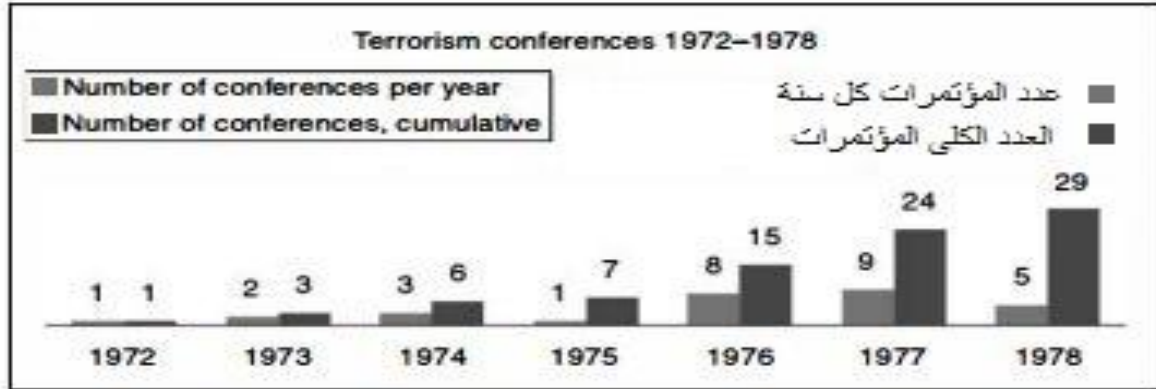
³ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. pp. 28-29.

توجد اذن هيمنة للخبراء المنتمين الى مراكز تفكير على موضوع الارهاب كموضوع دراسي جديد، على حساب فاعلين آخرين مختصين في انتاج المعارف.

-2.2. المؤتمرات الأمريكية الأولى حول الارهاب

بالموازاة مع هيمنة مراكز التفكير على المشاريع الأولى للبحث حول مشكلة الارهاب، يلاحظ رواج معتبر لأسلوب المؤتمرات الدولية، فهو يسمح باجتماع الخبراء من شتى الآفاق مع المسؤولين الرسميين و المهنيين المعنيين في فضاء واحد للنقاش و للنشر. لقد كان هذا الأمر من الأهداف الرئيسية التي رمت الى تحقيقها مبادرة نيكسون من خلال تأسيس لجنة الديوان لمكافحة الارهاب CCCT، و ما يلاحظ عليها هو سيطرة نوعين من مراكز التفكير على مواضيعها : رؤى مراكز التفكير الاستراتيجي و السياسة الدولية، و رؤى معاهد علوم الجريمة، و هما في حقيقة الأمر المقاربتان الرئيسيتان اللتين أطرتا التفكير حول مشكلة الارهاب الى اليوم.

توضح الأعمدة أدناه منحنى ازدياد عدد المؤتمرات الدولية عن الارهاب بين سنتي 1972 و 1978، وكذلك تعداد الخبراء المشاركين فيها و عدد المداخلات المقدمة. كلا المؤشرين يعبران عن حجم تضخم حقل الخبراء عن الارهاب في الو. م. أ.



المنحنى رقم 02 : عدد المؤتمرات المنعقدة حول الارهاب، عدد المشاركين فيها و عدد المداخلات خلال الفترة 1972-1978.

Source : Lisa Stampnitzky, *Disciplining Terror: How Experts Invented «Terrorism»*, 1ère éd. (Cambridge University Press, 2013), <https://doi.org/10.1017/CB09781139208161>. p. 31.

تشير هذه البيانات الى جملة من الملاحظات :

- هناك اهتمام سياسي متزايد بمشكلة الارهاب يعكسه رواج معتبر لأسلوب المؤتمرات، وهذا يعبر عن استراتيجية اتصالية سواء بالنسبة لطالبي الدراسات (السلطات الحكومية) أو بالنسبة لمراكز التفكير في حد ذاتها، فالهدف هو إبراز الطابع العام للمشكلة في حقل النقاش السياسي والعام،

- هناك نمو ديموغرافي لفئة الخبراء حول مشكلة الارهاب، و هذا معناه وجود حركية سوسيولوجية أحدثت تطورات جذرية في مضمون الفهم الموجود حول مشكلة الارهاب في حد ذاتها.
- بروز مركز (فضاء) جديد للحديث عن مشكلة الارهاب هو مركز "الخير" الذي طرح نفسه، كمركز جديد و بديل لأنه ينافس المراكز الموجودة تقليديا مثل الجامعات و الادارات المكلفة بإدارة مشكلة الأمن ككل.

لكن، إذا كان بروز الارهاب كموضوع بحثي مهم قد أفرز ما سميناه خبراء الارهاب كمركز مستقل بذاته عن الفضاءات الأخرى المنتجة للمعرفة حول المشكلة نفسها، يسمح بالتعبير عن الارهاب وفقا لقواعد ومعايير مختلفة عن تلك السائدة في الفضاءات الأخرى فإن هذا الفئة لم تطور خصائصها التي شكلت هويتها الرئيسية سوى عبر مرحلتين؛ تمهيدية و نهائية. كانت سمة المرحلة الابتدائية وهي المرحلة التي اعقبت مباشرة تاريخ انعقاد المؤتمر الأول سنة 1972 هي غياب خبراء مختصين في مسألة الارهاب. شارك أغلب 'الخبراء' فيه انطلاقا من كفاءتهم و شهرتهم كخبراء في تخصصات أخرى غير الارهاب [و هو الذي لم يكن موجودا أصلا كتخصص] مثل علم النفس، و سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية و بعض البارزين في حقل الدراسات السلوكية. يؤكد بيل Bell أنه في بداية السبعينيات لم يكن يوجد أي خبير في تحليل الارهاب بل كان هناك فقط بعض الأكاديميين الذين اكتسبوا بعض المعارف حول عمليات الفدائيين الفلسطينيين أو حول الجريمة بصورة عامة¹.

ابتداء من سنة 1976، و هو تاريخ انعقاد المؤتمر الدولي الثاني حول الارهاب برعاية كتابة الدولة، تميز الحقل بمجيء صنف الخبراء الذين اختصوا فعليا في موضوع الارهاب، أي أولئك الذين تمحورت أعمالهم حول الارهاب و الجماعات الارهابية و أشكال النشاط. إن الخاصية الرئيسية لهذه المرحلة هي أنها أفرزت ما يمكن تسميته بالنواة الصلبة لحقل خبراء الارهاب، كتعبير يشير اساسا الى تحكم جماعة قليلة في بناء مفهوم الارهاب ثم في تطور مضامينه. رغم هذا التباين بين المرحلتين إلا أن هناك قاسما مشتركا بينهما، فحقل خبراء الارهاب الأمريكي نشأ منذ اللحظة الأولى تحت مراقبة و هيمنة أجهزة الدفاع و الاستخبارات (الرعاية و التمويل و حركة الخبراء أنفسهم)، كما سنلاحظ من خلال معرفة هوية هؤلاء الخبراء و ارتباطاتهم المؤسسية و المهنية.

¹ J. Bowyer Bell, "Trends on Terror: The Analysis of Political Violence," ed. Edward Hyams et al., *World Politics* 29, no. 3 (1977): 476–88, <https://doi.org/10.2307/2010007>. p. 481.

3- السمات الكبرى لحقل خبراء الارهاب الأمريكي

مع زيادة الاهتمام السياسي بمشكلة الارهاب توسعت دائرة خبراء الارهاب الأمريكيين و لكنها ظلت متمحورة حول عدد قليل من الكتاب كما سنوضحه في الجدول أدناه. بالتمعن في سِيَر الخبراء الذين اهتموا بدراسة الارهاب منذ أواسط السبعينيات سنتمكن من معرفة إن كانت هناك أصناف سوسيولوجية (نماذج) لهؤلاء أم لا، ولكن قبل ذلك من هم هؤلاء الخبراء تحديدا ؟

3-1. حقل خبراء الارهاب الأمريكي : الجيل الأول

يمكننا الاعتماد على مراجع مفتاحية ثلاثة في موضوع خبراء الارهاب لكي نستقري التركيبة الرئيسية للحقل. يتعلق الأول بكتاب صناعة الارهاب لكل من هيرمان و أوسوليفان¹، و هو أهمها على الإطلاق، لأنه الأقدم حول الموضوع ولكن أيضا بسبب طبيعته النقدية. و أما الثاني فهو الدليل الموسع لشميد و مساعديه (1984)² و أما الثالث فهو كتاب ليزا ستامبينتسكي (2013)³.

الجدول رقم 02 : أهم خبراء الارهاب الأمريكيين عند نشأة الحقل 1972-1980
(من اعداد الباحث)

أ. قائمة أهم الخبراء من خلال مؤشر المشاركة في المؤتمرات الدولية الكبرى (ستامبينتسكي، 2013)	
Y. Alexander يونا ألكسندر	D. Rapoport دافيد راببورت
C. Hussell كونراد هاسل	Bell Bowyer بيل بويار
C. Russell تشارلز روسال	J. Murphy جون ميرفاي
R. Kupperman روبرت كوبرمان	M. Crenshaw مارتا كرينشو
B. Jenkins برايان جنكينز	D. Yehezkel درور هيزكيل
E. Mickolus ايدوارد ميكولوس	I. Horowitz ايرفين هوروفيتش
ب. قائمة أهم الخبراء من خلال مؤشر الاقتباس الاعلامي لأعمالهم (هيرمان و أوسوليفان، 1989)	
Y. Alexander يونا ألكسندر	W Laqueur والتر لاكور
J. Churba جوزيف شوربا	M Ledeen ميكائيل ليدين
R. Cline راي كلاين	Livingstone نيل ليفينغستون

¹ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*.

² Alex Peter Schmid and A. J. Jongman, *Political Terrorism: A Research Guide to Concepts, Theories, Data Bases, and Literature*, C.O.M.T.-Publication, no. 12 (Amsterdam : New Brunswick, U.S.A: North-Holland ; Distributors, Transaction Books, 1984).

³ Stampnitzky, *Disciplining Terror*.

أرييل ميراري A Merari	ويليام كولباي W. Colby
يوري را آنان Uri Ra-Anan	لورانس ايغليبيرغر Eagleberger
كلير ستيرلينغ C Sterling	بول هانز P. Hanz
بول ويلكينسون P Wilkinson	براين جنكينز B. Jenkins
	روبرت كوبرمان R. Kupperman
ت. قائمة أهم الخبراء الأكثر اقتباسا في العلوم الاجتماعية حسب شמיד و آخرون (1984)	
تيد غور Ted Gurr	يونا ألكسندر Y. Alexander
براين جنكينز B. Jenkins	محمد شرف بسيوني M. Ch. Bassiouni
روبرت كوبرمان R. Kupperman	جون بيل J B Bell
والتر لاكور W Laqueur	ريتشارد كلوتيربوك Clutterbuck
ايدوارد ميكولوس E. Mickolus	مارتا كرينشاو M Crenshaw
أي في والتر E V Walter	براين كروزييه B Crozier
بول ويلكينسون P Wilkinson	تيد غور Ted Gurr

توضح بيانات الجدول أن نواة الحقل ضيقة ومحصورة في عدد قليل من الخبراء، فالأكثر تمثيلا في كل الفضاءات المفتاحية لإنتاج المعرفة عن الارهاب (مراكز التفكير، الاعلام و الحقل الأكاديمي) لا يتجاوز عددهم الثلاثة وهم : يونا ألكسندر Y. Alexander و براين جنكينز B. Jenkins ، ثم روبرت كوبرمان R. Kupperman. بينما تضم القائمة المشتركة للخبراء الأكثر اقتباسا في حقلي الاعلام و العلوم الاجتماعية سبعة خبراء وهم بالإضافة الى الثلاثة السابقين : ايدوارد ميكولوس E. Mickolus، مارتا كرينشاو M. Crenshaw، والتر لاكور W Laqueur و بول ويلكينسون P. Wilkinson. أما القائمة الموسعة فهي تلك التي تضم كل الأسماء الواردة في الجدول و حجمها هو ثلاثون خبيرا، أي أن حركة انتقال المعارف حول الارهاب في جميع الاتجاهات بين المستويات الثلاثة (المؤتمرات بإشراف من مراكز التفكير، الحقل الاعلامي، و الحقل الأكاديمي) لا تعطي سوى فئة ضيقة من الخبراء تتشكل من ثلاثين شخصا يهيمنون على تداولية المعارف.

3.2. النواة الصلبة للحقل : نموذج الخبير متعدد المراكز

فأما الدائرة الضيقة جدا فهي النواة التي يتفاعل حولها حقل خبراء الارهاب، وهي تشير إلى ثقل حضور هؤلاء الخبراء الثلاثة في جميع فضاءات إنتاج المعرفة عن الارهاب. تعكس النواة الصلبة للحقل امتلاكها لقوة التأثير خصوصا، فالجدول السابق في فرعيه (ب) و (ت) يوضح حضورها القوي

على مستوى الحقلين الأكاديمي و الاعلامي، و هذا معناه حيازة هؤلاء لجميع الموارد و الرساميل التي تسمح لهم بالوصول الى الحقول الأخرى. إن هذا يعني سوسيولوجيا أن القائمة الضيقة تتميز على الأقل بتناغمها مع قيم الحقل الأكاديمي (الحياد و الموضوعية)، و مع شرط المصداقية الذي يسمح باكتساب الحق في الدخول الى حقل مراكز التفكير و الاعلام. هذه الفئة يمكن وصفها بنموذج الخبير متعدد المراكز، فهو يمتلك خصوصاً القدرة على التوقع وعلى مخاطبة باقي الفضاءات الأخرى، اي القدرة على تعديل وتكييف استراتيجياته في إنتاج أشكال الخطاب المناسبة لكل فضاء. بعبارة أخرى، يمتلك نموذج الخبير متعدد المراكز خاصية القدرة على انتاج قوالب أو خرائط الإدراك الرئيسية واللازمة لفهم مشكلة الارهاب، ولكن ليس هذا فحسب بل أيضاً خاصية القدرة على نقلها الى الفضاءات الأخرى ونشرها. يسمح فحص البيوغرافيا الخاصة بهؤلاء الخبراء بتحديد السمات العامة لهذا النموذج. سوف نركز هنا على يونا ألكسندر فهو حالة نموذجية تعكس سمات الصنف الأول من الخبراء.

- يونا ألكسندر Yonah Alexander

هو أهم الخبراء الأمريكيين على الإطلاق، فهو أول شخصية معرفية يتناولها بالفحص الدليل الموسع لشميد ورفاقه (1984)، و هو أول الخبراء الذين تعرض لهم بالتحليل كتاب صناعة الارهاب لهيرمان و أوسوليفان. هذا الأخير علق عليه بأنه غزير الانتاج *A fertile producer*¹ للبحوث حول موضوع الارهاب. كتب ألكسندر أكثر من 90 مؤلف حول الارهاب بين سنتي 1974 و 2007²، وهي الفترة المتراوحة بين تاريخ نشر أول و آخر كتاب له، و هو ما يعني أن نشاط الكتابة و التحليل استمر لفترة طويلة نسبياً (33 سنة). كان آخر كتاب له عن ايران قام فيه بإعادة انتاج لمقولات السبعينيات والثمانينيات حول ارتباط الارهاب بالاتحاد السوفيتي، ليسقطها على الشبكات الايرانية في الشرق الأوسط.

كتب ألكسندر أكثر من نصف أعماله بالتعاون مع باحثين و خبراء آخرين، و يظهر هذا التعاون وجود مساعد رئيسي له و هو راي كلاين Ray Cline. هذه الشخصية مفتاحية بالنسبة لمسار ألكسندر

¹ Edward S. Herman and Gerry O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View of Terror* ", op. cit. p. 147.

² Tom Mills, "Yonah Alexander," February 22, 2010, https://powerbase.info/index.php/Yonah_Alexander.

فهو مهنيًا يعتبر عميلًا لأجهزة الاستخبارات الأمريكية قبل كل شيء¹. تسمح هذه العلاقة المتينة بين الاثنين بالتركيز على الرأسمال الاجتماعي (العلاقات و الروابط الاجتماعية) كعامل ساعد كثيرًا ألكسندر على الارتقاء في حقل الدراسات حول الارهاب وفي اكتساب القدرة على الوصول الى الفضاءات الأخرى. بفعل هذا العامل أيضًا نستطيع أن نفهم مثلاً كيف أن أكثر أعمال ألكسندر شهرة هو كتابه الثنائي مع راي كلاين بعنوان الارهاب : الارتباطات السوفييتية Terrorism : The Soviet Connections (1985)، وهو العنوان الذي وزعته كتابة الدولة الأمريكية للدفاع مجاناً و على نطاق واسع استجابة لحاجة الرأي العام الأمريكي المتزايدة لفهم الارهاب. أنت أغلب مصادر التمويل لمشاريعه و كتبه من جهات حكومية، و هذا يفسر لنا مساندته للخطاب الرسمي لإدارة ريغان في الثمانينات حول الارهاب، حيث اندمج أيضًا في الخطاب المهيمن الذي يقول بأن الارهاب يستهدف أساساً الطابع التعددي للمجتمعات الديمقراطية².

يعتبر الرأسمال الأكاديمي محورياً في بناء المكانة التي بلغها ألكسندر في حقل دراسات الارهاب عموماً. إنه رجل أكاديمي أساساً، فهو بروفيسور السياسة الدولية بجامعة نيويورك، و مؤسس الدورية الدولية Terrorism الأمريكية الشهيرة³. أما من ناحية ارتباطه بمراكز التفكير فقد عمل ألكسندر خصوصاً كمدير للمركز الدولي لدراسات الارهاب على مستوى معهد Potomac Institute for Policy Studies بنيويورك منذ 1977، و عمل بمعهد الدراسات الاستراتيجية و الدولية CSIS (محافظ) بواشنطن، و بالمركز الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن IISS، الذي كان يديره مساعدته الرئيسي راي كلاين، و مديراً مساعداً لبرنامج البحث الارهاب و الحرب منخفضة التوتر بالمعهد الحكومي الأمريكي The US Global Strategy Council⁴. شارك ألكسندر في أكثر من ثلاثين مؤتمراً و ملتقى نظمها مركز التفكير الذي يشرف عليه بنفسه، كما شارك في أكبر المؤتمرات الدولية الحكومية مثل مؤتمر تل أبيب

¹ و هو ثاني أهم الخبراء في كتاب هيرمان، و أهميته لا ترجع لقيمة منتجاته العلمية و لكن لقيمة كعميل للاستخبارات البريطانية و الأمريكية. عمل كرئيس لفرع السي آي في تيوان (1958-1962) و نائب مدير للوكالة (1962-1966). أنظر لمزيد من التفصيل :

Edward S. Herman and Gerry O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View of Terror* ", op. cit. p. 148.

² Ibid, p. 147.

³ Tom Mills, "Yonah Alexander", op. cit.

⁴ Edward S. Herman and Gerry O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View of Terror* ", op. cit. p. 147.

1979 الذي نظمه معهد جافي (أنظر العنوان الخاص بالحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب أدناه)، ومشاركا في مؤتمر بروكينز حول الارهاب سنة 1982 وفي مؤتمر الارهاب النووي سنة 1985¹.

توضح هذه المعطيات البيوغرافية خصائص النموذج المتعدد المراكز ، لفترة النشاط طويلة نسبيا (ألكسندر من 1974 الى 2007، كوبرمان من 1972 الى 2006 و برايان جينكينز من 1972 الى 2008)، و هم أكثر الخبراء حضورا في الحقل الاعلامي، في الحقل الأكاديمي و في الحقل السياسي الرسمي. نظرا لهذه الخصائص نعتبر أن هؤلاء يشكلون النواة الصلبة للحقل ولما ينتجه من خطاب حول مشكلة الارهاب.

3.3. صنفُ الخبراء الصحفيين

تضم القائمة (ب) حوالي خمسة عشر خبيرا يتمتعون خصوصا بالقدرة على الوصول الى وسائل الاعلام، و هذا قياسا بمؤشرات سوسيو-سياسية أساسا، فأغلبهم صحفيون اختصوا في الكتابة عن الارهاب، أو مقربون من الأوساط الاعلامية بفعل مراكزهم المهنية الأخرى (مهنيو الأمن، عملاء استخبارات، أساتذة و باحثون بالجامعات). هذه الفئة يمكن وصفها بصنف الخبير- الصحفي. من الأمثلة عن الذين صنعوا مركزهم كخبراء للإرهاب انطلاقا من مهنته كصحفيين نجد :

كلير ستيرلينغ : Claire Sterling

وهي صحفية أمريكية و مراسلة لمجلة The Reporter في ايطاليا. عرفت بأنها صحفية مناضلة ضد الشيوعية خلال فترة الحرب الباردة. العديد من المصادر الايطالية أكدت أنها مرتبطة بوكالة الاستخبارات الأمريكية و بأجهزة حكومية أمريكية أخرى. هي صاحبة الكتاب الشهير *The Terror Network* الصادر سنة 1981 حول الشبكات السوفييتية للإرهاب²، و الذي يعتبره مسؤولو الأمن والاستخبارات الأمريكية بأنه بمثابة انجيل حول الارهاب *La Bible sur le terrorisme*. لقي هذا الكتاب نجاحا اعلاميا باهرا، لأنه دافع عن مقاربات أجهزة الاستخبارات بشكل ممتاز و فعال. لم يلق هذا الكتاب - رغم أهميته بصفته أول كتاب كرس مقولة العلاقة بين الارهاب و الاتحاد السوفييتي - نفس

¹ *Ibid*, p. 146.

² في حقيقة الأمر، ترجع جذور هذا الطرح الى راي كلاين الذي كتب سنة 1959 مقالا يوضح الارتباط بين الاتحاد السوفييتي و أعمال العنف التي تقوم بها جماعات يسارية هنا وهناك، ولكن آنذاك لم يكن مصطلح "الارهاب" مستخدما حتى. و أما كتاب كلير ستيرلينغ سنة 1981 فهو الأول من نوعه حول العلاقة بين "الارهاب" و "الاتحاد السوفييتي".

الصدى عند الأكاديميين، حيث اعتبروه مليئا جدا بالاقتراسات من المصادر الاستخباراتية التي يصعب تأكيدها.

و أما الأمثلة عن الذين صنعوا مركزهم الاعلامي كخبراء انطلاقا من شبكة انتماءاتهم، فهي كثيرة و من أهمها :

- **راي كلاين** : مدير استخبارات سابق بالنيابة 1962-1966 ورئيس فرع الوحدة الصينية 1958-1962. (سننظر في بيوغرافيا هذه الشخصية بشكل مفصل في الجزء المخصص للحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب).

- **ميكائيل لييدن Michael Ledeen** ، و هو صاحب خطاب متطرف جدا حول التهديد السوفيتي في البداية ثم التهديد الإسلامي فيما بعد. هو باحث رئيسي بمعهد الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS المقرب من وكالة الاستخبارات السي آي آي. سنة 1977 كان مديرا تنفيذيا للمعهد اليهودي لقضايا الأمن القومي Institut juif pour les affaires de sécurité nationale، و هو مركز تفكير و جماعة ضغط مقربة من اسرائيل و ذو خلفية ايديولوجية محافظة¹.

- **ويليام كولبي William Colby**، و هو مدير وكالة الاستخبارات المركزية (1973-1976)².

- **براين كروزيه Brian Crozier**، و هو مؤرخ و عالم استراتيجيات مبدئيا، ومؤسس معهد دراسات النزاعات بلندن the Institute for the Study of Conflict ذو التوجه اليميني، الذي يعمل لصالح لـ MI6 و الـ CIA، و هو عميل مكشوف للاستخبارات البريطانية والأمريكية في لندن³.

- **بول هانز Hanze**، و هو رئيس سابق لمحطة السي آي آي في تركيا، كما عمل خصوصا مستشارا أمنيا للرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. التحق بعد تقاعده سنة 1980 بمعهد الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS المقرب جدا من وكالة الاستخبارات المركزية⁴.

¹ SurceWatch, "Michael Ledeen," *Michael Ledeen* (blog), accessed February 8, 2024, https://www.sourcewatch.org/index.php/Michael_Ledeen.

² SourceWatch, "William Colby," *William Colby* (blog), September 2, 2009, https://www.sourcewatch.org/index.php?title=William_Colby.

³ SourceWatch, "Brian Crozier," November 21, 2015, https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Brian_Crozier.

⁴ Claire Robinson, "Paul Henze," May 1, 2009, https://powerbase.info/index.php/Paul_Henze.

يلاحظ على هذا النموذج أنه تجسيد لعلاقة تعاون عضوية بين الاستخبارات الأمريكية والاعلام الأمريكي. بالتالي، يتم بناء مركز الخبير في هذا النموذج على رساميل مهنية قبل كل شيء، حيث يساهم الرأسمال المهني الذي تم اكتسابه على مستوى وكالة الاستخبارات المركزية أو فروعها في تحويل الموظفين السابقين لها الى خبراء ارهاب.

3-4. نموذج الخبراء الأكاديميين

ويتسم هذا النموذج بمحورية الرأسمال الأكاديمي، حيث تكون صورة الخبير متوافقة بشكل ما مع القيم الأساسية السائدة في الحقل الأكاديمي وهي الحياد والموضوعية. توجد الكثير من الأمثلة عن هذا الصنف، وخصوصا تلك التي يعرضها دليل شמיד ومعاونوه. نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر بعضا منها ؛

- والتر لاكور Walter Laqueur

يعتبر والتر لاكور من الأسماء الثقيلة أيضا في حقل دراسات الارهاب، و على هذا النحو يقدمه هيرمان و اوسوليفان. إنه بنفس مرتبة يونا ألكسندر لأن سمته الرئيسية هي غزارة الانتاج وهو مؤرخ وأستاذ لامع في كبريات الجامعات الأمريكية (جون هوبكينز ، شيغاغو، جورج تاون، هارفارد، برونديايس Brandeis)¹. تشير بعض المصادر الى أنه ولد في فلسطين، و تشير صفحة الويكيبيديا أنه ولد في مدينة قرب فرصوفيا (بولونيا) ثم هاجر هروبا من النازية نحو فلسطين سنة 1938، و يعرف عنه ايديولوجيته الصهيونية أيضا. بدأ مساره المهني في اسرائيل ثم في باريس ثم انتقل الى بريطانيا ثم انتهى به المطاف في الوم. أ.²

في بريطانيا أسس و أدار تحرير الدورية الشهيرة Journal of Contemporary History، و دورية Survey بالتعاون مع جورج موس G Moss، والتي كانت واحدة من الأدوات الفكرية العديدة لوكالة المخابرات المركزية التي كانت تمول من خلال مؤتمر الحرية الثقافية³. لقد عمل مطولا (1969-2000) بمركز التفكير. CSIS كمدير أبحاث وكأحد أهم خبراء الإرهاب به. كما عمل بمراكز تفكير أربعة أخرى بين أمريكا واسرائيل؛ مجلس البحوث الدولية في واشنطن (International Research (Council) والمركز

¹ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 156

² Wikipédia, "Walter Laqueur," in Wikipédia, November 7, 2023, https://fr.wikipedia.org/w/index.php?title=Walter_Laqueur&oldid=209422051.

³ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 157

الدولي لبحوث الارهاب International Center for Terrorism Studies، مركز جافي الاسرائيلي، و المركز اليهودي حول قضايا الأمن القومي في واشنطن¹.

حوصلة مساره العلمي هي أكثر من 51 كتابا فرديا، و أكثر من 20 مؤلف مشترك آخر²، أول كتاب له كان سنة 1956 بعنوان Communism and Nationalism in the Middle East ، وكان آخر كتاب له سنة 2015 بعنوان Putinism: Russia and its Future with the West و توفي سنة 2018³، كما كتب في عدة مواضيع أهمها؛ التاريخ الأوروبي، التاريخ الدبلوماسي، الفاشية، الشيوعية، الحرب الباردة، روسيا، الشرق الأوسط ، اسرائيل، الصهيونية.

و أما عن موضوع الارهاب فقد ألف كتب مرجعية كبرى بالنسبة للباحثين في الغرب هي :

- الارهاب ، 1977،
- حرب العصابات : دراسة تاريخية و نقدية، 1977،
- عصر الارهاب، 1987،
- الارهاب الجديد : التعصب و أسلحة الدمار الشامل، 1999،
- لا نهاية للحرب : الارهاب في القرن الواحد والعشرين، 2003،
- أصوات الارهاب، 2004،

تمتع لاکور برأسمال اجتماعي رفيع جدا، فقد حضي بعلاقات طويلة الأمد مع العديد من الحكومات والمؤسسات التي لها مصالح كبيرة في قضية الإرهاب. سمحت له هذه الارتباطات بأن يكون أكاديميا ذائع الصيت والانتشار في حقول الخبرة، الاعلام والجامعة، ولكن جعلت منه في نفس الوقت حبيسا للخطاب المهيمن hégémonique فقد أعاد انتاج و تطوير جميع مقولات زملائه في شبكة صناعة المعنى و الرأي عن الارهاب، مثل مقولات : الغرب ضحية للإرهاب ؛ وسائل الإعلام هي أفضل صديق للإرهابيين ؛ وأن الاتحاد السوفييتي وأصدقائه هم الرعاية الرئيسيون للإرهاب؛ التي دافع عنها بشكل خاص في كتابه عصر الارهاب (1987).

¹ Ibid.

² Wikipédia, “Walter Laqueur.”

³ Peter Baker, “Review: Walter Laqueur’s ‘Putinism’ Dissects a Canny Russian Leader,” *The New York Times*, July 20, 2015, sec. Books, <https://www.nytimes.com/2015/07/21/books/review-walter-laqueurs-putinism-dissects-a-canny-russian-leader.html>.

حوصلة :

كنتيجة، يُبَيَّنُ الفحص البيوغرافي لِسَيَّرِ الخبراء الرئيسيين حول الارهاب أن الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب تميز منذ ظهوره الأول بديموغرافيته الضعيفة جدا. لقد تميز بهيمنة مجموعة قليلة من الخبراء على أهم الكتابات لمدة تقارب الأربعة عقود، فهُمُ الأكثرُ حضورا على جميع الأصعدة الاعلامية، الأكاديمية والمؤسسية. كما تميز بهيمنة مراكز التفكير على الارهاب كموضوع للبحث، فأهم البرامج البحثية وأهم المؤتمرات و الندوات الدولية الشهيرة عن المشكلة تمت بتنظيم من طرف مراكز تفكير وليس من قبل جامعات. تميز الحقل الأمريكي أيضا بتنوع المسارات و النماذج الموجودة بداخله فهو حقل هجين فعلا، فأعضاؤه ينحدرون من آفاق مهنية عدة (أكاديميون، صحفيون و خبراء مهنيون من أجهزة الأمن و الاستخبارات). يُلاحظ أيضا على الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب انفتاحه الكبير على العالم، فجزء مُهم من الخبراء منحدرون من الدول الأوروبية مثل بريطانيا و ألمانيا، و جزء معتبر أيضا ينحدر من اسرائيل، بينما التمثيل العربي لا يقدم في بداياته الأولى سوى خبير واحد (محمد شريف بسيوني)، وهو من الصنف الأكاديمي الصرف، لأنه لا يمتلك أي ارتباط مع مؤسسات أو أجهزة أخرى، ولا يتمتع بالوصول الى الاعلام¹.

المطلب الثاني : بروز وتطور الحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب

يعتبر حقل خبراء الارهاب حقلا عابرا لأوطان، و يعتبر الحقل الاسرائيلي جزء منه. يتميز هذا الأخير بحركيته السوسولوجية و طبيعته النخبوية و ارتباطاته مع الحكومات و شركات القطاع الخاص الكبرى في الدول الغربية، و بشكل خاص جدا مع الولايات المتحدة الأمريكية. توجد علاقات ارتباط كبيرة من ناحية التمويل و من ناحية التبادل المعرفي و من ناحية النشاط و التعاون البيئي ؛ فالخبراء الاسرائيليون هم جزء من الحقل الأمريكي و الخبراء الأمريكيون يعتبرون كذلك جزءا من الحقل الاسرائيلي. إنهما حقلان متداخلان جدا بفعل حركة النخب ولكن أيضا بسبب الطابع العابر للأوطان لمشكلة الارهاب و بسبب الدعم السياسي و العسكري الغربي لدولة الكيان، و بسبب انفتاح النظام السياسي الأمريكي على اشكال التأثير المختلفة حتى وإن كانت من الخارج.

¹ Herman and O'Sullivan, "The Terrorism Industry". op. cit. p.187.

بناء على هذا، تشكل الحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب حول صنفين من الخبراء ؛ اولئك الذين ينشطون من داخل الحدود الاقليمية للدولة العبرية من جهة و اولئك المساندون لها من الخارج. لا تنحصر مهمة هؤلاء الخبراء في تجريم الارهاب كعنف سياسي و التأكيد على عدم مصداقيته، بل في التأكيد على أن الفلسطينيين والمسلمين هم الجناة و المرتكبون الرئيسيون للإرهاب.

1- الجذور الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي

لم تتشكل نواة هذا الحقل في اسرائيل فحسب بل في الو. م. أ. أيضا بفضل بروز جيل أول من الخبراء مزدوجي الجنسية وهذا مؤشر على تداخل الحقلين و على امتداد الحقلين الأمريكي والاسرائيلي خارج حدود الدولة القومية كما اشرنا إليه آنفا. يمكن فهم خصائص حقل خبراء الارهاب الاسرائيلي من خلال فحص النماذج الأولى لمراكز التفكير التي اختصت منذ البداية في دراسة مشكلة الارهاب و في الدعاية و الترويج لوجهة النظر الاسرائيلية. هذه المراكز من حيث اهميتها تتجسد في معهد جوناتان (JI) Jonathan Institute و مركز جافي للدراسات الاستراتيجية Jaffee Center for Strategic Studies (JCSS).

1.1. معهد جوناتان و الترويج لاستراتيجية الحرب الوقائية ضد الارهاب

تأسس أول مركز اسرائيلي لدراسة الارهاب في اسرائيل، معهد جوناتان Jonathan Institute، سنة 1979 على يد بنيامين نتيناهو، السفير الاسرائيلي بواشنطن آنذاك، الذي سيصبح بعد 17 سنة رئيس وزراء في دولة الكيان¹. توسع هذا المعهد في الخارج ليفتح فرعين له في الو. م. أ. أحدهما في واشنطن بالقرب من مراكز القرار الرسمي و الآخر بنيويورك بالقرب من مراكز المال و الأعمال و الإعلام. قامت استراتيجية التوسع لمركز جوناتان على استهداف صانع القرار الأمريكي قبل كل شيء و الرأي العام الغربي بشكل خاص، ضمن سياق عام اتسم بوجود نزعة مساندة للقضية الفلسطينية (دول الكتلة الشرقية و دول عدم الانحياز مجتمعين). قامت أنشطة هذا المركز في موضوع الارهاب على

¹ أسس بنجامين نتيناهو معهد جوناتان بالقدس سنة 1979 لاقتراح حلول لمكافحة الارهاب و قد سمي المعهد باسم الأخ الأكبر "جوناتان نتيناهو" الذي أكان أحد ضحايا عملية اقتحام الطائرة "الإسرائيلية" في أوغندا سنة 1976. بني هذا المعهد على خلفية ايديولوجية يمينية متطرفة كما روج لها و دافع عنها بنجامين نتيناهو. هذه الشخصية ستصبح أصغر شخصية سياسية اسرائيلية تبلغ منصب رئيس الوزراء سنة 1996، و أكبرها مكونا في ذات المنصب (1996-1999) و (2009-2021) و (2022 - اليوم). أنظر:

Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 198.

محاكاة نموذج راند الأمريكي، ولكنها تميزت بالتركيز الكبير جدا على تنظيم المؤتمرات *Conférences*، على حساب أدوات الاتصال و النشر الأخرى. هذا الأسلوب له مقاصد استراتيجية فهو يستهدف اشراك الصحفيين ايضا فضلا عن الخبراء و الأكاديميين و هو ما معناه البحث عن الدعم الاعلامي¹ قبل كل شيء لمقولة أن منظمة التحرير الفلسطينية OLP هي منظمة ارهابية².

تعتبر استراتيجية معهد جوناتان ذات طبيعة ترويجية، بل ودعائية أيضا و تهيمن عليها الايديولوجيا اليمينية التي تتميز في جانبها السياسي بنزعتها القومية الصهيونية، و في جانبها الاجتماعي بطابعها المحافظ و في الجانب الأمني بمعاداة و كراهية كل ما هو فلسطيني أو مقرب من الفلسطيني على الصعيدين الدالي و الدولي³. لكن، علينا أن نشير الى واقع الخلفية الايديولوجية التي تحكم هذا المعهد، ففي البدايات الأولى للمعهد عرف عن بنيامين نتنياهو أيضا قربه و احتكاكه المفرط بالدوائر اليمينية المتطرفة سواء داخل الحركات الطلابية أو السياسية "الاسرائيلية". هذا العامل يفسر لنا اسباب العداء المفرط لما هو فلسطيني ولماذا بُني مفهوم الارهاب داخل هذا المعهد على محورية تجريم منظمة التحرير الفلسطينية كمنظمة ارهابية⁴.

لا يعرف الكثير عن هوية الخبراء المشاركين الذين بدأ معهم نشاط هذا المعهد، و لكن يمكن قراءة توجهاته و خصائص استراتيجيته من خلال تحليل دقيق للمؤتمرات التي عقدت بإشراف منه. نظم هذا المركز مؤتمرين دوليين رفيعين حول الارهاب ضمن خطة شبيهة بما يقوم به معهد راند؛ الأول سنة 1979 و الآخر سنة 1984. حقق المؤتمر الأول⁵ نجاحا معتبرا قياسا بأهمية الحاضرين و المشاركين فيه؛ من الأسماء الثقيلة الحاضرة يومها رئيس الوزراء الاسرائيلي ميناخيم بيغن Menachim Bigen ومن ناحية الخبراء حضرت واحدة من أثقل الأسماء المرجعية في حقل دراسات الارهاب خلال فترتي السبعينيات و الثمانينيات و هي الأمريكية كلير ستيرلينغ Claire Sterling. أسس هذا المؤتمر الذي

¹ تميز المؤتمر الأول الذي نظم حول الارهاب من طرف هذا المركز بذيعه الاعلامي الكبير فقد حظي بتغطية من طرف أكثر من 400 صحفي، كما يذكره هيرمان و أوسوليفان (المرجع نفسه، ص. 105).

² Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 104.

³ Claire Carrard, "Israël : La Loi de l'extrême Droite," *Courrier International*, February 8, 2023, <https://www.courrierinternational.com/article/a-la-une-de-l-hebdo-israel-la-loi-de-l-extreme-droite>.

⁴ طبعا يتم نهج نفس الأسلوب اليوم ضد منظمة "حماس" في قطاع غزة.

⁵ إذا كان معهد جوناتان معهد يمول من القطاع الخاص فإنه المؤتمر الأول له حول الارهاب تم تمويله من طرف الحكومة الاسرائيلية، بل إن اللجنة المنظمة للمؤتمر - حسب شهادة برايان كروزييه و هو أحد المشاركين البريطانيين فيه - ضمت رئيس الوزراء آنذاك بيناخم بيغن و موشيه دايان

انعقد في اسرائيل لطرحين رئيسيين سيتحولان الى براديجمات عمل استراتيجي بالنسبة للمسؤولين السياسيين في اسرائيل وفي الو.م.أ. على حد سواء ؛

- يتعلق الأول بالربط الذي حصل بين مفهوم الارهاب و المنظمات التي ترتكب هذا النوع من العنف و الرعاية السوفيتية لها، و قد تم بناء هذه العلاقة - الافتراضية و غير السببية طبعا- بغرض نزع الشرعية عن أعمال المقاومة المشروعة للاحتلال من خلال إدراجها ضمن خانة الارتباط بالشيوعية والاتحاد السوفيتي، و التي تفضي في النهاية الى إدانة أخلاقية و سياسية عند الغرب.

- وأما الثاني فيخص البعد الدولي الغربي للمؤتمر و كذلك الحضور القوي للخبراء الأمريكيين فيه. بالرغم من الطبيعة الدولية للمؤتمر، أي خاصية التنوع الدولي المفترضة، إلا أنه مؤتمر غربي يعاني من غياب للرؤى غير الغربية. شارك الخبراء الأمريكيون بقوة مقارنة بالجنسيات الأخرى ؛ فبالإضافة الى كلير ستيرلينغ ساهم كل من الجنرال في الجيش الأمريكي جورج كييغان George Keegan و هنري جاكسون Henry Jackson (سيناتور أمريكي)، ريتشارد بيبس Richard Pipes (مؤرخ و رجل سياسي يميني ينسب اليه تشكيل النهج العدواني الهجومي ضد الاتحاد السوفيتي الذي سلكته ادارة ريغان بشكل خاص)¹، و جورج بوش الابن الذي سيصبح رئيسا للو.م.أ. لاحقا (2000-2008). وشارك من بريطانيا خصوصا برايان كروزييه Brian Crozier (أكاديمي بريطاني مختص في تاريخ الاستراتيجيات و مؤسس معهد دراسات النزاعات اليميني الذي يعمل في كثير من أبحاثه لصالح وكالة الاستخبارات الأمريكية و المخابرات البريطانية) و بول جونسون Paul Johnson و روبرت موس Robert Moos، و خبراء من فرنسا مثل آني كريجل Annie Kriegel² و آخرون من استراليا و المانيا³.

من المهم جدا أن نلاحظ هنا ثلاث ملاحظات : (1) وضوح استراتيجية معهد جوناتان التي تستهدف النخب الغربية في صناعة الرأي و لجلب التأييد؛ (2) وجود ارتباطات قوية بين الخبراء

¹ Lee Edwards, "Remembering Richard Pipes, a Cold Warrior Extraordinaire," The Heritage Foundation, May 18, 2018, <https://www.heritage.org/conservatism/commentary/remembering-richard-pipes-cold-warrior-extraordinaire>.

² وهي صحيفة فرنسية يمينية متطرفة، و أغرب مقولاتها الدعائية عن الارهاب و التي لا تمت للواقع بصلة هي القراءة التي قدمتها حول مجازر صبرا و شتيلا بלבنا حيث "اعتبرتها عمل قام به الاتحاد السوفيتي من أجل تشويه سمعة اسرائيل.

³ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 128.

المشاركين في هذا المؤتمر والأجهزة الأمنية والاستخباراتية الأمريكية و البريطانية؛ (3) يشترك كل الخبراء الذين ذكرت أسماهم هنا في عنصر واحد وهو أن جميعهم من الدعاة البارزين لوجهات النظر والاستراتيجيات المتشددة، والذين يصنفون ضمن فئة المواقف اليمينية و اليمينية المتطرفة.

أما مؤتمر 1984 فقد عرف نجاحا أكبر من ناحية مشاركة المسؤولين السياسيين الأمريكيين والغربيين والاسرائيليين، فقد شارك فيه من الولايات المتحدة كل من السفارة الأمريكية بالأمم المتحدة جين كيركباتريك Jeane Kirkpatrick ، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين. و كما حدث في عام 1979، أظهر هذا المؤتمر محورية مسألة الارهاب في الاهتمام الجديد للسياسة الخارجية الإسرائيلية والأمريكية والأوروبية. أعاد المؤتمر التركيز على أهمية التصور الغربي حول الارهاب و فعالية نموذج مواجهته، مع ميل قوي نحو نسخته المتطرفة كما يلاحظ هيرمان و أوسوليفان. أما خبراء مراكز التفكير المشاركين في المؤتمر و منهم كلير ستيرلينج ، وراي كلاين وجيليان بيكر، فقد انضموا الى الخطاب الرسمي للمؤتمر حيث أكدوا على تحميل الفلسطينيين، و الاتحاد السوفيتي بصفته راعٍ مزعوم لهم المسؤولية عن كل هجوم إرهابي تقريباً¹.

أنتج مؤتمر عام 1984 كتاباً تم تداوله على نطاق واسع وقام بتحريره بنيامين نتنياهو بعنوان الإرهاب : كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟. سمح الترويج الكبير لهذا الكتاب و لمعهد جوناتان ومؤتمراته الدولية، بتشكيل و بناء صورة نتنياهو كصوت دولي رائد في الحرب ضد الإرهاب. من ناحية أخرى، حقق مؤتمر 1984 نتيجة براديغمية أكثر أهمية وهي أنه كرس مبدأ ما يسمى الانتقام الوقائي والذي تحول فيما بعد الى سياسة فعلية بموجبها تستطيع الحكومة الاسرائيلية أن تصفي كل أولئك الذين يتم تصنيفهم على أنهم ارهابيون². يعتبر هذا التاريخ مرجعياً لأنه اخترع ما يسمى بالتصنيفات السياسية التي تصدرها الدول عن المنظمات و الشخصيات الارهابية، كآلية تسمح بتجاوز الأطر القانونية للتعامل مع مشكلة الارهاب و تبني أساليب الحسم العسكرية وفقاً لمبادئ ما يسمى بالانتقام الوقائي أو الحرب الوقائية. أصبح فكرة الوقائية مصدر إلهام لصناع القرار الأمريكيين منذ ذلك الوقت، فقد دافع وزير الخارجية الأمريكي آنذاك جورج شولتز G. Schultz عن هذا المبدأ أمام لجنة

¹ Ibid. p. 37.

² Victor Kattan, "The 'Netanyahu Doctrine': The National Security Strategy of the United States of America, and the Invasion of Iraq," in *Human Rights and America's War on Terror* (Routledge, 2018). P. 132.

دينتون¹، كما تم تبني مبدأ الحرب الوقائية بصورة رسمية من طرف المحافظين الجدد و إدارة بوش الابن الأولى عبر تنفيذ سياسة الحرب الوقائية ضد الارهاب².

1-2. مركز جيبي للدراسات الاستراتيجية (JCSS)

لا يقل هذا المركز أهمية عن مركز جوناتان من ناحية مساهمته في إرساء معالم صناعة الفهم عن الارهاب من وجهة النظر الاسرائيلية. إنه عبارة عن مركز حكومي فهو تابع لجامعة تل أبيب ولكنه يتميز بروابطه المتينة بالجهات الاستخباراتية و وزارة الدفاع. تشكلت شبكة خبرائه و إدارة هذا المركز في السبعينيات من مسؤولين رسميين مثل المدير السابق للاستخبارات الجنرال آهارون ياريف Aharon Yariv، ووزير الدفاع السابق إسحاق رابين Yitzhak Rabin و الخبير الأمريكي الشهير والتر لاکور Walter Laqueur³. بعكس نموذج مركز جيبي (JCSS) حقيقتين ؛ (1) هيمنة الأجهزة الأمنية الاسرائيلية على الخط الخطابي للمركز و (2) الاعتماد على شبكة خبراء نشطة داخل الحقل الأمريكي.

على عكس معهد جوناتان، قامت استراتيجية الاتصال عند مركز JCSS على منهجين اثنين ؛ اسلوب النشر الموسع للكتب و الأعمال البحثية، و أسلوب عقد المؤتمرات. نظم هذا المعهد أول مؤتمر له عن الارهاب سنة 1979 في مدينة تل أبيب. تكمن أهمية هذا المؤتمر في أنه يجسد وجود تحالف خطابي اسرائيلي-امريكي يعبر عن وجهة نظر مشتركة متوافقة مع منظومة مصالح مشتركة للدولتين. يعتبر هذا المؤتمر صورة عن حقل الخبراء الاسرائيلي حول الارهاب، فقد كان أغلب المشاركين فيه من أشهر الخبراء الأمريكيين مثل برايان جينكينز Brian Jenkins و بوير بيل Bowyer Bell و يونا الكسندر Yonah Alexander و روبرت كوبرمان Robert Kuperman ، و من أشهر البريطانيين روبرت موس Robert Moss و بول ويلكينسون Paul Wilkinson، و أشهر الألمان هانس جوزيف هورشم H J Horshem⁴. تميز المؤتمر أيضا بسمه خاصة و هي أن حجم المسؤولين الرسميين المشاركين فيه بلغ رقما قياسيا حيث أن 21 مشاركا من أصل 34 كانوا مسؤولين رسميين في حكومات غربية، و هو ما يمكن تأويله على أنه لقاء بين أشهر خبراء الارهاب الغربيين مع أكبر تجمع للمسؤولين الأمريكيين و الغربيين

¹ Ibid.

² David Horowitz, "Guerre préventive : mener la bataille en territoire ennemi," *Outre-Terre* 5, no. 4 (2003): 41–44, <https://doi.org/10.3917/oute.005.0041>.

³ SourceWatch, "Jaffee Center for Strategic Studies," April 12, 2009, https://www.sourcewatch.org/index.php/Jaffee_Center_for_Strategic_Studies.

⁴ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 107.

في إطار معرفي¹. صدرت أعمال المؤتمر سنة 1985 في كتاب حرره الخبير الأمريكي-الاسرائيلي آرييل ميراري Merari Ariel . كانت مخرجات المؤتمر شبيهة بتلك التي افرزها مؤتمر القدس و تندرج ضمن خطة عامة تهدف أساسا الى كسب التأييد الغربي من أجل سحب الشرعية عن منظمة التحرير و المنظمات الأخرى في العام ذات الارتباط مع الاتحاد السوفييتي، كما يبينه المحتوى العام للمداخلات المنشورة في كتاب آرييل ميراري سنة 1985².

2.- النواة الرئيسية الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي و معالم النموذج الاسرائيلي

من خلال ما تم تقديمه من معطيات، يمكننا أن نلاحظ كيف أن حقل خبراء الارهاب "الاسرائيلي" لم يتشكل بطريقة مستقلة تماما عن الحقل الأمريكي (1)، فهو امتداد لهذا الأخير و يجسد في النهاية وجود حقل مهيم Hégémonique نسميه بالنموذج الغربي-الاسرائيلي المهيمن حول الارهاب(2). يتضمن هذا الأخير منذ أيامه الأولى صنفين من الخبراء ؛ الخبراء الاسرائيليون والخبراء الأمريكيون المدافعون عن إسرائيل.

2.- 1. النواة الصلبة لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي

نشأ الحقل الاسرائيلي لدراسات الارهاب إذن ضمن إطار شبكة علاقات نخبوية بين الخبراء الأمريكيين و الاسرائيليين، و حول نواة صلبة رئيسية تتشكل من صنفين من الخبراء ؛ الخبراء الاسرائيليون و الخبراء الأمريكيون المدافعون عن إسرائيل.

2.- 1. 1. الخبراء الاسرائيليون

بن يامين نتنياهو :

أولى الرساميل التي تتمتع بها هذه الشخصية هو تخرجه من معهد ماساشوست للتكنولوجيا MIT الشهير سنة 1976 بعد انقطاع عن الدراسة بسبب مشاركته في حرب السادس من اكتوبر سنة 1973. أسس معهد جوناثان سنة 1978 المختص في دراسة الارهاب، الذي ترأسه لمدة سنتين (1978-1980)، ولكنه حقق معه نجاحا باهرا خصوصا بفعل تنظيمه لمؤتمرين دوليين ذاتي الصيت سنتي

¹ Ariel Merari, ed., *On Terrorism and Combating Terrorism: Proceedings of an Internat. Seminar, Tel-Aviv, 1979*, JCSS Publications (Frederick, MD: Univ. Publ. of America, 1985).

p. 07.

² Ibid.

1979 (القدس) و 1984 (واشنطن)¹. لماذا يجب أن يوصف بالناجح ؟ لأنه سمح بتمرير وجهة النظر الاسرائيلية عن الارهاب الدولي لدى الادارات الأمريكية المتعاقبة منذ ذلك الحين. لقد اعترف كاتب الدولة الأمريكي للخارجية آنذاك جورج شولتز G Schultz بمساهمات مؤتمر القدس عن الارهاب في تغيير وجهة النظر الغربية عن طرق التعامل مع الارهاب الدولي، و اعتبر أن الفضل في هذا لا يرجع سوى الى شخص نتنياهو². سمحت مقترحات مؤتمر القدس الذي نظمه نتنياهو لإدارة ريغان بإدراج مبدأ الحرب الوقائية في الاستراتيجية التوجيهية للأمن القومي المسماة NSDD-138 أو مذهب شولتز³ Shultz doctrine.

أرييل ميراري Ariel Merari

ويعتبر أهم الخبراء الإسرائيليين منذ السبعينيات، وهو تجسيد لنموذج الخبير-الأكاديمي. خلال الفترة من 1978 إلى 1989 كان باحثاً محورياً في مركز جافي للدراسات الإستراتيجية، حيث أسس وأدار برنامج الإرهاب والصراعات منخفضة الحدة⁴. منذ عام 1989 وحتى تقاعده كان مديراً لوحدة أبحاث العنف السياسي في جامعة تل أبيب. شارك في مؤتمر تل أبيب الدولي الذي نظمه مركز جافي سنة 1979، و كان المحرر الرئيسي للكتاب الذي جمع أهم أوراق المؤتمر (1985)⁵. منذ هذا المؤتمر، كتب بشكل مكثف حول هذا الموضوع، حيث درس الإرهاب وأشكال العنف السياسي الأخرى لأكثر من ثلاثين عامًا وقام بتأليف أو تحرير العديد من الكتب والعديد من المقالات والدراسات والفصول حول هذا الموضوع.

لكن، في اسرائيل من الصعب الفصل بين القطاعين الخاص والحكومي في موضوع الإرهاب، فهما مرتبطان بعلاقة عضوية طبيعية، ويعملان بالتنسيق المشترك حول في مشاريع مشتركة ؛ كان رئيس مركز جافي الذي عمل فيه ميراري لوقت مطول هو مدير سابق للمخابرات الإسرائيلية⁶. استمر نشاطه لصالح الدوائر الحكومية لأكثر من عقدين، فقد أنشأ وحدة مفاوضات الرهائن وإدارة الأزمات

¹ Jewish virtual library., “Benjamin ‘Bibi’ Netanyahu,” accessed February 8, 2024, <https://www.jewishvirtuallibrary.org/benjamin-quot-bibi-quot-netanyahu>.

² Kattan, “The ‘Netanyahu Doctrine.’”

³ Pejman Yousefzadeh, “Combating Terrorism : The Shultz Doctrine,” June 24, 2013, <https://ricochet.com/157632/combating-terrorism-the-shultz-doctrine/>.

⁴ SourceWatch, “Jaffee Center for Strategic Studies.”

⁵ Herman and O’Sullivan, *The “Terrorism” Industry*. p. 125.

⁶ SourceWatch, “Jaffee Center for Strategic Studies.”

في إسرائيل وقادها لأكثر من 20 عامًا، كما تم تعيينه عام 2002 رئيسًا للجنة الاستشارية لمكافحة الإرهاب في مجلس الأمن القومي الإسرائيلي.¹

بالنسبة لجميع هذه المؤسسات و المؤتمرات و لمباري ذاته، لا يوجد سوى ارهاب واحد هو الارهاب الفلسطيني، والرهان الوحيد هو كيفية السيطرة عليه ضمن المسلمات السياسية للدولة الإسرائيلية. لذلك، فإن أعمال هذا الخبير كلها ايدولوجيا، فمثلا : يعتبر ميراري أن الإجراءات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين بأنها ضرورية أو انتقامية، و أنها مبررة لأنها في الغالب تحمل نية الردع من خلال العقاب، وأنه لا يجب اعتبارها إرهاباً على الإطلاق.² كما أنه يقدم المعلومات مغلوطة عن طريق تشويه الوقائع : فهو يعتبر مثلا أن أول حادث اختطاف طائرة ركاب مدنية لأغراض الابتزاز أو التفاوض السياسي كان بمناسبة تحويل اتجاه الطائرة الاسرائيلية نحو الجزائر سنة 1968 من طرف منظمة التحرير الفلسطينية³، و هذا يشكل مغالطة و دعاية ضد الفلسطينيين لأن أول حادث اختطاف طائرة مدنية ارتكبته اسرائيل عند لطائرة ركاب سورية شهر ديسمبر من سنة 1954 للتفاوض حول أسرى اسرائيليين لدى سوريا.⁴ فأفعال العنف الإسرائيلية مبررة وأما أفعال الفلسطينيين فهي إرهاب وفقا للفهم الايديولوجي عند آرييل ميراري.

مردخاي عيبير Mordechai Abir (1927-2014)

وتقدمه المصادر الغربية على أنه من أهم مختصي الدراسات الاسلامية، فقد عمل بروفييسور فخري بالجامعة العبرية في القدس، و كان من أهم الباحثين بمعهد القدس للشؤون العامة.⁵ كانت أولى مساهماته في حقل دراسات الارهاب عن متغير النفط ليس كسلاح سياسي بل كأداة للإرهاب وكانت مشاركته في مؤتمر القدس عن الارهاب 1979 بعنوان العالم العربي، النفط و الارهاب.⁶ استمرت

¹ Wikipédia, "Ariel Merari," in Wikipedia, November 13, 2023,

https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Ariel_Merari&oldid=1184904714.

² Ariel Merari and Shlomi Elad, *The International Dimension Of Palestinian Terrorism*, 1st edition (Westview Press, 1987). p. 07.

³ Ibid.

⁴ Donald Neff, "Israel Was First Nation to Skyjack A Civilian Airliner," WRMEA, November 9, 1994, <https://www.wrmea.org/1994-november-december/israel-was-first-nation-to-skyjack-a-civilian-airliner.html>.

⁵ SourceWatch, "Jerusalem Center for Public Affairs - SourceWatch," May 5, 2010, https://www.sourcewatch.org/index.php/Jerusalem_Center_for_Public_Affairs.

⁶ PowerBase, "Jerusalem Conference on International Terrorism," February 19, 2020, https://powerbase.info/index.php/Jerusalem_Conference_on_International_Terrorism.

استمرت أعماله في الثمانينيات ضمن اطار الدعاية ضد مخاطر سيطرة الدول العربية على النفط و توظيفه كمورد لمواجهة اسرائيل و الغرب، لكنه سرعان ما حول اهتمامه نحو مسائل التطرف و الراديكالية بعد حوادث 09/11 ليتم تقديمه على أنه عالم اسلاميات. عمل مردخاي عيبر لفترة طويلة بمركز التفكير الاسرائيلي المستقل - مركز القدس للشؤون العامة - و هو مركز يضم كبار الباحثين الاسرائيليين ويقدم بحوثا متنوعة حول القضايا التي تهتم اليهود و اسرائيل، ولكنه منذ سنوات 2000 أصبح يركز جهودا أكثر على ما يسميه الهسبة¹ ؛ ضرورة الدعاية لصالح قضية اسرائيل في ظل استمرار العنف الفلسطيني ضدها.

شلومو غازيت Shlomo Ghazit :

وهو من المشاركين الرئيسيين في مؤتمرات الارهاب الثلاثة الكبرى ؛ مؤتمر القدس حول الإرهاب الدولي 1979، ندوة التحليل والتقديرات 1979، ندوة حول مكافحة التجسس 1980. كان شلومو غازيت مديراً للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية أمان من عام 1974 إلى عام 1978. و أما من ناحية انتمائه الى مراكز التفكير فقد بدأ عضوا نشطا في مركز جافي للدراسات الاستراتيجية²، ثم ابتداء من سنة 2006، انتقل الى معهد دراسات الأمن القومي Institute for National Security Studies، بعدما أصبح معهد جافي التابع لجامعة تل أبيب جزءا من هذا الأخير³.

يعتبر مركز INSS مقربا من المؤسسة العسكرية والأمنية" في إسرائيل، ومديره الحالي هو رئيس المخابرات السابق للجيش عاموس يادلين Amos Yadlin. تقوم فلسفة عمل المركز إذن على استثمار هام في الجوانب الاعلامية و الدعائية، فهو يلح على نهج أنه يجب على إسرائيل وضع استراتيجية للتأثير بشكل إيجابي على الرأي العام الدولي والعربي ونشر رسالتها بشكل أكثر فعالية⁴.

¹ وهو مصطلح عبري يعني بالعربية الشرح و التفسير، ويشير اصطلاحا الى جهود الدبلوماسية العامة لصالح اسرائيل عبر الترويج للجوانب الايجابية لإسرائيل في ميدان العلاقات العامة.

² SourceWatch, "Jaffee Center for Strategic Studies."

³ INSS, "Shlomo Gazit," INSS (blog), June 24, 2021, <https://www.inss.org.il/person/gazitshlomo/>.

⁴ INSS, "Amos Yadlin," INSS (blog), June 11, 2022, <https://www.inss.org.il/person/yadlinamos/>.

يجب أن نلاحظ أن الحالة الاسرائيلية نموذجية لأنها توضح حجم هيمنة الاستخبارات على حقل دراسات الارهاب في مراكز التفكير¹، وهذا معناه أن مراكز التفكير هي جزء من استراتيجية دعائية للاستخبارات الاسرائيلية الهدف منها هو تزويد الرأي العام الغربي خصوصاً بالأطر التأويلية اللازمة حول كيفية إدراك الارهاب².

2.1. 2. الخبراء الأمريكيون المساندون لخطاب اسرائيل عن الارهاب

وتضم قائمة الجيل الأول (النواة الصلبة) الذي ساند طروحات "اسرائيل" عددا معتبرا من الخبراء الحاضرين في مؤتمري القدس و تل أبيب سنة 1979 و مؤتمر واشنطن سنة 1984. و من أهم الخبراء نذكر بشكل خاص، يونا ألكسندر Yonah Alexander، راي كلاين Ray Cline و برايان كروزييه Brian Crozier. هذه القائمة ليست شاملة بل تمثيلية فقط ولكنها تعكس تلك العينة من الخبراء التي أسست و بنت التوافق الأمريكي-"الاسرائيلي" عن الارهاب.

يونا ألكسندر Yonah Alexander :

سبقت الإشارة إليه سابقا لأنه واحد من أهم الخبراء المشكلين لنواة الحقل الأمريكي، لكن سنركز هنا على مدى ارتباطه بالدوائر الإسرائيلية غير الرسمية، فقد كان من المشاركين الرئيسيين في مؤتمر معهد جافي عن الارهاب الدولي سنة 1979 في تل أبيب³، كما عمل كأستاذ بجامعة تل أبيب. كما له ارتباطات بالحركة الصهيونية الدولية في الوم. أ.، فقد تم تمويل كتابه الرائج اعلاميا سنة 1986 *Terrorists or Freedom Fighters?*، الذي ألفه بمشاركة Ely Tavin من طرف هذه المنظمة⁴.

راي كلاين Ray Cline :

وهو أهم مساعدي يونا ألكسندر على الاطلاق. كان نائب مدير وكالة المخابرات المركزية للاستخبارات بين سنتي 1962 و 1966⁵، وهذا معناه أن أهم معاوني يونا ألكسندر هو مدير بالنيابة

¹ Gil Eyal, "Dangerous Liaisons between Military Intelligence and Middle Eastern Studies in Israel," *Theory and Society* 31, no. 5 (October 1, 2002): 653–93, <https://doi.org/10.1023/A:1021302211194>. p. 693.

² Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*.

³ SourceWatch, "Jaffee Center for Strategic Studies"; Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*.

⁴ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*.

⁵ PowerBase, "Ray Cline," November 11, 2014, https://powerbase.info/index.php/Ray_Cline.

لوكالة الاستخبارات الأمريكية، وأن الارتباط بين عالمي الخبراء والاستخبارات ذو طبيعة عضوية. من سنة 1953 الى سنة 1957 عمل رئيسا لموظفي الكتلة الصينية و السوفيتية في الوكالة¹، وهذا جعل منه عنصرا أوليا و منطلقا لنظرية الشبكة السوفييتية للإرهاب، أي قبل تجسيدها الصريح في كتاب كلير ستيرلينغ² الشهير (1981) بحوالي عشرين سنة. أصبح فيما بعد مديراً لمكتب الاستخبارات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية (1969-1973)، و ثبت أنه ساعد في تنسيق عملية زعزعة الاستقرار التي قامت بها وكالة المخابرات المركزية في الشيلي والإطاحة في نهاية المطاف بحكومة أليندي سنة 1973³. ثبتت علاقاته مع بعض التنظيمات المناهضة للشيوعية في آسيا، ودعمه لليمين المتطرف في الفلبين، حيث أنه لعب دور منسق لتوصيل الدعم المالي من طرف السفارة الأمريكية الى رابطة مناهضة الشيوعية للشعوب الآسيوية (1954) في طايوان. كما أن علاقات كلاين مع اليمين المتطرف في الولايات المتحدة جديرة بالملاحظة أيضاً، فقد كان رئيساً لمركز دراسات الاستخبارات الوطنية، وهو مركز أبحاث محافظ ومرتبطة بالاستخبارات الأمريكية، وكان نشطاً في الرابطة اليمينية لضباط المخابرات السابقين⁴.

ترك كلاين وكالة المخابرات المركزية في عام 1969 وشغل منصب رئيس تحليل الاستخبارات في وزارة الخارجية، ثم تولى عن العمل الحكومي في عام 1973، وأصبح المدير التنفيذي لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون. في القطاع الخاص، عرف عنه خاصة نشاطه في ميدان تقييم المخاطر بالتنسيق مع يونا ألكسندر أين قدم الكثير من الاستشارات لصالح الشركات المهتمة⁵. شارك في المؤتمرات الدولية الكبرى عن الارهاب مثل مؤتمر القدس حول الإرهاب الدولي 1979، ندوة التحليل والتفديرات 1979، ندوة حول مكافحة التجسس 1980، ندوة حول متطلبات الاستخبارات في التسعينيات سنة 1987. اشتهر عنه أيضاً أنه كان مؤيداً صريحاً لتقنيات التضييل و الدعاية والتلاعب المباشر بالصحافة من قبل وكالة المخابرات المركزية⁶.

¹ Ibid.

² Claire Sterling, *The Terror Network: The Secret War of International Terrorism* (Holt, Rinehart, and Winston, 1981).

³ PowerBase, "Ray Cline."

⁴ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 148.

⁵ PowerBase, "Ray Cline."

⁶ Ibid.

براين كروزيه Brian Crozier :

تقدمه المصادر الغربية على أنه عالم تاريخ و عالم استراتيجيا و صحفي، و هو مؤسس مركز التفكير اللندني معهد دراسة النزاعات سنة 1970¹. لكن، سمعة هذا المعهد هي أنه يميني التوجه وأنه قناة دعائية قبل كل شيء. تشير اثير من المصادر الى أنه معهد أسسته المخابرات الأمريكية و البريطانية ليكون محطة دعائية لوجهات النظر الخاصة بحكومي البلدين في الكثير من النزاعات الدولية والداخلية². أشارت الصحافة البريطانية في السبعينيات الى أن براين كروزيه عميل للاستخبارات البريطانية والأمريكية، وأنه كان قد أدار قناة دعائية سرية للشرطة البريطانية في جنوب افريقيا، وأنه عمل أيضا في العديد من حملات تليخ النقابات العمالية البريطانية ممولة من طرف الشركات الاقتصادية الكبرى³. من الواضح إذن أن جهوده البحثية و استشاراته كانت موجهة في الأساس نحو اجهزة الاستخبارات الأمريكية و البريطانية.

رغم هذه الارتباطات مع الاستخبارات الغربية إلا أن كروزيه ظل يحتفظ بسمعته الجيدة كخبير ارهاب غربي كما تبينه الأعداد الضخمة للاقتباسات الغربية و غير الغربية من أعماله و آرائه. لقد شارك في بناء النموذج الدعائي الغربي عن الارهاب فهو من أهم المشاركين الرئيسيين في مؤتمر القدس 1979⁴. قامت استراتيجية كروزيه الدعائية على استهداف الرأي العام أيضا من خلال الحقل الاعلامي، فهو كاتب لدى Reuters و في صحيفة The Economist الشهيرة و معلق في الـ The National Review، كما استخدم أسلوب الانفتاح على مراكز التفكير المحافظة الصاعدة آنذاك فكان مشاركا في معهد Hoover Institution⁵.

صدر أول مقال له عن الارهاب سنة 1959، فهو إذن من المهتمين الأصليين بالمشكلة قبل أن تصبح موضوعة بحثية في السبعينيات. كان المقال بعنوان تشريح الارهاب واعتبر فيه أن الارهاب هو مرحلة أولى تبدأ بالمقاومة، ثم يتحول الى حرب عصابات ثم يتحول الى حرب شاملة، وهذا اسقاطا على الأمثلة السائدة آنذاك حيث يستشهد بالجزائر و ماليزيا و ايران و فلسطين. كانت هذه النظرة

¹ SourceWatch, "Brian Crozier," December 1, 2015, https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Brian_Crozier.

² SourceWatch, "Brian Crozier," November 21, 2015.

³ "Brian Crozier - Powerbase," accessed February 8, 2024, https://powerbase.info/index.php/Brian_Crozier.

⁴ PowerBase, "Jerusalem Conference on International Terrorism."

⁵ Richard Norton-Taylor, "Brian Crozier Obituary," *The Guardian*, August 9, 2012, sec. Politics, <https://www.theguardian.com/politics/2012/aug/09/brian-crozier>.

للإرهاب أساس تفكير كروزييه فقد اعتمد مقارنة قائمة على تعريف العنف انطلاقاً من هوية الفاعل، وهو بهذا الشكل يقع في فخ الايديولوجيا التي ترى أن العنف الموجه ضد ما هو غربي هو منطلق التوصيف بالإرهاب¹. مثل هذه القراءات هي ما بررت حضوره كمشارك في مؤتمر القدس سنة 1979، وهي قراءة قاعدية بُنيت عليها بشكل رئيسي الرؤية الاسرائيلية عن الارهاب².

2.2. المسلمات الكبرى للنموذج الاسرائيلي في نهاية السبعينيات

لاحظنا في خصائص هذه الفئة الأولى المُشكَّلة من الخبراء الاسرائيليين و الامريكيين المساندين لهم أنها تتميز ؛ (1) باندماجها المطلق داخل الأطر المؤسسية الاستخباراتية لكلتا الدولتين، و (2) تبنيها للأيديولوجية الإسرائيلية اليمينية المتطرفة. تبعاً لهذا، تتحدد المهمة الرئيسية لهؤلاء الخبراء في المساعدة على اقتراح الحلول لمشكلة الارهاب، ومن هذا المنطلق فهم يعتبرون استراتيجيون Stratégistes قبل كل شيء، أي مساهمون في صياغة استراتيجية مواجهة الارهاب و تبريرها³. لقد بنى هؤلاء الاستراتيجيون النموذج الاسرائيلي على ثلاث محاور ثابتة، حافظت على استقرارهما الى غاية اليوم ؛ الأول يتعلق بتعريف الارهاب، الثاني يقوم على اعتبار أن اسرائيل و الغرب هم ضحايا لأعمال العنف و ليسوا أبداً مسببين له [وجود رابطة وحدوية بين اسرائيل و الدول الغربية الأخرى]، الثالث وهو أن مواجهة الارهاب تعتبر شكلاً من أشكال الحرب منخفضة التوتر /Low Intensity /Faible Intensité و التي تستلزم معالجة بأدوات حربية (عسكرة الاستجابة).

أولاً، منذ مؤتمر القدس 1979 تم تعريف الارهاب على أنه القتل المقصود و الآلي للأبرياء أو تهديدهم بغرض ترهيبهم من أجل الوصول الى غايات سياسية⁴. لا يستخدم التعريف الاسرائيلي الذي ذكره مؤتمر 1979 مصطلح العنف بل يستخدم مصطلحات قوية من ناحية آثارها العاطفية

¹ هذا الانتقاد ضد برايان كروزييه من تعليق الدراسة الشهيرة حول الارهاب (اليكس شميدت و آخرون، 1984). أنظر (ص ص. 43-44) من المرجع:

Schmid and Jongman, *Political Terrorism*.

² Danijela Lucić, "The Plurality of Meanings 'Terrorism' - the Theoretical and Practical Importance of Understanding the Phenomena," *Security Dialogues /Безбедносни Дијалози*, January 1, 2015, https://www.academia.edu/81142932/The_Plurality_of_Meanings_Terrorism_the_Theoretical_and_Practical_Importance_of_Understanding_the_phenomena.

³ Pierre Conesa, "Sociologie de la production stratégique," *Revue internationale et stratégique* 82, no. 2 (2011): 87–96, <https://doi.org/10.3917/ris.082.0087>. p. 88.

⁴ Binyamin Netanyahu, ed., *Terrorism: How the West Can Win*, 1st ed (New York: Farrar, Straus, Giroux, 1986). p. 4.

والسيكولوجية و هما مصطلحي القتل **Murder** و التهديد **Threat** . بالرغم من أنه يشير الى أنه وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، إلا أن الربط مع المدركات العاطفية المدمومة أخلاقيا يجعل منه تعريفا يهدف الى رفع الشرعية السياسية عنه.

ثانيا، يقوم النموذج الاسرائيلي على مُسَلِّمة أنَّ الصراع ضد الارهاب هو صراع للغرب واسرائيل ضد الآخر. يتمثل الآخر في صنفين، فالإرهابي ينتمي الى صنفين من الخصوم بالنسبة للغرب؛ الشمولية الشيوعية و الراديكالية الاسلامية فهما الايديولوجيتان اللتان تقفان خلف كل أعمال الارهاب المعاصر. لا يمكن للإرهابي أن يكون مقاتلا من أجل الحرية، فمنظمة التحرير الفلسطينية - مثلا - لا يمكن أن تكون سوى منظمة إرهابية¹. انطلاقا من هذا الاعتبار لا يمكن للغرب ولإسرائيل إلا أن يكونا ضحيتين للإرهاب وليس مسببين له، وهو ما يقتضي - كما يقول آريل ميراري - وجوب أن يكون أساس الصراع ضد الارهاب متجسدا في الوحدة : أي وحدة الغرب ضد ظاهرة الارهاب في حد ذاتها². إذن، و وفقا للمنطق الاسرائيلي الغربي لا يعرف الارهاب فقط من زاوية الضحايا المدنيين فحسب بل من زاوية المصدر (الشيوعية و الراديكالية الاسلامية) و المستهدف (الغرب). فمثلا يصنف ميراري ال ANC (منظمة المؤتمر الافريقي التي أسسها الراحل نيلسون موندولا و التي قادت الكفاح ضد نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا) منظمة إرهابية لأنها تستهدف طرفا غربيا³.

ثالثا، تكون الاستجابة للتهديد الارهابي في الجميع الأحوال رد فعل على اعتداءات الآخر، وعليه فالدولة يجب أن تدافع عن ذاتها باستعمال جميع الوسائل الممكنة بما فيها الاستراتيجيات العسكرية والحرب⁴. يعتبر النموذج الاسرائيلي سَبَاقًا بهذا الخصوص لأنه أدرج مفهوم الحرب أو عسكرة الاستجابة ضد الارهاب قبل غيره من الدول الغربية الأخرى، وذلك تحت مبرر الدفاع المشروع عن النفس. وفقا لهذا الفهم قدم الاستراتيجيون الاسرائيليون اضافتين مبتكرتين آنذاك :

- ضرورة اعتماد استراتيجية حربية" [كبدل للمقاربات القانونية التي تتعامل مع الارهاب كجريمة]، فالدول التي تساعد على ارتكاب اعمال ارهابية ضد الغرب و اسرائيل تعتبر مسؤولة

¹ Ibid. p. 7.

² Merari and Elad, *The International Dimension Of Palestinian Terrorism*. p.177.

³ Ibid.

⁴ Netanyahu, *Terrorism*. p. 13.

عن الارهاب (دولة رعاية للإرهاب) حيث يمكن استخدام القوة ضدها حتى داخل أراضيها تحت مبرر الدفاع المشروع عن النفس.¹

- و مبدأ الحرب الاستباقية / الوقائية Preemptive، فقد تضمنت مختلف الاستراتيجيات الاسرائيلية ضد الارهاب منذ مؤتمر 1979 مبدأ الضربات الوقائية / الاستباقية ضد مصادر الارهاب حتى وإن كانت متواجدة في دول أخرى. من تطبيقات هذا المبدأ الغزو الاسرائيلي للبنان سنة 1982²، الذي تم تبريره باستهداف خلفية النشاط و الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية.³

3- الجيل الجديد من الخبراء الإسرائيليين عن الارهاب

برز حقل خبراء الارهاب في اسرائيل نهاية السبعينيات و كان فعالا جدا من ناحية المكتسبات التي حققها لصالح قضية اسرائيل في صراعها ضد العرب أولا، ثم ضد الفلسطينيين لاحقا، وقد استطاع أن يحقق دعما سياسيا وفكريا في الغرب للرؤية الاسرائيلية للإرهاب ولاستراتيجية مواجهته.

¹ Kattan, "The 'Netanyahu Doctrine.'" p. 7.

² حتم اجتياح جنوب لبنان ومحاصرة غرب مدينة بيروت من طرف قوات الجيش الاحتلال الصهيوني في شهر جوان 1982 بهدف اضعاف مقدرات منظمة التحرير الفلسطينية. ساعد على تنفيذ خيار الاجتياح عاملين مهمين : ضعف التأييد الأمريكي للعمليات التي قامت بها منظمة التحرير منذ نهاية الستينيات، و صعود قوى سياسية بالداخل "الاسرائيلي" تؤمن بضرورة الجسم العسكري ضد منظمة التحرير و التصفية الجسدية لأعضائها. أنظر:

Sheila Ryan, "S," *Journal of Palestine Studies* 11/12 (1982): 23-37,
<https://doi.org/10.2307/2538330>.

³ استلهمت الوم. أ. من هذا الابتكار المذهبي "الاسرائيلي" و كانت هجماتها ضد Grenada سنة 1982 و لبنان 1983 و ليبيا 1986، ثم بعد هجمات ال 09/11، مبررة بمبدأ الدفاع الاستباقي عن النفس. تم اعتماد هذا المبدأ في الاستراتيجيات الأمريكية سنة 1984 خصوصا بفضل شخصية جورج شولز كاتب الدولة للدفاع في ادارة ريغان آنذاك. علينا أن ندقق كثيرا في هذا العنصر لأن مبدأ الحرب الاستباقية تم اعتماده في "اسرائيل" من طرف وزير الدفاع عيزر وايزمان Ezer Weizman سنة 1979. خلال الفترة الممتدة من سنة 1979 الى 1984 لقي انتقال المبدأ الى المنظومة الاستراتيجية الأمريكية بعض المعارضة، و لكن كان جورج شولز أحرص المسؤولين الأمريكيين على اعتماده. ساهم تطبيق هذا المبدأ من طرف "الاسرائيليين" في لبنان 1982 على اقناع الكثير من المسؤولين الأمريكيين بضرورة الانتقال نحو استراتيجية أكثر طموحا في مواجهة الارهاب، فقد كتب روستو Rostow قائلا "يجب على الاستراتيجية الأمريكية أن تكون فعالة أكثر من خلال النهج الاستباقي / الوقائي، كما فعلت اسرائيل" ضد منظمة التحرير عبر غزوها للبنان". أصبح النموذج الاسرائيلي "يستشهد به واستراتيجية يقتدى بها. مع وجود مقاومة أمريكية داخلية لمثل هذا الخطاب المستورد من "اسرائيل" أقنع شولز صديقه نتنياهو (زملاء وأصدقاء دراسة في معهد ماساشوسيت للتكنولوجيا) بضرورة بذل جهود أكبر للتأثير في رأي الطبقة السياسية الأمريكية، وهذا ما يفسر لنا لماذا انعقد المؤتمر الثاني لمعهد جوناتان سنة 1984 بواشنطن (فضاء النفوذ السياسي) وليس بالقدس كما حصل مع نسخته الأولى. كان لهذا المخطط نجاح باهر لأنه ساعد كثيرا مناصري القانون التوجيهي لاستراتيجية الأمن الأمريكية NSDD-138 الصادر في 03 أبريل 1984، على كسب مزيد من الدعم السياسي والفكري لأرائهم. أنظر:

Kattan, "The 'Netanyahu Doctrine.'" pp. 7-8

تميز هذا الجيل الأول بهيمنتها الكبيرة جدا على حقل النقاش المعرفي و النقاش السياسي في اسرائيل و خارجها، فمن هؤلاء من لا يزال نشطا الى اليوم ونخص بالذكر هنا رئيس الوزراء الاسرائيلي الحالي بن يامين نتنياهو، كرئيس عن حزب الليكود اليميني المتطرف. أما من تقاعد منهم فقد امتدت فترة نشاطهم الى غاية سنوات 2010 تقريبا، و قد ترك تراثا معتبرا من المؤلفات التي ستكون خلفية فكرية للخبراء الجيل الجديد.

ظهر الجيل الجديد منتصف التسعينيات تقريبا، أي بعد اتفاقات اسلو 1993، ليكرس نفس المقاربات في مواجهة تنظيمات أخرى جديدة بعد التوحيد التدريجي لمنظمة التحرير. يعتبر الجيل الجديد استمرارا لنفس الحركات التي ميزت الجيل الأول؛ سيطرة الأجهزة الأمنية و الاستخباراتية على مراكز التفكير، التنسيق بين مراكز التفكير الاسرائيلية و الخبراء الأمريكيين لتشكيل الرؤية المشتركة والترويج لها، الطبيعة الهجينة للتركيبة السوسولوجية للحقل، و أخيرا المحدودية الديموغرافية لأعضاء الحقل حيث يهيمن عليه عدد قليل من الخبراء. إنه بعبارة أخرى استمرار لاستراتيجية معهد جوناثان ولكن في صيغة جديدة.¹

يتشكل الحقل الاسرائيلي الحالي لخبراء الارهاب من نواة أساسية ايضا تحتلها مجموعة اسرائيلية و أخرى أمريكية مساندة للطروحات الاسرائيلية. تضم نواة الفئة الاسرائيلية خبراء مثل الخبرة آنات بيركو Anat Berko و الخبير بوغز غانور Boaz Ganor و آري بيرليجر Arie Perliger ، و عامي بيداهزور Ami Pedahzur . و تضم نواة الخبراء الأمريكيين المدعمين لاسرائيل بشكل خاص أسماء مثل بروس هوفمان Bruce Hoffman و دانييل بيمان Daniel Byman و ستيفن ايمرسون Steven Emerson. يوضح التحليل البيوغرافي لهؤلاء كل الملاحظات التي أشرنا اليها سابقا و هي أنهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بالاستخبارات كما توضحه حالتي ستيفن ايمرسون² و آنات بيركو¹ بشكل

¹ Elham Kadkhodae, "Israel Advocacy in the Academic Field: The Case of Terrorism Studies," *World Sociopolitical Studies* 3, no. 2 (April 2019), <https://doi.org/10.22059/wsps.2020.286488.1111>.

² و هو صحفي و ليس أكاديمي و لا خبير أمني و لا عسكري و لكن تربطه صلات مكشوفة مع الاستخبارات الاسرائيلية، كما كشفت الاسوشيتيد برس سنة 1999 عن هذه الشخصية حيث ذكرت أن ضابطا رفيعا من الاستخبارات الاسرائيلية أقام عنده لعدة فترات خلال سنة 1999 لدعم اللوبي الاسرائيلي في تحضيراته لعقد مؤتمر في واشنطن لمناهضة السلام مع الفلسطينيين. عرف عنه دعايته ضد الاسلام و أهم أعماله الفلم الوثائقي على فوكس نيوز بعنوان الجهاد في أمريكا. هذا ما سبب تعليق ساغ Sugg عن أفكاره عندما يصف الأمر بالحروب الصليبية لستيفن ايمرسون. انظر:

John F. Sugg, "Steven Emerson's Crusade" (Associated Press, February 1999), <http://www.fair.org/index.php?page=1443>.

خاص، أو خبراء محوريون في شبكات التنسيق الاسرائيلية-الأمريكية على غرار بواز غانور² و دانييل بيمان³.

تظهر هذه الأمثلة الطابع العابر للأوطان و المتداخل للحقلين الاسرائيلي و الأمريكي. يفهم هذا التدخل بأنه ترجمة لاستراتيجية قائمة على توجيه الخبرة حول الارهاب نحو صناعة الرأي و التأثير فيه، فهي قبل كل شيء جزء من الجهود التي تقوم بها اسرائيل من أجل تعبئة الرأي العام الامريكي خصوصا و الغربي عامة ضد العنف الذي يمارسه الفلسطينيون. من خلال أطر الشراكة بين مراكز التفكير في الدولتين (تنظيم المؤتمرات، النشر، الاقتباس المتبادل و الاسترجاع من طرف وسائل الاعلام)، أفرزت هذه العلاقة البينية نظاما خطابيا عن الارهاب في الوم أ، في اسرائيل و الدول الغربية الأخرى. من مظاهر هذا النسق الخطابي الهيمنة المستمرة للنواة الأساسية (العدد القليل جدا من الخبراء) على الخرائط التأويلية الأساسية. لقد استطاعت هذه الفئة القليلة أن تكتسب وضعية احتكارية لأنها تمكنت من التحكم الحصري في قنوات الدخول الى المؤتمرات الدولية الكبرى الممولة من طرف الوكالات الحكومية الأمريكية و الاسرائيلية على حد سواء، و قنوات الانتشار و التوسع (مراكز التفكير)، و بالتالي أن تكرر و تعيد انتاج الخط الرسمي الذي تعتبره اجهزة الاستخبارات و الدفاع و الأمن الأنسب. لم تمتلك الطروحات البديلة و لا المناهضة نفس الفرصة للدخول الى هذا

¹ عملت بيركو في الجيش الاسرائيلي لمدة 25 سنة، و هذا معنى قولنا بوجود ارتباطات عضوية مع الأجهزة الأمنية، ولكنها أيضا أكاديمية فهي حاملة لشهادة الدكتوراه في علم الاجرام Criminology و أستاذة زائرة بعدد من الجامعات الأمريكية. ونائبة سابقة بالكنيسيت. و خبرة في مركز Institute for Counter-Terrorism بمعهد هرزلية Herzliya المتعدد الاختصاصات. أنظر: Elham Kadkhodae, "Israel Advocacy in the Academic Field" op. cit. p. 416.

² بواز غانور هو رئيس سابق للمركز الدولي لمكافحة الارهاب International Institute for Counter-Terrorism (1996) بمعهد هرزلية، وهو - حسب الكاتب ماتيورنغل في موسوعة Powerbase - مقرب جدا من مراكز الأوساط العسكرية و الأمنية "الاسرائيلية"، فضلا عن ارتباطه التعاوني الوثيق بمعهد راند الأمريكي، و هذا مثال عن شبكة راند الدولية و بروفایل ناقل للأفكار و للخطاب (الأمريكي) المهيمن عن مشكلة الارهاب. أنظر:

Matthew Pringle, "Boaz Ganor," November 13, 2012,
https://powerbase.info/index.php/Boaz_Ganor.

³ و هو خبير بأحد الفروع التابعة لمركز بروكينز الشهير. عمل كعضو في لجنة 9/11؛ و كان عضوا في التحقيق المشترك في أحداث 11 سبتمبر، و عضوا في لجنتي المخابرات بمجلسي النواب والشيوخ (2001-2002)؛ كمل شغل منصب محلل للسياسات ومدير الأبحاث في مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط، التابع لمؤسسة راند (1997-2002)؛ و منصب محلل سياسي في حكومة الولايات المتحدة (1990-1993). أنظر صفحة بيمان في موسوعة Powerbase:

Tom Mills, "Daniel Byman," November 13, 2012,
https://powerbase.info/index.php/Daniel_Byman.

الحيز الممأس بقواعده و شروطه ولا من بناء فضاء منافس خاص بها. يحتاج التحالف الامريكي- الاسرائيلي الى الخبرة حول الارهاب كبناء خطابي لشرعنة ممارساته أمام الرأي العام ولكن أيضا كأداة للتغطية على الجرائم والانتهاكات للقانون الدولي.

المبحث الثالث : حقل خبراء الإرهاب العرب في الشرق الأوسط

للتعرف على خصائص الحقل العربي لخبراء الارهاب في الشرق الأوسط من الضروري العودة الى فهم مشكلة الارهاب داخل سياق الدولة العربية (1)، كما أنه ضروري أيضا فهم مسار نشأة الحقل العربي لخبراء الارهاب و سماته الرئيسية و ذلك بسبب وجود هذه الخصائص في الحركات الأولى التي شكلته (2). حاليا، و بالرغم من أن الدولة العربية تعاني كثيرا من توطين مشكلة الارهاب بأقاليمها إلا أن حقل خبراء الارهاب العرب لا يزال يتميز بضعفه قياسا بمختلف المؤشرات الامبريقية في هذا الميدان البحثي ومقارنة باسرائيل و الولايات المتحدة (3).

المطلب الأول : ظهور الخطاب الرسمي العربي حول الارهاب

بعد نهاية الحرب الباردة، انتقل النشاط الإرهابي من دول أمريكا اللاتينية إلى منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا، أي الى العالم العربي-الاسلامي، تحت تأثير تراجع الايديولوجيات الشيوعية واندثار حركات التحرر و نهاية الدعم السوفييتي للتنظيمات الإرهابية والثورية. لقد صاحب هذا التحول انتقال للأجندة السياسية الأمريكية نحو الفضاء العربي والإسلامي¹، و أصبح معها الفضاء الجيو استراتيجي العربي - الاسلامي أكثر تعرضا لمشكلة الإرهاب في العالم، خصوصا و أن نهاية الحرب الباردة تزامنت مع صعود الطروحات الثقافية في حقل العلاقات الدولية (صراع الحضارات عند هنتغتون خصوصا)، أي مع السرديات التي تختزل مشكلات الشرق الأوسط ككل في الاسلام والاسلاموية Islamism. لقد عرفت فترة التسعينيات مجيء مجموعة من التطورات الهامة، و لعل أهمها هو انتقال هوية الفاعل الارهابي عند التحالف الخطابي الأمريكي-الاسرائيلي من منظمة التحرير الفلسطينية المدعومة من الاتحاد السوفييتي الى الارهاب الاسلامي.

1- ملامح السياق الشرق أوسطي و بروز مشكلة الارهاب في الدولة العربية

تأثر هذا السياق بثلاث ديناميكيات كبرى؛ حركية الصراع الفلسطيني – الاسرائيلي، نمو الأدوار السياسية للحركات الاسلامية، و هجمات ال 09/11.

¹ Wukki Kim and Todd Sandler, “Middle East and North Africa: Terrorism and Conflicts,” *Global Policy* 11, no. 4 (2020): 424–38, <https://doi.org/10.1111/1758-5899.12829>. p.425

على مستوى ديناميكية الصراع الفلسطيني -الاسرائيلي فقد تميزت بتغيرات أساسية ؛ لقد انتقلت استراتيجية حركة فتح من خيار المقاومة المسلحة الى خيار السلام مع الطرف الاسرائيلي حيث يعتبر اتفاق أوسلو 1993 استكمالاً لمسار التحول. أفرز هذا الأخير تحول منظمة التحرير من منظمة ارهابية الى ممثل شرعي للشعب الفلسطيني ؛ السلطة الفلسطينية، و هذا معناه نهاية المقاربة العسكرية الاسرائيلية ضد منظمة التحرير عبر الادماج في مسار التسيير الاداري و السياسي للضفة الغربية و غزة. لكن، اتسم وضع ما بعد اوسلو بنتيجتين ؛ الأولى هي صعود حركة حماس كطرف يرفض مسار أوسلو، و يتبنى خيار المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الاسرائيلي¹، و نتائج هذا الرفض هي اندلاع الانتفاضة الثانية سنة 2000 ، ثم فوز حماس بانتخابات سنة 2006 في غزة؛ الثانية و هي مهمة للغاية وتتعلق بوصول اليمين المتطرف الاسرائيلي الى الحكم مع حكومة بن يامين ننتياهو الأولى (1996-1999) و ما أعقبها من راديكالية في التعامل مع مطالب الفلسطينيين (شعارها لن ينال الفلسطينيون شيئاً عن طريق العنف، و أدواتها عسكرة الاستجابة لها)، و هي المقاربة التي تميز السلوك الاسرائيلي الى اليوم².

على مستوى ديناميكية الحركات الاسلامية في الدول العربية، فقد نما الدور السياسي لها بشكل غيّر ملامح المشهد السياسي و الجيو- استراتيجي الشرق أوسطي بشكل محسوس. في الواقع، يعبر صعود الإسلام السياسي عن ديناميكيات للسياسة الداخلية (مصر مع الجماعة الاسلامية، الجزائر مع الجبهة الاسلامية للإنقاذ، لبنان مع حزب الله، فلسطين مع حركة حماس...الخ)، و عن ديناميكيات دولية و اقليمية (انعكاسات الثورة الايرانية 1979 و الانسحاب السوفييتي من افغانستان). ستتحول قريباً الاستخدامات الأمريكية لحركات الجهاد الاسلامي [جسدها الدعم الأمريكي و العربي للمجاهدين الأفغان كأساس للاستراتيجية الأمريكية - وهي بالتحديد تطبيق لرؤى هنري كيسنجر - في استنزاف الاتحاد السوفييتي]، ليتم توجيهها ضد الدولة العربية نفسها.

¹ كما يشير اليه ميثاق الحركة لسنة 1988 و الذي يستند اليه الغرب في بناء حججه على أن حماس تنظيم "ارهابي" لأنه لا ينفي وجود "اسرائيل". في الحقيقة تم تعديل الميثاق الأول سنة 2017 حيث وضع هذا الأخير الأسس الثلاثة الكبرى للحركة " (1) اهدف هو تحرير فلسطين و مواجهة المشروع الصهيوني - إذن شرعية ثورية و تحررية - (2) رفض اتفاق أوسلو و (3) تبني المقاومة المسلحة كخيار استراتيجي لتحقيق الهدف أعلاه.

² Le courrier International, "Israël : La Loi de l'extrême Droite," accessed February 9, 2023, <https://www.courrierinternational.com/article/a-la-une-de-l-hebdo-israel-la-loi-de-l-extreme-droite>.

أما الطارئ الأهم على الإطلاق فهو حوادث 11 سبتمبر 2001 وما أعقبها من نتائج ؛ سياسة الحرب الشاملة على الارهاب GWOT التي أطلقتها الوم أ؛ غزو العراق و أفغانستان بمبرر محاربة الارهاب و تنظيم القاعدة ؛ و عولمة الظاهرة (أوروبا، أمريكا الشمالية، الشرق الأوسط و شمال افريقيا، و الساحل الافريقي). ساهمت تبعات حوادث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وخصوصا الحرب الأمريكية على العراق في تغذية النشاط الارهابي، كما ساهمت أجندات تغيير النظام من خلال ما سمي بالربيع العربي في تثبيت مشكلة الارهاب أكثر فأكثر في كثير من الدول العربية (تونس، ليبيا، العراق، سوريا).

2.- الخطاب الرسمي للدولة العربية الشرق أوسطية حول الارهاب

لقد رأينا أن السياق الدولي حول الارهاب تميز بهيمنة القوالب الادراكية الأمريكية- الإسرائيلية دوليا و بروجها داخل الفضاء العربي أيضا، و ذلك بسبب استمرار وجود التهديد الارهابي الاسلامي بها. سيتم استرجاع السرديات les narratifs و المقولات les énoncés الأمريكية و الاسرائيلية الكبرى من طرف الخطاب الرسمي العربي ولكن أيضا من طرف الخطاب العربي الخبير. تمثل الحالة الفلسطينية استثناء نسبيا هنا نظرا لهيمنة الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني على كافة قوالب الادراك حول موضوع الارهاب.

بالتالي، لا تُعتبر الدول العربية حالة متجانسة على صعيد تطور مشكلة الارهاب بداخلها و هو ما يستدعي تعريف للديناميكيات الداخلية التي تؤثر فيها. منهجيا، يجب الاعتماد على منهج دراسة الحالة، لمعرفة خصائص النموذج العام. هناك ثلاث نماذج عربية في اعتقادنا ؛ نموذج للدول التي عرفت نشاطا ارهابيا كبيرا أفرز وضع الحرب الأهلية (الجزائر، سوريا، العراق، مصر) و وضع تفكك الدولة (اليمن، ليبيا)، نموذجا للدول التي ظلت آمنة و لكن مع وجد التهديد و هي ممثلة في الدول الخليجية، ونموذج ثالث استثنائي و هو الذي يعاني من إرهاب الدولة بسبب وضع الاحتلال الاسرائيلي.

وفقا لهذه النماذج الثلاثة سنأخذ ثلاث حالات للتحليل: مصر وفلسطين و النموذج الخليجي. إن اختيارنا للحالة المصرية يبرر بوجود نشاط ارهابي معتبر و سياسات مواجهة جد معسكرة و هو ما يعكس وجود نموذج تشترك في خصائصه كثير من الدول العربية مثل العراق و اليمن و سوريا و الجزائر من ناحية المغرب العربي. و أما اختيارنا لفلسطين فيبرر بوجود ديناميكية أخرى يتحكم فيها الصراع الفلسطيني الاسرائيلي و التي تعكس وجود ارهاب دولة لتحقيق مشروع الاحتلال. و أما اختيارنا

للدول الخليجية كنموذج عربي ثالث يتميز بخصائص ضعف النشاط الارهابي و صرامة و فعالية سياسيات الاستجابة له.

تكمن الأهمية التفسيرية لدراسة الحالات الثلاث في قدرتها على تحديد خصائص الخبرة العربية حول الارهاب انطلاقا من الخطاب الرسمي حول نفس المشكلة، خصوصا و أنها تسمح بالتعرف على العلاقة الموجودة بين الحقل السياسي و حقل الخبراء حول الارهاب.

يُمْكِنُ اجراء تشخيص للحالات العربية المصرية و الفلسطينية و الخليجية من خلال تقييم مستويين اثنين ؛ الأول و هو مستوى هوية الفاعل الذي يتم اطلاق توصيف الارهاب ضده، و يتضمن ايضا طبيعة مقاربات حلحلة المشكلة؛ الثاني و يتعلق باستعمالات الخطاب حول الارهاب من طرف الدولة.

2.1. التوصيف بالإرهاب و مقاربات الحلحلة

الفعل الارهابي هو فعل سياسي مهما كانت مبرراته الأخرى (الايدولوجية و الدينية) فهو تعبير عن علاقة التضارب الموجودة في لحظة معينة بين النخبة المهيمنة Elite dominante والنخبة المناهضة Contre-Elite. عندما يحصل الفعل الارهابي فهذا تعبير عن انتقال الصراع من ديناميكية الانشقاق السياسي و الايدولوجي الى ديناميكية التمرد insurrection. إن هذا الانتقال تحدده ظروف جيوسياسية دولية أو ظروف سياسية داخلية، ويفرز في النهاية علاقة صريحة مطابقة لنموذج كارل شميت Carl Schmitt صديق / عدو. عندما يتم بلوغ هذا المستوى من الصراع فإن العلاقة تتحول بالضرورة من صراع سلمي الى حالة الحرب، و هو انتقال يعبر في نفس الوقت عن وجود صياغة جيو-استراتيجية لإدارة الصراع أو الحرب. في حالة الحرب الأهلية التي سببها الارهاب، تقوم النخبة المهيمنة بتعبئة موارد متعددة (بشرية، قانونية، مالية، دبلوماسية...) لخوض معركتها ضد الارهاب و ذلك حسب تأويلها و إدراكها لحجم المشكلة، فقد تكون باتباع سياسية مكافحة ارهاب Contre - terrorism أو سياسة محاربة الارهاب Antiterrorisme أو حالة مواجهة تمرد Contre insurrection¹ بما يتضمنه هذا من احتمالية السقوط في حرب شاملة، أو الوقوع في ارهاب الدولة.

¹ يكمن الفرق بين مواجهة أو مكافحة الارهاب و محاربة الارهاب في أن الأول يتعلق بالإجراءات المتبعة في المكافحة انطلاقا من المصدر En amant مثل (جمع المعلومات الاستخباراتية، سياسات المساعدة التنموية، عمليات سرية، و الترتيبات القانونية ضد

ضمن هذا الإطار النظري تقع نماذج الدول العربية التي اعترضها الارهاب (مصر ، الجزائر ، العراق ، سوريا...)، حيث أن جلها عرف وضعية الحرب الأهلية. هذه الأخيرة تعتبر تجسيدا للمسار الموضح سابقا ولكنها بداية لمسار آخر ؛ مسار انتقال الارهاب من كونه تقنية حربية الى هوية للعدو. تمثل الحالة الفلسطينية استثناء هنا لأن الصراع ذو طبيعة دولية و يتعلق بوجود احتلال أجنبي للأراضي الفلسطينية، فالفلسطينيون يعانون من إرهاب دولة اسرائيل بشكله المباشر (الذي يمارسه الجيش الرسمي) و غير المباشر (الذي تمارسه تنظيمات و جماعات يهودية منسوبة الى الكولون ومدعومة من الدولة الصهيونية).

2.1.1. الحالة المصرية :

فيما يتعلق بالحالة المصرية، فالإرهاب يتمثل حسب الخطاب الرسمي للدولة في تنظيمات اسلامية منذ ظهوره في ثمانينيات القرن الماضي. يمكن التمييز بين ثلاث موجات من الارهاب ؛ موجة أولى يمثلها تنظيم الجماعة الاسلامية خلال فترة حكم الرئيس الراحل حسني مبارك ؛ موجة ثانية ومثلها تنظيم التوحيد و الجهاد ضد رموز الغرب في مصر و قد ميزت العشرية الأولى من القرن الحالي، ثم تلتها موجة ثالثة وهي فترة ما بعد الانقلاب العسكري ضد مرسي 2013.

تعود بداية الظاهرة الى فترة الثمانينيات التي أعقبت حدثين هامين هما اتفاق كامب ديفيد بين مصر و "اسرائيل" عام 1978 و اغتيال السادات سنة 1981، و كانت فترة 1992-1998 هي الفترة التي عرفت ذروة العنف الارهابي و العنف المضاد، حيث بلغ عدد الضحايا أكثر من 1500 قتيل (مدنيين، إرهابيين و عسكريين)¹. من الناحية التكتيكية، تميزت هذه العمليات بتركيزها على أربعة أنواع من الأهداف: (1) الشخصيات العامة و المسؤولين الاداريون السامون في أجهزة الدولة ؛ (2) القيادات و الضباط السامون في الأجهزة الأمنية؛ (3) السياح الأجانب ؛ و (4) الأقلية القبطية أو رموزها². تم تبرير الارهاب من طرف الجماعة الاسلامية بظروف القمع السياسي و العنف الذي يمارسها النظام السياسي

الارهاب). أما مصطلح محاربة الارهاب antiterrorisme فيشير الى الادوات الميدانية المستخدمة ، أي الى الأدوات التي تستدعيها الأجهزة الأمنية و القضاء لمكافحة الارهاب مثل التحقيقات، المراقبة، التدخل.. الخ. أنظر:

Alain Bauer and Jean-Louis Bruguière, "Chapitre V. Réponses publiques," vol. 2e éd., Que sais-je ? (Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2016), 107-12, <https://www.cairn.info/les-100-mots-du-terrorisme--9782130787259-p-107.htm>.

¹ Tal Nachman, "Islamic Terroeism in Egypt Challenge and Response," *Strategic Assessment* 1, no. 1 (April 1998): 1-4.

² Ibid.

ضد المصريين ككل سواء كانوا من الفئات المتوسطة و العليا أو من الفقراء في ضواحي القاهرة¹. تعكس علاقة الصراع بين الحكومة المصرية و الجماعة الاسلامية النموذج الذي ذكرناه أعلاه بشكل لافت، فهي تعبير عن محاولة لقولبة علاقة القوة من طرف النخب المناهضة للنخب المهيمنة، مثلما تبينه حالة حصار حي امبابه Imbaba الشعبي في القاهرة. في نهاية الثمانينيات أعلنت الجماعة الاسلامية عن تأسيس جمهورية اسلامية في الحي الفقير امبابه ، و هي واقعة تؤكد حقا حالة غياب الدولة أو ما يمكن تسميته بالدولة المتخلفة Neglectful State، بينما تُعبر عن جانب الإخوان المسلمين عن استراتيجية انشاقية و سلوك للتمرد على الدولة المتخلفة². تمثلت استجابة الحكومة المصرية في ارسال ما يقارب 18 ألف جندي لتحرير الحي من الجمهورية الاسلامية الناشئة، حيث تمت مواجهة راديكالية الجماعة الاسلامية وفقا لاستراتيجية حربية³. لم تتردد السلطات المصرية في قتل زعماء وقيادي الجماعة الاسلامية بشكل علني أمام الملاء (مثل اغتيال علاء محي الدين المتحدث الرسمي باسم الجماعة سنة 1990)، في اعتقال الآلاف بشكل عشوائي من المشتبه في علاقتهم بالجماعة و سجنهم من دون محاكمات، في تعذيبهم بشكل روتيني على نطاق واسع، و في استعمال أسلوب حجز الرهائن خصوصا ضد زوجات المناضلين و القياديين في الجماعة و أفراد من عائلاتهم مقابل تسليم هؤلاء لأنفسهم⁴.

و أما الموجة الثانية فتخص النشاط الارهابي لجماعة التوحيد و الجهاد⁵ خلال سنوات 2000، حيث كان تنظيما على درجة عالية من الخطورة في منطقة سيناء. تعتبر هذه الجماعة مسؤولة عن

¹ Katerina Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies: Establishing Links via a Critical Approach," in *Critical Terrorism Studies* (Routledge, 2009), 138–51, <https://www.taylorfrancis.com/chapters/edit/10.4324/9780203880227-16/middle-east-area-studies-terrorism-studies-establishing-links-via-critical-approach-katerina-dalacoura>.

² Wj Dorman, "The Politics of Neglect: The Egyptian State in Cairo, 1974-98" (PhD Thesis, School Of Oriental and African Studies, University of London, 2007).

³ Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies."

⁴ Ahmed M. Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt: Permanent Exceptions in the War on Terror*, Routledge Critical Terrorism Studies (London New York: Routledge, 2022). p. 56.

⁵ و هو تنظيم ينشط في منطقة سيناء بشكل خاص، تأسس سنة 1997 من طرف صديقين من منطقة العريش هما خالد مسعد و نصر خميس الملاخي ، و بلغ تعداد أعضائه في أحسن أحواله حوالي 300 فرد حسب شهادات معتقلين. ليس لهذا التنظيم ارتباطات صريحة بالقاعدة ولا بتنظيمات أخرى ذات الطبيعة العابرة للأوطان، فهو تنظيم اقليمي دولي لأن نشاطه بين غزة و سيناء لشن هجمات ضد "اسرائيل" و مصر. أنظر:

"Tawhid Wal-Jihad," accessed December 3, 2023, <https://timep.org/2014/07/22/tawhid-wal-jihad/>.

مقتل أكثر من مائة سائح في هجمات في أعوام 2004 و 2005 و 2006 ، التي وقعت في منتجعات طابا و شرم الشيخ وذهب على التوالي¹. عُرفَ عن التوحيد و الجهاد تطرفه الشديد. رغم أن هذا التنظيم ينشط في سيناء -و هي خلفية لاستهداف اسرائيل أيضا - إلا أنه لا يلاحظ تسجيل هجمات ضد الكيان الصهيوني بل كان نشاطه موجها ضد السياح بشكل خاص جدا في الأقاليم المصرية. تركز طريقة تنفيذ العمليات على التفجيرات الانتحارية و المركبات المفخخة في المناطق الأهلة بالسياح، كما استخدم أسلوب الاختطاف مثلما تؤكد حالة الناشط الايطالي Vittorio Arrigoni².

وأما الموجة الثالثة، فأعقبت الانقلاب العسكري ضد الرئيس المنتخب ديموقراطيا محمد مرسي سنة 2013. عرف النشاط الارهابي مستويات عالية خلال الفترة الممتدة من شهر جوان 2013 الى شهر جانفي 2015، فقد انتقل المعدل من حوالي 30 هجمة شهريا سنتي 2013 و 2014 إلى حوالي مائة هجمة شهريا خلال سنة 2015³. كان من أهم التنظيمات المسؤولة عن هذه الهجمات الارهابية تنظيم أنصار بيت المقدس الذي نشط في شبه جزيرة سيناء. خلال الفترة 2011 - 2013 وكانت عمليات التنظيم تستهدف بشكل خاص اسرائيل، ولكن أيضا ضد أنبوب الغاز مع الأردن⁴. اعتبارا من الانقلاب العسكري ضد الرئيس مرسي تحولت عمليات التنظيم لتستهدف هذه المرة القوات المصرية وأجهزتها الأمنية، و في سنة 2014 أعلن هذا التنظيم ولاءه لتنظيم الدولة الاسلامية⁵. لم تنحصر رقعة العمليات في سيناء فقط بل شملت مناطق أخرى من مصر مثل القاهرة و محافظة الشرقية. لقد أخذ النشاط الارهابي في سيناء شكل التمرد أيضا و هو اتجاه تصعيدي يدل على راديكالية العنف حيث استطاع التنظيم أن يسيطر على مدينة شيخ الزويد لوقت وجيز، و أن يعلنها محررة⁶. تميزت استجابة الدولة المصرية باستخدام طريقة العقاب الجماعي التي مورست ضد المدنيين ؛ عشرات الآلاف من المسجونين كضحايا لتشريعات مكافحة الارهاب و حالة الطوارئ⁷.

2.1.2. الحالة الفلسطينية

¹ Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt*. op. cit. p. 63.

² Ibid. p. 65.

³ Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies." p. 143.

⁴ Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt*. p. 67.

⁵ Ibid.

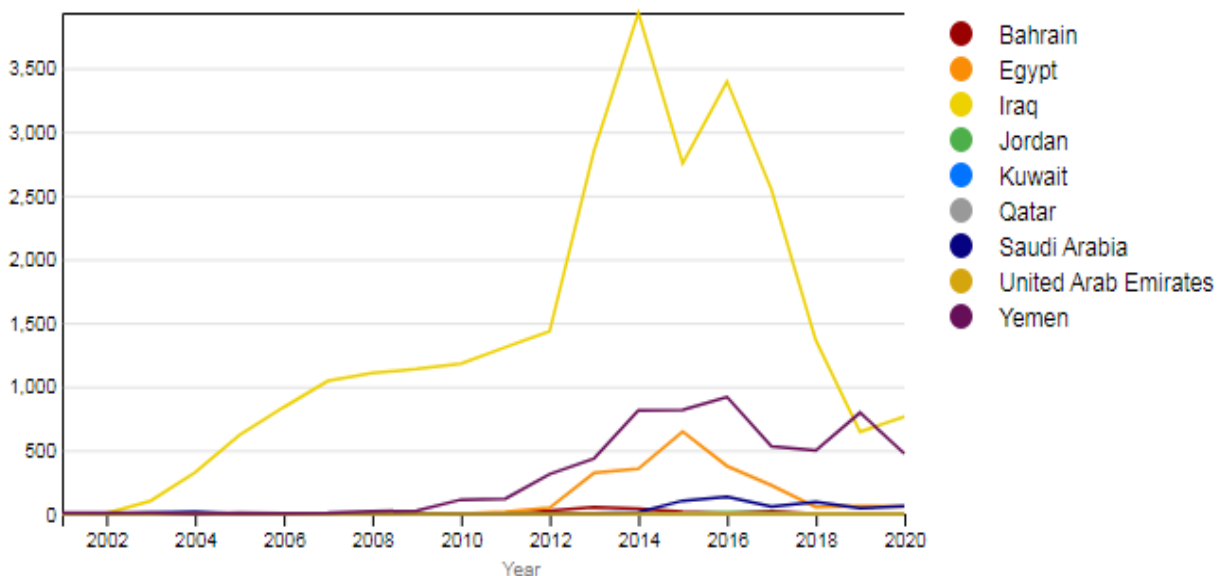
⁶ Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies." p. 144.

⁷ Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt*. p. 68.

تعتبر ديناميكية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي مركزية في فهم و تفسير النشاط الارهابي. بالنسبة للفلسطينيين فإن الارهاب يعتبر نتيجة لاحتلال لقوى اجنبية أقامت دولة لليهود على إقليم يملكه الفلسطينيون. إذا كان المثال المصري يعكس الربط بين الارهاب و فاعلين غير دولتيين فإن الحالة الفلسطينية تحدث ربطا بين الارهاب والدولة ممثلة في اسرائيل. تبين الحالة الفلسطينية أيضا ان الدولة حاضرة في انتاج الارهاب وليس بصفتهما منتجا لسياسات مكافحة الارهاب. استنادا الى تقارير المنظمات الدولية - خاصة منظمة العفو الدولية Amnesty- أن القوات الرسمية الاسرائيلية من جهة و الكولون الاسرائيلي يمارسون بشكل مقصود و علني مختلف أنواع الأساليب المحضورة ضد المدنيين (اغتيال المدنيين بشكل عشوائي من خلال القصف و الغارات الجوية، استهداف المساكن و المباني المدنية بهدف التدمير الشامل و ليس بهدف انتقائي واضح، استهداف البنى التعليمية والصحية، الحصار الجماعي ..الخ) وكلها تصنف ضمن خاتمة جرائم الحرب و الابادة و التهجير القسري¹. توضح هذه الأعمال مدى انخراط دولة الكيان في ممارسات ارهاب الدولة باسم مكافحة الارهاب.

2.1.3. حالة الدول الخليجية

تعتبر الدول الخليجية دولا آمنة مقارنة بباقي دول الشرق الأوسط من ناحية عدد الحوادث الارهابية، و ذلك بالرغم من الاضطرابات المستمرة التي تعرفها المنطقة. بين سنة 1970 و 2019 عرف الشرق الأوسط ما لا يقل عن 42 ألف حادث إرهابي، أي 24 % من الرقم العالمي الكلي، ولكن أغلبها حصل في العراق (56%)، و اليمن (9,4%) و تركيا (8,2%) و لم تحصل سوى حوادث و هجمات ارهابية قليلة في دول مجلس التعاون الخليجي.



المنحنى رقم 03 : حجم النشاط الارهابي في بعض الدول العربية في الشرق الأوسط

المصدر: قاعدة بيانات الأعمال الارهابية بجامعة ماريلاند (الو.م.أ.)¹

يوضح المنحنى المستخرج من قاعدة البيانات المفتوحة Open_access (المؤشر العالمي للإرهاب) التي توفرها جامعة ماريلاند الأمريكية أن الفترة 2012-2016 هي الفترة الأكثر بأسا على دول التعاون الخليجي، حيث بلغ عدد الضحايا فيها 414 شخصا. ولكن مقارنة بالدول العربية الأخرى مثل مصر والعراق و اليمن فإنها تعتبر حقا دول آمنة. بالنسبة للدول الخليجية، تتحدد هوية الارهاب في نوعين من الفاعلين : الحركات المتطرفة داخليا، والحركات الطائفية (الشيوعية) المدعومة من ايران، فهي إما امتداد لشبكات الارهاب العالمي (القاعدة، داعش، الدولة الاسلامية ...) أو أنها جزء من الشبكات الايرانية². ترتبط إذن هوية الفاعل الارهابي بهوية العدو التقليدي للدولة القطرية الخليجية.

رغم ضعف التهديد الارهابي للدول الخليجية إلا أن مشكلة الارهاب تُصنف ضمن الاولويات، فقد كرسّت سياسات صارمة قائمة على المراقبة الشاملة و شديدة. إنها سياسيات مواجهة Contre terrorisme أساسا فهي تستهدف المصدر بشكل واسع جدا بينما تعتبر سياسات المكافحة الميدانية أقل ظهورا في المشهد العام. تقوم سياسات مواجهة الارهاب في الخليج على أساسين اثنين : الأول و هو المراقبة الصارمة للمحتويات الاعلامية سواء في وسائل الاعلام التقليدية أو الجديدة مثل الشبكات الاجتماعية؛ الثاني و هو الردع عن طريق التشريع المتشدد والعقوبات الغليظة في حق المتورطين في دعم الأفكار المتطرفة و أفكار الارهاب³. تُرافق سياسات المراقبة الصارمة للعائلات المالكة سياسات اجتماعية تحول دون انتشار الايديولوجيات المناهضة، فبحكم الموارد المالية التي تمتلكها فهي قادرة على تحمل أعباء توفير خدمات عامة سخية للمواطنين بشكل يحول دون سقوطهم في فخ التطرف والمعارضة⁴. في الحالات الأخرى التي يقع فيها بعض المواطنين في أعمال توصف بالتطرف فإنه يتم

¹ "Global Terrorism Database," accessed December 11, 2023, <https://www.start.umd.edu/gtd/>.

² Sumanto Al Qurtuby, "Terrorism in Saudi Arabia," in *Terrorism and Counter-Terrorism in Saudi Arabia and Indonesia*, by Sumanto Al Qurtuby (Singapore: Springer Nature Singapore, 2022), 49–95, https://doi.org/10.1007/978-981-19-1337-2_2. p. 97.

³ Sumanto Al Qurtuby, "Saudi Government and Counterterrorism," in *Terrorism and Counter-Terrorism in Saudi Arabia and Indonesia*, by Sumanto Al Qurtuby (Singapore: Springer Nature Singapore, 2022), 97–142, https://doi.org/10.1007/978-981-19-1337-2_3. P. 123

⁴ Ibid.

احتوائهم في الغالب سواء بالسجن أو بالتصفية أو بقبول برامج لنزع التطرف و الراديكالية، و هي برامج عالية التمويل أيضا¹.

-2.1.4. مقارنة الحالات العربية : أوجه الشبه و الاختلاف

من خلال ما سبق، يمكننا أن نقرأ بعض أوجه الشبه و الاختلاف بين الدولة العربية في تصوراتها لهوية الفاعل الارهابي و أنماط الاستجابة لمشكلة الارهاب.

- من ناحية الظروف السوسيو سياسية فإن هناك تباينا شديدا بين الحالات الثلاثة. في حين أن الحالة الفلسطينية تعبر عن وضع احتلال أجنبي و حالة ارهاب للدولة الاسرائيلية ضد الأهالي الفلسطينيين، فإن الحالة المصرية تعبر عن عدم قدرة للدولة في مصر على فرض سيطرتها كقوة مشروعة و كمنتج للمنفعة العامة. بُنِيَتْ شرعية الدولة المصرية حول فئات اجتماعية دون أخرى ما أفرز في النهاية هشاشة الثقة في المؤسسات الأمنية بل انعدامها في أحيان كثيرة لدى كثير فئات المجتمع (الفقراء في ضواحي القاهرة) و في أقاليم معينة (سيناء)². بينما على العكس تماما، يتميز الوضع السياسي الخليجي بالاستقرار نظرا لمركزية العائلة الحاكمة في بناء الشرعية و نظرا لنجاعة السياسات المنتهجة في مواجهة التطرف و اعتمادها على سياسات عامة سخية³.

- من ناحية هوية الفاعل يوجد تشابه نسبي بين الدول الخليجية و دولة مصر فالحركات الاسلامية المتطرفة تمثل مصدرا للتهديد الارهابي، بل إنها مركزية في إدراك الدولة العربية للعدو. رغم أن الاسلام دين الأغلبية في هذه الدول إلا أن الحركات التي توصف بالإسلامية تعتبر عدوا للدولة أو للعائلة الحاكمة. بالنسبة للفلسطينيين (حماس) فإن دولة الكيان الصهيوني تمثل تجسيدا لإرهاب مؤسساتي و هو إرهاب الدولة.

- كيف أصبحت الحركات الاسلامية أهم مصادر التهديد للدولة العربية ؟ يفسر الأمر في الحالة المصرية بمحدد داخلي ؛ نظرا لضعف مسارات المشاركة السياسية فإنه ينتج توجه عام نحو استعمال العنف السياسي باعتباره منفذا يؤدي إلى التغيير السياسي، فالإرهاب هو منهج انتهجته الجماعات الاسلامية لكسر هيمنة النخب المهيمنة. و أما في الحالة الخليجية

¹ Ibid. p. 124.

² Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies." p. 146

³ Al Qurtuby, "Saudi Government and Counterterrorism." p. 125.

فالمحدد الدولي يعتبر ذي قيمة تفسيرية أعلى، و ذلك من جهتين : الأولى، يُعَبِّر الارهاب في الفضاء الخليجي عن تطور مشوه و غير طبيعي لمسار الجهاد الأفغاني (فئات شبابية خليجية واسعة و تمويل سخي من طرف الدول الخليجية و تأطير استراتيجي من قبل أجهزة الاستخبارات الغربية)¹. لم تتم إعادة إدماج هؤلاء في مسارات طبيعية بل استمر استخدامهم الاستراتيجي ضد الغرب تارة (19 إرهابي من أصل 26 ممن ارتكبوا هجمات 11 سبتمبر يحملون جنسية سعودية) و ضد الدول العربية نفسها تارة أخرى². الثانية، يُعَبِّر الارهاب أيضا عن ديناميكية التضارب الشيعي السني في الخليج فهي نتيجة لاهتزاز التوازن السياسي في اليمن الذي يتغذى من التناقض الاستراتيجي السعودي - الإيراني³.

- و أما من ناحية الاستجابة فإن هناك ترجيح للأساليب العسكرية و الراديكالية من طرف الدولة المصرية في التعامل مع المشكلة وحتى لسياسات العقاب الجماعي. تعرف السياسة الرسمية المصرية القائمة على السردية الاستثنائية⁴ نوعا من الاستقرار المنهجي والرسوخ الثقافي لدى المؤسسات (منذ مجيء الرئيس مبارك الى الحكم 1981 يتم العمل بقانون الطوارئ في مصر و لم يرفع سوى لفترة ممتدة من ماي 2012 الى جويلية 2013). تقع بعض من هذه الأساليب ضمن خانة ارهاب الدولة، و جرائم الحرب⁵، ولكنها لم تؤدي الى ادانة ضد مسؤولين لا في الداخل و لا من طرف القضاء الدولي. و أما الحالة الفلسطينية فبحكم اختلال ميزان القوة بين الجيش الاسرائيلي و تنظيمات المقاومة فإن الأخيرة تستخدم تكتيك حرب العصابات ولكنها تعاني من استعصاء في بناء استراتيجية لتحقيق أهدافها التحررية. تتميز الاستجابة الخليجية بقدرتها على احتواء مشكلات التطرف و الراديكالية و بنجاعة السياسات المصاحبة لها مثل برامج إعادة التأهيل⁶.

¹ Pierre Conesa and Hubert Védrine, *Dr. Saoud et Mr. Djihad: la diplomatie religieuse de l'Arabie Saoudite*, Le monde comme il va (Paris: Robert Laffont, 2016). p. 09.

² Ibid.

³ Al Qurtuby, "Terrorism in Saudi Arabia." P. 21.

⁴ Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt*. p. 139.

⁵ Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies." p. 143.

⁶ Al Qurtuby, "Saudi Government and Counterterrorism." p. 99

2.2. استعمالات الخطاب حول الارهاب : أدوات للهيمنة و لمناهضة الهيمنة في

الشرق الأوسط

كما رأينا في قراءتنا السابقة حول بعض الحالات العربية الشرق أوسطية نلاحظ أن جهود الدولة العربية - شأنها شأن دول العالم كلها - تعمل على تقييم مدى و حجم التهديد الارهابي و على صياغة الاستجابة الملائمة له بحسب مواردها و ثقافتها العسكرية و المؤسساتية. لكن و رغم هذا الاهتمام المحوري بالجوانب الموضوعية للمشكلة إلا أن الارهاب يتم توظيفه و استعماله لتدعيم هيمنة النخب الحاكمة، كما يراه انصار القراءات النقدية.

ضمن إطار علاقات القوة الدولية يتم توظيف الارهاب ضمن أهم الديناميكيات السياسية التي تحكم منطقة الشرق الأوسط. يعتبر الانقسام مساند للغرب / مناهض للغرب أهمها على الاطلاق، بينما يمثل الانقسام مساند لإسرائيل / مناهض لإسرائيل أهمها على الصعيد الاقليمي. ضمن هذا الاطار تطلق الولايات المتحدة الأمريكية مُسمّى الارهاب على الدول التي لا توافقها سياسيا و لا ايدولوجيا، فحول محور الشر سابقا (سوريا و ايران و السودان و ليبيا) تقع كلها في خانة الارهاب أو دول راعية للإرهاب. يعتبر الدعم الإيراني لحزب الله اللبناني دعما للإرهاب حسب الخطاب المهيمن دوليا، كما يتم إدراج حركة حماس الى شبكة الدعم الإيرانية من طرف الخطاب المهيمن المساند لإسرائيل. عندما يتم إطلاق هذا الوصف من طرف القوى الدولية المهيمنة فالمعنى هو أنها دول ينبغي مواجهتها بالعقوبات الاقتصادية، أو بالضربات الجوية ضد البنى التحتية و العسكرية و حتى بالحروب الأهلية. إنه خطاب مهيمن يسمح بإعلان الحرب ضد الدول التي لا تنتمي إلى فئة مساند للغرب أو الى فئة مساند لإسرائيل (العراق 2003، سوريا و ليبيا 2011).

يعتبر الارهاب إذن أحد المكونات و المرتكزات الرئيسية لمشروع الهيمنة الأمريكي على الشرق الأوسط¹، و أهم مكون للنزاع بين الدول الغربية و الدول المناهضة للغرب. بنفس هذا الشكل يعتبر الارهاب ايضا مكونا رئيسيا لمشاريع الهيمنة التي تقودها نخب معينة في الدول الشرق أوسطية. إنه يُوظفُ بنفس الطريقة لدى النخب الغربية-الإسرائيلية و النخب العربية على حد سواء. تعتبر الحالة المصرية قِيَمَةً هنا ؛ أدت الجهود المصرية الراديكالية في مكافحة الارهاب الى انقسام المجتمع المصري

¹ P. J. Henry et al., "Social Dominance Orientation, Authoritarianism, and Support for Intergroup Violence between the Middle East and America," *Political Psychology* 26, no. 4 (2005): 569–83. p. 570.

بين مساند للإجراءات الحكومية ضد الارهاب و معارض لها، وتمكنت من خلالها الحكومة المصرية من تجريم الحركة الاسلامية ككل و ليس المتطرفين فقط وذلك عبر تشكيل ارتباط بينها (الاخوان المسلمين) وبين الارهاب. لقد تحول الارهاب الى سمة لصيقة بالحركات الاسلامية المتطرفة منها والمعتدلة. بعد الانقلاب العسكري في جوان 2013، أصبحت التسمية بالإرهاب تؤدي وظائف أخرى، فهي أداة من أدوات الحفاظ على علاقات الهيمنة. لقد أصبح خطاب التهديد الارهابي و التطرف الديني يُستعمل ضد ممثلي المعارضة لتبرير الاجراءات القمعية واجراءات التضييق على الحريات العامة¹.

من جهتها أيضا تستخدم الدول الخليجية خطاب التطرف الديني كأداة لتوسيع فضاء المراقبة التي تمارسها العائلات الحاكمة على الأفراد و الجماعات و للتضييق أكثر على هامش حرية المواطنين والتنظيمات. على سبيل المثال، يعتبر مسار سفر المواطنين نحو الخارج عالي الإجراءات كما أن مسار التعبير عبر شبكات التواصل الاجتماعي يخضع بدوره الى مراقبة صارمة من طرف الأجهزة الأمنية². كل هذا يتم عبر برامج و اتفاقات تعاونية دولية مع الولايات المتحدة، و هي اتفاقات لا تعبر سوى عن شراكة في مشروع هيمنة عابر للأوطان. تنتج الدولة الخليجية إذن نفس الخطاب عن الارهاب، و تعيد انتاج نفس استعمالاته و هو بهذا الشكل تعبير عن الانتماء لنفس مشروع الهيمنة.

بالمقابل، لا تنتمي الحالة الفلسطينية – من خلال حركات المقاومة - الى نفس المشروع، بل إنها تمثل جزءاً من مشروع مناهض للهيمنة الغربية و الاسرائيلية Counter hegemonic project. يمثل الفلسطينيون، مواطنون أو نشطاء في المقاومة، قوى مناهضة للهيمنة الغربية و لمشروع الاحتلال الصهيوني، فهُم مصدر تُبْنَى عليه شرعية المشروع المناهض الذي تبنته في مرحلة ما منظمة التحرير الفلسطينية و تبناه اليوم حركات المقاومة. تستعمل حركة حماس صورة ارهاب الدولة الذي تمارسه اسرائيل و لكن أيضا صورة إرهاب الغرب (حروب الولايات المتحدة في العالم الاسلامي مثلا) في بناء الآخر على أنه إرهابي بطبعه³. وفقا لهذا النوع من الادراك فإن الهجمات بالصواريخ ضد المدنيين في القرى الاسرائيلية الواقعة في غلاف غزة، لا يتم اعتبارها كأفعال إرهابية بل كدفاع مشروع عن الذات ضد الآخر القمعي. إذن، يلعب الارهاب أيضا دورا وظيفيا في تشكيل خطاب مناهضة ضد

¹ Abozaid, *Counterterrorism Strategies in Egypt*. p. 149.

² Al Qurtuby, "Saudi Government and Counterterrorism." p. 107.

³ Imad Alsoos, "From Jihad to Resistance: The Evolution of Hamas's Discourse in the Framework of Mobilization," *Middle Eastern Studies* 57, no. 5 (March 1, 2021): 833–56, <https://doi.org/10.1080/00263206.2021.1897006>. p. 856.

الهيمنة الغربية، تماما بنفس الكيفية التي يستعملها الطرف المهيمن دوليا لقيادة و تبرير مشروع الهيمنة.

المطلب الثاني : بروز خبراء الارهاب العرب

ارتبط مسار التطور التاريخي لحقل خبراء الارهاب العرب بثلاث سياقات تتحدد اساسا انطلاقا من هيمنة قضايا سياسية محورية و هي : سياق سنوات السبعينيات و الثمانينيات و هيمن عليه الصراع العربي-الاسرائيلي؛ سياق التسعينيات و هيمن عليه اتفاق السلام أوصلو 1993 ؛ و سياق ما بعد 09 / 11 و هيمنت عليه سياسة الحرب الشاملة على الارهاب و افرازاتها.

رأينا سابقا أن مراكز التفكير الأولى في العالم العربي برزت منذ نهاية ستينيات القرن الماضي وأن المركزية المصرية جعلت أجنداتها البحثية ترتكز على مسألتي المشروع القومي العربي والصراع العربي الإسرائيلي. كانت مراكز التفكير الأولى أدوات فعلية لمصاحبة المشروع السياسي للدولة العربية ولدعم الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوني، كما ترجمته أبحاث مركز الأهرام (القاهرة، 1968) و مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1975). إن هذه الفترة تتزامن مع اكتشاف مفهوم الارهاب في السبعينيات كموضوع للخبرة و الذي تم بفعل تعبئة قامت بها فئة من الخبراء الأمريكيين من مختلف الآفاق المهنية (سياسيون أو مهنيون سابقون و أكاديميون وصحفيون). إذا كان منشأ دراسات الارهاب قد بدأ في الو. م. أ. فإن هذا معناه أن الخبراء العرب الأوائل قد برزوا خارج حدود الدولة القطرية العربية(1)، و بالتحديد في الو. م. أ. على نفس المنوال الذي برز به حقل الخبراء الاسرائيليين. لكن، عرف مسار تطور حقل الخبرة حول الارهاب داخل الدولة العربية تأخرا و بطؤا في التطور (2)، كما تشير اليه جملة المؤشرات التي سيتم استقراؤها هنا ؛ عدد الخبراء و الكتاب العرب، مستوى الانتشار على المستوى العالمي، عدد المؤتمرات، عدد مراكز التفكير المختصة، عدد مشاريع البحث الخاصة بالإرهاب.

1- الخبراء العرب في الولايات المتحدة الأمريكية

يعتبر حجم خبراء الارهاب العرب بالولايات المتحدة قليلا جدا مقارنة بالحقلين الأمريكي والاسرائيلي، قياسا بالمؤشرات التي اعتمدناها سابقا و التي سنعيد الإشارة اليها في الجدول أدناه. من

هم الخبراء العرب الذين شكلوا الجيل الأول للحقل العربي لدراسات الارهاب ؟ ما خصائصهم؟ وما طبيعة النماذج التي تصورها ؟ وهل يمكن الحديث عن حقل عربي لدراسات الارهاب ؟

الجدول رقم 03: أهم الخبراء العرب حول الارهاب خلال السبعينيات و الثمانينيات

أ. قائمة أهم الخبراء العرب المشاركين في المؤتمرات الدولية الكبرى عن الإرهاب

Source : (Stampintzky, 2013)

(Conference on Terrorism and Political
Crimes (1973 : Syracuse, Italy)

محمد شريف بسيوني

ب. قائمة أهم الخبراء العرب من خلال مؤشر الاقتباس الاعلامي لأعمالهم

Source : (Herman and O'Sullivan, 1989)

فؤاد عجمي Fouad Ajami

ت. قائمة أهم الخبراء العرب الأكثر اقتباسا في العلوم الاجتماعية

Source : (Schmid et autres, 1984) 266

محمد شريف بسيوني M. Ch. Bassiouni

في حين أن عدد الخبراء الاسرائيليين و الأمريكيين يعتبر الأكبر على مستوى الحقول الثلاثة الكبرى لإنتاج المعارف حول مشكلة الارهاب (الحقل لأكاديمي وفقا لمؤشر شמיד، الحقل الاعلامي وفقا لمؤشر هيرمان و اوسوليفان، و الحقل السياسي وفقا لمؤشر المؤتمرات الدولية عند ستامبنتسكي)، لا تظهر القائمة سوى اسمين اثنين لخبيرين عربيين. هذا ما عبرنا عنه سابقا بالمركزية الامريكية-الاسرائيلية في حقل دراسات الارهاب الغربي. رغم أن الحقل الأمريكي لمراكز التفكير يتسم بانفتاحه الشديد على الخارج (كما يعكسه التواجد الكثيف للخبراء الاسرائيليين به)، إلا أن نفاذية الخبراء العرب اليه ظلت محدودة خلال عقدي السبعينيات و الثمانينيات، كما يدل عليه ضعف حضور الخبراء العرب في المؤتمرات الدولية الكبرى عن الارهاب خلال السبعينيات و الثمانينيات (شارك خبر واحد فقط و هو شريف بسيوني في مؤتمر سنة 1973 حول الارهاب الدولي و القانون الدولي بايطاليا¹). هذا مؤشر عن

¹ "Professor M. Cherif Bassiouni," *Siracusa Institute* (blog), accessed November 23, 2023, <https://www.siracusainstitute.org/professor-m-cherif-bassiouni/>.

ضعف مساهمة الخبراء العرب في مسار تطور الحقل الأمريكي لدراسات الارهاب¹ و في حمل منظور عربي عن الارهاب يعكس مصالح الدولة العربية أمام العالم، كما أنه مؤشر يعبر عن انفصال مؤسسة الخبرة السياسية العربية عن مؤسسات القرار السياسي والاستراتيجي للدولة العربية.

بالرغم من هذا فإن الخبراء العرب و على قلتهم يمثلون حركية فكرية تعبّر الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب. للتعرف عليها سنتناول بالتحليل البيوغرافي مسيرتي كل من فؤاد عجمي، و محمد شريف بسيوني، اللذين أشارت اليهما المراجع الثلاثة السابقة؛ (شميد و آخرون، 1984) و (هيرمان وأوسوليفان، 1989) و (ستمانبتسكي، 2013).

1.1. فؤاد عجمي Fouad Ajami

و يعتبر من أكثر الخبراء اقتباسا في الحقل الاعلامي الغربي الناطق بالإنجليزية، و هو قبل كل شيء أكاديمي، كما يشير اليه هيرمان و اوسوليفان في صناعة الارهاب². لكن، بالنظر الى مصادر أخرى تتعلق بارتباطاته وفضاءات نشاطه، يظهر لنا أن فؤاد عجمي شخصية إعلامية بنفس القدر الذي تنسب له صفة الأكاديمي. إنه بروفييسور لبناني- أمريكي حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة واشنطن سنة 1973. قضى مساره المهني كأستاذ جامعي كان في أعرق الجامعات الأمريكية، فقد بدأ في جامعة Princeton، و في عام 1980 تم تعيينه مديراً لبرنامج دراسات الشرق الأوسط في كلية بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة (SAIS) التابعة لجامعة جونز هوبكنز العريقة³. بعد عام من وصوله إلى كلية الدراسات الدولية، نشر فؤاد عجمي كتابه الأول بعنوان المأزق العربي *The Arab Predicament* ، والذي تناول فيه الأزمة الفكرية والسياسية التي أعقبت هزيمة الدول العربية أمام إسرائيل في حرب عام 1967. وفقاً لما كتبه آدم شاتز في مجلة *The Nation* الشهيرة، كان الكتاب استقصائياً ودقيقاً وصورة أنيقة ومؤثرة في كثير من الأحيان للمثقفين العرب لكنه أولى القليل من الاهتمام للإمبريالية،

¹ حتى الأكاديميون العرب الأكثر شهرة مثل ايدوارد سعيد Edward Said و هو اسم ثقيل في حقل الدراسات الشرق أوسطية لا يظهر ضمن الأعمال الكبرى حول الإرهاب، فمقاله لسنة 1987 في مجلة Arab Studies Quarterly بعنوان "The essential terrorist" ظل وحيدا في هذا المجال، و ذلك رغم رواجه الواسع ضمن مجموعة منشوراته الضمة جدا. وفقا لمؤشر الاقتباس في الباحث Google Scholar يأتي هذا المقال في المرتبة 27 من ناحية عدد اقتباساته، وهي مرتبة متقدمة جدا لأن قائمة الأعمال مقدرة بأكثر من 600 وثيقة.

² Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. p. 291.

³ HIKM, "A Profile of Fouad Ajami," *Hikm: An Attempt at Wisdom* (blog), March 22, 2006, <https://hikm.wordpress.com/2006/03/21/the-native-informant-a-profile-of-fouad-ajami/>.

وحتى أقل من ذلك للدور الاستفزازي لإسرائيل في المنطقة¹. بفعل إهمال طرحي الامبريالية و السياسة الاستفزازية الاسرائيلية اعتبرته الدوائر الفكرية المؤيدة لإسرائيل كمنافس لإدوارد سعيد²، معتبرة كتابه بمثابة تصحيح للاستشراق³؛ أي كتصحيح لوجهة نظر سعيد الكلاسيكية والشهيرة حول كيفية تصور الغرب للشرق في عصر الإمبريالية.

لا يمثل فؤاد عجمي نفس نموذج ايدوارد سعيد للمفكر العربي الحامل لمصالح الدولة العربية، فقد اتضح الخط الجديد الذي ميز فؤاد عجمي ابتداء من شهر ماي عام 1985، و ذلك عندما دُعي للتحديث في مؤتمر بجامعة هارفارد حول الإسلام والسياسة الإسلامية الذي نظمه الأكاديمي الإسرائيلي الأمريكي نداف سفران Nadav Safran. بعد أن كشفت جامعة هارفارد كريمسون Harvard Crimson أن المؤتمر تم تمويله جزئياً من قبل وكالة المخابرات المركزية، انضم عجمي، بناءً على طلب ايدوارد سعيد والكاتب الباكستاني الراحل إقبال أحمد، إلى موجة من المتحدثين الذين انسحبوا من المؤتمر. لكن العجمي، الذي كان تلميذا وصديقا لسفران Nadav Safran، اعتذر على الفور على قراره، وكتب رسالة لاذعة إلى سعيد وأحمد بعد بضعة أسابيع، متهماً إياهما ب جلب صراعات الشرق الأوسط إلى هذا البلد - أي أمريكا- وأنه لا يرغب بتاتا في لقاءهما مجددا⁴.

بعد هذه الحادثة اقترب فؤاد عجمي أكثر من الخطاب الأمريكي الاسرائيلي وابتعد عن التعاطف مع الفلسطينيين، وقام بزيارات إلى إسرائيل وزار الأراضي الفلسطينية المحتلة تحت حراسة قوات الدفاع الإسرائيلية⁵. عرف بعلاقاته مع المحافظين و المحافظين الجدد في الوم. أ. فقد كان مدعوا باستمرار للحديث في مجلس العلاقات الخارجية the CFR (مركز تفكير محافظ)، و مما صرح به من منبر ال CFR اعتباره لإيهود باراك بأنه جندي مثالي⁶. كان العجمي مؤيدا صريحاً لحرب العراق 2003، والتي يعتقد أنها صدرت بسبب الإحباط الأمريكي العميق من ثقافة الإرهاب التي ترسخت جذورها في الأراضي العربية⁷.

¹ Adam Shatz, "The Native Informant," *The Nation* (blog), April 28, 2003, <https://www.thenation.com/doc/20030428/shatz>.

² Belen Fernandez, "Forty Years of Orientalism, an Eternity to Go," *Middle East Eye* (blog), June 9, 2018, <https://www.middleeasteye.net/opinion/forty-years-orientalism-eternity-go>.

³ Shatz, "The Native Informant." (Online)

⁴ Ibid.

⁵ Ibid.

⁶ Ibid.

⁷ Ibid.

أما نشاطه كصحفي فهو مهم كثيرا هنا لأنه يمثل مفتاحا لفهم مسار صعوده في الحقل الاعلامي الأمريكي بصفته خبيرا للإرهاب ؛ لقد كان مستشارا لشبكة CBS News ، و كان يكتب باستمرار حول قضايا الشرق الأوسط في الصحف و المجلات الأمريكية الشهيرة ؛ فهو أولا معلق على اصدارات الكتب في ال New York Times ، و كاتب بـ Foreign Affairs و The New Republic و The Wall Street Journal¹.

و أما من ناحية الانتماءات الى مراكز التفكير، فقد كان عضوا في مجلس ادارة مركز التفكير الأمريكي المحافظ مجلس العلاقات الخارجية CFR، و هو ما يعني أنه عنصر فاعل في شبكة المحافظين الجدد، و عضوا في مجلس مستشاري المجلة الشهيرة *Foreign affairs* (يصدرها ال CFR نفسه منذ 1992). كما أن عجمي عضو في هيئة تحرير مجلة ميدل إيست كوارترلي Middle East Quarterly² ، وهي إحدى منشورات منتدى الشرق الأوسط Middle East Forum (MEF)، و هو مركز تفكير صهيوني يميني مقره في فيلادلفيا، أسسه دانييل بايبس سنة 1990.

تصنيف فؤاد عجمي ضمن فئات المشهد الفكري والاعلامي الأمريكي :

يتميز المشهد الفكري الاعلامي و الأمريكي بعدم تجانسه، فهو يتركب من ثلاث فئات رئيسية وفقا لمؤشر مساندة / معارضة السردية السائدة Le narratif dominant. يقصد بالسردية السائدة تلك الرؤية أو الفكرة التي تتبناها الحكومة الأمريكية في تعاملها مع مشكلة الارهاب. تشكل الرواية الأمريكية السائدة من خمس مقولات كبرى ؛ شرعية استراتيجية الحرب ضد الارهاب، مقولة معاداة القيم الغربية، مقولة اللاعقلانية الارهابية، مقولة دوافع الكراهية للغرب، مقولة لا إنسانية الارهابي. هذه الفئات الثلاثة التي تشكل المشهد الأمريكية بناء على مؤشر مناهضة الرواية السائدة هي كالتالي:

- الفئة أ : يميل الخبراء الذين يتمكنون من الوصول الى وسائل الاعلام إلى عدم مناهضة أو معارضة أي جانب من جوانب الرواية أعلاه. تتضمن هذه الفئة أيضا خبراء قد ينتقدون قرارات محددة في الحرب على الإرهاب ولكنهم لا يعترضون على أي جانب من جوانب السرد، مثل الخبراء الذين انتقدوا حرب العراق لأنها ذات نتائج عكسية، فهم لا يناهضون المبدأ بل يشككون في نتائجها الايجابية.

¹ Ibid.

² Ibid.

- الفئة ب: يميل الخبراء فيها إلى مناهضة جزء على الأقل من الرواية السائدة. وتتضمن الخبراء الذين ينتقدون وجود منظمات ارهابية متماسكة و منظمة فعلا، و الخبراء الذين يقترحون فهماً بديلاً لأسباب الإرهاب مثل اللا-عدالة أو الفقر، و الخبراء الذين يقرون بوجود العقلانية السياسية في الفعل الارهابي، أي وجود مطالب سياسية مشروعة تحفز سلوكهم، والخبراء الذين ينتقدون العمل العسكري الانتقامي و العدواني للدولة، و الخبراء الذين ينتقدون تقليص الحريات المدنية على الصعيد الداخلي. من أشهر خبراء هذه الفئة اندريو لينش A. Lynch¹، و آلان كرويفر Alan Krueger الاقتصادي الشهير بجامعة برينستون².

- الفئة ج : يميل الخبراء في هذه الفئة إلى رفض الرواية السائدة تماماً، و يقدمون تحليلاً نقدياً لسياسة الدولة الغربية. تضم هذه الفئة الخبراء الذين يركزون على وجود دوافع أخرى للدول الغربية، و هي مبررات اقتصادية وجيوسياسية بدلاً من أهداف السلم والأمن، و أيضاً الخبراء الذين يقترحون التركيز على أعمال الإرهاب التي ترتكبها الدول الغربية، أو ما يسمى بإرهاب الدولة. من أشهر خبراء هذه الفئة نعيم تشومسكي.

بالنظر الى المواقف الناقدة للعنصر العربي و الممجة للعنصر الغربي التي دافع عنها فؤاد عجمي، فإن الأخير يصنف ضمن الفئة الفكرية و الايديولوجية (أ)، أي ضمن الفئة الأكبر ديموغرافيا والأقوى سياسيا (خطاب الحكومة الأمريكية) و التي تصنع ما يسمى بالسردية السائدة. بعبارة أخرى، يُصنّفُ فؤاد عجمي ضمن طروحات النواة الصلبة لحقل خبراء الارهاب الأمريكي، أي بمعية يونا الكسندر (أمريكي)، والتر لاکور (أمريكي)، برايان جنكينز (أمريكي)، آريال ميراري (اسرائيلي)، بروس هوفمان (أمريكي-اسرائيلي)، ستيف امرسون (أمريكي)، بوغز غانور (اسرائيلي) وغيرهم.

¹ و هو أستاذ للقانون بجامعة سيدني بأستراليا، و عرف عنه غزارة أعماله و دراساته الناقدة لسياسات مكافحة الإرهاب من الناحية القانونية.

² ويدافع كرويفر عن ضرورة القيام بدراسات علمية للإرهاب و ليس ايديولوجية، و عرف عنه استدماه للمقاربات الاقتصادية لتفسير الارهاب. أنظر عمله الرئيسي بهذا الخصوص حول التعليم و الفقر:

Alan B. Krueger and Jitka Malečková, "Education, Poverty and Terrorism: Is There a Causal Connection?," *The Journal of Economic Perspectives* 17, no. 4 (2003): 119–44.

1.1. 2. محمد شريف بسيوني Mohamed Charif Bassiouni

1.1. 2. 1. البيوغرافيا

البروفيسور شريف بسيوني هو رجل قانوني و فقيه و كاتب مصري ذو سيرة علمية و مهنية لامعة. يضعه دليل جامعة Case Western (كليفلاند) في مقدمة الخبراء القانونيين في العالم و يصفه بأنه **الأب الروحي للقانون الجنائي الدولي**، و بأنه عملاق في عالم القانون الجنائي الدولي وجرائم الحرب.¹ و يقدمه الخبراء القانونيون الفرنسيون بأنه شخصية خارجة عن المألوف M. Cherif Bassiouni est certainement une personnalité extraordinaire.²

[...] ولد في القاهرة في 9 ديسمبر 1937، في عائلة مشهورة، وهو ابن سفير وحفيد لاثنيين من القانونيين المصريين المتميزين، حيث كان أحدهما رئيس مجلس الشيوخ المصري خلال العهد الملكي. وفي سن التاسعة عشر، برز سلوكه كضابط شجاع خلال نزاع السويس في أكتوبر ونوفمبر 1956، مما أهله لتلقي وسام الشجاعة العسكرية. ورغم اختياره للدراسات القانونية، لم يفقد اهتمامه بالسياسة الدولية والتاريخ، فقد درس في كثير من الجامعات في مصر وفرنسا وسويسرا وإيطاليا والولايات المتحدة.³

تظهر عبقرية بسيوني في كفاءته غير الاعتيادية في الانتاج العلمي و بلغات عدة، فهو يتقن بالحديث و اللكنة خمس لغات أجنبية على الأقل ؛ الانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية.⁴ إنه مؤلف لـ 27 كتابًا و 217 مقالًا، ومحرر لـ 44 كتابًا حول مجموعة واسعة من القضايا القانونية، تتضمن القانون الجنائي الدولي، والقانون الجنائي المقارن، والقانون الدولي لحقوق الإنسان.⁵ لقد ظهرت منشوراته الأصلية باللغات الخمس السابقة بالإضافة الى اللغة العربية، كما ترجمت أغلبها الى اللغات الصينية والفارسية والجورجية والمجرية.⁶ وقد استشهدت ببعض هذه

¹ Andy Dorchak, "Research Guides : Current and Former Distinguished Experts," accessed November 21, 2023, <https://lawresearchguides.cwru.edu/c.php?g=872654&p=6292691>.

² Giuliano Vassalli, "Hommage au professeur M. C. Bassiouni son œuvre au service de la science penale et des droits de l'homme," *Revue internationale de droit pénal* 75, no. 3–4 (2004): 681–94, <https://doi.org/10.3917/ridp.753.0681>.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

⁵ "Professor M. Cherif Bassiouni."

⁶ Ibid.

المنشورات محكمة العدل الدولية، والمحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة، والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا، والمحكمة العليا للولايات المتحدة، فضلا عن العديد من محاكم الاستئناف التابعة للولايات المتحدة. ومحاكم المقاطعات الفيدرالية¹، والمحاكم العليا للولايات. قضى مسيرته المهنية الرئيسية كأستاذ متميز *Distinguished Professor* للقانون في كلية الحقوق بجامعة دي بول De Paul (شيغاغو) منذ 1972، و أسس بها المعهد الدولي للقانون الدولي لحقوق الإنسان الذي ترأسه منذ 1990، كما درّس أيضا كأستاذ جامعي في ألمانيا².

أما مهنته الثانية فهي تأسيسه وإدارته المعهد الدولي للدراسات العليا في العلوم الجنائية في سيراكوزا (إيطاليا). هذا المعهد مهم جدا في مسيرة بيسيوني لأنه يقدم وظائف تكوينية وتدريبية للخبراء القانونيين من أعلى المستويات (القضاة والنواب العامون و ضباط الأجهزة الأمنية و كل المهتمين الآخرين من القطاع القانوني) من مختلف دول العالم في ميدان القانون الجنائي الدولي وذلك عن طريق تنظيم مؤتمرات و ملتقيات و محاضرات. منذ تأسيسه سنة 1972 و الى غاية سنة 2022، نظم هذا المعهد 762 مؤتمرا و قدم تكوينا لأكثر من 65000 رجل قانون و جامعي من 172 دولة و 521 جامعة³.

لقد نال بيسيوني سمعته الدولية خصوصا من خلال عمله كخبير لدى منظمة هيئة الأمم المتحدة، فقد عمل في عدد من المناصب خلال الفترة من 1992 الى 2005، و من أهمها عضو ثم رئيس لجنة مجلس الأمن للتحقيق في جرائم الحرب في يوغوسلافيا سابقا (1992-1994) و خبير مستقل تابع للجنة حقوق الإنسان (1998-2000)⁴.

واحدة من أهم الأنشطة التي قادها بشكل مشترك بين معهد سيراكوزا و الأمم المتحدة هي مساهمته المحورية في الجهود الرامية الى إنشاء المحكمة الجنائية الدولية أواسط التسعينيات، حيث كان نائب رئيس لجنة الجمعية العامة المخصصة لإنشاء هذه الهيئة (1995) ثم رئيس لجنة صياغة

¹ Vassalli, "Hommage au professeur M. C. Bassiouni son œuvre au service de la science penale et des droits de l'homme."

² "Professor M. Cherif Bassiouni." *Siracusa Institute* (blog).

³ "The Institute," *Siracusa Institute* (blog), accessed November 23, 2023, <https://www.siracusainstitute.org/the-institute/>.

⁴ Vassalli, "Hommage au professeur M. C. Bassiouni son œuvre au service de la science penale et des droits de l'homme."

المؤتمر الدبلوماسي المتعلق بإنشاء هذه المحكمة (مؤتمر روما 1998)¹؛ وبفضل جهوده في مجال العدالة الجنائية الدولية ولمساهمته في إنشاء المحكمة الجنائية الدولية تم ترشيحه لنيل جائزة نوبل للسلام سنة 1999.

لم يكن حيز اهتمام البروفيسور بسيوني منصبا فقط على القانون الدولي الجنائي، بل خصص فضاء معتبرا جدا من اهتماماته البحثية للإرهاب الدولي. لقد عمل بسيوني كمستشار لكتابة الدولة للعدل في الولايات المتحدة لمراقبة الارهاب الدولي سنوات 1975، 1978 و 1979²، وهذا على إثر ظهور كتابه الأول حول مشكلة الارهاب سنة 1975 *International Terrorism and political crimes*. هذا الكتاب يعتبر قيما جدا لأنه استطاع أن يتنبأ بالمشكلات القانونية التي سيطرحها الارهاب لاحقا. كانت هذه المشكلات موضوعا لكتابه الثاني الذي ظهر بعد عشر سنوات (1986) في هولندا بعنوان: الاجابات القانونية للإرهاب الدولي : مظاهر الاجراءات الأمريكية. كما تناول المشكلة من خلال التغطية الاعلامية فظهر له مقال سنة 1982 في الدورية العالمية الشهيرة *Journal of Communication* وتناول فيه اشكالية التغطية الاعلامية للإرهاب بين الرأي العام و القانون (*Media Coverage of Terrorism: The Law and the Public*).

أما من ناحية ارتباطاته و انتماءاته فيذكر كتاب صناعة الارهاب أن هذا الخبير لا يملك ارتباطات واضحة مع هيئات أو منظمات أو شبكات ايدولوجية أو سياسية³، بل ان ارتباطاته كلها حقوقية (عمل بسيوني كعضو في اللجنة الاستشارية لمنظمة هيومان رايتس ووتش في مكتبها الشرق أوسطي⁴) و أكاديمية.

1-2. السمات العامة لنموذج الخبير القانوني كما تمثله حالة بسيوني

تمثل حالة بسيوني نموذجا عن الخبراء المستقلين الذين يمثلون نظرة القانون الدولي حول مشكلة الارهاب، باعتبارها نظرة عملية و موازية للأفكار الايدولوجية التي رأيناها عند فؤاد عجي. إنه

¹ Ibid.

² "Professor M. Cherif Bassiouni." *Siracusa Institute* (blog).

³ Herman and O'Sullivan, *The "Terrorism" Industry*. Op. Cit. p. 187.

⁴ وهي منظمة هيومن رايتس ووتش نفسها، كما يظهره الحوار الذي أجرته معه آمي غودمان. أنظر:

Amy Goodman, "UN Human Rights Investigator in Afghanistan Ousted Under U.S. Pressure. An Interview With Cherif Bassiouni," *Democracy Now!*, April 28, 2005,

http://www.democracynow.org/2005/4/28/un_human_rights_investigator_in_afghanistan.

نموذج مختلف تماما عن كل النماذج التي رأيناها في الحقل الأمريكي، فقد سمحت أعماله و مجهوداته بتطوير وتعزيز مكانة القانون الدولي الجنائي كما يترجمه ترشيحه لجائزة نوبل للسلام سنة 1999.

يوضح عدم ارتباطه بمصالح اقتصادية و لا بشبكات سياسية أو ايدولوجية أنه نموذج فعلي للخبير-الأكاديمي لأنه يحمل مشروع التمكين الموضوعي للقاعدة القانونية على عكس فؤاد عجمي الذي يعتبر نموذجا عن الالتزام الايدولوجي الذي فرضته روابطه مع الدوائر الصهيونية ومع المحافظين الجدد. لا توجد إذن وحدة فكرية لدى الخبراء العرب من الجيل الأول تسمح بهيمنة نموذج على آخر. هذا معناه أن نماذج (بالجمع) الخبراء العرب من الجيل الأول تشكلت إما كامتداد للنموذج الغربي (الأمريكي) السائد (حالة العجمي) و إما كبديل للنموذج الغربي من ناحية أنه يطرح فكرة بناء وتقوية مكانة القاعدة القانونية (حالة بسيوني). تعتبر الحالة الثانية ذات فائدة تحليلية كبرى لأنها أرست فعليا معالم مقارنة عملية تسمح بتوفير الأدوات اللازمة لتحميل المسؤولية الجنائية لمرتكبي الارهاب، بما في ذلك ارهاب الدولة. هذا ما سنوضحه من خلال تحليل اعمق للسياق الذي طرحت فيه أعمال و مساهمات بسيوني القانونية حول الارهاب.

2- مساهمة بسيوني في بناء نموذج قانوني كروية بديلة للخطاب الايدولوجي

المهيمن

عندما صعدت مشكلة الارهاب الى صدارة الاهتمام الاعلامي و السياسي و المعرفي في بداية السبعينيات لم يكن القانون الدولي العام قد تناول المشكلة أصلا. كان الاختصاص القانوني داخليا وكانت المقاربة القانونية حول ما سمي لأول مرة بالإرهاب غير مجهزة بأدوات قانونية مبتكرة. منذ اللحظة الأولى بُني المنظور القانوني حول العنف الذي يسمى بالإرهاب على مفهوم الجريمة Crime، فهو كسائر جرائم القتل الأخرى التي تصيب الأفراد، حيث يتم معالجتها عن طريق تحديد المسؤولية وتنفيذ الجزاء كما تقرره قواعد القانون الجنائي الداخلي للدولة¹. لا يتعامل المنظور القانوني مع الارهاب باعتباره عنفا مختلفا عن أشكال العنف الأخرى التي تؤطرها القوانين الداخلية للدولة. مثل هذا الفهم يختلف تماما عن الرؤى التي قدمها خبراء الارهاب الآخرون المهتمون بالأبعاد السياسية للفعل قبل كل شيء، فالخبراء القانونيون مثل بسيوني لا يعطون أهمية للنوايا أو الدوافع السياسية

¹ M. Cherif Bassiouni, "Legal Control of International Terrorism: A Policy-Oriented Assessment," *Harvard International Law Journal* 43 (2002): 83.

بل ينتقدون هذا العنصر انتقادا شديدا و يرفضونه رفضا مطلقا. ينتج الخبر القانوني إذن خطابا بديلا للخطاب السائد حول الارهاب الذي ينتجه الخبراء السياسيون بناء على قناعاتهم الايديولوجية.

2-1. نظرة وتعريف بـسيوني للإرهاب

يقدم بـسيوني تعريفا قانونيا للإرهاب يقوم على إدراج متغير الباعث أو الدافع، وهو اتجاه قانوني قوي، لأنه رأي أخذت به لجنة خبراء الأمم المتحدة التي عقدت عام 1988 لتقديم تعريف للإرهاب، و هو يعرفه بالشكل التالي : "الإرهاب إستراتيجية تتسم بعنف دولي الطابع تدفعها ايديولوجية صممت لإدخال الرعب في فئة من مجتمع ما ، لتحقيق مكاسب سلطوية أو دعائية لحق أو ضرر، بصرف النظر عن الجهة المستفيدة ، سواء كان المنفذون يعملون لمصلحتهم أو مصلحة غيرهم"¹.

تنطلق نظرة بـسيوني حول الارهاب من التمييز بين الجرائم الارهابية و الجرائم العادية، فهو يرى أن الاختلاف بينهما يوجد في البواعث و الأهداف. يلاحظ بـسيوني أن الباعث اذا كان شخصا فلا يعتبر العمل ارهابيا حتى و ان كان ذلك الفعل قد سبب الضرر، و أما إذا كان الباعث سياسيا أو عقائديا فالعمل يكون ارهابيا². فمثلا اذا كان هناك اختطاف طائرة لأسباب شخصية تتعلق بمكاسب المادية فلا يعتبر العمل ارهابيا، رغم أن سبب الهلع و الخوف و الارهاب، و أما إذا كان وراء نفس الحادث دوافع سياسية و مطالب سياسية فإن الحدث سيكتسب طابعا ارهابيا.

لكن و رغم تبني بـسيوني لتعريف يدرج عنصر الدوافع إلا أنه يتساءل عن مشكلة ادراج عنصر الحالة الذهنية للفاعل (النوايا) والاهتمام به أكثر من السلوك في حد ذاته؛

[...] لماذا يجب أن يعتمد التركيز الرئيسي على الحالة الذهنية و الشخصية للفاعل عوضا عن السلوك الموضوعي أو الفعل [...] و باختصار لماذا لا نصف عمل قتل المدنيين الأبرياء كجريمة موضوعية بغض النظر عن الهدف النهائي للفاعل [...] لماذا لا نستند الى المبادئ الأساسية للمسؤولية الجنائية التي اعترف بها منذ وقت طويل و عمل بها في كل نظام قانوني كأساس للمساءلة³.

¹ M Cherif Bassiouni, "Terrorism: The Persistent Dilemma of Legitimacy," Case W. Res. J. Int'l L 36, no. 299 (2004), <https://scholarlycommons.law.case.edu/jil/vol36/iss2/2>. p.300.

² Ibid. p. 301.

³ جلال خضير، الارهاب في القانون الدولي (مركز الكتاب الأكاديمي، 2015). ص. 95

يعتبر بسيوني أن الاهتمام بالحالة الذهنية بدلا من الفعل أمرٌ محيرٌ ، فالفعل الارهابي يبدأ اعتبارا من وجود الدافع السياسي و الايديولوجي، أي في مرحلة التجريم، ولكن في مرحلة الجزاء يتم نزع الصفة السياسية و الايديولوجية عنه حيث يتم النظر اليه بصفته جريمة عادية، ثم يتم تسييسه مرة أخرى عندما يتم نقله الى المستوى الدولي، وهذا غير منطقي. من هنا يظهر حسب تحليل وفهم بسيوني أن ديناميكية التسييس هي المحرك الأساسي لمفهوم الارهاب، و هو ما يجعل أنماط الاستجابة له سياسية أساسا¹. رغم العيوب التي أوضحها بسيوني نفسه في مثل هذا التعريف إلا أن اعتماده في كثير من الاتفاقات الدولية يوضح أمرين اثنين :

- الأول، أن هذا التعريف لا ترفضه أية دولة و مسألة القبول هنا مهمة لأنها تؤدي الى الوصول الى نوع من الاجماع، يسمح بالوصول الى مكتسبات ملموسة؛
- الثاني، أن الأهم هو الوصول الى أنماط استجابة أخرى تقوم على مقارنة قانونية دولية. إن الهدف هو التمكين لمقاربة قانونية دولية لمواجهة الارهاب بحيث تكون استراتيجية بديلة لمنهج الحرب أو الحرب الوقائية الذي طوره الخبراء الاسرائيليون اعتبارا من مؤتمر القدس سنة 1979، و الذي انتقل سريعا الى الفكر العسكري الأمريكي اعتبارا من سنة 1984.

من هذه الناحية، يعتبر بسيوني مساهما فعالا في التمكين لمقاربات بديلة في مواجهة الارهاب وذلك عن طريق القانون الدولي الجنائي أولا ثم عن طريق محكمة الجنايات الدولية (CPI)، و هي في النهاية مقاربات بديلة و منافسة للنموذج السائد، الذي يطرحه و يدعمه خبراء أجهزة الأمن والاستخبارات، و الاعلام و الأكاديميون أصحاب الانتماءات الايديولوجية.

2.2. الجدوى الاستراتيجية لمساهمات بسيوني القانونية

في ظل السياق الذي عرفته الدولة العربية سنوات السبعينيات تعتبر جهود بسيوني ذات فائدة عملية لأنها ساعدت على الأقل في بناء تصورات تساعد على الدفاع عن بعض المصالح العربية بأدوات القاعدة القانونية الدولية. تميز سياق نهاية الستينيات و بداية السبعينيات بهزيمتين عسكريتين وسياسيتين للجيش العربية أمام الجيش الإسرائيلي سنتي 1967 و 1973. لم يكن الدعم السياسي الدولي الغربي في صالح الطرف العربي بل في صالح اسرائيل. ومن جهة منظمة التحرير الفلسطينية فإن عملياتها العسكرية بدأت تدريجيا تصطدم بالتعبئة الاسرائيلية التي شكلت آنذاك خطابا جديدا حول

¹ Bassiouni, "Legal Control of International Terrorism." p. 83.

الارهاب لقي قبولا وتأييدا داخل الولايات المتحدة. لقد استطاع الخطاب الخبير الاسرائيلي أن يخرج العمليات العسكرية الفلسطينية لمنظمة التحرير من إطار محاربة الاحتلال ليضعها ضمن إطار الارهاب، وبالتالي نزع الشرعية عنها. ساهمت طروحات الدعم السوفييتي للمنظمات الارهابية في صعود الخطاب الاسرائيلي الى مراكز الهيمنة وتحوله الى خطاب مهيمن بفعل التأييد الأمريكي كما يؤكد تبنى ادارة ريغان لمبدأ الحرب الوقائية كأداة عسكرية لمكافحة الارهاب، وهو مبدأ روجت له الدوائر العسكرية الاسرائيلية قبل غيرها.

كان من نتائج هذه التحولات المذهبية بروز استراتيجيات الحسم العسكري ضد الارهاب وتجسدت أولا من خلال الغزو الصهيوني للبنان سنة 1982، ثم أسلوب الاغتيالات السياسية ضد قادة منظمة التحرير. هذه التطبيقات لمذهب نتياهو (1979)¹ والاستخدام غير التناسبي للقوة العسكرية من الطرف الاسرائيلي في صبرا و شتيلا خصوصا سرعان ما تحدث انزلاقا وسقوطا للمقاربة الاسرائيلية في فئات جرائم الحرب و ارهاب دولة². ضمن هذا السياق العام برز نموذجان اثنان للخبير العربي : الأول مساند للرؤى الأمريكية و الإسرائيلية ويمثله العجمي، بينما الثاني فيمثله بسيوني وهو يمثل النظرة البديلة لأفكار عسكرة الاستجابة للإرهاب. هنا تحديدا تتضح أهمية الجهود التي قدمها الخبير بسيوني : إنها جهود مكنت من خلق قانون دولي جنائي وتعزيزه ومكنت بشكل خاص من إنشاء محكمة الجنايات الدولية، و هما آليتان للمسؤولية القانونية ضد آثار الاستعمال المفرط للقوة العسكرية في جهود مكافحة الارهاب.

بالطبع، هذ الترتيبات و الهيئات لم تستطع أن توقع المسؤولية على أي من الشخصيات و القيادات الاسرائيليين المتورطين في انتهاكات لحقوق الانسان و في جرائم حرب، وهذا لا يعني أن غير صالحة لذاتها بل على العكس تماما من ذلك، فعدم الانضمام اليها من طرف الو. م. أ. و اسرائيل يعني قبل كل شيء وجود منظومة قواعد تقيد مناهجها الحربية في مستوى أقل من الردع، وبالنسبة للطرف الأضعف في علاقة القوة فهي تمثل هامشا للحركة والعمل الدبلوماسي.

¹ Kattan, "The 'Netanyahu Doctrine.'"

² Amnesty International, "Israel's Apartheid Against Palestinians : Cruel System of Domination and Crime Against Humanity." p. 265.

المطلب الثالث : الجيل الحالي لخبراء الارهاب في الدول العربية الشرق أوسطية

رغم اهمية التحديات التي حملها مسار بناء الارهاب كمشكلة سياسية في السبعينيات في الو. م. أ.، و رغم أن تأسيس مراكز التفكير الأولى في مصر و لبنان انطلق منذ السبعينيات، ورغم النمو المحسوس في النشاط الارهابي في الدول العربية منذ التسعينيات إلا أن هذه المشكلة لم تحض بالاهتمام البحثي الكافي على مستوى الدولة العربية الشرق أوسطية. مثل هذا الحكم لا يعتبر استنتاجا سريعا بل إنه مؤسس على مؤشرات موضوعية تتعلق بعدد الخبراء والمختصين حول مشكلة الارهاب، بعدد مراكز التفكير المتخصصة والمشاريع البحثية المتخصصة و بعدد المؤتمرات الدولية أو الوطنية حول الارهاب. هذا التأخر يفسر اساسا بسيطرة (هيمنة) الأجهزة الحكومية العربية على الخطاب العام بخصوص الارهاب، و الذي لم يسمح في النهاية بازدهار حقل الخبرة حول الارهاب كما سنراه لاحقا. من هذه الزاوية نعتبر أن مؤسسة الخبرة السياسية حول الارهاب لعبت في الدولة العربية دور التعبير عن الخطاب الرسمي، وليس أداة لتقديم مقاربات بديلة تصاحب جهود مصالح الدولة العربية، و هي بهذا الشكل انضمام الى السرديات الأمريكية - الاسرائيلية المهيمنة Hegemonic narratives كما سنراه أدناه. لقد رأينا سابقا أن الارهاب كخطاب يخفي مجموعة مهمة من الرهانات السلطوية التي تظهر من خلال الاستعمالات المختلفة له من طرف الحقل السياسي، و بنفس الطريقة يعتبر خبراء مراكز التفكير جزءاً من النخب المهيمنة، وهذا ما يجعل من الخطاب الخبير حول الارهاب أداة من أدوات المشروع المهيمن Hegemonic project، فهو أداة للتعبير عن مصالح النخب المهيمنة في الدولة العربية و التي تتقاطع مع مصالح النخب المهيمنة عالميا أيضا.

1- حالة البحث العربي الراهن في موضوع الارهاب

يتسم حقل دراسات الارهاب بطابعه العابر للأوطان فالباحثون المختصون في موضوع الارهاب منتشرون عبر مختلف دول العالم. ينتمي أهم كتاب هذا الحقل الى الفضاء الناطق باللغة الانجليزية، ويحتل أولئك القادمون من الولايات المتحدة المراكز الريادية حسب المؤشرات الموضوعية السائدة اليوم مثل نسب الاستشهادات (الاقتباسات) المرجعية. يوضح هذا الأخير أن عدد الخبراء العرب يعتبر هزيلا جدا، على المستوى العالمي.

1.1. أهم خبراء الارهاب العرب وفقا لمؤشر الاقتباس / الاستشهاد

عند استخدامنا لمحرك البحث الأكاديمي غوغل (Google Scholar) في تحديد أهم الخبراء والأكاديميين العرب اليوم في حقل الارهاب، وبالاتماد على مؤشر عدد الاقتباسات فإن قائمة الخمس مائة (500) الأولى عالميا لا تضم سوى أربع (04) أسماء لباحثين عرب، وهم:

الرتبة عالميا	اسم الباحث	عدد الاقتباسات الكلي لمختلف أعماله في الموضوع	الجنسية والانتماء
211	جمال نصر Jamal Nassar	728	فلسطيني، عميد معهد العلوم الاجتماعية والسلوكية بجامعة كاليفورنيا سان بيرناردينو (الوم أ)
240	محمد محمود ولد محمود	620	أمريكي، سويسري، موريطاني وزير الخارجية الموريطاني سابقا باحث و أستاذ بمعهد جنيف للدراسات الأمنية (سويسرا)
256	محمد صلاح العمش	571	أردني، أستاذ و باحث في علم الاجتماع بجامعة الشارقة
406	جليل لوناس Djallil Lounas	233	مغربي، جامعة الأخوين (المغرب)

جدول رقم 04 : ترتيب أهم الخبراء العرب ضمن قائمة ال 500 الأولى في العالم وفقا لمؤشر

الاقتباس حسب الباحث Google Scholar

المصدر : Google Scholar¹

هذا معناه أن انتشار أعمال الباحثين العرب حول الارهاب محدودة جدا على المستوى العالمي، فباستثناء هذه الأسماء الأربعة تظل الدراسات العربية حول الارهاب محلية أو اقليمية الانتشار والرواج.

¹ قمنا بهذه العملية مجددا يوم 21 نوفمبر 2023 و ذلك لتحسين المعطيات الواردة في الجدول أعلاه. يتم ذلك عن طريق ملأ البروفايل الشخصي على مستوى الباحث العلمي، و اختيار مواضيع الاهتمام العلمي. عند ادخال كلمة "الارهاب" تتشكل لنا قائمة بأكثر الباحثين اقتباسا في ذلك المجال البحثي، فالأول هنا مثلا هو A Kruglanski ب 72552 اقتباس، و الثاني هو Todd Sandler ب 47056 اقتباس.الخ. للمزيد حول نتائج البحث، أنظر:

https://scholar.google.com/citations?view_op=search_authors&hl=fr&mauthors=label:terrorism
(consulté le 21-11-2023).

يُعبرُ ضعف الحضور الأكاديمي العربي على مستوى مؤشرات الاقتباس العالمية عن هشاشة حركية تزويد مراكز التفكير العربية بأكاديميين عرب من ذوي الصيت العالي. بعبارة أخرى، عندما يفتقر الحقل الأكاديمي لأكاديميين يتمتعون بالمصداقية اللازمة التي يفرضها خصوصا مسار التحكيم والتأهيل من طرف النظراء certification par les pairs، فإن حقل مراكز التفكير سيلبي احتياجاته بالموارد البشرية من فضلاء أخرى أقل كفاءة. في ما سيأتي سنوضح من هم هؤلاء الخبراء الذين ينشطون في حقل دراسات الارهاب و خصائصهم.

1-2. خبراء مراكز التفكير العربية حول الارهاب

أدى صعود الاهتمام بمشكلة الارهاب الى توسع انتشار مراكز التفكير المتخصصة حوله في أغلب دول العالم، لكن و بشكل غريب، ظلت المنطقة العربية استثناء هنا، فلا يوجد مركز تفكير متخصص في دراسات الارهاب في الدول العربية كلها، ولكن يتم البحث في هذا الموضوع ضمن إطار برامج بحثية تحتضنها مراكز التفكير العربية الكبرى التي تعنى بشكل عام بالشؤون الاستراتيجية والدولية. تعتبر حالة مركز الأهرام المصري نموذجية بهذا الخصوص، و على منوالها نهجت طريقها أغلب مراكز التفكير العربية في الشام و في الخليج العربي.

مركز الأهرام للدراسات السياسية و الاستراتيجية :

رغم عراقته (منذ سنة 1968)، و رغم أدواره المحورية في مصاحبة المشاريع السياسية المتعاقبة للدولة المصرية إلا أن المركز لا يجعل من دراسة الارهاب محورا لسياسته و أجندته البحثية. يضم مركز الأهرام حاليا (سنة 2023) ست (06) وحدات بحثية لا تُخصَّصُ أيُّ واحدة منها لموضوع الإرهاب. تتم دراسة هذا الأخير ضمن برنامج بحثي موسوم ببرنامج الإرهاب و التطرف¹. هذا معناه أن مقارنة البحث المعتمدة من طرف مركز الأهرام تميل نحو الاشكالات ذات الارتباط بالتطرف الديني أو الفكري، و هي بالتالي مقارنة غير شاملة حول دراسة الارهاب. قد يفسر هذا بطبيعة العنف الذي واجهته وتواجهه الدولة المصرية، ولكن علينا أن نلاحظ هنا أن مركز الأهرام يركز اهتمامه على نفس الجوانب التي تهتم الحقل الاسرائيلي و الحقل الأمريكي لدراسات الارهاب. تدير هذا البرنامج الباحثة أمل مختار ويتم نشر الأعمال البحثية للمشروع في المجلة الالكترونية المشهد التي ترأس تحريرها أيضا هذه

¹ أنظر خانة وحدات البحث على الموقع الإلكتروني لمركز الأهرام : <https://acpss.ahram.org.eg/Index.aspx>

الأخيرة¹. أما قائمة الخبراء الأكثر مشاركة في تقديم البحوث و التحليلات و الأوراق حول الارهاب والتطرف فتضم في الغالب أكاديميين، كما يوضحه الجدول ادناه.

الباحث / الخبير	الصفة / الانتماء إلى المركز من عدمه	البروفایل
محمد فوزي	باحث مساعد بالمركز	أكاديمي التخصص : الارهاب الدولي، السياسة الدولية
أحمد كامل البحيري	باحث بالمركز	أكاديمي التخصص : القاعدة، داعش، التنظيمات المتطرفة
أمل مختار	خبيرة بالمركز	خبيرة التخصص : التطرف والعنف، أمريكا اللاتينية، الانتقال الديمقراطي

كل هذه الاسماء هي لأكاديميين، فتشكيل الفريق البحثي لا يضم خبراء من مؤسسات الدفاع والأمن أي أولئك الخبراء الذين يستمدون رساميلهم و شرعيتهم كخبراء من كفاءتهم المهنية، كما لا يضم صحفيين من الحقل الاعلامي كما هو حال مراكز التفكير الاسرائيلية والأمريكية. مثل هذا العامل قد يكون مؤشرا عن علاقة الانفصال بين حقل القرار السياسي و الاستراتيجي في الدولة العربية وحقل البحوث و الدراسات.

حالة مراكز التفكير الفلسطينية :

توضح بعض الأمثلة لأهم مراكز التفكير الفلسطينية غياب مشاريع بحث متخصصة حول الارهاب ضمن الاستراتيجية البحثية لها. فمثلا يعتبر معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية رائدا في مجاله، فهو يضم أربع وحدات بحثية (وحدة الدراسات السياسية، العسكرية و الأمنية، الاجتماعية والاقتصادية، الاعلامية و القانونية)، كما تضم وحدة الدراسات السياسية قسما خاصا بالدراسات

¹ إصدارات المركز مجلة المشهد، "مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، accessed December 5, 2023,

<https://acpss.ahram.org.eg/Esdarat/25/54/> إصدارات-المركز/مجلة-المشهد/0.aspx.

الاسرائيلية و هو الذي يهمننا هنا¹. لا يستخدم هذا المعهد مصطلح الارهاب للإشارة الى العنف الذي تمارسه اسرائيل و جيشها و جماعاتها من الكولون و المتطرفين ضد الفلسطينيين، بل هناك استعمال واسع لمصطلح العدوان، و هو استعمال مقصود يركز على الدلالات القانونية اكثر من تركيزه على وظائف التجريم السياسي و الأخلاقي للعدو (الاحتلال). لا تضم الأجندة البحثية للمعهد الفلسطيني برنامجا بحثيا حول ارهاب الدولة و التطرف في اسرائيل. و بنفس الشكل، تركز الأجندة البحثية لمعهد بال ثينك للدراسات الاستراتيجية (غزة) Pal-Think For Strategic Studies على قضايا الديمقراطية و حقوق الانسان و أن أغلب أنشطة المعهد البحثية و الترويجية تتناول مسألة اللا-عنف². أما المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات و الدراسات الاستراتيجية (مسارات) فإنه يظهر نهجا فكريا آخر حيث تغطي على بحوثه دراسات الصهيونية و هي على أهميتها لا تشير الى الارهاب الاسرائيلي في محتوياتها³.

حالة الدول الخليجية

تختلف الأجندات البحثية لمراكز التفكير الخليجية عن نظيرتها المصرية و الفلسطينية، فموضوع الارهاب يحظى باهتمام أوسع رغم أن هذه الدول أقل تعرضا للإرهاب مقارنة بالحالات السابقة. في الامارات العربية المتحدة، نجد أن مركز الامارات للسياسات يضم ثلاثين وحدة بحث متخصصة، واحدة منها تتعلق بموضوع الارهاب و التطرف⁴. يُظهر الربط بين الارهاب و التطرف أن مقارنة البحث في المركز تميل الى تفضيل الاشكالات المتعلقة بالتطرف الديني و الفكري قبل غيرها من الاشكالات الموضوعية الأخرى، و هذا يعبر بشكل ما عن انضمام للمقولات الكبرى المهيمنة عالميا. يشارك في أعمال هذه الوحدة كتاب كثر مثل: محمد حسان (ويقدمه المركز بصفته باحث مختص في الشؤون السورية)، حمدي بشير (يقدمه المعهد كباحث في الشؤون الافريقية) و ابتسام الكتيبي (مديرة المعهد)⁵ و آخرون. يلاحظ أن مجال البحث عند الباحثين المنتسبين لمركز الامارات لا يقتصر على الارهاب فحسب، بل يتعداه الى جميع موضوعات البحث السياسي في فضاءات جيوسياسية معينة، و ذلك لأن

¹ من نحن | معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية-pal، accessed December 11, 2023, https://studies.ps/about_us.

² "Pal-Think For Strategic Studies," accessed December 11, 2023, <https://palthink.org/en/>.

³ المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات، accessed December 11, 2023, <https://www.masarat.ps/>.

⁴ مركز الإمارات للسياسات | وحدات البحث، accessed December 11, 2023, <https://epc.ae/ar/sections>.

⁵ وهي أول امرأة عربية تدير مركز تفكير، ولها تجربة سابقة مشابهة حيث عملت كعضو مجلس إدارة معهد دول الخليج العربية في واشنطن. صدرت لها دراسة حول الارهاب بعنوان " المجتمع الدولي و الحرب على الارهاب : طرأ فرصة سانحة؟". أنظر: <https://epc.ae/ar/about-us/researchers/532>

فلسفة البحث في مركز الامارات اقليمية وليس موضوعاتية. يلاحظ أيضا أن الباحثين المنتسبين الى المركز ينحدرون من الحقل الأكاديمي، ولا يوجد خبراء من فضاءات مهنية أخرى كالأمن و الاعلام.

و في قطر يعتبر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات¹ أهم مراكز التفكير وهو منتشر عبر أربع فروع دولية في تونس و بيروت و واشنطن وباريس، ضمن خطة محاكاة للنماذج العالمية الكبرى مثل معهد راند الأمريكي او مؤسسة بروكينز. لا تتضمن استراتيجية البحث في هذا المركز وحدة بحث خاصة بالإرهاب و لا مشاريع بحثية، إلا أن وحدة الدراسات الاستراتيجية تضم أكاديميين على درجة عالية من التخصص في موضوع الارهاب، أي نماذج شبيهة بتلك التي نجدها في مراكز التفكير الأمريكية و "الاسرائيلية". يمثل كل من عمر عاشور²، ومهند سلوم³، هذا النموذج.

في السعودية يعتبر مركز الخليج للأبحاث⁴ رائدا في الدراسات في العلوم الاجتماعية و هو مركز بفروع دولية أربعة في جنيف بسويسرا و كامبريدج ببريطانيا و طوكيو باليابان و بروكسل ببلجيكا، ويحظى بترتيب متقدم ضمن أهم 150 مؤسسة بحثية عالمية حسب تصنيف ماك غين لسنة 2015⁵. يتم تحليل موضوع الارهاب ضمن برنامج البحث الأمن و الدفاع وليس في اطار برنامج بحثي مستقل. كما يعتبر مركز البحوث الأمنية التابع لجامعة نايف للعلوم الأمنية⁶ رائدا في حقل دراسات الأمن منذ 40 سنة، و يولي اهتماما خاصا لدراسة الارهاب، حيث يضعه ضمن أولوياته البحثية التي تتضمن مجالات : الأمن القومي، الأمن البيئي، الأمن السيبراني، الارهاب...و أخرى. تتميز المقاربات البحثية

¹ <https://www.dohainstitute.org/en/ProgramsAndProjects/Pages/index.aspx>

² وهو أكاديمي ورئيس برنامج الدراسات الأمنية النقدية بمعهد الدوحة للدراسات العليا و مديروحدة الدراسات الاستراتيجية بالمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بحوثه تتعلق بدراسات الحركات الاسلامية المسلحة خصوصا في جوانبها التكتيكية و الاستراتيجية. أهم اصداراته "تحولات الحركات الاسلامية المسلحة سنة 2009 (Routledge) و كتاب "كيف يقاتل تنظيم داعش عن المركز العربي للأبحاث، سنة 2022، و محرر كتاب "من السلاح الى السلام : التحولات الجماعية للحركات المسلحة، 2022. أنظر:

³ و هو باحث أيضا بمعهد الدوحة للدراسات، و اشتغل مديرا للمركز العراقي لدراسات الاستراتيجية في لندن و هو كاتب "الوسم ارهابي : استخدام الوسوم "ارهابي" في الصراعات القومية الوطنية".

⁴ <https://ar.grc.net/>

⁵ James McGann, "2015 Global Go To Think Tank Index Report," *TTCSP Global Go To Think Tank Index Reports*, February 9, 2016, https://repository.upenn.edu/think_tanks/10.

⁶ وهو مركز تفكير فوق قومي لأنه هيئة علمية وتدريبية تابعة لمجلس وزراء الداخلية العرب ومقره بالرياض. للمزيد أنظر:

<https://nauss.edu.sa/ar-sa/searchsecurity/security-research-center/Pages/about.aspx>

المعتمدة من طرف هذا المركز بتنوعها و انفتاحها المنهجي حيث يظهر اهتمام و ميل نحو المقاربات النفسية و السلوكية والمقاربات الاقتصادية لفهم و تفسير الارهاب.

نرى من خلال هذه الأمثلة أن موضوع الارهاب لا يعتبر محوريا ضمن البيئة العامة لحقل مراكز التفكير العربية، فلا يوجد أي مركز تفكير عربي متخصص في الارهاب، كما أنه ليس محوريا على صعيد الأجندة البحثية لكل مركز تفكير. بشكل عام، تتم دراسة الارهاب ضمن برامج بحثية فرعية على مستوى مراكز التفكير العربية الكبرى. هذا يفرز تأثيرات جمة من ناحية أنه لا يسمح ببروز خبراء حقيقين مختصين في موضوع الارهاب، فأغلب الأسماء التي وردت هنا تعكس نموذج الباحث الأكاديمي متعدد الاهتمامات البحثية. لكن، تعتبر حالة عمر عاشور من معهد البحوث ودراسة السياسات بقطر فريدة من نوعها و استثنائية لأن أعماله ككل متمحورة حول مشكلة الارهاب فحسب، فهو الوحيد الذي يعبر حقا عن نموذج الخبير - الأكاديمي المتخصص.

3.1. قواعد البيانات العربية

توضح الدراسات المسحية حول أهم قواعد البيانات الخاصة بالأعمال الارهابية في العالم - كتلك التي نشرها نايل بوفي Neil Bowie سنة 2020 في الدورية المتخصصة *Perspectives on Terrorism* - أنه لا توجد أية قاعدة بيانات عربية حول موضوع الارهاب¹، في حين أن اسرائيل ولها ست (06) جامعات فقط تمتلك قاعدتين اثنتين للبيانات هما ؛ قاعدة إحصاء ضحايا العنف الناتج عن الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي وهي تابعة لمركز التفكير بيت السلام (B'Tselem Statistical Data Set)، وقاعدة بيانات الحوادث الارهابية و النشاطات *ICT Incidents and Activists Database* التابعة لمركز مكافحة الارهاب بجامعة هيرتزليليا². من جهتها تضم الولايات المتحدة الأمريكية 30 قاعدة بيانات أكاديمية و تجارية من أصل 55 الأشهر في العالم، كما تؤكد دراسة بوفي أعلاه³. يؤكد ذياب البداينة - وهو كاتب عربي كان قد تعرض كثيرا لإشكالية و ضرورة بناء قواعد بيانات عربية حول مشكلة الارهاب- أن العالم العربي يفتقر الى قواعد خاصة به و يلجأ الى تلك التي توفرها دول أمريكا الشمالية

¹ Neil G. Bowie, "Terrorism Events Data: An Inventory of Databases and Data Sets, 1968-2017," *Perspectives on Terrorism* 11, no. 4 (2017): 50–72.

² Ibid.

³ Ibid.

و أوروبا¹. يُعبر مثل هذا الافتقار لقاعدة بيانات تسمح بإنتاج منتج بحثي عربي وفقا للتقديرات العربية عن غياب تهيئة للبنية التحتية للبحث حول الموضوع. إنه عائق موضوعي ضخم أمام تطوير حقل دراسات الارهاب، والنتيجة في النهاية هي استيراد البيانات والأطر التأويلية المرافقة لها.

2- خبراء الارهاب العرب من خلال مؤشر المؤتمرات حول الارهاب

يعتبر المؤتمر أسلوبا جيدا لتعميق النقاش حول مشكلة الارهاب، فهو فضاء للالتقاء مع خبراء آخرين من فضاءات معرفية مختلفة ومن آفاق مهنية أخرى (سياسيين، صحفيين، عسكريين... الخ). إنه أيضا يمثل استراتيجية اتصال بالنسبة لمركز التفكير و بالنسبة للجهة الراعية لأنه يسمح بانتشار الأطر التحليلية و التأويلية التي يساندونها.

ليس لدينا وصول الى بيانات توضح عدد المؤتمرات التي تم تنظيمها خلال العقود الثلاثة الأخيرة في المنطقة العربية. لكن، يوضح البحث الآلي على شبكة الانترنت باستعمال الباحث الأكاديمي والباحث الشامل Google وبإدخال الكلمات المفتاحية (مؤتمر، منتدى، الارهاب) باللغة العربية، أن أغلب المؤتمرات العربية في الشرق الأوسط انعقدت حديثا جدا، وبالتحديد ابتداء من 2015. هذا لا يتوافق مع فترة رواج نشاط الارهاب الاسلامي داخل الدولة العربية القطرية مثل مصر، ولا مع فترة نشاط تنظيم القاعدة (بعد 09/11)، بل يتوافق مع فترة صعود تنظيم الدولة الاسلامية في سوريا والعراق. ابتداء من 2015 نُظمت مؤتمرات وطنية ودولية بأغلب الدول العربية وذلك تحت تأثير نمو التهديد هذا التنظيم ضد استقرار الدولة العربية. ضمن هذا السياق إذن، ولأول مرة منذ نهاية الحرب الباردة عَبرَت الدولة العربية عن حاجتها لاستخدام الخطاب الخبير حول مشكلة الارهاب، عبر التعرض لها على مستوى الرأي العام و عبر تقديمها وفقا للأسلوب الذي تتقنه كل من الجامعات من جهة ومراكز التفكير من جهة أخرى ؛ أسلوب المؤتمر. لكن، للتجربة العربية بهذا الخصوص مميزات خاصة أيضا، سنكتشف بعضها من خلال تناول بعض الأمثلة فيما يلي.

¹ دياب البداينة، "قاعدة مكافحة إرهاب عربية" ندوة علمية، جامعة القصيم، 2009.

https://www.researchgate.net/profile/Diab-Al-Badayneh/publication/328064861_qadt_mkafht_arhab_rbyt/links/5bb5c20f45851574f7f7fda3/qadt-mkafht-arhab-rbyt.pdf

2-1. مؤتمرات الارهاب العربية و خبراؤها

والمقصود بها تلك المؤتمرات الرفيعة المستوى من ناحية المراكز السياسية و المهنية التي ينتمي اليها المشاركون. عرفت هذه المؤتمرات نموا عدديا معتبرا ابتداء من سنة 2015، حيث نجد أن جل الدول العربية احتضنت مؤتمرا دوليا أو وطنيا رفيعا على الأقل. في حين ازدهر هذا الأسلوب في أمريكا وأوروبا و اسرائيل منذ السبعينيات من القرن الماضي، انتظرت المنطقة العربية أواسط العشرية الثانية من القرن الواحد و العشرين لتبعث مؤتمراتها الدولية الأساسية. سنتناول أهمها فيما يلي.

2-1.1. مؤتمر مصر و تحديات الارهاب (2016)

في شهر جانفي 2016 خصص المجلس المصري للشؤون الخارجية في مؤتمره الثالث عشر موضوع المؤتمر للإرهاب، و حمل عنوان "مصر و تحديات الارهاب"¹، و قد حظي بتغطية اعلامية واسعة و بالدعم السياسي اللازم. يعكس هذا الاهتمام الكبير مدى توظيف النظام السياسي لمشكلة الارهاب بغرض كسب الدعم الجماهيري، خصوصا و أن السياق تميز باهتزاز شرعيته خصوصا بعد انقلاب 2013 ضد الاخوان المسلمين. قام بتحرير أعمال المؤتمر الدكتور عزت سعد و هو دبلوماسي وسفير سابق لمصر في روسيا. عرف المؤتمر مشاركة متنوعة و لكن غلب عليها المسؤولون السياسيون من سلك السفراء. يوضح الجدول التالي أعداد المشاركين فيه حسب مركزهم المهني.

عدد المشاركين	المركز المهني أو الوظيفي
09	- السفراء
02	- مهنيو القطاع العسكري والأمني
05	- الأكاديميون
01	- الصحفيون

جدول رقم 05 : عدد المشاركين في مؤتمر مصر و تحديات الارهاب (2016).

المصدر: عزت سعد، مصر و تحديات الارهاب، المؤتمر السنوي الثالث عشر للمجلس المصري للشؤون الخارجية (القاهرة، 2016).

¹ عزت سعد، مصر و تحديات الارهاب، المؤتمر السنوي الثالث عشر للمجلس المصري للشؤون الخارجية (القاهرة، 2016).

يمكن تفسير هيمنة موظفي وزارة الخارجية على المؤتمر بكون الأخيرة هي الجهة المنظمة للمؤتمر. ولكن السؤال المطروح هنا هو عن مدى كفاءة هؤلاء في الحديث عن موضوع الارهاب. ما هي تجربتهم البحثية في انتاج الخبرة عن الارهاب؟ أم أنه يُسَمَّحُ بتناوله من طرف غير الخبراء أيضا؟ يوضح الجدول التالي مدى مساهمة كل واحد من المشاركين في الانتاج المعرفي أو الخبير في حقل دراسات الارهاب.

اسم المشارك و صفته	عدد الكتب و الدراسات التي انجزها حول الارهاب	درجة الحضور في الحقل الاعلامي
د. عزت سعد / سفير	كتاب واحد- محرر أعمال ملتقى مقالين في دوريتين محكمتين	عشرات المقالات و الحوارات بالصحافة المصرية و العربية
أ.د. أسامة الغزالي حرب / أكاديمي	كتاب (1984)، كتاب (2016)	عشرات المداخلات و الحوارات بالصحافة المصرية و العربية
أ.د. عمرو الشوبكي / أكاديمي باحث بمركز الأهرام	أغلب أعمال له عن الحركات الاسلامية السياسية ولكن ليس عن موضوع الارهاب	من دون مقالات. لكن، له مقالات رأي كثيرة بالصحافة المصرية و العربية
أ. أنيسة حسونة / كاتبة و باحثة سياسية	لا شيء	حوارات في الصحافة المصرية
السيدة مشيرة خطاب / سفيرة السيد فتحي الشاذلي / سفير	لا شيء لا شيء	حوارات في الصحافة المصرية عشرات المداخلات حول الارهاب في الصحافة العربية
السيد خالد عزمي / سفير لدى اسرائيل، مدير وحدة مكافحة الارهاب في وزارة الخارجية المصرية	لا شيء	منعدم
د. حسين حسونة / سفير	لا شيء	بعض الآراء في الصحافة جول الارهاب
د. ضياء رشوان / صحفي / رئيس الهيئة العامة للاستعلامات	كتاب دليل الحركات الاسلامية 2006	عشرات المداخلات و مقالات الرأي بالصحافة العربية
-السيد خالد عكاشة / عسكري برتبة عميد	لا شيء	عشرات المداخلات و الحوارات و مقالات الرأي بالصحافة المصرية

د. محمد مجاهد الزيات / لواء سابق و خبير استراتيجي بمراكز تفكير متعددة	لا شيء	عشرات المداخلات والحوارات بالصحافة العربية، عدة أوراق بمراكز تفكير في مصر و الخليج العربي
أ.د. على الدين هلال / أكاديمي	لا شيء	بعض الحوارات بالصحافة المصرية

جدول رقم 06 : قائمة المشاركين في مؤتمر مصر و تحديات الارهاب (2016)
(من اعداد الباحث)

تظهر معطيات الجدول أن الأغلبية من المشاركين استطاعت أن تكتسب حق المشاركة انطلاقاً من المركز الوظيفي في وزارة الخارجية المصرية وليس انطلاقاً من رأس مال رمزي مكتسب في حقل البحوث و الدراسات و انتاج المعرفة. تتميز هذه الفئة بحضورها المعتبر في الحقل الإعلامي، فننوات التعبير مفتوحة أمام أغلبهم ولكن انطلاقاً من المراكز المهنية التي يحتلونها. لذلك، لا يمكن اعتبار أن هذا المؤتمر نموذج لانفتاح الحقل السياسي على حقل الخبرة : هناك ميل واضح نحو تأطير النقاش العام حول مشكلة الارهاب من خلال ترقية السرديات التي ينتجها و يهيمن على انتاجها موظفو الوزارة الوصية. هؤلاء يتمتعون بقدرة على الوصول الى الاعلام تساعد على الترويج لوجهات نظر و مصالح الأجهزة التي ينتمون إليها. يظهر إذن على التركيبة العامة للمشاركين في المؤتمر افتقاره الى خبراء مختصين في موضوع الارهاب، و اعتماده على منتجي الرأي من الموظفين الرسميين للحكومة.

لكن مقارنة بالمؤتمرات الاسرائيلية و الأمريكية رفيعة المستوى التي نظمت حول الارهاب منذ السبعينيات ، فإن هذه الأخيرة ضمت كوادراً من المسؤولين السياسيين و الأمنيين و لكن ظل الخبراء و الباحثون و الأكاديميون الذين يشتركون في خصائص غزارة الانتاج البحثي و الميل الايديولوجي يشكلون أهم سمات هذه المؤتمرات. بالتالي، لا يعبر المؤتمر المصري لسنة 2016 عن انفتاح للحقل السياسي على حقل الخبرة و إنما يعبر عن استراتيجية اتصالية للأجهزة الحكومية في الانفتاح على الرأي العام.

2.1.2. منتدى الرياض لمكافحة التطرف و محاربة الارهاب (2017)

تمثل الحالة الخليجية نموذجا آخر مختلف عن المؤتمرات المصرية و شبيهة الى حد كبير بالأمريكية و الاسرائيلية. من خلال التمعن في منتدى الرياض لمكافحة التطرف و محاربة الارهاب¹ الذي نظمه مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية سنة 2017، يمكننا التعرف على السمات العامة للمؤتمر و للخبراء المشاركين الذين يصنعون التصور السعودي عن الارهاب.

عدد المشاركين	المركز المهني أو الوظيفي
15	- أكاديميون و باحثون بمراكز تفكير
5	- إدارات القطاع العسكري و الأمني و الاستخباراتي (نشطون أو متقاعدون)
3	- مسؤولون سياسيون (نشطون أو متقاعدون)
5	- الصحفيون

تبين هذه التركيبة أن فئة الخبراء و الأكاديميين ممثلة بشكل أعلى مقارنة بالفئات الأخرى، و هذا معناه أن التحالف الخطابي تسيطر عليه فئة الخبراء و التي تستند بدورها على الرساميل الرمزية العلمية. هناك سمة أخرى تظهر على تركيبة هذا المؤتمر و هي أن أغلب المشاركين من جنسيات غربية، فمن أصل 21 مشارك في أعمال المنتدى يوجد 13 مشارك يحملون جنسيات غربية.. من بينهم سبع (07) أمريكيين و (04) بريطانيين و خبيرين من دول الاتحاد الاوروبي، بينما شارك أربع خبراء (04) سعوديين و خبير لبناني و آخر بحريني و خبيرين عربيين بالمهجر². جميع المشاركين من المختصين حول الارهاب و التطرف و الجماعات المسلحة فهم على درجة عالية من التخصص كما تشير إليه المعطيات البيبليوغرافية لهؤلاء. على سبيل المثال، نشر راجان بصرة Rajan Basra و هو باحث في مركز الدولي لدراسات التطرف بكلية كينجز في لندن أكثر من 20 دراسة و ورقة بحثية حول الموضوع منها 07 كتب أو مساهمات في كتب باللغات الانجليزية و الفرنسية و الألمانية. و نشرت اليزابيث كاندال Elisabeth Kandall و هي كبيرة باحثين بجامعة اوكسفورد و لها حوالي عشرين عملا عن الموضوع من بينها ثلاث

¹ منتدى الرياض لمكافحة التطرف و محاربة الارهاب، "طبيعة التطرف و مستقبل الارهاب" (طبيعة التطرف و مستقبل الارهاب، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية، 2017).

² Ibid. p. 13.

كتب رئيسية، كما تكتب أوراق بحثية باستمرار لصالح مراكز تفكير أمريكية مثل Atlantic Council¹ و Middle East Institute بواشنطن. ينتهي باقي المشاركين إلى نفس هذا النموذج المتسم بغزارة انتاج الدراسات و البحوث بينما يتميز باقي المشاركين بعلو مراكزهم و مسؤولياتهم في أجهزة الأمن أو الاستخبارات.²

يختلف إذن المؤتمر السعودي عن نظيره المصري، فالأول يمثل تحالفا خطابيا سعوديا غربيا يضم خبراء سعوديين و خبراء غربيين (وباحثين عرب بالغرب) يحاولون تقديم تصور عن الارهاب ونموذج للاستجابة له ولكن بالاستناد على شرعية علمية، بينما يمثل المؤتمر المصري السابق نموذجا عن استعمال موظفي و إدارات وزارة الخارجية للترويج للسياسات المنتهجة من طرف الدولة المصرية.

2.2. نماذج الفهم والاستجابة من خلال خطاب المؤتمرات

لا يعبر أسلوب تنظيم المؤتمرات الا عن حاجة الدولة العربية الى استراتيجية اتصالية لكسب التأييد الجماهيري وتحقيق الانضمام الى الجهود الرسمية لمكافحة الارهاب. يجب أن نلاحظ في النهاية أن تنظيم المؤتمر في حد ذاته يعتبر دلالة على تغير قد حصل على مستوى مكان ومركز الخطاب الحكومي حول الارهاب، لقد انتقل هذا الخطاب من مستوى المؤسسات السياسية القطاعية (غير الديموقراطية) إلى الفضاء العام. في السابق كانت الحكومة هي الحيز الذي يتم بداخله انتاج و تداول الخبرة على الارهاب، ولكن فيما بعد أنتقل الخطاب الرسمي لينفتح أكثر على الرأي العام من خلال توظيف الاعلام. هذا معناه أن استراتيجية الحكومات العربية (مصر و السعودية) تتمثل في نقل التهديد الارهابي من مستواه الرمزي ضد أجهزة الدولة الى مستوى التهديد الشامل ضد الفئات الشعبية، و هو بهذا الشكل يستهدف مخاطبة العواطف العامة لبناء رأي و موقف مضاد للإرهاب و رموزه.³

¹ وهذا المعهد أطلسي التوجه وقد تأسس سنة 1961 و هو أهم هيئة بحثية لحلف الناتو NATO، و هو المؤسسة المسؤولة عن الترويج لاستراتيجية تشكيل "تحالف دولي ضد تنظيم الدولة الاسلامية" سنة 2015. تقوم العديد من الجهات بتمويل المعهد للتأثير في بناء آراء وتوصيات هذا المعهد، و تساهم الامارات العربية المتحدة بشكل بارز في هذا التمويل وكذلك بعض الشخصيات العربية الثرية مثل بهاء الحريري. أنظر:

InfluenceWatch, "Atlantic Council," *InfluenceWatch* (blog), 2021, <https://www.influencewatch.org/non-profit/atlantic-council/>.

² فعلى سبيل المثال شارك في المنتدى ريتشارد باريت، وقد كان في السابق مدير لفريق العمليات الدولية لمكافحة الارهاب بجهاز MI6 (الفرع الخارجي للاستخبارات البريطانية)، كما كان مديرا لفريق الأمم المتحدة لمتابعة و رصد تنظيم القاعدة وحركة طالبان.

³ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p.80.

تبعاً لهذا التطور المنهجي، فقد انتج خبراء الارهاب العرب من خلال حالي المؤتمرين السابقين تصوراً متشابهاً عن التهديد الارهابي :

- أن الارهاب في الدولة العربية هو مشكلة تطرف، وهو تهديد حيوي لها؛
- أن الاستجابة له تقتضي وجود استراتيجية تعبئة ضد التهديد الارهابي،
- أنها استراتيجية قائمة على مقومين : الأول الحرب المباشرة، الثاني ردع الدعم للإرهاب.
- يصاحب تنفيذ هذه الاستراتيجية الصلبة استراتيجية مرنة وهي مكافحة التطرف عن طريق برامج الاصلاح التربوي والديني وبرامج اعادة التأهيل.

إذن، يعتبر التطرف مفتاحاً في تعريف وفهم الارهاب لدى الدولة العربية. هذا النوع من المقاربات منشأه أمريكي - في الحقيقة - كما أنه خطاب-اجماع للمسؤولين الرسميين الأمريكيين ولخبراء مراكز التفكير الأمريكية. ما يسميه الخبراء الغربيون بالجهادية Djihadisme باعتباره محركاً للإرهاب يتم وفقاً لاختزال علائقي بين فكر ديني (الاسلام) ودول هي العربية السعودية (بسبب الوهابية) ومصر (بسبب تنظيم الاخوان المسلمين). إن النموذج الادراكي العربي لمشكلة الارهاب يقبل هذا التشخيص ولا يناهضه. لقد تحدث مثلاً محمد بن سلمان في منتدى اقتصادي في شهر اكتوبر سنة 2017 أن هناك انتشاراً للمشكلة السعودية في جميع أنحاء العالم¹، أي حديث عن اعتراف من مسؤولية المملكة عن التطرف والارهاب. ضمن هذا الإطار، تعتبر جهود مكافحة التطرف الديني من طرف السعودية جهوداً لتحسين صورة الدولة قبل كل شيء، فهي أساساً استجابة لمطلب أمريكي يدعو للصرامة في نزع الشرعية عن الايديولوجية الدينية المتطرفة. لهذا السبب نرى أن جل استراتيجيات تحسين الصورة التي تقوم بها المملكة تصب ضمن إطار محاولة كسر هذا الاختزال وفك الارتباط بين الاثنين.

إذن ما يطرحه نموذج الخبرة العربي من تصورات عن الارهاب يعتبر قبل كل شيء انضماماً الى سرديات غربية مهيمنة حول الارهاب و التطرف، وهي سرديات تقر بمسؤولية الدولة العربية عن التطرف و الارهاب. هناك مؤشرات موضوعية عدة تدعم فكرة التبعية العربية للأجندات البحثية الأمريكية والاسرائيلية، ومن شواهدنا :

¹ Le courrier International, "Zéro Terrorisme En Arabie Saoudite," June 2, 2023, <https://www.courrierinternational.com/une/une-du-jour-zero-terrorisme-en-arabie-saoudite>.

- الانتشار السريع للفروع العربية لمراكز التفكير الامريكية الكبرى (كارنجي للسلام ، معهد راند، بروكينز) وهي أدوات لمنافسة الأفكار المحلية عن المشكلات المختلفة،
- أن اتفاقات الشراكة و التعاون البحثي مع المراكز البحثية العربية تخص في الغالب موضوع التطرف الديني، فمثلا، يتعلق البرنامج البحثي التعاوني الوحيد بين مركز الأهرام و معهد راند بالتطرف؛ و أغلب الخبراء العرب المساهمين في الدراسات الكبرى للمراكز الأمريكية الكبرى لا يشاركون إلا في الدراسات الخاصة بالتطرف و بالإسلام،
- أن أغلب المؤتمرات العربية حول الارهاب و الخليجية منها بشكل خاص تمثل منابر رأي للخبراء الأمريكيين، قبل غيرهم.

ينتج عن هذه الحركات ضعف منافسة نموذج الخبرة العربي للأطر المفاهيمية والإدراكية الأمريكية و الإسرائيلية ، كما أنها تفرز علاقة تبعية مستمرة لها وهذا نظرا للمركزية وللهيمنة الاسرائيلية التقليدية على حقل الدراسات الشرق أوسطية ككل. إذا كان الخطاب المعرفي الاسرائيلي يختزل تقليديا مشكلات الشرق الأوسط - و منها مشكلة الارهاب- في العوامل الدينية¹ تماما كما يفعله الخبير الأمريكي و العربي (نموذج فؤاد عجمي)، فإن الخطاب العربي الخبير حول الارهاب اليوم يمثل إحدى المسارات التي تعكس اختزالنا (أ) لمشكلة الارهاب في متغير التطرف الديني.²

حوصلة :

رأينا فيما سبق أن الحقلين الأمريكي و الاسرائيلي لخبراء الارهاب نشأ حول نواة صلبة تشكلت من عدد قليل من الخبراء ولكنها استمرت في النشاط منذ السبعينيات و لحوالي أربعة عقود. لم يتشكل الحقل العربي وفقا لنفس الحركية ولا حول أسماء خبراء وذلك بسبب عدم انفتاح الحقل السياسي على مصادر الخبرة الخارجية ولكن أيضا بسبب غياب الخبير العربي المختص على الصعيد المحلي. تميز

¹ Katerina Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies: Establishing Links via a Critical Approach," in *Critical Terrorism Studies* (Routledge, 2009). p. 141.

² فمثلا، قلما نجد في المنطقة العربية أعمالا تتبنى مقاربات الاقتصاد السياسي للإرهاب، فرغم مصدرها الغربي إلا أنها ذات فائدة تفسيرية تساعدنا (كعرب) في فهم الإرهاب من أطر إدراكية أخرى غير الدين و في اقتراح حلول دولية أخرى للمعضلة الأمنية العربية. عندما ينضم أغلب الباحثين العرب إلى الأجنداث البحثية التي تهتم بالتطرف الديني، الراديكالية، و... و... غيرها من مفردات المقاربات الدينية، فإن البحث العلمي العربي يساهم في تكريس علاقة التبعية للغرب. للمزيد حول مقاربات علمية و غير ايديولوجية، أنظر بشكل خاص كتاب ايندرز و ساندلر:

Walter Enders and Todd Sandler, *The Political Economy of Terrorism* (Cambridge University Press, 2011).

حقل الخبراء العرب حول الارهاب بصعود جيل أول خلال السبعينيات و الثمانينات في الغرب ولكنه لم يلعب نفس أدوار التأثير في البلدان الأصلية كما فعله الخبراء الاسرائيليون. لم يساهم هؤلاء المتقدمون في إرساء حقل دراسات الارهاب في المنطقة العربية ولم يساهم المتأخرون في ذلك أيضا، فلا وجود لمركز تفكير مختص حول المشكلة ولا لمجلة متخصصة ولا لقاعدة بيانات منذ السبعينيات وحتى اليوم. لا تحظى مشكلة الارهاب بكثير من الاهتمام عند مؤسسات التفكير العربية وظلت دراستها مقتصرة على بعض البرامج البحثية الفرعية داخل مراكز التفكير العربية الكبرى، وذلك بالرغم من أن المنطقة العربية من أكبر الفضاءات الجيوسياسية تأثرا بالمشكلة. أدى صعود تنظيم الدولة الاسلامية منذ منتصف عشرينية 2010 الى نمو الاهتمام بالمشكلة وصاحبه على الصعيد العربي خصوصا ازدهار أسلوب المؤتمرات الوطنية والدولية، الذي عبّر قبل كل شيء عن استراتيجية اتصال لتعبئة الرأي العام ضد الارهاب، ولكن ايضا كاستراتيجية لتحسين صورة الدولة العربية التي تحملها السرديات الغربية المهيمنة المسؤولية عن الارهاب و التطرف.

تُعبرُ هذه المؤشرات عن وجود حقل خبراء عربي فرعي ناشئ حول الارهاب، وليس عن حقل تام الاستقلالية و النضج. هذا الأخير لا يطور أجندته البحثية بشكل مستقل يراعي المصالح الاستراتيجية للدولة العربية بل يقترحها ضمن افرازات علاقة التبعية السياسية و الايديولوجية للمهيمنة الامريكية-الاسرائيلية. لقد ظلت مثلا مسألة التطرف تهيمن على اشكالية الارهاب عند الخبراء العرب، وهي على أهميتها ليست مركزية ولا وحيدة. فرغم أن المنطقة العربية تعاني أيضا من أنماط أخرى من الارهاب و خصوصا ارهاب الدولة الذي تمارسه اسرائيل منذ الثمانينيات في لبنان وبشكل مستمر ضد الفلسطينيين، إلا أن الاشكالية الرئيسية للإرهاب عند الدولة العربية ظلت مقترنة بمشكلة التطرف الديني، سواء على مستوى الخطاب الرسمي أو الخطاب الخبير. يُعبرُ هذا عن أمرين اثنين ؛ فأما الأول فيشير الى عدم قدرة الخطاب العربي الخبير على التحرر من السرديات الغربية المهيمنة حول الارهاب (هيمنة اشكالية التطرف الديني). وأما الثاني فيعبر عن عجزه عن اقتراح نماذج بديلة لهذه السرديات المهيمنة خصوصا حول مسألة ارهاب دولة الاحتلال و مسألة توظيف التنظيمات الارهابية من طرف القوى الدولية ضد الدولة العربية.

الفصل الرابع : انتاج الخبرة حول
موضوع الارهاب في مراكز التفكير
الأمريكية والشرق أوسطية

الفصل الرابع : انتاج الخبرة حول موضوع الارهاب في مراكز التفكير الأمريكية والشرق أوسطية

رأينا في الفصلين الثاني والثالث أن الخبرة التي يتم انتاجها من طرف خبراء الارهاب تتقيد بالمحددات وبالديناميكيات المختلفة - الداخلية و العابرة للأوطان - التي تعبر حقل مراكز التفكير. فيما يلي سنحاول أن نتعرف على طبيعة الخبرة التي انتجها هؤلاء الخبراء حول الارهاب بعد 11 سبتمبر 2001.

يكن افتراضنا الرئيسي هنا في الاعتبار الذي مفاده أن الكيفية التي يتم بها بناء موضوع الارهاب من طرف خبراء مراكز التفكير تتقيد أساسا بالظروف المؤسسية الداخلية التي يفرضها مركز التفكير في حد ذاته، و التي تتحدد بدورها بطبيعة الوظيفة الرئيسية التي يقوم بها هذا الفضاء الهجين، و هي بناء الاجماع السياسي و الأيديولوجي. ينطلق هذا الافتراض من ملاحظتين ينتج عنهما تساؤلان:

- الأولى : أن خبير مركز التفكير عندما يتكلم عن موضوع الارهاب فإنه لا يتكلم عنه بنفس الطريقة التي يعتمد عليها الأكاديميون أو الصحفيون أو المنتجون الآخرون للمعرفة (المستشارون، الدواوين، مصالح التقييم)، و عليه فالسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتم بناء مشكلة الارهاب من طرف خبير مركز التفكير ؟ و ما طبيعة الظروف المؤسسية التي تحدد هذه الكيفية ؟

- الثانية : أن خبير مركز التفكير عندما ينتج خبرة عن موضوع الارهاب فهو يستهدف الحقل السياسي لأن الغرض هو تحقيق العمل بها و بتوصياتها (وظيفة استخداماتية للخطاب)، كما يستهدف الحقول الاعلامية و الأكاديمية (وظيفة اتصالية للخطاب). بالتالي، يتأثر انتاج الخبرة حول الارهاب باستراتيجيات البحث عن الاجماع السياسي و الايديولوجي في سياق زمني ما، وهو عامل اكراهي خارجي يساهم الخبير في كسره أو في المحافظة عليه، فما هي المضامين التي أنتجها الخبراء في الو. م. أ. و دول الشرق الأوسط حولة مشكلة الارهاب ؟

منهجيا ستتم الاجابة على هذه التساؤلات من خلال تحليل لمجموعة من الوثائق التي انتجها خبراء تابعون لمراكز تفكير تابعة للو. م. أ. و اسرائيل و دول عربية شرق أوسطية. تعكس هذه الوثائق وجود محتوى يوضح مضمون الخطاب الذي ينتجه الخبير كما تعكس وجود منهجية أو استراتيجية في توضيح هذا المضمون، تسمى باستراتيجيات بناء الحجة Stratégie argumentative. فيما سيأتي

سنحاول الكشف عن هذين الشقين انطلاقا من قراءة تحليلية للمحتوى الوارد في هذه الوثائق. هذه الأخيرة تم اختيارها عبر فترتين لتغطي الحدود الزمانية لهذه الدراسة؛ الأولى تخص الفترة التي اعقبت حوادث الحادي عشر من سبتمبر 2001 و الثانية تتعلق بما فترة ما بعد 2008 المتزامنة مع مجيء ادارة اوباما الأولى و التي عرفت تغييرا في المقاربات التعامل مع الارهاب. هذه الوثائق التي سبق التعريف بها في الاطار المخصص لمنهجية الدراسة :

الرقم	عنوان الوثيقة	طبيعتها	الكاتب -مركز التفكير - الدولة
1	The Jihadists' Operational Code	مساهمة في كتاب	Brian Jenkins Rand Corporation معهد راند الو. م. أ.
2	The New Age of Terrorism	مساهمة في كتاب	Brian Jenkins معهد راند Rand Corporation الو. م. أ.
3	How Terrorist Groups End Lessons for Countering al Qa'ida	تقرير	Seth G. Jones, Martin C. Libicki معهد راند Rand Corporation الو. م. أ.
4	The Terrorism Threat against Israel from al-Qaeda and Global Jihad	مقال	Yoram Schweitzer معهد دراسات الأمن القومي "اسرائيل"
4	سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية و التحديات	مقال	ايمن رجب مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية مصر
5	حالة الارهاب في عام 2023 : تقدير استراتيجي لقدرات الجماعات الإرهابية ومواردها	تقرير	مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (الإمارات العربية المتحدة)
6	From Bullets to Ballots : Transformations from Armed to Unarmed Political Activism	دراسة	عمر عاشور المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة - قطر

المبحث الأول : كيفية بناء موضوع الارهاب من طرف الخبراء : تحليل مقارن

إن التمعن في الوثائق التي اصدرتها مراكز التفكير يوضح أنها تخضع لمنهجية محددة مسبقا وتتكرر بشكل لافت مع جميع الوثائق المدروسة. انها تبدو وكأنها قالب عمل جاهز يجب على الخبير اتباعه، وهذا بالرغم من اختلاف الفضاءات السياسية والثقافية التي تنتمي اليها كل مؤسسة بحثية.

المطلب الأول : بناء الخطاب حول الارهاب من طرف خبير مركز التفكير

لقد رأينا في الفصل النظري أن الخبير ليس أكاديمي من ناحية وظيفته فهو يستهدف حقل العمل (القرار) السياسي قبل كل شيء، أي أن يكون الرأي الذي ينتجه قاعدة للعمل السياسي. بالتالي يوجد اختلاف في الغاية من البحوث و الدراسات التي يجريها الأكاديميون و تلك التي ينتجها الخبراء. إن هذا الاختلاف جوهري جدا لأنه يسمح لنا بتفكيك جيد طبيعة الخبرة التي يتم انتاجها عن الارهاب من طرف الباحثين المنتسبين الى مراكز تفكير. بهذا الشكل، لا يجب أن نتعامل مع هذه الفئة بصفها حيادية بل يجب أن ندرسها انطلاقا من أدوارها السياسية، فالخبرة الصادرة عن الخبراء ذات مبرر سياسي قبل كل شيء.

1- تفكيك مسار التحليل عند خبير مركز التفكير

يمكن اعتبار الخبراء إذن كصناع للقضايا claims makers أو كمقاولي رأي des entrepreneurs بتعبير السوسيولوجي الأمريكي هاوارد بيكر، لأنهم في حقيقة الأمر مسؤولون عن نقل فهم معين أو زاوية نظر ما - دون أخرى - نحو الحقل السياسي. للقيام بهذه الوظيفة يتبع الخبير استراتيجية كلاسيكية قائمة على تحويل ظاهرة العنف المرتكب ضد مدنيين من طرف فاعلين معينين إلى مشكلة سياسية، و هذا يعتبر في جوهره عملية تسييس و ليس بالضرورة عملية فهم أو تفسير. لا يمثل الارهاب بالنسبة للخبير أي أهمية بل إن جدواه الدراسية تكمن في حاجة الحقل السياسي لمقولات عنه تكون مستندة على شرعية رمزية هي شرعية الخبير، أي على حجج يمكن وصفها وتشبيهها بالعلمية. إنه مسار معقد على نحو عال فهو يتضمن تفاعلا بين ثلاث مكونات رئيسية ؛ (1) الفاعلون، أي أولئك الذين يتدخلون للتعبير عن وجود مشكلة الارهاب، (2) توصيف الافعال و التنظيمات والاستراتيجيات التي تمثل فئة الارهاب، (3) و البناء الخطابي حول الموضوع.

1.1. الفاعلون المتدخلون في بناء مشكلة الارهاب

لا يمتلك الخبراء في مراكز التفكير حصرية الحديث عن وجود مشكلة الارهاب، ولا تتمثل وظيفتهم في وضع الشروط الموضوعية التي تحدد السلوك الارهابي بأنه كذلك أو لا. هذه الأدوار تقع كلاسيكيا و حصريا على المهنيين التابعين لأجهزة الأمن و النظام العام. و لكن ما وراء هذه الوظيفة الحصرية للمهنيين في قطاع الأمن و النظام العام، فإن ما يلاحظ اليوم هو أن المشهد العام لمشكلة الارهاب يعرف تغيرات عدة كما يؤكد ديدوي بيغو D. Bigo. هذا الأخير يعرف مشاركة عدد معتبر من المتدخلين يأتي على رأسهم خبراء مراكز التفكير، وهي ديناميكية يصفها بياركونيسا بالمركب العسكري الفكري *Complexe militaro-intellectuel* وهو ما أدى الى بروز تنافسية بين هؤلاء الفاعلين (المهنيون، الخبراء... الخ) في التأثير على السياسات التي ينبغي انتهاجها حول المشكلة. تعبر هذه المنافسة عن تراجع هيمنة المؤسسات التقليدية في انتاج الخطاب لصالح الخبراء خصوصا و أنهم حاملون للرساميل اللازمة ذلك (الوصول الى الحقل الاعلامي، الرأسمال الرمزي أو الأكاديمي... الخ). هذا لا يعني أن سلطة المهنيين في قطاع الأمن فقدت تأثيرها كُليَّة بل يعني أن البنى الخطابية و السردية حول المشكلة قد هيمن عليها الخبراء، كما يعني أن العلاقة بين الاثنين تأخذ أشكالا متغيرة باستمرار، إذ أنها تتراوح ما بين التنافس الشديد أحيانا (اقتراح سياسات بديلة مناقضة لمصالح هؤلاء المهنيين) والتعاون الضروري (الدفاع عن مصالحهم).

1.2. توصيف الأفعال و الفاعلين و استراتيجياتهم بالإرهاب

يعتبر تدخل الخبراء في هذا المستوى جوهريا، ولكنه يتميز بخاصية ؛ أن الجهد التحليلي الذي يبرزه الخبير ومهما كانت الوثيقة المدروسة يتناول القضايا الثلاثة التالية، فهو يتعرض للفعل، لهوية الفاعل ولاستراتيجيته. لا يبحث الخبير هنا عن تصنيف ما إذا كان عنف ما ينتمي الى صنف الارهاب أم لا لأن هذا العمل يقع في صميم اختصاص أجهزة الأمن و العدالة و القضاء، بل إن مسؤوليته تتعلق ببناء نموذج فهم عن المشكلة، أو فكرة عن المشكلة، و هدفه هو التمكن من اقتراح حل لصاحب القرار السياسي¹. يتضمن إذن مسار نقل المشكلة الى الحقل السياسي (مسار التسييس)

¹ Roser Cussó and Corinne Gobin, "Du discours politique au discours expert : le changement politique mis hors débat ?," *Mots. Les langages du politique*, no. 88 (November 1, 2008): 5–11, <https://doi.org/10.4000/mots.14203>. p. 06.

مرحلة أولى للتعبير عنها، نسميها مرحلة ما قبل التسييس وتتعلق بالكيفية التي يتناول بها الخبير مشكلة الارهاب، ويمكن تسميتها أيضا بمرحلة بناء السردية حول مشكلة الارهاب.

1-3. البناء الخطابي لموضوع الارهاب في مرحلة التسييس

و هذا من أهم أدوار الخبير على الاطلاق، لأنه دور محمول بعدد الرهانات. إنه يعبر أولا عن وجهة نظر مركز التفكير الذي ينتسب اليه الخبير، فهذا الأخير يجب أن يلتزم بتقديم الرأي بكيفية يظهر بها وكأنه رأي أصلي و ذو جدوى pertinent. إنه بطريقة ما يخضع للاعتبارات التسويقية لمركز التفكير. لهذا السبب نلاحظ أن البناء الخطابي لموضوع الارهاب يتقيد باستراتيجية تقوم على أربع محطات رئيسية هي :

- 1. توضيح الجانب الأزموي في المشكلة (مبرر التدخل الحكومي)
- 2. تحديد اسباب هذه الأزمة (موضوع التدخل)
- 3. توضيح للسياسات القائمة و انتقاد طابعها غير الملائم (تبرير تدخل الخبير).
- 4. اقتراح التوصيات أو البدائل لهذه السياسات غير الملائمة (جدوى رأي مركز الفكر)

هذه التسلسلية في بناء المشكلة تكشفها لنا كل الوثائق التي تم تحليلها، إذ أنها مهيكلية منهجيا حول هذه النقاط الأربعة، و ذلك نظرا لكون الوثائق تستهدف التأثير في حقل القرار السياسي. إنها في جميع الأحوال منهجية يحاول من خلالها مركز التفكير أن (1) يوضح الجدوى من أراء الخبراء la raison d'être و (2) أن يُسندَ نموذجا معيناً من العمل السياسي على شرعية خبيرة légitimité experte.

2- كيفية بناء مشكلة الارهاب عند خبير مركز التفكير

تسبق عملية تسييس مشكلة الارهاب عند خبير مركز التفكير - أي نقلها الى الحقل السياسي عبر انتاج خطاب حولها - مرحلة أولية تتعلق بالحديث عن المشكلة في حد ذاتها. يقوم الخبير بإعداد وصياغة فكرة عن المشكلة، أي تشكيل فهم عنها، تماما كما يفعل الأكاديمي، ولكن مع اختلاف في الأهداف. يأخذ مصطلح الفكرة في عالم مراكز الأفكار مدلولاً آخر، فهو عبارة عن براديجم للعمل¹. لا

¹ Dominique Bourg and Sophie Swaton, "Chapitre 2. Qu'est-ce qu'un paradigme ?," in *Primauté du vivant*, Hors collection (Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2021), 69–93, <https://www.cairn.info/primaute-du-vivant--9782130818267-p-69.htm>. p. 73.

يقصد بالبراديغم هنا ذلك الفهم الذي اراده توماس كون في سبعينيات القرن الماضي فهو ليس بنظرية أكاديمية أو نموذج تفسيري نظري. إن مفهوم البراديغم في عالم مراكز التفكير عبارة عن مقولة Enoncé لها وظيفتين غير قابلتين للفصل ؛ فهي تعمل كنموذج للفهم وكنموذج للعمل في آن واحد لأن هدفها هو توجيه العمل السياسي¹. كيف تم ذلك من خلال مختلف الوثائق الموجودة بين أيدينا ؟

2.1. حتمية بناء العلاقة بين العنف والفئات السوسيو-سياسية والنشاط الارهابي

معهد راند Rand Corporation

توضح وثيقتا معهد راند - (جنكينز 2006) و (جونز و ليبكي 2008) - أن أساس التحليل يقوم على أفكار براديغمية وليس على أفكار نظرية.

مثال 01 : يقدم (جنكينز 2006) في وثيقته تعريفا عن الارهاب مفاده أن :

الارهاب هو عنف يراهن في حساباته على خلق جو من الذعر²

(*Terrorism is a violence calculated to create an atmosphere of fear*)

هذا التعريف عبارة عن رأي يسمح بالحديث عن إحدى خصائص الذي يحملها مفهوم الارهاب، وهو خلق الخوف. ولكنه رأي لا ترجمة له على صعيد العمل السياسي، فقيمة هذا الرأي هي قيمة وصفية فقط. لا يعتني الخبير كثيرا بهذا النوع من الآراء بل يهتم أكثر بصياغة أفكار براديغمية في نصوصه ويمكن تعريفها بأنها كل الأفكار التي تربط بين متغيرات معينة بعلاقات سببية rapports de causalité أو علاقات توافقية rapports de corrélation، كما سنوضحه في المثال الآتي.

مثال 02 : يعرض (جينكينز 2006) في دراسته (العصر الجديد للإرهاب The New Age of Terrorism)، سبع اتجاهات جديدة للإرهاب. عندما يتعلق الأمر بتحليل الاتجاه الأول وهو ان الارهاب

¹ Hédi Guelmami, "Chapitre 2. Les paradigmes de recherche," in *La recherche en santé*, Business Science Institute (Caen: EMS Editions, 2021), 21–27, <https://www.cairn.info/la-recherche-en-sante--9782376875192-p-21.htm>; Laurence Dumoulin, "L'expertise comme nouvelle raison politique ? : discours, usages et effets de l'expertise judiciaire" (Thèse de doctorat, Grenoble ; 1990-2015, France, Université Pierre Mendès France, 2001). p.46 .

² Brian Michael Jenkins, "The New Age of Terrorism" (McGraw-Hill Companies, Inc., February 10, 2006), <https://www.rand.org/pubs/reprints/RP1215.html>. P. 117.

أصبح أكثر دموية، يسلك برايان جينكينز نهجا آخر في بناء الحجة. إنه يقوم بالربط بين ثلاث متغيرات؛

- الاتجاه الدموي الذي يعرفه الارهاب بعد 11 سبتمبر 2001 (متغير 1) :
- استراتيجية تنفيذ (تفجير طائرات ضد مباني مدنية شاهقة)، (متغير 2) :
- فئة سوسيولوجية مسؤولة عن التنفيذ (الجهاديون، المتطرفون..)، (متغير 3):

عندما يقوم جينكينز بالربط بين هاته المتغيرات الثلاث فإنه بهذا الشكل يكون قد استوفى الشروط الضرورية و القاعدية لتشكيل فكرة براديغمية. يسمح له هذا الأسلوب بتحقيق هدفين في آن واحد ؛

- من جهة أولى، يُمكنه من توضيح وضعية جديدة (طارئة) ليست بالضرورة ظاهرة (مكتشفة) عند المسؤولين السياسيين ولا عند مستشاريهم ولا عند مصالحيهم البيروقراطية، فالخبير يبحث عن تشكيل هكذا علاقات حتى يتمكن من انتاج فهم نظري عن المشكلة.
- من جهة ثانية، يسمح مثل هذا الربط من اقتراح حلول عملية ؛ مثل تعزيز اجراءات الأمن والمراقبة في المطارات، اقتراح اجراءات وقائية وحتى استثنائية (سرية) في التعامل مع فئة الجهاديين ...الخ. يسمح هذا الربط للخبير باقتراح توجيه للقرار السياسي نحو الفئة الجهادية و التي قد تتمثل في جماعات أو تنظيمات أو دول. في الحالة الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر 2001 انضم الخبير برايان جينكينز الى الخطاب الرسمي الذي تبني أسلوب الحرب الشاملة على الارهاب، فالجهادية هي تنظيمات تساندها و ترعاها دول هي افغانستان والعراق، يجب محاربتها. إنها مقولات تهدف إلى تبرير السلوك الأمريكي (قرار الحرب).

لا يستند هذا التوضيح بالعلاقات بين المتغيرات على معطيات امبريقية دوما، بل إنها افتراضات قائمة في الغالب على التضخيم الدرامي ؛ فمثلا : خلفت هجمات 11 سبتمبر 2001 ما يقارب 3500 قتيل مدني، بينما خلفت حوادث استعمال الأسلحة النارية التي تشتهر بها الو.م.أ. ما يقارب 11078 قتيل سنة 2000 (أكثر من 45 ألف سنة 2022)¹، و النتيجة أن حوادث الارهاب التي تمت على التراب الأمريكي يتم وصفها بالدموية بينما لا توصف مشكلة القتل باستعمال السلاح الناري بنفس الوصف.

¹ Wikipédia, “Violences par arme à feu aux États-Unis,” in Wikipédia, August 21, 2023, https://fr.wikipedia.org/w/index.php?title=Violences_par_arme_%C3%A0_feu_aux_%C3%89tats-Unis&oldid=207114553.

إنه أسلوب يستعمل لتضخيم حجم المشكلة بغرض تحضير الاقتراح الذي يتناسب مع هذا الحجم ، أي اصدار المقترحات الأكثر راديكالية مثل اعلان مساندة سياسة الحرب الشاملة على الارهاب في موضعنا هذا، أو مفاهيم الحرب الوقائية ضد الارهاب.

المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية INSS (اسرائيل) :

استخدم الخبير يورام شفايتزر نفس المنهجية القائمة على الربط بين مجموعة متغيرات لتشكيل الفكرة البراديغمية. تتميز هذه الأخيرة عند الخبراء الاسرائيليين بمحورية فكرة العداء لليهود ثم لإسرائيل، ولكنها لا تختلف عن سابقتها على المستوى بناء العلاقة مع الأعمال الارهابية والفئات السوسيولوجية التي تمثلها. يقوم شفايتزر بالربط بين مقولة العداء لليهود و الارهاب وفقا للشكل التالي:

- كانت و لا تزال رؤية تنظيم القاعدة و المنظمات المنتسبة لها تقوم على معاداة لليهود ومعاداة لإسرائيل في جوهرها؛
- هذه الرؤية يحملها الزنادقة المسلمون مثل الشيعة وبعض الخونة من السنة،
- يركز النشاط الارهابي على تفجير الطائرات، و الأعمال الانتحارية ضد الاسرائيليين واليهود داخل و خارج اسرائيل¹.

تقوم الفكرة البراديغمية عند الخبير الاسرائيلي على توضيح العلاقة السببية بين متغير العداء لليهود وإسرائيل و فئات سوسيو-سياسية محددة بعناية مثل الزنادقة الشيعة ممثلة ايران، و خونة السنة ممثلين في تنظيم القاعدة.

مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية (مصر) :

تعتبر دراسة الخبرة ايمان رجب بعنوان سياسات مكافحة الارهاب في مصر : الفاعلية والتحديات² ؛ مثالا نموذجيا عن الالتزام المنهجي و الوظيفي الذي يتقيد به خبير مركز التفكير . إنها

¹ Yoram Schweitzer, "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad," INSS (blog), June 2010, <https://www.inss.org.il/publication/the-terrorism-threat-against-israel-from-al-qaeda-and-global-jihad/>. pp. 23-24.

² ايمان رجب، "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2019، (blog).

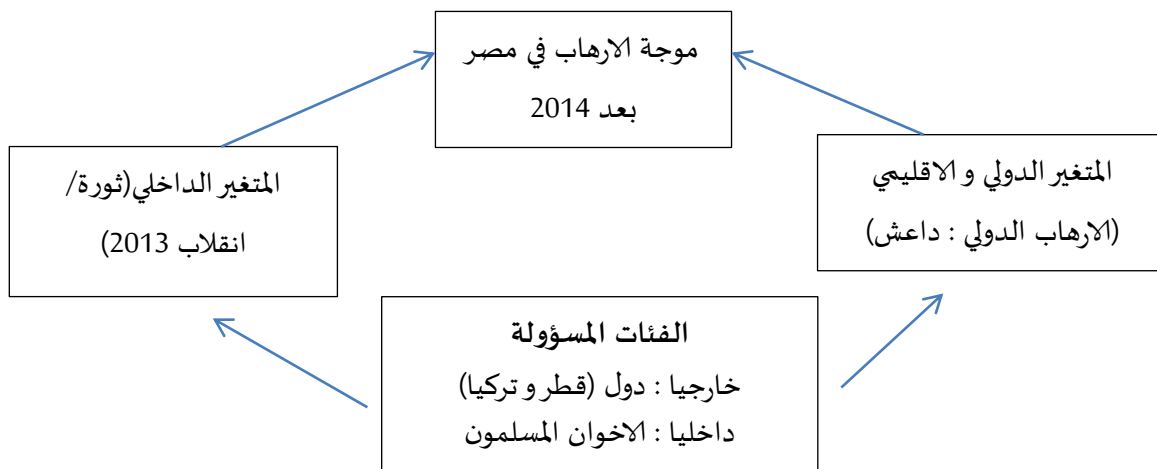
<https://acpss.ahram.org.eg/News/16960.aspx>.

تخضع لقيود انتاج الخبرة المتعلقة بتكوين علاقة بين المتغيرات التي تتضمن امكانية إصدار مقترح أو توصية تترتب عنها نتائج عملية. تضمن خطاب خبيرة مركز الأهرام طرحا بُني حول مشكلة تحول خارطة الجماعات الارهابية، و مدى ملائمة السياسات الجارية بخصوصها، وقد تشكلت فيه الفكرة البراديغمية وفقا للكيفية التالية :

مقولة رقم 01: و التي تتضمن التقرير بأن [...] خريطة الجماعات والخلايا الإرهابية داخل مصر خلل الفترة (2014- 2018) اتسمت بديناميكية شديدة، نتج عنها تحول تلك الخريطة وتغيرها [...], عبارة عن رأي ولكنه لا يتضمن أي أبعاد عملية.

مقولة رقم 02 : لكن المقولة التي تحدث ربطا علائقيا بين :

(1) سبب اختلاف موجة الإرهاب التي تواجهها مصر [حاليا] عن موجة التسعينيات يرجع الى أن مقومات الإرهاب لم تعد محلية فقط، بل إقليمية ودولية أيضا، و(2) وجود شبكات عابرة للحدود نسجتها المنظمات الإرهابية النشطة حاليا في مصر مع تلك الشبكات النشطة في دول الجوار، و(3) تنامي نشاط البلدان الأخرى في المنطقة التي تدعم هذه المنظمات من خلال تسهيل تدفق الأموال والأسلحة اللازمة للحفاظ على بقائها، خاصة تركيا وقطر، فضلا عن توفيرها شرعية سياسية ما لوجودها"، و(4) "الأبعاد المحلية لظاهرة الارهاب والمرتبطة بمرحلة ما بعد سقوط نظام الإخوان في عام 2013 والتي شهدت انطلاق موجة جديدة من الإرهاب والتطرف تقودها كيانات ولدت من رحم جماعة الإخوان مثل حسم و لواء الثورة والعقاب الثوري¹ ،



¹ Ibid. p. 06.

فقد تضمنت [هذه المقولة] جميع الشروط الموضوعية التي تسمح للخبرة باقتراح تصور عن المشكلة و تصور عن الحلول الملائمة لها. يمكن توضيح عناصر المشكلة و العلاقات بينها في الشكل أعلاه.

2.2. حتمية الدفاع عن مصالح الدولة القومية

فيما سبق رأينا كيف أن الخبراء من خلال وثائقهم لا يهتمون بالبحث عن تفسير موضوعي للإرهاب ولا بتقديم النظرية الأفضل لفهمه، بل إن اهتمامهم الرئيسي يكمن في البحث عن العلاقات التي يمكن ايجادها بين الفئات المفاهيمية الجاهزة التي تمتلكها عن الارهاب و الفئات السوسيو سياسية التي تقابلها أو تجسدها.

لا يمكن لهذه الفئات السوسيو-سياسية المرتبطة كليا أو جزئيا بالإرهاب أن تخرج عن هوية العدو ولا عن هوية التهديد الرئيسي الذي تصرح به اجهزة الدولة رسميا. يكمن دور الخبير إذن في إعادة انتاج نفس التصور عن العدو أو التهديد، وهو هذا الشكل ينتج خطابا موجها بشكل صريح نحو الدفاع عن مصالح الدولة القومية قبل كل شيء. تؤكد كل الأمثلة السابقة وجود هذا التوافق بين الخطاب الخبير و الخطاب الرسمي. استعمل الخبراء السابقون الكثير من الحجج و الآراء التي يتداولها المسؤولون الرسميون في الحقل السياسي كما تبينه الأمثلة التالية.

مثال 01 : معهد راند الأمريكي

بالنسبة لخبير معهد راند، برايان جنكينز، تُعرَّف مشكلة الارهاب موضوعيا عن طريق توضيح العلاقة بين الارهاب الجديد و فئات "الاسلام، الجهادية، السلفية"، ثم عن طريق تعريف السببية المعلنة وهي هنا تتمثل في التطرف الديني. لتأكيد هذا الرأي، لا يلجأ الخبير الى دراسات نظرية أخرى لدعم الاستشهاد بل يستعمل آراء متداولة داخل الحقل السياسي ؛ عندما يستشهد الخبير بمقولة جورج بوش الشهيرة حول أسباب العنف ضد المسلمين (إنهم [المسلمون] يكرهوننا *they hate us*)¹ ، فإنه هكذا يحقق انضماما الى فكرة تستعمل سياسيا لتشكيل صورة عن التهديد الذي يمثله العالم الاسلامي Islam. من ناحية أخرى، غالبا ما يستخدم الخبير آراء من حقل الخبرة، فمثلا وضمن

¹ Jenkins, "The New Age of Terrorism.", p. 127.

استراتيجية تضخيم الآثار التخويفية للتنظيمات الارهابية، يؤكد جينكينز أن أغلب الخبراء يتوقعون حدوث ارهاب كيميائي، أي باستعمال الأسلحة البيولوجية و الكيميائية¹ (Jenkins, 119). من ناحية الوقائع، نحن نعلم أن هذا لم يحدث سوى مرة واحدة في تاريخ الارهاب الحديث²، ورغم هذا يدعم الخبير حجته بمقولة أن هناك اتفاق بين أغلب الخبراء بأنه سيكون هناك ارهاب كيميائي مستقبلاً³. إنه في هذا الموضع أيضا يعبر عن انضمامه الى مقولة شائعة بين المختصين رغم عدم سلامتها على مستوى الوقائع.

مثال 02 : المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية اسرائيل

قام الخبير الاسرائيلي بتعريف مشكلة الارهاب عبر توضيح العلاقة بين الارهاب وفئات ممثلة في : الاسلام، تنظيمات مثل القاعدة، الجهاد الشامل، و من خلال التصريح بسببية العداء الآلي للمسلمين تجاه اليهود واسرائيل. يستعين الخبير في إطار بناء الحجة على الكثير من المقولات التي يحملها الخطاب السياسي الرسمي، و منها : تمثل غزة نافذة لنشاط الجهاد العالمي فهي تسمح للعناصر المحلية بالارتباط بالقاعدة ؛ بن لادن يعتبر أن لبنان يمثل نقطة انطلاق بالنسبة للقاعدة لمهاجمة اسرائيل؛ ويعتبر الأردن خلفية للإرهاب لأن بعض التنظيمات مثل تنظيم الأنصار يقوم بإطلاق صواريخ ضد اسرائيل وهو تنظيم محسوب على الجهاد العالمي⁴.

كل هذه الحجج التي أسهب الخبير في تعدادها إنما يعود مصدرها للخطاب الرسمي الاسرائيلي، و بالأخص للاستخبارات. من بين الست عشرة (16) إحالة على الهامش التي وردت في دراسة شفايزر نجد أن واحدة (01) منها منسوبة مباشرة لرئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، و ثلاث (03) منها منسوبة الى مركز الاعلام حول الارهاب والاستخبارات وهو هيئة بحثية اسرائيلية يديرها ضابط سابق بالمخابرات الاسرائيلية، و ثلاث اقتباسات أخرى منسوبة لمؤسسة نيفا *NEFA Foundation* وهي مؤسسة بحثية حول الارهاب تأسست بعد 11 سبتمبر 2001 في نيويورك و يتشكل فريق إدارتها كله

¹ Ibid. p. 119

² وهي حالة تفجيرات طوكيو سنة 1995 حيث نفذت جماعة Aum Shinrikyô هجومها على قطار الأنفاق بمدينة طوكيو باستعمال غاز السارين Gaz Sarin. تم اعدام مرتكبي هذا الاعتداء سنة 2018. أنظر:

Sylvaine Trinh, "Aum Shinrikyô : Secte et Violence," *Cultures et Conflits*, no. 29/30 (1998): 229–90.

³ Jenkins, "The New Age of Terrorism." p. 119.

⁴ Schweitzer, "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad." p. 25.

من ضباط سابقين بالاستخبارات الأمريكية و الغربية و الاسرائيلية¹. نرى إذن أن الأفكار المشكلة لخطاب الخبراء الاسرائيليين عن الارهاب تتحرك من المصدر الرسمي الذي تهيمن عليه الاستخبارات بشكل محسوس لينتقل نحو مراكز التفكير، وهي حركية تعبر عن انضمام مؤسسات الخبرة الى الخطاب الرسمي.

مثال 03 : مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية

قامت خبيرة مركز الأهرام بتفسير موجة الارهاب في مصر بعد سنة 2014 بالمتغير الدولي (الارهاب الدولي ممثلا في داعش) و بالسياق الداخلي (انقلاب الجيش ضد الاخوان)، و لكن اصدار الخطاب تمحور حول فكرة أن الارهاب الذي يستهدف مصر أصبح مزيجا من أطراف عدة ولكنها في النهاية تشكل نوعا واحدا ينبغي محاربته. إن الخبرة هنا تسترجع أهم المقولات الرئيسية الموجودة في الحقل السياسي و التي تعبر عنها مختلف الأجهزة الحكومية و على رأسها الرئيس المصري، لا تعبر عن رأي منفصل لمركز التفكير. لقد تضمنت مثلا مقدمة الدراسة لوحدها أكثر من خمس (05) إشارات الى مصادر رسمية كمجلس الوزراء و تصريحات للرئيس المصري. كما احتوت الدراسة على كم هائل من المصادر الرسمية فمن ما مجموعه 101 إحالة على الهامش نجد أن الخبرة أشارت إلى المواقع الاخبارية و الصحفية 19 مرة، و إلى مسؤولين رسميين 30 مرة، و إلى الرئيس السيسي 06 مرات، و أشارت الباحثة الى نفسها 12 مرة و إلى مراكز التفكير الأخرى 07 مرات. هذا معناه أن حوالي 55% من الاقتباسات ذات مصدر حكومي، وحوالي 19 % من الاقتباسات مصدرها مراكز تفكير حكومية مثل مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة ومركز الأهرام نفسه أو مراكز تفكير ذات التوافق الايديولوجي مثل المجلس الأطلسي The Atlantic Council، بينما 26 % من الاقتباسات تمثل دراسات لأكاديميين. تقدم الخبرة المصرية تحليلها ضمن حدود الالتزام بالقيود التي يفرضها الخطاب الرسمي من جهة و مصالح الدولة المصرية من جهة ثانية، و مصالح حلفائها من جهة ثالثة مثل الحلف الأطلسي الذي اشارت إليه الكاتبة أكثر من مرة.

¹ Wikipédia, “Nine Eleven Finding Answers Foundation,” in Wikipedia, November 17, 2023, https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Nine_Eleven_Finding_Answers_Foundation&oldid=1185571495.

3.- مدى ارتباط الخطاب المحلي الخبير بالخطاب العالمي المهيمن

تظهر القراءة النقدية للوثائق المختلفة وجود ارتباطات غير رسمية بين مختلف الخبراء ومراكز التفكير والأجهزة الحكومية المختلفة مثلما توضحه خصوصا مؤشرات الاقتباس المتبادل Les citations mutuelles. يعبر هذا العامل عن المسار الذي تتحرك عبره الأفكار حول مشكلة الارهاب، فهي تتحرك من و إلى المواقع الحكومية الرسمية كما تتحرك من وإلى مراكز التفكير داخل وخارج حدود الدولة الواحدة.

تظهر دراسة يورام شفائتزر بعض خصائص الحالة الاسرائيلية ؛

- كثرة المصادر الاستخباراتية، سواء الاسرائيلية أو الأمريكية،
- نوعية الارتباط بين مراكز التفكير الإسرائيلية و نظيرتها الأمريكية، و هنا أيضا نجد أنها شديدة التوجه نحو الارتباط بالمراكز الأمريكية ذات الصلة بالاستخبارات الأمريكية والغربية كما يشير اليه الاقتباس المتكرر من مركز NEFA Foundation.

ماذا تظهر هاتين الخاصيتين ؟ إنهما تعبران، من جهة أولى، عن مدى خضوع حقل دراسة الارهاب في مراكز التفكير الاسرائيلية للمصادر الاستخباراتية، و هو ما يترتب عنه في النهاية اعادة انتاج للمقولات التي تتداولها الأخيرة، حيث إنها عبارة عن أدوات نقل لها نحو الحقل الصحفي، الحقل الأكاديمي و حقل الخبراء، كما تعبران، من جهة ثانية، عن تبعيتها للمركز الأمريكي.

من جهتها، توضح دراسة ايمان رجب خصائص مختلفة للحالة المصرية ؛

- كثرة المصادر الرسمية و كثرة المصادر الصحفية الحكومية،
- العودة المتكررة الى مصادر مركز الدراسات الاستراتيجية لقوات المسلحة (الجيش المصري)،
- طبيعة الارتباطات مع مراكز التفكير الأخرى تشير الى توجه خبيرة مركز الأهرام نحو المصادر التي تصدرها الجهات ذات الصلات بالحلف الأطلسي مثل المجلس الأطلسي Atlantic Council،

تعبير هاته الخصائص عن السمات العامة للنموذج المصري، فهو شديد التبعية للأوساط الحكومية كما أنه شديد الارتباط بالفضاء الأطلسي، ما يعني وجود قيود فوق قومية أيضا تتدخل في رسم معالم الخطاب المصري الوطني. في واقع الأمر، يجب فهم هذا من خلال الاعتبارات التعاونية التي

تربط الحكومة المصرية بمنظمة حلف شمال الأطلسي، وخصوصا برنامج الشراكة المتوسطي من أجل التعاون (MPC) الذي تم اعداده انطلاقا من مسار هيلسينكي سنة 1975. هذا الأخير عبارة عن برنامج شراكة تأسس سنة 1995 بين دول منظمة التعاون و الأمن (OSCE) و دول من جنوب و شرق المتوسط في أوروبا هي الجزائر، تونس، المغرب، مصر، اسرائيل، والأردن، ويستهدف التعاون في مجال محاربة الارهاب كمحور رئيسي للتعاون إضافة الى محاور أخرى كالهجرة و البيئة¹. تعتبر الأطر التعاونية الخارجية للدولة القطرية بمثابة قيود تحُد من استقلالية الحركة، وهي في نفس الوقت أطر تأويلية مرجعية des référentiels تحدد معالم الخطاب الذي تنتجه الدولة أو المنتمون اليها. من ناحية أخرى، يلاحظ أن خبيرة مركز الأهرام تمتلك ارتباطات رسمية مع المؤسسات البحثية التابعة للحلف الأطلسي، فمعهد الأهرام مرتبط باتفاقات تعاونية مع أكاديمية الدفاع التابعة للناو بروما، كما أن الخبيرة ايمان رجب تلقت منحة متابعة تكوين في الدراسات العسكرية سنة 2018 بذات الأكاديمية و سبقها قبل ذلك تكوين بأكاديمية ناصر العسكرية العليا سنتي 2016 و 2017. هذا يشير الى حجم القيود الادراكية والذهنية الأطلسية فضلا عن القيود المؤسسية - كبيرة باحثين بمركز الأهرام ورئيس وحدة الدراسات العسكرية والأمنية- التي تتحكم في الصياغة النهائية للخطاب الخبير حول الارهاب.

تُعبر حالة برايان جنكينز من معهد راند الأمريكي عن استثناء نسبي بهذا الخصوص. في حين أن الخبيرين الاسرائيلي والمصري يكشفان عن ارتباطات بمصادر أخرى منتجة للمعارف حول الارهاب، يظهر الخبير الأمريكي نوعا من الاستقلالية التامة تجاه المصادر الاستخباراتية أو الحكومية الرسمية. تظهر الوثيقة بعض الخصائص التي يمثلها هذا النموذج؛

- لا تشير الدراسة الى مصادر ولا تحليل الى هوامش، وهذا يعبر عن نضج معتبر لتجربته الشخصية كخبير وكمدير لأهم وأعرق برنامج بحثي حول الارهاب في العالم، حيث يقوده شخصا منذ سنة 1972. إنه لا يعود الى المصادر الخارجية، بل يستخدم مصادره الذاتية والرساميل التي يوفرها له معهد راند. من هذا المنظور يمثل خبير معهد راند نموذجا يمكن تسميته بالنموذج المركزي أو المستقل.

¹ Alice Vorrall and Louise Faimosa, "Les problématiques de l'Otan en Méditerranée orientale : préoccupations, priorités, ligne d'action," *Revue Défense Nationale*, no. 842 (Et 2021), https://www.defnat.com/pdf/cahiers/CAH086/10.%20Vorrall_Faimosa.pdf. p. 57.

- بحكم المركزية الذاتية التي يجسدها الخبر في تحليله، فإنه يلجأ الى استعمال استراتيجيات أخرى، فغياب الاعتماد المصادر الخارجية تقابله هيمنة القوالب الدعائية في بناء الاستنتاجات والآراء. لقد رأينا سابقا أمثلة عنه هذا الأمر عندما أشرنا إلى استراتيجية التضخيم Amplification ، فكثيرا ما يلجأ الى تأكيدات تصب في خدمة أهداف تضخيم حجم التهديد الارهابي، كقوله مثلا أن الجهاديين مستعدون لقتل الملايين، وهو قول غير معقول امبريقيا فلم يوجد في تاريخ الارهاب ولا تاريخ الحرب تنظيم ارهابي قتل الملايين.

تعكس هذه الملاحظات بعض صفات نموذج الخبر المركزي الذي يمثلها هنا معهد راند، حيث يتم بناء الأفكار البراديغمية فيه وفقا للمناهج السائدة في حقل العلوم الاجتماعية و لكن ايضا وفقا للمناهج المزدهرة في حقل العلاقات العامة.

المطلب الثاني : توضيح جانب الأزمة واقتراح الحلول من طرف الخبراء

أوضحنا آنفا أن منهج كل الخبراء في مراكز التفكير يقوم على خلق العلاقة السببية أو التوافقية بين مظاهر المشكلة و الفئات السوسيو-سياسية و أن الهدف الرئيسي من التحليل بهذه الكيفية هو تحديد عناصر أو جوانب الأزمة التي تمثلها المشكلة على مستوى السياسات التي ينبغي انتهاجها. يسمح تشخيص جوانب الأزمة في المشكلة الارهاب للخبير من إعداد مقترحاته و توصياته السياسية، و هذا ضمن إطار يتقيد كليا بضرورة الدفاع عن المصالح الرئيسية للدولة. كيف يتم هذا عمليا انطلاقا من الوثائق السابقة ؟

1- توضيح جانب الأزمة في المشكلة

هذا الجهد يعتبر مركزيا في نظام عمل الخبر، لأنه يشرح لنا مبرر التدخل، أي جدوى اصدار دراسة حول المشكلة. لا يمكن للخبير أن يعالج موضوعا بالتحليل و الدراسة إلا إذا ظهرت الحاجة العملية و الاستراتيجية لذلك. لكن، من وجهة النظر البنائية constructiviste فإن هذا الحاجة للخبرة لا تعتبر معطى خاما موجودا بذاته بل يتم ايجادها و إخراجها الى الوجود من طرف هؤلاء الوسطاء les médiateurs. بعبارة أخرى، لماذا يجب على الخبر في مركز التفكير أن يتكلم عن موضوع الارهاب ؟

عمليا، يتم - و في جميع الظروف - انتاج الخبرة بسبب نوعين من المبررات ؛ إما لمصاحبة سياسة جارية، و في هذه الحال يستهدف الجهد التحليلي توفير غطاء الشرعية للخبرة للقرارات السياسية المتبعة، و إما للدعوة نحو اجراء تعديلات محسوسة على هذه الأخيرة. كل الوثائق التي نتناولها بالتحليل هنا لا يمكنها أن تخرج عن احد هذين الاطارين. أغلب الوثائق التي بين أيدينا تنتهي الى الصنف الأول من المبررات، باستثناء دراسة معهد راند لسنة 2008 لـ Seth G. Jones, Martin C. Libicki ودراسة عمر عاشور من المركز القطري، فإنهما من الصنف الثاني. لكن، ورغم هذا التباين في الأهداف فإن كل الوثائق تشترك في كونها حاملة بالضرورة لتصريح بوجود خلل أو أزمة بفعل مشكلة الارهاب. فيما يلي نرى كيف أظهر الخبراء العناصر الأزمة للمشكلة.

-1.1. معهد راند

إن سياق اصدار دراسة برايان جينكينز - العصر الجديد للإرهاب - يعود لسنة 2006، أي حوالي خمس سنوات بعد تبني سياسة الحرب الشاملة على الارهاب. لقد تمحور موضوع الدراسة على شرح الاتجاهات التي تعرفها ظاهرة الارهاب، حيث حصرها الخبير في ست اتجاهات. كرس سياق الحرب على افغانستان 2002 و العراق 2003 هيمنة المقاربة العسكرية بما تتضمنه من سياسات استثنائية على حساب المقاربات الأخرى. أتت دراسة جينكينز ضمن خلفية النقاش العام الأمريكي الذي بدأ يعرف صعودا للأصوات المناهضة للحرب، وقد كانت دراسة جينكينز هنا بمثابة حجة إضافية استند عليها الفريق المساند لسياسة الحرب الشاملة ضد الارهاب.

بالنسبة لخبير مركز راند، فإن مشكلة الارهاب بعد 09/11 لا تزال تشكل أزمة بالنسبة لمؤسسة القرار الأمريكي. يوضح الخبير جوانب الأزمة على مستويين؛ (1) الجوانب الاشكالية المعقدة لمشكلة الارهاب وقد عبر عنها بالاتجاهات الجديدة للإرهاب؛ (2) الجوانب الاشكالية التي نتجت عن عدم تلاؤم السياسة الرسمية المنتهجة مع هذه الاتجاهات الجديدة للإرهاب.

تتضح معالم الأزمة التي تطرحها مشكلة الارهاب في خصائصها، حيث عرضها الخبير في ستة نقاط هي :

- الارهاب أصبح أكثر دموية؛
- تنوع مصادر تمويل التنظيمات الارهابية و تبعية اقل للدول،

- أشكال جديدة في التنظيم،
- امكانية قيام الارهاب بحملات عالمية شاملة ،
- اعتماد الارهاب على تكنولوجيايات الاتصال الحديثة،
- بعض الارهابيين انتقلوا من المرحلة التكتيكية نحو المرحلة الاستراتيجية، اي تحقيق الأهداف البعيدة المدى¹.

سنركز في تحليلنا هنا على الاتجاه رقم 01 فقط فهو نموذج عن الاستراتيجية الاتصالية المستعملة. يرى خبير راند أن الارهاب اصبح أكثر دموية، فهو يحاول أن يضع تركيزه على خاصية جديدة لم تكن موجودة بالسابق. عند استعماله للفعل اصبح **has become**، فهو يصف انتقالا حصل بين طورين مختلفين. لكن، عندما يضع الخبير صفة الدموية *has become Bloodier terrorism* فإنه يشير الى نوعين من المؤشرات؛ بالاستناد الى عدد الضحايا أصبح الارهاب يقتل أكثر فهو أكثر دموية، وبالاستناد الى الوسائل و الأدوات التي يستعملها فإنها أيضا أصبحت أكثر دموية، مثل أساليب خطف الطائرات وتفجيرها ضد مباني مليئة بالأشخاص.

ما هي الحجج المستعملة لتأكيد هذا؟ قدم الخبير مجموعة من الحجج لتدعيم رأيه وهي:

1. في السبعينيات كان الارهاب يقتل بالعشرات، في الثمانينيات أصبح يقتل بالمئات، في التسعينيات وبعد 09/11 أصبح يقتل بالآلاف.
2. توجد اليوم سيناريوهات تحتتمل موت عشرات الآلاف من الناس (ص 118).
3. إن سبب هذا التحول يكمن السبب في التعصب الذي تتسم به الفئات الجهادية ، فهي لم تعد تميز بين الضحايا و ما يهمها هو أن تقتل أكثر (ص 118).
4. إن الجهاديين مستعدون لقتل الملايين (ص 118)².

هذه حجج مقتبسة من نص الوثيقة، و بإمكاننا الآن أن نميز بين ثلاث أنواع منها. الأولى ذات طبيعة موضوعية مثل التي اشرنا لها في الجملة رقم (01)، فهي قراءة موضوعية بناء على ملاحظة امبريقية. الثانية ذات طبيعة تأويلية مثل التي اشرنا اليها في الجملة رقم (03) لأن محاولة التفسير

¹ Jenkins, "The New Age of Terrorism." p. 117.

² Ibid. p. 118.

لجأت الى متغير التعصب وهو متغير ذاتي جدا subjectif طراً فجأة في سياق التحليل من دون أن يتم قياسه أو تأكيد ارتباطه امبريقيا بازدياد اعداد الضحايا. الثالثة ذات طبيعة احتمالية مثل التي أشرنا اليها في الجملة رقم (02) و (04) فكلاهما عبارة عن افتراضات لا تترجم وجود وقائع امبريقية.

إذا كانت دموية الارهاب تقاس بعدد الضحايا فإنها تقاس أيضا - حسب الخبر - بطبيعة الأدوات و الوسائل التي يستعملها الارهاب. هنا استعمل الخبر حججا أخرى لتدعيم رأيه وهي :

- أغلب الخبراء يتوقعون هجمات كيميائية من طرف الارهاب،
- الحرب البيولوجية حصلت على مستوى ضيق و محصور مثل الرسائل المفخخة بالغاز السام انتراكس،
- يظل الارهاب النووي هاجسا اليوم ... رغم إنه لم يحصل،
- الهجمات النووية باستعمال صواريخ بر- جو تظل ممكنة¹.

كل هذه الحجج هي من النوع الافتراضي، ولم يذكر الخبر أية واقعة تشير امبريقيا الى علاقة بين ارتفاع عدد الضحايا وطرق التنفيذ النووية، البيولوجية، الكيميائية.

من ناحية أخرى، نلاحظ أن خبر مركز راند انتهج استراتيجية اتصالية stratégie de communication مدروسة بعناية، وذلك خدمة لأهداف الاقناع، نوضح عناصرها فيما يلي:

- تم ترتيب الاتجاهات الستة بشكل يسمح بوضع الاتجاه المعبر عن دموية الارهاب في مركز التحليل، ذلك أنه تناوله في المستوى الأول مقدما اياه على باقي الاتجاهات الخمس الأخرى،
- أنه أولى عناية أكبر لهذا الاتجاه مقارنة بالاتجاهات الأخرى، فقد كرس له حجما يقدر بصفحتين بينما تناول تحليل باقي الاتجاهات في صفحة على الأكثر لكل واحدة منها،
- أن تحليل الاتجاه المتعلق بدموية الارهاب تضمن مجموعة متنوعة من المفردات التي تتسم بقوة تأثيرها الدلالي في وصف البعد الاجرامي وهي على الترتيب : أكثر دموية bloodier، القتل Murder، الموت die، صراعات وحشية brutal conflicts، متعصب fanatic، الجهاديون.

¹ Ibid. p. 125.

- إن الهدف من وضع هذا الاتجاه المتعلق بدموية الارهاب في محور الخطاب هدف اتصالي محض. عندما يقوم الخبير بتعبئة حجج موضوعية و غير موضوعية و مفردات تتميز بقوة تأثيرها العاطفي فإنه يستهدف التأثير في البنى الادراكية لدى المتلقي من خلال السيطرة على عواطفه. بينت العلوم الذهنية اليوم أن مخاطبة الأحاسيس والعواطف عن طريق استخدام المفردات المثيرة للخوف مثلا تسمح بتحكم أكثر في إرادة الآخرين عبر توجيههم نحو قبول أراء معينة. إنه أسلوب تحضير نفساني وسيلته هي إثارة و تحفيز مشاعر الخوف و غايته تحقيق الانضمام الى الرأي خصوصا و أن ظروف الخوف التي تم خلقها لا تسمح غالبا بإصدار تقييمات من النوع العقلاني.

إذن و للتعبير عن الجانب الأزموي لمشكلة الارهاب استعمل الخبير مزيجا من الحجج الموضوعية و غير الموضوعية، و انتهج استراتيجية اتصالية مدروسة و معدة مسبقا لتحقيق التأثير و ليس لتحقيق الفهم أو التفسير. إنه منهج دعائي أساسا فهو قائم على تعظيم المظاهر الكارثية للمشكلة ¹ Catastroika. إنها منهجية يفرضها المركز الذي يتحدث انطلاقا منه، أي من مركزه كخبير في مركز تفكير مقرب جدا من وزارة الدفاع لأمريكية. هذا المركز يرسم للخبير الوظيفة التي يتعين عليه القيام بها كما يرسم له أيضا كيفية فعل ذلك. إذا كانت الوظيفة تتعلق بتوصيف التهديد (naming the threat)، فإن الكيفية يجب أن تتضمن كل المظاهر الكارثية للمشكلة، سواء كانت واقعية أو افتراضية.

1.2. المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية INSS - اسرائيل

يشكل الجهد التحليلي الخاص بتوضيح الأزمة في السياسة الرسمية المنتهجة قسما معتبرا من الدراسة، فهي من ناحية الحجم تمثل 50 % منها، أي أربع صفحات من ثمانية. بالنسبة لشفايتزر فإن نمو النشاط الارهابي الذي يقوم به تنظيم القاعدة و باقي الجماعات المنتسبة اليها يمثل وضعاً أزمويا ينبغي للسلطات الاسرائيلية أن تتكيف معه عن طريق تبني سياسات مناسبة. لقد سعى الخبير أساسا إلى تأكيد وجود هذا النشاط الارهابي الذي يستهدف اسرائيل و الى ابراز منحناه التصاعدي. إنه بالتالي

¹ Pierre Conesa, "La fabrication de l'ennemi. Réflexions sur un processus stratégique," *Revue internationale et stratégique* 76, no. 4 (2009): 35–44, <https://doi.org/10.3917/ris.076.0035>. p.94.

يقوم بإخراج مشكلة ارهاب القاعدة الى الوجود، و هو هنا يشكلها انطلاقا من المشكلة الأمريكية، أي من السياق الدولي الشامل لها.

تقوم سرديّة شفايتزر هنا على الدمج بين أسلوب البرهنة الامبريقية والأسلوب الدعائي القائم على التضخيم غير الموضوعي. إنه من جهة يقدم دلائل امبريقية على الحجم المتزايد للعمليات الارهابية التي يقوم بها تنظيم القاعدة وجميع التنظيمات الفرعية الأخرى المنسوبة اليه ضد اليهود أو الاسرائيليين، و من جهة أخرى يلجأ إلى استعمال حجج دعائية مثل العودة الى تقنية إدراج مشاريع العمليات التي تم احباطها أو تلك التي لم تستهدف اليهود عينيا ضمن فئة النشاط الارهابي العيني أو الفعلي. تداخل الأسلوبان بشكل استراتيجي كما يلي :

- من الناحية الموضوعية، يسرد شفايتزر أربع حالات فقط لعمليات ارهابية فعلية استهدفت اليهود والاسرائيليين على حد سواء، ليوضح أن هناك أزمة تطرحها مشكلة الارهاب بقيادة القاعدة، وهي اعتداء في كينيا ضد سياح أمريكيين و اسرائيليين سنة 2002، اعتداء على كنيس في جزيرة جربة التونسية سنة 2002 راح ضحيته 14 قتلى اسرائيليون، اعتداءات اسطنبول ضد كنيسين سنة 2003 راح ضحيتهما 27 قتيلا يهوديا¹.

- تضخيم حجم المشكلة مع تزيف الوقائع : قدم الخبير عدة أمثلة هنا :
مثال 01 : اعتداء مومباي بالهند سنة 2007 وخلف 160 ضحية منهم 06 اسرائيليين، وهذا يعني أنه يوجد من بين الضحايا ككل مجموعة من اليهود، فلا يوجد مؤشر موضوعي يجعل الكاتب يعتقد أن العمل الارهابي استهدف هدفا اسرائيليا عينيا² ،

مثال 02 : قدم الخبير شرحا مطولا عن حوالي 07 مشاريع ارهابية تم احباطها من طرف الاستخبارات والأجهزة الأمنية "الاسرائيلية"؛ وهذا إشكالي لأنه استعمل مؤشرا عن احتمالية التهديد - وليس مؤشرا فعليا - وذلك بهدف الزيادة في حجم المشكلة³.

¹ Schweitzer, "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad." p. 19.

² Ibid. p. 23.

³ Ibid. pp. 23-24.

1-3. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - مصر

بالنسبة لخبرة مركز الأهرام، فإن جانب الأزمة في الحالة المصرية يظهر من خلال التحولات المستمرة التي يعرفها النشاط و التنظيمات الارهابية محليا. في تقدير الخبرة المصرية فإن عدم استقرار الديناميكيات السياسية الداخلية و الدولية يعتبر مشكلة بالنسبة للمقاربة المصرية السارية التي يجب عليها أن تتكيف باستمرار مع هذه التحولات. على غرار الحالة الاسرائيلية، حظي هذا الجانب باهتمام معتبر من طرف الخبرة المصرية، فقد كرست ما حجه 15 صفحة من أصل 36 لتوضيح هذه التحولات التي يعرفها النشاط الارهابي، أي ما نسبته 41%. لقد بنّت خبرة مركز الأهرام حجتها على العناصر الخطابية التالية :

- أن الارهاب الذي تعاني منه مصر بعد 2014 هو خليط من الارهاب التقليدي و الارهاب بلا قيادة¹، و هذا يشير الى تحول أول يحمل في طياته تعقيدا أكبر للمشكلة و يطرح إشكالية ملائمة الاستجابة الحكومية السارية؛
- أن هذا التحول الأول يمس اقليما جغرافيا محددا هو محافظة الوادي و شمال سيناء، حيث يعبر التحول في هذا المستوى عن خضوع الارهاب الى الديناميكيات الدولية (تصدير نموذج داعش نحو مصر) وليس الوطنية (تنظيم الاخوان)؛
- وظفت الخبرة ايمان رجب هذين الحجتين لتحقيق غايتين تخدمان قبل كل شيء مركزها كخبرة في مركز التفكير ؛

- أنها استطاعت أن تكشف عن الطابع غير الملائم للسياسات الحكومية الجارية الذي تسببه التحولات الحاصلة على مستوى التنظيمات الارهابية و أنشطتها ؛
- أنها دمجت الديناميكيات الدولية للإرهاب (داعش) و الديناميكية الداخلية له (عنف تنظيم الاخوان عقل انقلاب 2013²، بغرض تشكيل الفئة المشتركة (الارهاب) التي يجب إدانتها، و التي بموجبها تستطيع أن تنزع جميع أشكال الشرعية السياسية أو الأخلاقية أو الفكرية عن العنف الذي يرتكبه الاخوان المسلمون عقب انقلاب 2013.

¹ رجب، "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات". ص. 9.

² الكاتبة لا تتبنى مصطلح الانقلاب هنا بل تستخدم مصطلح ثورة 2013، المرجع نفسه، ص. 9.

لقد أخذ هذا الطموح الأخير حيزا جوهريا في استراتيجية ايمان رجب، فقد استعملت كثيرا مرادفات من نفس المجموعة الدلالية مثل خليط، دمج، اختلاط وغيرها، وكلها مصطلحات وظفت من أجل تجميع عناصر عدة ومختلفة بالضرورة - بل قد تكون متضاربة أحيانا - لصياغة صورة عن وجود نمط واحد. إن هدف الخبرة هنا مرتبط بالسياق السياسي العام لما بعد انقلاب / ثورة 2013، فالهدف الخفي من الخطاب هو إدانة عنف تنظيم الاخوان المسلمين عبر تقديمه كمرادف للأنماط التي يدينها الإخوان أنفسهم، مثل تنظيم داعش. لكن، سرعان ما سيتحول الهدف الخفي Latent الى استخلاص صريح. لقد أقرت بأن هناك اختلاط بين أفكار داعش و القاعدة و سيد قطب، وهو أحد العناوين الفرعية للدراسة¹. تُحَقِّقُ المقولة المعبر عنها بمصطلح اختلاط عن اختزال ذهني يسمح بتجميع فئات معينة ضمن فئة مفهومية واحدة، وهو نفس التأثير الذهني الذي تحدثه مقولات شائعة عند الغرب من قبيل (الاسلام دين عنف)، حيث يؤدي الربط بين الدين الاسلامي والعنف الذي يمارسه بعض المسلمين الى اصدار اختزال ذهني سرعان ما يتحول الى آلية ربط تلقائية بين العنف، الارهاب والاسلام. وظفت خبرة الأهرام نفس الصورة لخلق آلية الربط التلقائي بين عنف داعش، وعنق القاعدة و عنف الاخوان لتجريم و شيطنة الكل مما يسمح برفع جميع أشكال الشرعية عن التنظيمات الارهابية.

2- بناء الحلول من طرف الخبراء : تحليل نيو مؤسساتي

يكن الغرض من استخدام مصطلح مؤسسة في الإشارة الى أن الحلول التي يقترحها الخبراء ليست من ابداع و لا من اكتشاف هؤلاء بل إنها موجودة و مستمرة تاريخيا من خلال مختلف المؤسسات السياسية (المرجعية الثقافية، المرجعية الواقعية، استراتيجية الاحتواء...الخ)، فالأفكار السياسية موجودة اصلا بل إنها عوامل ضغط من ناحية أنها تمارس مقاومة ضد قوى التغيير. يقوم الخبراء بإعادة اكتشافها بشكل مستمر أثناء تدخلهم في صناعة السياسات، وهذه إحدى مسلمات المؤسساتيين. انطلاقا من هذا الاعتبار نلاحظ و من خلال الوثائق التي ندرسها هنا أن الخبراء يصدرون مقترحات و توصيات لا يمكنها أن تنادي بقبولة جذرية للسياسات القائمة، بل انهم يمثلون تلك القنوات التي تساهم في استمراريتها. لكي يقوم الخبير بتنفيذ هذا، فإنه يتبع واحدة من الاستراتيجيتين التاليتين : الأولى يكون الحل المقترح عبارة عن دعوة الى تعزيز ما هو قائم مع إضافة أبعاد غير موجودة

¹ المرجع نفسه، ص. 13.

(1)؛ و الثانية، يكون الحل المقترح عبارة عن مزيج من القطيعة النسبية مع السياسات الجارية والدعوة الى نهج بدائل جديدة (2).

2-1. مجال المسموح وبناء الحلول

تظهر الوثائق المدروسة كلها أن طبيعة الحلول و التوصيات و المقترحات التي يرفعها الخبراء الى الحقل السياسي لا يمكنها أن تناهض السياسات القائمة بالشكل الذي يدعو الى تغييرها تغييرا جذريا. إنها تنادي كلها بضرورة وحيوية الخيارات العسكرية والحربية ضد الارهاب و بجدوى اجراءات وسياسات المكافحة المرنة soft measures. يفسر هذا بنوعين من التفسيرات ؛ من جهة، أن مناهضة الخيارات العسكرية و انتقادها يعتبر من أهم العوامل التي ترهن مصداقية الخبير أو مركز التفكير حيث يولد هذا تهما بالليوننة و حتى بالتعاطف مع الارهاب. توجد شروط مسبقة تهيكل مؤسسة الرأي حول الارهاب و هي ضرورة الادانة التي تفرضها الاعتبارات الأخلاقية ثم السياسية، و التي تجعل من الخطاب الخبير حول الارهاب مناهضا له بالضرورة. من جهة ثانية، أن مركز التفكير مقيد بضرورة الدفاع عن الخيارات التي تكفل له البقاء كمؤسسة و تضمن له الرواج في سوق الأفكار، و هذا لا يتحقق سوى بالتزام خط ايدولوجي و سياسي وسطي. تعني الوسطية في عالم مراكز التفكير تجنب خطر الامتصاص، أي الدفاع الصريح و المفتوح عن الخطاب الحكومي، وخطر الغلو و هو وضعية المناهضة الصريحة عبر الدعوة الى التغيير الجذري للسياسات القائمة.

عمليا، يتعامل الخبراء مع هذه القيود باستراتيجية اتصالية ذكية عموما ؛

- حتى لا يبدو الخبير في صورة هيئة اعلامية حكومية أو ممثلا للخطاب الرسمي، فإنه يصرح غالبا بانتقاده للسياسات الجارية، و لكن بالشكل الذي يشير الى عدم التلاؤم بين الوضعية الجارية للمشكلة و السياسات القائمة. بعبارة أخرى، لا يمكن للخبير أن ينادي مثلا بالتغيير الجذري لسياسة الحرب على الارهاب، و لكن بإمكانه أن ينتقد جوانب منها لعدم ملائمتها أو لعدم فاعليتها.

- حتى لا يظهر الخبير متطرفا فإنه يدعو في آن واحد الى المحافظة الى جوهر السياسة القائمة و الى تغيير جوانب منها فقط.

التبيان من خلال وثائق مراكز التفكير :

توضح الوثائق المدروسة هيمنة هذه المنهجية فأغلب الخبراء يصرحون بضرورة الحفاظ على الخيار العسكري وهو الخيار الجوهرى هنا، وينادون بضرورة تغيير أو إضافة إجراءات جديدة.

1. مركز راند – الولايات المتحدة

يتحدد جانب الأزمة عند خبير مركز راند في الطابع المتحول باستمرار لخصائص الارهاب العامة والتنظيمية والتكتيكية والاستراتيجية، وفي صعوبة التنبؤ بها. لكن، عند التعرض لمسألة الحلول فإن برايان جينكينز لا يقدم مراجعات لخيار الحرب بل إنه على العكس من ذلك يقدم ذلك كخلفية لتبرير هذا الخيار الاستراتيجي. بحكم أن دراسة جينكينز تندرج ضمن محاولة لتبرير الخيارات المنتهجة من طرف الحكومة الأمريكية فإنه قدم مجموعة الحجج وفقا للصيغة العامة التالية :

(لا يمكن أمام هذا الوضع أن لا نفعل كذا وكذا)

[...] فيما يتعلق بالولايات المتحدة، توقعت انتقامها العسكري ضد الإرهاب؛ وحرب شاملة على الإرهاب كإطار لسياستها الخارجية؛ قصفها لليبيا؛ وغزواتها لأفغانستان والعراق؛ وإنشاء وزارة جديدة للأمن الداخلي؛ واحتجاز مواطنين أمريكيين دون محاكمة؛ وحججها التي يفترض أنها تبرر استخدام التعذيب¹.

2. مركز الدراسات الاستراتيجية – اسرائيل

بالنسبة للخبير الاسرائيلي يورام شفايتزر فإن الجانب الأزموى الذي تطرحه مشكلة الارهاب يكمن في تحول اسرائيل و اليهود الى هدف استراتيجي لتنظيم القاعدة. تتمحور مجموعة المقترحات والحلول لهذه الأزمة حول خيارات تعزيز وتقوية أداء الأجهزة الاستخباراتية للوقاية من الارهاب. لا يقدم الخبير هنا أية حلول أخرى بل يضع الجهد الاستخباراتي في صميم استراتيجية محاربة الارهاب. مثل هذا النوع من المقترحات ليس جديدا بل إنها مجموعة منظومة حلول تكرسها العقيدة الوقائية التي تتبناها الأجهزة العسكرية والأمنية الاسرائيلية منذ السبعينيات ضد ما كان يسمى ارهاب منظمة التحرير.

¹ Jenkins, "The New Age of Terrorism." p. 129

لا يمثل خبير المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية استثناء مقارنة بالمنهجية السائدة في مراكز التفكير الأمريكية، فهو أيضا يستند الى الصيغة الشكلية من النوع التالي :

(يجب على الحكومة تعزيز السلوك المنتهج ... ولكن، يجب أيضا فعل كذا وكذا)

هذه الصيغة لا تحمل انتقادا جوهريا للسياسة الرسمية كما أنها لا تدعو لتغيير هذه الأخيرة بشكل جذري، بل تكتفي فقط بإضافة أبعاد أخرى الى ما هو موجود أصلا، وهذا ما نستطيع اكتشافه بشكل لافت من خلال الاقتباس الآتي:

[...] هذا يتطلب تعزيز وزيادة قدرات أجهزة المخابرات والجيش الإسرائيلي لإحباط الأنشطة على حدود إسرائيل وداخل أراضيها السيادية وزيادة التعاون مع أجهزة الاستخبارات والأمن التابعة لحلفاء إسرائيل ... ولكن، يجب على إسرائيل أن تحافظ على يقظتها الدائمة في مواجهة هذه الأخطار، وتقديم المساعدة الفعالة للتحالف الدولي ضد القاعدة ومن ينتسب اليها¹.

ما عبر عنه الخبير الإسرائيلي هنا هو تأكيده على سلامة السياسة الرسمية الوقائية القائمة على محورية جهاز الاستخبارات الجيش، بينما جاء المقترح الإضافي ليخص مسألة الانخراط في التحالف الدولي الذي تقوده الوم. أ. ضد الارهاب.

3. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - مصر

تمثّل جانب الأزمة في الحالة المصرية حسب الخبرة ايمان رجب في تحولات النشاط الارهابي وتغير خارطته، وهو بشكل ما تعبير عن الدعوة لإيجاد توافق وتلاؤم أكبر بين السياسات الرسمية وهذه التغيرات. لكن، عندما تعلق الأمر بصياغة التوصيات، فلم تخرج الخبرة عن الأطر المسموحة سياسيا، وقد قدمت مقترحات تنسجم مع الصيغة الشكلية التي رأيناها مع الخبير الإسرائيلي وهي :

(يجب على الدولة أن تعمل على تعزيز ما تقوم به ... ولكن يجب أن تقوم أيضا بكذا وكذا)

تتكرر الأمثلة في النص بشكل واضح، ومنها :

¹ Schweitzer, "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad.". p. 26.

[...] تمتلك كل من القوات المسلحة وجهاز الشرطة أطرها الخاصة فيما يتعلق بالتخطيط لعمليات المواجهة مع الإرهابيين، وذلك إلى جانب ما تم استحداثه من كيانات خلال العام 2017، من أجل تحقيق نوع من التطوير في قدرات كلتا الجهتين في تخطيط العمليات الخاصة بمكافحة الإرهاب وتنفيذها ... لكن مع أهمية هذه الأطر المؤسسية تظل هناك حاجة إلى إطار مؤسسي مركزي فعال يقوم بتحديد الرؤية على المستوى القومي والهدف المراد تحقيقه في مكافحة الإرهاب¹.

هذا المثال ترجمة عن طبيعة الحلول التي يقترحها خبير مركز التفكير و عن الكيفية التي يم بها فعل ذلك. إنها حلول ومقترحات غير ابداعية، غالبا ما يُعاد استرجاعها من التراث الاستراتيجي الموجود أصلا، ليعاد استكشافها ضمن سياقات جديدة. توضح هذه النصوص المختلفة أن تقديم الحلول يراعي طريقة عمل mode opératoire نلخصها في الصيغة التالية :

يجب مواصلة القيام بالخيار الجاري ولكن يجب أيضا القيام بالبديل - أ - أو البديل - ب -

2.2. مجال المسموح وبناء الحلول التي تنادي بالقطيعة النسبية

تمثل الوثيقة الثانية لمعهد راند (جونز و ليبكي 2008)، و جود صنف ثان من الدراسات، يختلف من ناحية الاستراتيجية الاتصالية عن النمط السابق الذكر في الأمثلة اعلاه. لا ينادي هذا النوع من المقترحات بالمحافظة على السياسات الجارية و بإضافة جوانب لها، بل يدعو الى احداث قطيعة نسبية مع السياسات السارية و إدراج بدائل جديدة. إن مثل هذا النوع من الدراسات يتسم ببعض الخصائص، فهي غالبا أمريكية المنشأ، و غالبا ما تصدر عن مراكز التفكير العريقة أو الكبرى مثل معهد راند أو البروكينز، و أنها غالبا ما تحظى بالإضاءة الاعلامية الكافية لترويجها و تسويقها. تمثل دراسة (جونز و ليبكي 2008) حول اشكالية نهاية التنظيمات الارهابية واحدة من الدراسات التي تمثل هذا الصنف.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها أتت بمقترحات جديدة تدعو الى وجوب مراجعة سياسة الحرب الشاملة على الارهاب التي تنتهجها الحكومة الأمريكية منذ 09/11. لكن، و بالرغم من أن

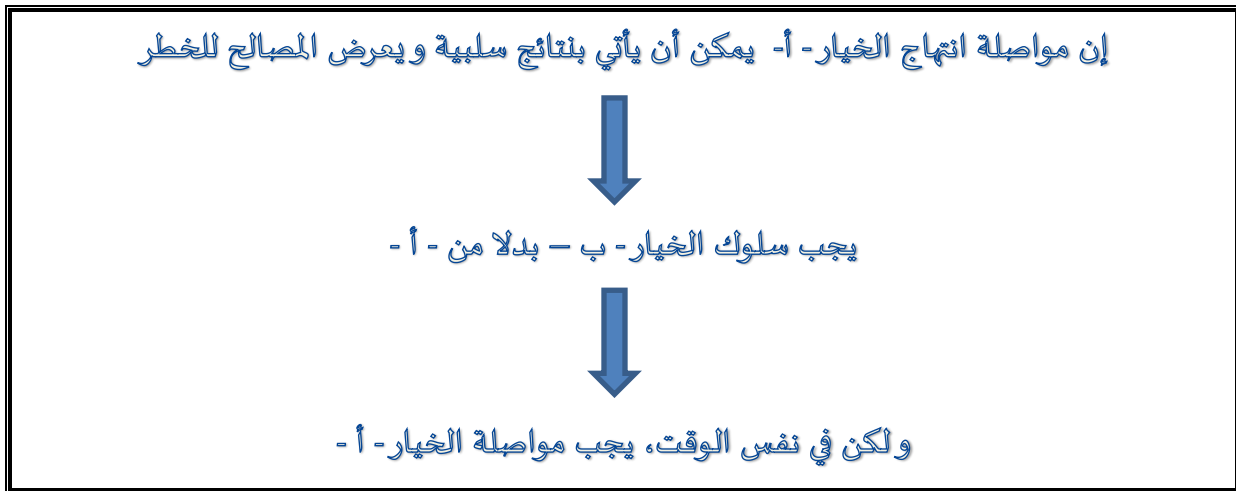
¹ رجب، "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات". ص. 24.

محتوى هذه الدراسة يعتبر دعوة لتبني مقاربة بديلة إلا أن الفحص المدقق لطبيعة المقترحات التي جاءت بها يوضح أنها ؛

- لا تعتبر مقترحات لإحداث قولبة كلية لسياسة الحرب الشاملة على الارهاب، وتعويضها بسياسة جديدة كلياً.
- أنها تدعو لمراجعة نسبية أو جزئية، أي مواصلة الحرب على الارهاب بأساليب القوة الذكية Smart Power.

ضمن هذا النوع من الدراسات يستخدم الخبير الصيغة الثلاثية الموضحة في الشكل أدناه :

ضمن هذا النوع من الدراسات يستخدم الخبير الصيغة الثلاثية الموضحة في الشكل :



هذه العناصر تتجسد في دراسة جونز وليبيكي بالشكل التالي :

المشكلة : استعمال القوة العسكرية ضد الجماعات الارهابية ليس بالضرورة اسلوباً ناجحاً.

البديل : اقترح الخبيران ثلاث حلول هي : (1) وضع الجهد الاستخباراتي و البوليسي في جوهر المقاربة الأمريكية، (2) تقليل استخدام القوة العسكرية الأمريكية ضد الارهاب، (3) اسناد هذه المهمة للقوات المحلية الحليفة وهذا يعني الاستعمال الخفيف Light use للقوة العسكرية الأمريكية.

تبين هذه الاقتباسات الكيفية التي يتم بها تقديم النموذج البديل من طرف مراكز التفكير الكبرى، كما توضح خضوعها لاعتبارات الواقعية للسياسية الخارجية *le realpolitik*.

المبحث الثاني : من براديغم الحرب الى الاحتواء

لقد أوضحنا أن الجهد التحليلي للخبراء يركز أساسا على البحث عن البراديغم الذي يمكن أن يكون قاعدة للعمل السياسي في سياق تاريخي معين. منذ بروز مشكلة الارهاب في السبعينيات انتجت الخبرة السياسية لمراكز التفكير براديغمات مختلفة، بفعل التغير المستمر الذي يعرفه السياق الجيواستراتيجي الدولي و لكن أيضا بفعل التغير المستمر في المفاهيم الكبرى التي تصاحب تطور السياقات المختلفة. يعتبر مفهوم المرجعية le référentiel الذي اقترحه عالم السياسة الفرنسي بيار مولر منذ منتصف الثمانينيات مفهوما جيدا يسمح لنا بفهم هذه التغيرات انطلاقا من استقرار للعوامل الفكرية المتحركة في ذلك. لقد كرست نهاية الحرب الباردة تبلور مرجعية فكرية جيو-استراتيجية تختلف في جوهرها عن تلك التي سادت أثناء الصراع السوفيتي الأمريكي، وذلك لأن محدداتها ذات طبيعة ثقافية أو حضارية كما توضحه طبيعة الكتابات الجيوسياسية التي راجت بداية التسعينيات مثل صمويل هنتغتون أو مقولة صدام الحضارات، أو فرانسيس فوكوياما ومقولة نهاية التاريخ و الرجل الأخير.

المطلب الأول : المرجعية الثقافية وصناعة العدو الحضاري

تميزت الجيوبوليتيكا في فترة الحرب الباردة بهيمنة نوعين من القوالب التفسيرية الخبيرة ذات المصدر الأمريكي ؛ تتمثل الأولى في تلك التصورات التي تفسر العالم انطلاقا من المتغيرات التاريخية وقد تزعمها هنري كيسنجر، بينما تتعلق الثانية بتلك الرؤى التي تحاول فهم السياسة الدولية انطلاقا من المتغيرات الجغرافية وقد تزعمها مستشار الأمن القومي الأمريكي زيبغنيو بريزينسكي. سمحت نهاية الحرب الباردة بصعود نوع ثالث من التفسيرات للعالم التي تحاول تفسير العالم انطلاقا من المتغيرات الثقافية / الحضارية كما جسدها بشكل صريح أعمال صمويل هنتغتون. إن جوهر التغير الذي حصل على مستوى مشكلة الارهاب هي أن الأخير انتقل من مجرد مشكلة جريمة crime (مقاربة قانونية) قبل السبعينيات، الى الارهاب الاستراتيجي Terrorisme stratégique خلال السبعينيات والثمانينات، ثم الى الارهاب الهوياتي Terrorisme identitaire بعد نهاية الحرب الباردة، وهذا بفعل رواج و صعود القالب التفسيري الثقافي (الحضاري).

1- صدام الحضارات كمرجعية

يشير مفهوم المرجعية عند بيار مولر الى مجموعة التصورات التي تمتلكها جماعة سياسية معينة حول العالم حيث تصبح هذه التصورات قالباً لإدراك المشكلات المختلفة و لصياغة الحلول بشأنها. ما هي مثلاً طبيعة التهديدات التي تواجه الدولة ؟ وكيف يمكن التصرف مع هذه التهديدات؟ تظهر الجهود الحكومية غالباً وكأنها بحث مستمر عن التناغم بين القيم المحمولة في السياسة المنتهجة والأهداف المرجوة منها، و الوسائل تنفيذها والموارد المكرسة لها. المرجعية هي تلك الخلفية من التصورات التي تعكس ارتباطاً بين قيم وأهداف ووسائل وموارد¹. كل سياسة يتم تبنيها إنما تنبع من سياق معين و ليس من فراغ، حيث يلقي هذا السياق السياسي والاجتماعي بتأثيراته على تلك التصورات.

عند نهاية التسعينيات، ظهر الى الوجود تصور يرى بأن الحضارات في العالم تتفاعل بعضها ببعض في شكل تنازعي مستمر، و كأنه تصور لم يسبق الى توضيح وجوده أحد من قبل. تم تقديم الحضارات على أنها كتل ستاتيكية مهيكلية حول الدين و لا يمكن سوى أن تؤدي الى حروب، و أن المستقبل هو حروب مستمرة بينها. تم بالتالي تشكيل سيناريو لحرب محتملة بين الكتلة المسيحية والكتلة الاسلامية أو بينها و بين الكتلة الصينية². تم بالتالي وضع تأويل عن طبيعة تطور العلاقات الدولية بناء على مقولة صدام الحضارات.

تستجيب هذه الصيغة التي اقترحها صمويل هنتغتون - الخبير المقرب جداً من الأوساط الحكومية الأمريكية وباحث آنذاك بمركز التفكير The National Security Council - لحاجة أمريكية ملحة ؛ نظراً لانعدام عدو بالنسبة للو.م.أ. بعد زوال العدو السوفييتي التقليدي فإنه من الضروري صناعة عدو آخر يسمح بشرعنة الحروب الجديدة³. أصبحت النزاعات الدولية هوياتية في جوهرها، بل و أصبح الاسلام يرادف كل التصورات التي صنعها الغرب عن الشيوعية أثناء الحرب الباردة. حسب صيغة صدام الحضارات فقد تم التركيز على الاسلام بصفته ممثلاً للقوى غير الملائمة لقيم الرجل الأخير، كما تعكسه اتجاهات الاسلاموفوبيا ضد الأقليات المسلمة في أوروبا و أمريكا، وكما

¹ Pierre Muller, "Référentiel," in *Dictionnaire des politiques publiques*, vol. 4e éd., Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2014), 555–62, <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0555>. p. 556.

² Conesa, "La fabrication de l'ennemi." p. 36.

³ Ibid. p. 37.

توضحه محورية العالم الاسلامي في خارطة النزاعات الدولية بعد زوال الاتحاد السوفيتي. تم انتاج المصطلحات اللازمة لصناعة العدو الحضاري ممثلا في الاسلام (العالم الاسلامي) ؛ فهي مزيج يجمع بين الشيوعية، الأصولية، التطرف، الظلامية، الرجعية، مناهضة المرأة، الارهاب، الشمولية...الخ.

من ناحية أخرى، علينا أن نلاحظ أن صعود هذه الصيغة تزامن مع صعود تيار المحافظين الجدد، فقد تركز برنامج المحافظين الجدد على توكيد الهيمنة المطلقة l'hégémonie للقوة العظمى الوحيدة، باستعمال المنهجية العسكرية خاصة (غزو العراق 1991)، و المسوغات المثالية (الديموقراطية، حقوق الانسان، التحرير...). إنه نفس النموذج الاستعماري الأوروبي الذي ساد أثناء القرن التاسع عشر لأنه يحمل نفس أدوات التبرير - وجود الرسالة التبشيرية- ونفس أدوات التنفيذ من خلال الحملات العسكرية¹. لقد مثلت هجمات 09/11 لحظة التبلور النهائي لفكرة العدو الحضاري، فهي نقطة الدمج بين العدو الحضاري ممثلا في الاسلام ومسار الحرب كحتمية جيوبوليتيكية. يعتبر صدام الحضارات مرجعية بالمعنى الذي يريده بيارمولرو استراتيجية متعددة الوظائف في آن واحد ؛

كمرجعية، تتركب فكرة صدام الحضارات من مجموعة مكونات هي :

- القيم les valeurs: وهي التصورات الأساسية التي توجه كل ما يجب يفعله مما لا يجب فعله. قيمة الحرية مثلا هي قيمة جوهرية لأنها تسمح بإحداث الفصل بين ما هو عالم حر و عالم شمولي أو ثيوقراطي. العالم الغربي ديموقراطي فهو عالم حرية، بينما الآخر فهو غير ديموقراطي و يمثل عالم شمولي. العالم الاسلامي يناهض هذه القيمة الأساسية، فهو عدو حضاري.
- المعايير les normes؛ وهي تختلف عن القيم من ناحية أنها توضح المبادئ الموجهة للعمل، و هي مؤشر لرسم الفرق بين الواقع الموجود و الواقع المأمول. من الأمثلة التي رأيناها سابقا في الوثائق المدروسة، نجد بعض المبادئ مثل مبدأ التعاون الاستخباراتي ضد الارهاب، و التي أشار إليها كل من برايان جينكينز و يورام شفايتزر.
- العلاقات السببية، و يعبر عنها عموما بشكل يعكس وجود مجموعة من الارتباطات بين المستوى النظري و المستوى العملي، و تكون عموما بصيغة يجب مواصلة سلوك الخيار - أ- لأنه سيحقق النتيجة - ب - أو النتيجة - ج-.

¹ Nicole Guétin, "Le Messianisme Américain," *Esprit* (1940-), no. 294 (5) (2003): 25–32.

كاستراتيجية متعددة الوظائف ؛ فهي وسيلة للحرب على الصعيد الدولي بالنسبة للو.م. أ. ، أي وسيلة للغزو (أفغانستان و العراق)، ووسيلة للصراعات الاثنية و الطائفية (العراق)، ووسيلة للاحتلال (العراق و افغانستان)، ووسيلة لتغيير النظام (سوريا، العراق)، ووسيلة لتفكيك الدولة (ليبيا) ...الخ. بعبارة أخرى، هي مرجعية تحدد الحرب كوسيلة عامة و شاملة لتحقيق جميع الأهداف الاستراتيجية المتعلقة بإزالة العوائق أمام الهيمنة الشاملة الأمريكية.

2- سردية الارهاب الجديد New Terroism عند الخبراء الأمريكيين

بعد حوادث 09/11، تشكل إجماع أمريكي حول فكرة الارهاب الجديد بين المسؤولين السياسيين، الاعلاميين، الأكاديميين و خبراء مراكز التفكير من مختلف التوجهات الايديولوجية. توضح وثيقة العصر الجديد للإرهاب The New Age of Terrorism (2006)، التي كتبها برايان جنكينز من مؤسسة راند، كيف يعمل الاستراتيجيون والخبراء الأمريكيون على إدامة التدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط من خلال إنتاج السرديات الشرعية التي يجب أن تصاحب الحروب الأمريكية.

مثل هذه العبارة التي تعمل بمثابة سردية ليست أسلوبا جديدا بل إنه منتشر جدا بين الخبراء. خلال مسيرته كخبير ارهاب بمعهد راند و التي ابتدأت في سبعينيات القرن الماضي، كتب برايان جنكينز الكثير من المؤلفات التي تحمل صفة الارهاب الجديد ؛ سنة 2006 كتب The New Age of Terrorism؛ سنة 1999 كتب مقالا بعنوان Countering the New Terrorism ؛ سنة 1983 كتب دراسة بعنوان 1983 New Modes of Conflict؛ سنة 1974 كتب دراسة مطولة New International Terrorism: A New Kind of Warfare؛ وهذا معناه أن منطق خبير مؤسسة راند قائم منذ اربعة عقود على ضرورة اجراء تحديث عن الارهاب كل عشر سنوات، باستعمال وصف الجديد لإعادة انتاج مشكلة غير جديدة.

من ناحية أخرى، لا يعتبر استعمال عبارة الارهاب الجديد حكرا على معهد راند، فهي رائجة عند كبار الخبراء الأمريكيين. يعتبر كتاب كلير ستيرلينغ لسنة 1981 حول شبكات الاتحاد السوفيتي واحدا من أهم الأعمال التي عبرت عن وجود أشكال جديدة للإرهاب¹. تشترك كل البحوث الأمريكية خلال السبعينيات و الثمانينيات في سمة واحدة و هي أنها أخرجت مشكلة الارهاب من قوالب فهم قديمة

¹ سبقت الإشارة اليه اعلاه وهو بعنوان :

Claire Sterling, *The Terror Network: The Secret War of International Terrorism* (Holt, Rinehart, and Winston, 1981).

لتضعها في قوالب جديدة. لقد طرحت بحوث سنوات الستينيات رؤى تفسيرية صنفت مشكلة العنف السياسي ضمن فئة أعمال التمرد Insurgency، حيث كرست هيمنة للمقاربة القانونية التي تنظر اليها باعتبارها جرائم Crimes تحل عن طريق القانون الداخلي للدولة. أحدثت سنوات السبعينيات تغييرا محسوسا في هذه النظرة لأنها جاءت بمفهوم الارهاب كمفهوم جديد لم يكن موجودا من قبل هذا. خلال هذه الفترة، حصل تغير مهم على مستويين اثنين ؛ الأول، أصبح الارهاب يُفهمُ بصفته أداة من أدوات الحرب على الصعيد الدولي، حيث تعتبر دراسة برايان جينكينز سنة 1974 International Terrorism: A New Kind of Warfare تجسيدا لهذا التوجه. أن التعامل مع الارهاب إذن يقتضي توظيف استراتيجيات قائمة على الحرب لمواجهة. تسمي ستامبينتسكي هذا الصنف من المقاربات بالإرهاب الاستراتيجي Strategic Terrorism. جاء كتاب كلير ستيرلينغ ليدعم هذا الاتجاه خصوصا وأنه أحدث ربطا بين الأسلوب في حد ذاته و الاتحاد السوفيتي، و قدم الكتاب قالبا تفسيريا جاهزا قائما على طرح أن التنظيمات التي تمارس العنف السياسي إنما هي أدوات استراتيجية في يد العدو السوفيتي.

أفرزت نهاية الحرب الباردة بروز تصور جديدا آخر، حيث أن غياب العدو التقليدي للو.م.أ. سرعان ما أدى الى اهتزاز كل القوالب التفسيرية المهيمنة الى غاية هذه اللحظة. بشكل ما، أصبح الارهاب يمثل هوية العدو الحضاري، ولم يعد مجرد أداة استراتيجية تستخدمها الدول في إطار صراعها مع الآخرين. يمكن تسمية هذا النوع من المقاربات بالإرهاب الهوياتي Terrorisme Identitaire، و تقوم فكرتها الرئيسية على اعتبار أن التنظيمات الارهابية تمارس أعمال العنف باسم العداء التي يحمله الاسلام تجاه القيم الرئيسية للغرب. في حقيقة الأمر، تعتبر هذه الفكرة إرثا أيضا خلفته حقبة الحرب الباردة، فقد تمحورت طروحات كلير ستيرلينغ حول اعتبار أن الارهاب إنما هو أداة صراع حضاري بين الغرب الحر و الديموقراطي و الشبكات الارهابية للاتحاد السوفيتي الشمولي. تتضمن مقاربات الارهاب الهوياتي تأكيدا على هيمنة استراتيجيات الحرب كأداة رئيسية للتعامل مع المشكلة.

كيف يُفهمُ إذن الاستخدام المستمر لعبارة الارهاب الجديد عند الخبراء الأمريكيين ؟ لا يعبر هذا الاستعمال الموسع عن تغير محسوس في جوهر المشكلة فالإرهاب تقنية حرب منذ فجر التاريخ، ولكنه يعبر اساسا عن تغير في صورة العدو، و الذي يعبر بدوره عن كيفية القيام بالحرب، و أين ولماذا؟¹ إنه

¹ Pierre Conesa, "Sociologie de la production stratégique," *Revue internationale et stratégique* 82, no. 2 (2011): 87–96, <https://doi.org/10.3917/ris.082.0087>. p. 89.

يعبر عن استراتيجية لبناء سردية قائمة على فكرة وجود وضع جديد لتبرير قرارات الحرب والسياسات التدخلية الأمريكية.

3- انتقال خطاب الارهاب الهوياتي الى دول الشرق الأوسط

تتميز سردية الارهاب الجديد بقدرتها على الانتقال السريع والانتشار على مستوى دول الشرق الأوسط المرتبطة بعلاقات تحالف مع الو. م. أ. لا تتعرض هذه السردية للانتقاد كما تؤكد وثائق الدراسة التي اصدرها خبراء مراكز التفكير في مصر واسرائيل ودول الخليج. كل الوثائق تحدث ربطا بين الارهاب والتنظيمات ذات المرجعية الاسلامية، لتشكل في النهاية نموذجا عن الارهاب الهوياتي الذي يتمثل في الحركات الاسلامية حصرا. إذا كانت السردية الأمريكية تجعل من هوية الارهاب مرتبطة بالإسلام، فإن السردية الاسرائيلية تربطه كذلك بالحركات الاسلامية وكذلك تفعل السردية العربية كما تجسدها الحالة المصرية والحالة الخليجية.

المطلب الثاني : براديغم الحرب على الارهاب

يقوم الجهد التحليلي للخبير في مركز التفكير على البحث الدائم عن البراديغم الذي يوجه العمل السياسي للدولة. توضح وثائق الدراسة أن الخبراء الأمريكيون انتجوا بعد هجمات 09/11 براديغم رئيسي هو براديغم الحرب ضد الارهاب، والذي يعبر عن انضمام لمؤسسة الخبرة الى استراتيجية الحرب الشاملة ضد الارهاب التي تبنتها إدارة جورج بوش الابن ابتداء من 2002. تظهر الوثائق الأخرى للخبراء الشرق أوسطيين أن براديغم الحرب محوري ايضا في توجيه سياسات الدول القطرية.

1- براديغم الحرب ضد الارهاب حسب مركز راند الأمريكي

تصب الجهود التحليلية الواردة في دراستي كل من برايان جنكينز (2006) و ليببكي و جونز (2008) ضمن إطار الوظائف العامة التي يؤديها الخبراء في الميدان الاستراتيجي وهي ثلاثة أساسية (1) تسمية و توصيف التهديد (*naming the threat*، 2) اختيار الحرب التي يتعين القيام بها و مساءلة عدم العمل الحكومي (*Inaction gouvernementale*، و 3) تبيان سلامة قرار الحرب.

لقد تعرضنا أعلاه الى النقطة الأولى و رأينا كيف أن منهج الخبراء في توصيف التهديد الارهابي قائم على أساليب دعائية تستعمل تقنيات تضخيم حجم المشكلة بغرض ايصالها الى مستويات كارثية

Catastroika، حيث يسمح هذا بإعداد الخلفية التي تسمح لاحقا بقبول المقترحات الصلبة أو القرارات الصارمة مثل قرارات الحرب. توضح وثيقتي معهد راند أن الجهود التحليلية تتجه نحو تأكيد طبيعة الحرب التي يجب القيام بها ونحو اثبات سلامة قرار الحرب. ما يلاحظ من خلال قراءة استراتيجية بناء الحجة بهذا الخصوص هو الوجود الصريح للصيغة التالية :

(لا يمكن أن لا يتم القيام بالحرب)

وهي صيغة توضح هيمنة هذا الخيار على باقي الخيارات المحتملة بل وعدم امكانية اقصائه كخيار استراتيجي مركزي. إنها صيغة يستخدمها الخبراء الأمريكيون لتأكيد أنه لا بديل عن هذا النهج. رغم أن دراسة ليبكي و جونز جاءت ضمن سياق يدعو لمراجعة سياسة الحرب على الارهاب ابتداء من سنة 2008 - كما سنراه لاحقا مع براديغم الاحتواء - إلا أنها ظلت وفية لهذه الصيغة التوكيدية لضرورة مواصلة الجهد الحربي.

مثال 01 : دراسة برايان جنكينز (2005) *The Jihadists' Operational Code*

توضح هذه الوثيقة وهي جزء من كتاب لمعهد راند نشر سنة 2005 بعنوان : ثلاث سنوات فيما بعد ؛ المراحل المقبلة للحرب على الارهاب، أن براديغم الحرب تم بناؤه من طرف برايان جنكينز على حجج رئيسية هي :

- اعتبار أن الجهاد هو نزاع مسلح بطبيعته؛
- الولايات المتحدة الأمريكية هي تهديد وعدو بالنسبة للجهاديين ؛
- الجهاد هو فرصة للانتقام من الو. م. أ. و حلفائها بمن فيهم الأنظمة العربية في السعودية ومصر،
- الجهاد هو قناعة دينية و سلوك ديني،
- كنتيجة، مواصلة الحرب الأمريكية ضد الجهاديين يعتبر بمثابة حتمية¹.

لقد تم تبرير شرعية السلوك الحربي الأمريكي ضد الارهاب عن طريق قبوله للأدوار ؛ لم تتم الاشارة نهائيا الى السياق العام الذي خلف هجمات 09/11 ولا الى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه

¹ David Aaron et al., "Three Years After: Next Steps in the War on Terror" (RAND Corporation, June 13, 2005), https://www.rand.org/pubs/conf_proceedings/CF212.html. pp. 4-5.

العالم الاسلامي كمداخل لتفسير علاقة التضارب و العداء بين العالمين الأمريكي والاسلامي، بل انطلق تحليل الخبير من فكرة أن الجهاد هو من يعتبر أمريكا عدوا و تهديدا له. نظرا لأن الجهاد سلوك حربي يستهدف أمريكا فإنه من المشروع مواصلة الحرب ضده. يستعمل الخبير عبارة الحتمية Imperative ليؤكد أنه لا بديل آخر موجود أمام الحكومة الأمريكية، وهي تمثل إحدى الطرق التي ينتهجها الخبراء في التأكيد على عدم امكانية عدم خوض الحرب ضد الارهاب.

لقد أصبحت الحرب خيارا مشروعاً من الناحية السياسية. وقد تمت شرعنتها عن طريق التصريح بالتهديد الذي يمثله الجهاد بالنسبة لأمريكا. تستند هذه الرؤية إذن على مقارنة أمنية بحتة للتهديد الجهادي، و ذلك تماما كما تتصوره الأوساط المحافظة الجديدة. لكن، ما تعبر عنه هذه الوثيقة هو أن انضمام الخبير لخطاب المحافظين الجدد مكنه من احداث تحول ذاتي ؛ لقد تحول هذا الأخير من خبير حول الارهاب الشيوعي الى خبير حول الارهاب الاسلامي. هذا التحول لا يعني وجود تغير على مستوى الأطر الادراكية حول مشكلة الارهاب بل ظلت من دون تغيير يذكر، مما يعطي في النهاية خبرة ارثوذكسية لا تعارض أي عنصر من عناصر السردية النيومحافظة المهيمنة.

بهذا الشكل نلاحظ إذن أن الخطاب الخبير حول ضرورة اعتماد استراتيجية حرب ضد الارهاب، لم يتم اعداده لكي يوجه العمل الحكومي نحو هذا الخيار، بل على العكس من ذلك، فقد استلهم من السياسة الفعلية الجارية التي ينفذها المحافظون الجدد. ضمن هذه التصور، تبدو الصورة و كأنها حركة انتقال دائرية لسردية الحرب ضد الارهاب، حيث انطلقت من الحقل السياسي الذي تهيمن عليه القوى الايديولوجية النيومحافظة لتنتقل نحو حقل الخبرة لتعيد الرجوع في النهاية نحو الحقل السياسي.

2- براديجم الحرب ضد الارهاب عند خبراء الشرق الأوسط

يعتبر الخبراء العرب و الاسرائيليون على حد سواء أن استراتيجية الحرب على الارهاب لها جدوى معتبرة لأنها تساهم في تحييد التهديد الذي تمثله التنظيمات الارهابية بالنسبة لأمن و لاستقرار الدولة. لا يمكن للخبير من خلال الوثائق المدروسة أن يناهض خيار الحرب على الارهاب، و لكن بإمكانه أن يدعو الى اجراءات اضافية مرافقة مثل التعاون الاستخباراتي و التعاون الدولي.

مثال 01 : دراسة مركز الأهرام

تعتبر خبيرة مركز الأهرام عن انضمامها الى براديعم الحرب ضد الارهاب، وفقا لمجموعة من الحجج هي :

- تميل الدول التي تعاني من مشكلات أمنية بسبب الإرهاب إلى الاعتماد على الأدوات العسكرية والأمنية كأول خطوة للدفاع؛
- ويكون الهدف الرئيسي للعمليات العسكرية هو الحد من عدد الهجمات الإرهابية من خلل تصفية الإرهابيين؛
- خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، و جهت كل الجهود نحو التعامل الأمني مع الجهاد والجماعة الاسلامية وكانت هذه السياسة فعالة حينها ؛
- أما الموجة الحالية للإرهاب فتقتضي سياسات تجمع بين الإجراءات العسكرية والأمنية والاقتصادية التي تعبر عن القوة الصلبة والإجراءات الاجتماعية والفكرية التي تعبر عن القوة الناعمة¹.

إن المبرر الذي يعطي الشرعية لسياسة المكافحة العسكرية يرجع الى النجاعة التي تحققت بالماضي، و هو مبرر موضوعي لأنه يسمح بإسناد الحجة على وقائع تاريخية اثبتت التجربة جدواها. لكن، تدافع الخبيرة المصرية عن نوع خاص من العمليات العسكرية، فهي ليست بصدد الدفاع عن حرب شاملة ضد الحركات الاسلامية بصفتها خلفية للنشاط الارهابي، بل تساند العمليات العسكرية والأمنية الدقيقة، أي تلك التي تستهدف رموز وقيادات التنظيمات الارهابية بالشكل الذي يسمح بتحييد التهديد الارهابي. ترى خبيرة مركز الأهرام أن السياسة العسكرية والأمنية المصرية تتشكل من ثلاث مستويات رئيسية هي :

- المستوى الأول و هو النواة الصلبة لسياسة الحرب ويتعلق بإجراءات القضاء على الارهابيين و تفكيك الخلايا الارهابية، و هي اجراءات عسكرية و استخباراتية في آن واحد تهدف الى اضعاف قدرات التنظيمات الارهابية على شن هجمات جديدة ؛

¹ رجب، "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات". مرجع سابق، ص ص. 11-14.

- تفكيك البنية اللوجستية التي تعتمد عليها تلك التنظيمات من أجل الحفاظ على بقائها والتي توفر لها المال والسلاح والعنصر البشري؛
- اضعاف وجود التنظيمات الارهابية داخل الاقاليم التي ينشطون فيها¹.

منهجا، تعود خبرة مركز الأهرام الى الوثائق الرسمية للاستشهاد بمضمون المقاربة العسكرية والأمنية المصرية²، وهي بهذا الشكل تسترجع أهم المقولات و أهم الحجج المشكلة لها انطلاقا من الخطاب الرسمي. تتواجد مجموعة معارف الخبرة إذن على مستوى الدوائر الرسمية للقرار، وهنا نلاحظ أن حركية انتقال السردية تتم وفقا لنفس الحركية الدائرية التي رأيناها سابقا مع خبير مركز راند الأمريكي. هذه الأخيرة تنتقل من الحقل السياسي، أي حقل القرار الرسمي لتتجه نحو حقل الخبرة ثم تعيد الرجوع مرة أخرى نحو الحقل السياسي حاملة للمسة الخبراء. في حقيقة الأمر، يؤدي خطاب الخبرة المصرية بهذا الشكل وظيفة اتصالية بحتة لأنه يكتفي بنقل صورة السياسة الرسمية نحو الرأي العام.

مثال 02 : دراسة مركز الدراسات الاستراتيجية – اسرائيل

بالنسبة للخبير الاسرائيلي يورام شفايتزر، فإن التهديد الذي يمثله الجهاد الشامل Global Jihad ضد اسرائيل تهديد جدي لأنه يستهدف وجود دولة اسرائيل كما يستهدف اليهود بالداخل و بالخارج في نفس الوقت. يعتمد الخبير الاسرائيلي على نفس استراتيجية الكتابة التي رأيناها مع الخبير الأمريكي برايان جنكينز، حيث ينتهج أسلوب قلب الأدوار؛ في حين يتم تجاهل وضع الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية كأهم عامل تفسيري لعلاقة التضارب و التصادم بين العالم الاسلامي و اسرائيل، يباشر الخبير تحليله من فكرة أن المسلمين يعادون اسرائيل و اليهود حتما انطلاقا من ديانتهم. يخصص الخبير الاسرائيلي حيزا معتبرا للبرهنة على فكرة العداء التي يكنها المسلمون لإسرائيل واليهود على حد سواء، وذلك حتى يتسنى له تقديم الشرعية الكافية للاستجابة التي يجب على اسرائيل القيام بها. من هذا المنظور لا يؤدي خطاب الخبير الاسرائيلي وظيفة اتصالية فحسب - كما رأيناه مع الخبرة المصرية- بل يؤدي وظيفة شرعنة لمقاربة الحرب على الارهاب. تتمحور أهم حجج الخبير الاسرائيلي حول الأفكار التالية :

¹ المرجع نفسه، ص. 16.

² من الأمثلة على الوثائق الرسمية التي ترجع اليها باستمرار نجد بيان مجلس الوزراء الصادر في 21 سبتمبر 2015،

- يعادي المسلمون اسرائيل و اليهود بسبب معتقداتهم الدينية، أي نفي المسببات السياسية لعلاقة الصراع البني،
- يعتبر اليهود جزء من تحالف مسيحي يهودي و جزء من مؤامرة تستهدف المسلمين،
- تعتبر اسرائيل الكيان السياسي الذي يجسد هذا التحالف،
- هذا القطب ككل تجب محاربته من طرف المسلمين،
- تؤدي الأعمال الارهابية العنيفة ضد هذا التحالف – أي اسرائيل و الوم أ. – الى اضعاف هذا الكيان¹.

بعد أن وصف الخبير طبيعة التهديد، يقوم بتشخيص طبيعة الاستجابة الواجب انتهاجها، وقد تمت صياغتها بناء على مقومين اثنين : (1) ضرورة مواصلة الحملات العسكرية في اقليم غزة و (2) ضرورة تعزيز التعاون الاستخباراتي مع جميع الفاعلين المحيطين بالحدود الاسرائيلية². بالنسبة للخبير الاسرائيلي لا توجد بدائل أخرى مطروحة، فالمشكلة التي يطرحها الجهاد الشامل أو تنظيم القاعدة تقتضي حلا عن طريق الحسم الأمني والعسكري.

¹ Schweitzer, “The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad.” pp. 24-25.

² Ibid. P. 26.

المطلب الثالث : نحو استراتيجية شاملة لمواجهة الارهاب : براديجم الاحتواء

تظهر الوثائق المدروسة أن الخبراء في مراكز التفكير المختلفة قدموا رؤى استراتيجية موسعة لمواجهة الارهاب، اي مقاربات تتضمن بالإضافة الى الأدوات الأمنية والعسكرية وجود اجراءات مرنة أخرى لاحتواء المشكلة. تتضمن الدراسات الأمريكية والمصرية والخليجية (عمر عاشور) اقتراحات حول استراتيجية أكثر شمولية *a comprehensive strategy* بينما بدت دراسة الخبير الاسرائيلي خالية تماما من هذا النوع من المقترحات المرنة (احتواء التطرف). تعتبر هذه الاستراتيجية الشاملة منتوجا أمريكيا قبل غيره، فأول من دعا اليها هو معهد راند الأمريكي سنة 2008، وقد تحولت الدراسة خلال فترة قليلة الى مرجع واسع التداول بين أغلب الخبراء في العالم. لا تزال دراسة راند للخبيرين جونز و ليبكي تحظى بكثير من الاهتمام والانتشار على مستوى مراكز البحث، فقد نشر الخبير عمر عاشور من المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات القطري، دراسة مشابهة تحاول أن تقدم تصورا لمسار الانتقال من العمل المسلح الى العمل غير المسلح (*From Bullets to Ballots : Transformations from Armed to Unarmed Political Activism*).

1- السياق العام لدراسة ليبكي و جونز (2008)

تعتبر هذه الدراسة و هي تحمل عنوان : كيف تنتهي الجماعات الارهابية؟¹ بمثابة مراجعة لسياسة الحرب الشاملة على الارهاب التي باشرتها الحكومة الأمريكية غداة 09/11، فقد نشرت سنة 2008، أي بعد حوالي ست سنوات من غزو افغانستان لتقدم تقييما حول الجهد الحربي الأمريكي ضد الارهاب. ابتداء من 2008 و مع نهاية العهدة الثانية للجمهوريين بقيادة جورج بوش الابن عرف المشهد الأمريكي بروز أصوات عديدة مناهضة لسياسة الحرب الشاملة ضد الارهاب، سواء على الصعيد الأكاديمي أو الصحفي أو السياسي، وقد أتت دراسة جونز و ليبكي لتعلن انضمامها الى حركة الانتقاد على مستوى مراكز التفكير. تعتبر هذه الأخيرة الاولى من نوعها على مستوى مراكز التفكير، ولكن صداها سرعان ما أدى الى بروز اصوات لخبراء آخرين في مراكز تفكير كبرى أخرى. يعتبر مركز بروكينز ذي التوجه الايديولوجي الوسطي ثاني الهيئات البحثية التي ساندت فكرة عدم نجاعة اسلوب الحرب ضد الارهاب وضرورة تبني استراتيجية شاملة، وقد كانت الخبرة ثامارا كوفمان وايت Tamara

¹ Seth G. Jones and Martin C. Libicki, "How Terrorist Groups End: Lessons for Countering al Qa'ida" (RAND Corporation, August 3, 2008), <https://www.rand.org/pubs/monographs/MG741-1.html>.

Cofman Wittes أهم الخبراء الممثلين لهذا الصوت.¹ على صعيد الحقل السياسي، وجه المرشح الديمقراطي باراك أوباما خلال سنة 2008 انتقادات ايضا لسياسة الحرب الشاملة ضد الارهاب، بينما نجد على مستوى الحقل الأكاديمي مجموعة من المفكرين و العلماء مثل ميكائيل هوفارد Michael Howard و هو عالم تاريخ مختص في تاريخ الحرب، و بعض الدبلوماسيين السابقين مثل ريتشارد هاس و مارتن اينديك. كانت انتقادات هؤلاء تصب في فكرة واحدة و هي أن الحرب على الارهاب لن تؤدي بالضرورة الى نهاية الظاهرة، بل إنها ستأتي بأشكال جديدة من الارهاب.²

اعتبرت هذه الدراسة بمثابة تصريح بعدم فاعلية مقارنة قائمة فقط على السلوك العسكري والحربي، فهي محاولة تفكير في مصير التنظيمات التي تبنت في مرحلة ما من حياتها اسلوب العمل العسكري بما يتضمنه هذا من نشاط ارهابي، لتحاول أن تقيم إن كانت الأداة العسكرية قد أدت تاريخيا الى تحقيق أهداف ما. ليس هدف الدراسة إذن هو صياغة نظرية بخصوص مصير التنظيمات الارهابية، بل تمثل في محاولة صياغة براديغم بديل لبراديغم الحرب انطلاقا من قراءة في فعالية التجارب الدولية المختلفة التي تعاملت مع الارهاب إما بالوسائل العسكرية أو غير العسكرية. تعتبر دراسة جونز و ليبكي دراسة علمية بالمعنى الدقيق للعبارة، فهي عبارة عن تحليلي احصائي نظري في مصير مئات من التنظيمات الارهابية التي نشطت خلال الفترة الممتدة من سنة 1968 الى غاية 2008، وقد اعتمدت على البيانات التي وفرتها قاعدة بيانات معهد راند نفسه حول الحوادث الارهابية.

لكن، لا يجب النظر الى المراجعة التي قدمتها هذه الدراسة على أنها دعوة الى التغيير الجذري في السلوك الأمريكي أمام مشكلة الارهاب أو أنها دعوة الى التخلي عن سياسة الحرب الشاملة على الارهاب. ليس الأمر هكذا، بل إنها دعوة لمواصلة الحرب بشكل ذكي، كما سترجمه لاحقا استراتيجية أوباما بهذا الخصوص.³ يخضع الانتقاد في مركز التفكير إلى نوعين من القيود ؛ الأول، لا يمكن ان ينادي الخبير بقولبة جذرية للسياسة القائمة بل أن يعدل جوانب منها؛ الثاني، أن الخيارات البديلة التي يمكنه أن يطرح لا يمكن أن تكون جديدة بشكل كلي، فهي موجودة بالضرورة ضمن التراث

¹ Tamara Cofman Wittes, "Fighting ISIS: The Slipperiest Slope of Them All," *The Atlantic* (blog), March 12, 2016, <https://www.theatlantic.com/international/archive/2016/03/obama-doctrine-goldberg-inaction/473520/>.

² Ibid.

³ Wittes, "Fighting ISIS."

السياسي و الاستراتيجي لمختلف المؤسسات السياسية و العسكرية الأمريكية (البيت الأبيض، الكونغرس، البنتاغون...الخ).

عندما يلاحظ الخبراء الأمريكيون حدودا لاستراتيجية معينة، فإن مجال البحث هو التاريخ الحديث للو. م. أ. ولكن ما يلاحظ هو أن هؤلاء الخبراء يتصرفون بنفس الشكل أمام كل الوضعيات المستعصية ؛ أمام كل أشكال الاستعصاء السياسي أو الاستراتيجي لا يمكن للمقترحات ان تخرج عن معنى استراتيجية شاملة **A comprehensive Strategy**، و أمام كل أشكال التهديد لا يمكن أن تخرج المقترحات عن خيار الاحتواء **Containment / Endiguement**. بعبارة أخرى، لا توجد الكثير من الخيارات أمام الخبراء كما قد يتبادر الى أذهاننا، بل إنها خيارات محدودة، لأن الأمر يتعلق بتلك السياسات التقليدية العالية المؤسسة مثل سياسة الاحتواء. لقد بين التاريخ القريب للسياسة الخارجية الأمريكية أن لمعهد راند مساهمة معتبرة في تحديد طبيعة السلوك الذي ينبغي على الإدارات الأمريكية المتعاقبة انتهاجه أمام العدو ؛ في جميع الأحوال و مهما تكن هوية العدو (الاتحاد السوفييتي، الصين، روسيان الارهاب، الاسلاموية، الجهادية...الخ) فإن هذا المركز يقترح ثلاث أنواع من الحلول وهي إما مواجهة **Confrontation**، و إما احتواء **endiguement** وإما تعامل **engagement**. لا تخرج دراسة جونز وليبيكي عن هذا الاطار، فهي من الدراسات التي تنادي بضرورة تبني استراتيجية شاملة **a comprehensive strategy**¹، تتضمن خططا لاحتواء² التهديد الارهابي في الدول الاسلامية.

2- نموذج الاحتواء في دراسة جونز وليبيكي

حافظ الخبران على نفس الاسلوب السائد في مراكز التفكير عند استعراض الدراسة، فقد بُنيت الأخيرة حول قسمين رئيسيين ؛ (1) محاولة تبين حالة الاستعصاء التي تواجهها السياسة الأمريكية و (2) اقتراح الحلول و تقديم التوصيات.

في مقدمة الدراسة يستعرض الخبران طبيعة المشكلة التي تواجهها السياسة الأمريكية، حيث يسلمان بأنه في الغالب، لم تكن القوة العسكرية هي السبب الرئيسي الذي يؤدي الى نهاية التنظيمات الارهابية أو المسلحة. تعتبر هذه النتيجة بمثابة تذكير مرسل نحو صناع القرار الأمريكي مفاده أن سياسة الحرب الشاملة على الارهاب سوف لن تؤدي بالضرورة الى نهاية التنظيمات الارهابية التي

¹ Jones and Libicki, "How Terrorist Groups End." p. 121.

² Ibid. p. 21.

تستهدف أمريكا. مثل هذه النتيجة ليست مجرد تخمينات سياسية أو ايدولوجية بل إنها نتيجة لدراسة علمية أجراها الباحثان على حوالي 648 تنظيم ارهابي خلال الفترة الممتدة من 1968 الى غاية 2006. تم تصنيف التنظيمات الارهابية حسب مؤشرات عدة مثل التعداد البشري، الأهداف، الموارد المالية، طبيعة النظام السياسي، التوجه الايدولوجي أو الديني أو السياسي...الخ. كانت النتائج صريحة جدا ؛

- 27 تنظيم فقط من اصل 648 اي ما نسبته 10% توقفت عن العمل الارهابي بعد أن حققت أهدافها التي أنشئت من أجلها،
- 114 تنظيم، أي 43 % توقفت عن العمل الارهابي بعد أن توصلت الى اتفاق سياسي مع الدولة،
- 107 تنظيم، أي 40 % تمت مواجهتها عن طريق العمل البوليسي والاستخباراتي والقضائي،
- 20 تنظيم فقط، أي 07 % تم القضاء عليها ميدانيا عن طريق الأدوات العسكرية¹.

تم بناء الحجة على حقائق امبريقية، فهي تحمل افتراضا مثبتا بالشواهد الامبريقية مفاده عدم نجاعة الأدوات العسكرية في القضاء على مشكلة الارهاب، و نجاعة أكبر للمقاربات التي تعتمد على الاحتواء (43 %) أو التعامل السياسي (40 %). بالنسبة لكاتبتي الدراسة فإن الحكومة الأمريكية ملزمة بمراجعة سياسة الحرب الشاملة على الارهاب وتبني بدائل أخرى.

يعتمد الكاتبان أيضا على أسلوب دراسة الحالة لتدعيم مواقفهما. في هذا الاطار قدما تحليلا مفصلا عن حالتين رئيسيتين هما حالة تنظيم Aum Shinrikyô (الحقيقة العليا) الياباني و حركة FMLN (Front Farabundo Marti de Libération Nationale) في السلفادور. يؤكد الخبيران أن التنظيم الياباني تم التغلب عليه عن طريق العمل الاستخباراتي و القضائي و البوليسي المنسق الذي تركز حول ؛ جمع المعلومات الاستخباراتية، استهداف العناصر القيادية و الصرامة التشريعية العالية. أدت هذه الاجراءات الى اضعاف التنظيم شيئا فشيئا الى أن تحول اليوم الى مجرد طائفة دينية من دون مطالب سياسية². أما حالة تنظيم السلفادوري FMLN فقد كشفت أن بإمكان الاتفاق السياسي أن يكون أداة ناجحة تدفع التنظيم الارهابي نحو التخلي عن العنف كأداة للمطالبة السياسية،

¹ Ibid. p. 3.

² Ibid. pp. 48-49.

واستنتج الكاتبان أن نجاح أي اتفاق سياسي في هذا الاطار يتعلق بحجم المطالب السياسية التي ينادي بها التنظيم، فكلما كانت مطالبه معقولة – اي لا تطالب بالتغيير الجذري لعلاقات القوة السياسية – كلما كانت فرص نجاحه كبيرة.

بناء على هذه الملاحظات الامبريقية قدم الخبيران في مركز راند ثلاث أنواع من الحلول ؛

1. نظرا لأن تنظيم القاعدة يهدف الى بناء خلافة اسلامية، فإنه لا يجب على الولايات المتحدة أن تندرج في مسار سياسي مع هذا التنظيم، ولا مع الحكومات العربية والاسلامية في الشرق الأوسط،

2. يجب تنبني استراتيجية قائمة على نشاط جهازي الاستخبارات والشرطة،

3. يجب التقليل من استعمال القوة العسكرية لأنه من غير الوارد هزيمة القاعدة بالأدوات العسكرية، كما يجب العمل على أن يسند هذا الجهد العسكري الى القوات المحلية.¹

توضح مجموعة الحلول المقترحة كيف أن معهد راند تحول من مساند لاستراتيجية حربية بين سنتي 2001 و 2008 الى مساند لاستراتيجية مرنة قائمة على أدوار مركزية للشرطة و للاستخبارات ابتداء من سنة 2008. رغم هذا، يجب أن نلاحظ هنا أن الخبيرين لا يناديان بالتخلي المطلق عن الأداة العسكرية و الحربية، بل إنهما يدعوان الى ضرورة اسناد هذا الدور الى القوات المحلية (Indigenous forces). بعبارة أخرى، لا يدعوا معهد راند الى القطيعة الجذرية مع السياسة المنتهجة بل الى استعمال الأسلوب الأذكي في ذلك.

على الصعيد العملي، يقدم الخبيران خطة استراتيجية تتشكل من خمس عناصر؛ اختراق الخلايا الارهابية، استهداف القيادات، الصرامة التشريعية، الاحتواء الايديولوجي، والعمل العسكري. هذا معناه أن هناك انتقال نجو استراتيجية يكون مركزها هما جهازي وكالة الاستخبارات المركزية والشرطة الفدرالية بدلا من الجيش الأمريكي.²

إن هذه المقترحات ليست ابتكارا جديدا بل مستلهمة من سياق الحرب الباردة، إذ يعتبر الخبيران أن سياق الحرب الباردة و سياق ما بعد 09/11 متشابهان جزئيا من ناحية كون الصراع ذو طبيعة ايديولوجية، وذلك رغم الاختلاف في هوية العدو حيث كان في السابق عبارة عن دولة بينما هو

¹ Ibid. p. 7.

² Jones and Libicki, "How Terrorist Groups End." p. 156.

اليوم تنظيم عابر للأوطان. في مثل هكذا ظروف تعتبر استراتيجية الاحتواء لجورج كينان (1947) مرجعية مفيدة للخبرين ؛ لقد قاما بتشبيه تنظيم القاعدة بالشيوعية و اعتبروا أن الطريقة التي اعتمدها جورج كينان غنية بالدروس؛ إذا كان كينان اعتبر أنه يجب محاربة الشيوعية عن طريق التنظيمات الشيوعية نفسها و لكن بالاعتماد على التنظيمات المعتدلة منها فقط، و ليس عن طريق مساندة التنظيمات الليبرالية، فإن جونز و ليبكي اعتبروا أنه يجب محاربة الارهاب الاسلامي بنفس الطريقة ؛ أي عن طريق المسلمين أنفسهم، حكومات المسلمين و منظمات المجتمع المدني. هنا يكمن سبب تركيز خبري معهد راند على مفهوم القوى الأهلية أو المحلية Les forces indigènes et locales.

بالتالي، تعتبر مثل هذه الدراسة بمثابة رؤية استراتيجية شاملة عن كيفية احتواء تنظيم القاعدة أو التنظيمات الأخرى. يعتبر براديجم الاحتواء منتجا أمريكيا حيث ساهم في توضيحه كثيرا معهد راند، و في ترويجه ثم في نقله الى الدول الأخرى. توضح الخبرة التي أصدرتها مراكز التفكير العربية والاسرائيلية أن جميع مراكز التفكير تعيد انتاج هذه المفاهيم، فكل الاستراتيجيات المعتمدة من طرف الدول العربية هي من هذا الصنف الذي يضم العناصر الخمس السابقة : اختراق الخلايا الارهابية، استهداف القيادات، الصرامة التشريعية، الاحتواء الايديولوجي، والعمل العسكري.

لكن، ما مدة جدة Nouveauté المقترحات التي اصدرها معهد راند هنا ؟ و ما حدود الانتقاد الذي يسمح به لخبراء مراكز التفكير؟

لقد أثبتنا من خلال هذا التحليل لدراسة جونز و ليبكي أن مركز التفكير:

- مُقَيَّدُ بعدم الدعوة الى التغيير الجذري للسياسات الجارية، فهذه الأخيرة و بحكم تأسيسها الشديدة تلعب أدوار مقاومة ضد التغيير،
- لا يمتلك أفكارا ابداعية متنوعة عن المشكلات المختلفة التي تعترض القرار الاستراتيجي، بل إنه في الغالب يلجأ الى التراث الاستراتيجي الموجود ليعيد استكشاف ما تم تجربته بالأمس القريب، كما رأيناه مع فكرة الاحتواء.

هذا معناه، أن الأفكار الاستراتيجية تمارس بدورها أدوار مقاومة ضد التغيير بحكم تأسيسها الشديدة.

3- انتقال براديجم الاحتواء الى مراكز التفكير في الشرق الأوسط

توضح الدراسات المختلفة التي نتناولها بالتحليل أنها تتقاطع كثيرا مع دراسات مركز راند، وهذا دليل ميداني على ان الأفكار تنتقل من المركز الأمريكي نحو المحيط الشرق الأوسطي. بعبارة أخرى، يسمح التأمل في طبيعة الأفكار المتحركة بين الفضاء الأمريكي و الفضاء الشرق أوسطي باستخلاص نتيجة مفادها أن الأفكار المتداولة من طبيعة واحدة. كل الخبراء الذين نتطرق اليهم هنا يساندون الرؤية الاستراتيجية الشاملة التي اقترحها كل من جونز وليبيكي. فيما يلي سنحاول أن نبرز مدى توافق الوثائق المدروسة مع أهم عناصر الاستراتيجية التي اقترحها خبيرا معهد راند الأمريكي.

3-1. مركز الأهرام : استراتيجية الاحتواء الأمريكية في قالب مصري

تبين دراسة الخبرة ايمان رجب وجود عدة نقاط تقاطع مع عناصر الاستراتيجية الشاملة التي اقترحها كل من جونز و ليبكي. تقوم الاستراتيجية الأمريكية على محورية الفاعل الاستخباراتي والشرطة بدلا من الجيش في جهود مكافحة الارهاب، وعلى خطة عملياتية مركبة من خمس عناصر هي : اختراق الخلايا الارهابية، استهداف القيادات، الصرامة التشريعية، الاحتواء الايديولوجي، والعمل العسكري. توضح الخبرة المصرية أن الاستراتيجية المصرية تعتبر أيضا استراتيجية شاملة على غرار نظيرتها الأمريكية، وتم اعتمادها سنة 2018 تحت مسمى استراتيجية سيناء الشاملة 2018. تقوم الأخيرة على العناصر التالية : (1) توفير الاطار القانوني و المؤسسي لمكافحة الارهاب، (2) محاصرة و إضعاف الارهابيين، (3) تحصين المجتمع أي معالجة أسباب المشكلة¹. يلاحظ إذن أن كل عناصر الخطة التي اقترحها جونز و ليبكي هي نفسها عناصر الاستراتيجية المصرية كما تكتبه الخبرة المصرية.

3-2. دراسة عمر عاشور : المعهد العربي للأبحاث ودراسة السياسات – قطر

هذه الدراسة تعتبر مثالا جيدا يعبر عن الانتقال الحي للأفكار الاستراتيجية من الفضاء الأمريكي نحو الفضاء العربي. نشر هذه الدراسة مدير برنامج الدراسات الأمنية النقدية بمعهد الدوحة، الأستاذ الأنجلو-كندي عمر عاشور سنة 2020، وهي بعنوان From Bullets to Ballots : Transformations from Armed to Unarmed Political Activism. (من الرصاص الى بطاقات الاقتراع : التحولات من

¹ ايمان رجب، مرجع سابق الذكر، ص.ص. 17-23.

النشاط المسلح الى النشاط السياسي غير المسلح). هذه الدراسة عبارة عن كتاب جماعي يجمع أهم مداخلات المؤتمر الذي نظمه المركز سنة 2018 و الذي يحمل نفس العنوان السابق. بعبارة أخرى، ناقش هذا المؤتمر نفس الاشكالية التي تناولها كل من جونز وليبيكي سنة 2008 على مستوى معهد راند، ولكن بتطبيقات اميريقية اضافية على مجموعة من الدول العربية فضلا عن حالات من دول أخرى.

لا يمكن ملاحظة اصالة في هذه الدراسة، فهي تقريبا استرجاع لأهم معطيات و نتائج دراسة معهد راند لسنة 2008. لا يخفي المحرر الرئيسي للكتاب هذا الارتباط، فمن الوهلة الأولى تنصدر دراسة جونز وليبيكي قائمة الهوامش، وهو ما يدعو الى التساؤل عن الحاجة الى اعادة مناقشة نفس الاشكالية على مستوى مركز تفكير عربي ؟ في حقيقة الأمر، هذه الحالة تعتبر تجسيدا ممتازا لحركية انتقال اشكالات البحث من المركز الأمريكي نحو المحيط الشرق أوسطي، فهي اجندة بحثية تسمح بتحرك و انتقال نفس الحجج و الأفكار ضمن حيز عابر للأوطان، يضم خبراء يشتركون في نفس المشروع البحثي، نفس المعطيات، نفس النتائج و نفس التوصيات. إن أغلب التوصيات التي يذكرها المحرر الرئيسي عمر عاشور هي في حقيقتها ترجمة للخطاب الأمريكي، كما يتضح من الأمثلة التالية :

- يدعو المحرر الى تأسيس منتدى دوري لمناقشة تحولات الجماعات المسلحة نحو العمل السياسي غير المسلح، ويكون مقره بالدوحة،
- ترقية المصالحات الوطنية،
- تشجيع الاصلاحات الاعلامية و التربوية،
- اصلاح القطاع الأمني،
- إعادة بناء التوازن العسكري - المدني في الدول العربية، في الاتجاه الذي يجعل الجيوش والعسكريين أكثر مسؤولية أمام الجهات المدنية والقضائية .
- نزع السلاح و اعادة الادماج¹،

¹ Omar Ashour, "From Bullets to Ballots: Transformations from Armed to Unarmed Political Activism," August 13, 2020, <https://www.dohainstitute.org/en/PoliticalStudies/Pages/Transformations-From-Armed-to-Unarmed-Political-Activism.aspx>. pp. 10-12.

إذا كانت بعض هذه التوصيات تمس كثيرا بالواقع العربي مثل ترقية المصالحات الوطنية، ومسألة نزع السلاح و إعادة الإدماج - مثل الحالة الجزائرية الغنية بالدروس - فإن أغلب التوصيات الأخرى تقترب من الايديولوجية الأمريكية أكثر منها الى العقلانية السياسية. عندما نقول بأنها مقترحات ايديولوجية فذلك بسبب كونها أفكار قُبِلَتْ سلامتها تلقائيا من دون وجود قاعدة امبريقية أو علمية تؤكدها. بعبارة أخرى، عندما تكون دولة بمؤسساتها في مواجهة العمل المسلح لتنظيمات معينة - أي في مواجهة مشكلة تسمى الارهاب - فهل من المعقول أن نقبل أن حل هذه المشكلة يتمثل في استصدار مقترحات من النوع التالي : (1) إعادة بناء التوازن العسكري - المدني في الدول العربية، في الاتجاه الذي يجعل المؤسسات العسكرية والأمنية أكثر مسؤولية أمام الجهات المدنية والقضائية، أو (2) اصلاح القطاع الأمني. أليست مثل هذه المقترحات وصفات جاهزة تصدرها الانتليجانسيا النيولبرالية لكل مشكلات الدول غير اللبرالية ؟

توضح حالة الدراسة القطرية إذن أن مراكز التفكير تمثل أدوات لانتقال أفكار ايديولوجية من المركز الأمريكي نحو المحيط الشرق اوسطي، فهي تتحرك ضمن ديناميكية يسميها بيار بورديو بحركية التنقل الدائري للأفكار la circulation circulatoire des idées، وهذه الأخيرة تشير الى العناصر التالية :

- تتم مناقشة نفس الاشكالية على مستوى العديد من الدوائر بنفس الكيفية؛
- يتم تداول نفس المعطيات، ونفس الحجج، ونفس النتائج؛
- يتم تبني نفس التوصيات و المقترحات وفقا لتصور ايديولوجي مهيمن.

انها حركية لانتشار الخطاب الأمريكي المهيمن حول مشكلة الارهاب و حول تصورات حلولها، بالشكل الذي يضمن استمرارية مصالح أولئك الذين يحملونها.

المبحث الثالث : بناء الاجماع وشرعنة الأجندات السياسية

لقد لاحظنا وجود تجانس على مستوى الخطاب الذي ينتجه الخبراء في مراكز التفكير الأمريكية والشرق أوسطية حول مشكلة الارهاب، وفسرناه خصوصا بالقيود التي تفرضها القواعد العامة المسيرة لمراكز التفكير. كما لاحظنا أن خبرة مراكز التفكير قد عدلت نسبيا في القواعد التقليدية المتحكمة في عمل الحقل الفكري-العسكري، أو المركب الفكري العسكري بتعبير بيار كونيسا، فقد تميزت الخبرة المنتجة حول الارهاب بنزعتها الاستراتيجية نحو رفض معرفة موضوع الارهاب باعتباره سلوكا استراتيجيا قائما على رفض التفسير في حد ذاته (1). يقوم رفض التفسير على استراتيجية مقصودة تعتمد بدورها على اللجوء الى عوامل تفسيرية غير عقلانية مثل أحكام الشيطنة الأخلاقية، وأحكام العداء الديني مع الاغفال المقصود للعوامل الموضوعية مثل سياسات الهيمنة الأمريكية الناتجة عن وضعها كقوة عظمى وجيدة في العالم، أو سياسات الاحتلال الاسرائيلي، التي تسبب سلوك مقاومة من طرف الفلسطينيين، أو تدهور الأوضاع السوسيو-اقتصادية المتفاعلة مع ظروف الانغلاق السياسي داخل الدولة العربية التي تسبب بدورها دورات عنف مستمرة. هذه العناصر تجعل من مشكلة الارهاب مشكلة ذات طابع استراتيجي، اي تقنية تصاحب ديناميكيات النزاعات الاجتماعية والسياسية، وليست هوية لعدو ما كما تدافع عنه مقاربات خبراء مراكز التفكير. من هنا نلاحظ أيضا، أن هناك ايدولوجية تقنية جديدة قد فرضت نفسها على حقل الانتاج المعرفي للمفاهيم والنظريات والمقاربات المتعلقة بكيفية القيام بالحرب. في حقيقة الأمر، تعتبر كل من استراتيجيات رفض التفسير، و الاستناد على الايدولوجية التقنية كآليات لبناء اجماع ايدولوجي وسياسي (2) ولشرعنة الأجندات السياسية للحكومات (3).

المطلب الاول : استراتيجيات مناهضة المعرفة ورفض التفسير عند خبراء مراكز التفكير

أوضحت مختلف الوثائق المدروسة أن هناك نزعة للخبراء نحو تجنب التفسير الموضوعي للفعل الارهابي ونحونفي عقلانية سياسية تبرره. هناك نوع من الاقرار الضمني بعدم قابلية تفسير السلوك الارهابي عند خبراء مراكز التفكير المدروسة هنا، و مقابل هذا توجد نزعة لهؤلاء نحو تبني التفسيرات غير العقلانية و غير الموضوعية حول الارهاب، وهذا يمثل وجهها من أوجه رفض التفسير و شكلا من أشكال مناهضة المعرفة. تتضح مناهضة المعرفة عند الخبراء من خلال تفضيلهم للتفسيرات القائمة

على اعتبارات غير عقلانية أو من خلال تهميش التفسيرات العقلانية الرائجة في حقول أخرى مثل تلك التي تقترحها مقاربات الاقتصاد السياسي وغيرها.

إن الخطاب الخبير الذي تم انتاجه بعد 09/11 سواء في الو. م. أ. و في دول الشرق الأوسط يتميز بنزعتة نحو رفض التفسير، فبدلاً من التمكين للمنطق الخبير في التحليل – أي تقديم تصور للمشكلة عن طريق توصيف المقترح التقني المناسب لحلها – نلاحظ على العكس من هذا تماماً أن الخبراء فضلوا الانضمام الى الخطاب السياسي الرسمي، وهو ما يعتبر شكلاً من أشكال التهميش لأرائهم وتصوراتهم الخبيرة عن المسألة. لهذا السبب، سيمين شكل من اشكال الخطاب السياسي والايديولوجي على باقي الخطابات الأكاديمية أو الخبيرة بالضرورة بسبب سياسات الخبراء أنفسهم في تهميش التفسيرات العقلانية الأخرى. نحن هنا نختلف مع كتاب آخرين، مثل كانيشكا جاياسوريا Kanishka Jayasuriya، الذي بينت أعماله أن الخطاب المصاحب لردة الفعل الأمريكية على حوادث 09/11 تميز بهيمنة الديناميكيات المناهضة للسياسة anti-politics على بنية النقاش العام، ويقصد بها حركية تهميش وزحزة ديناميكيات الصراع السياسي التقليدية لصالح التصورات التي تملها تقنيات إدارة المخاطر والتحكم فيها Risk management and control¹. بعبارة أخرى، أن الخطاب الأمريكي تميز بغياب ديناميكيات التنافس السياسية التقليدية التي تفترض وجود خطابات عدة مختلفة و متنافسة وذلك بفعل هيمنة خطاب تقني هو خطاب تقنيات إدارة المخاطر. كما نختلف مع تفسيرات ليزا ستامبنتسكي التي أكدت أن الكثير من اشكال الخطاب السياسي والفكري الأمريكي حول الارهاب تمت زحزحتها وتهميشها من طرف ذلك الخطاب السياسي القائم على شيطنة الفاعل الارهابي، والذي تعبر عنه خصوصاً مقولة (إنهم يكرهوننا they hate us)².

كيف يمكن إذن تفسير هيمنة منطق رفض التفسيرات العقلانية للارهاب عند الخبراء ؟

سنبرهن فيما يلي و من خلال استعمال مفهوم تشويه التفضيلات لعالم السياسة تيمور كوران 1995، أن هيمنة منطق رفض التفسير عند الخبراء لا ترجع الى قوة الخطاب السياسي - خطاب الطبقة السياسية الأمريكية و الشرق أوسطية - الذي تشكل حول فكرة شيطنة الارهابي و شيطنة

¹ Eric Hershberg and Kevin W. Moore, *Critical Views of September 11: Analyses from around the World* (New York: New Press, 2002). p. 131.

² Lisa Stampnitzky, "Problematic Knowledge: How 'terrorism' Resists Expertise," in *Security Expertise* (Routledge, 2015). p. 159.

الآخر (الاسلام كفضاء جيوسياسي)، كما أنها لا ترجع لقوة الخطاب التقني التي تمثله مقاربات إدارة المخاطر، بل يفسر بمبررات البحث عن الاجماع الذي تحقق عن طريق استراتيجيات تشويه وإخفاء التفضيلات الموضوعية (الخبرة) لصالح التفضيلات المشكلة للإجماع.

لكي نتمكن من ذلك، علينا أن نوضح في البداية ما هي التفضيلات (الخيارات) التفسيرية المتاحة أمام الخبراء سواء كانت من الفئة العقلانية أو من الفئة غير العقلانية، ثم سنحاول أن نؤكد أن الخبراء من عينة الدراسة لا يتجهون بالضرورة نحو التفضيلات العقلانية و الموضوعية خصوصا، وهو اتجاه قوي جدا عند الخبراء الأمريكيين (بريان جنكينز) و الاسرائيليين (يورام شفايتزر). سننتهي في نقطة ثالثة بتطبيق الإطار المفاهيمي الذي اقترحه تيمور كوران Timur Kuran حول تشويه التفضيلات¹ حتى نتمكن من تفسير الطابع المناهض للمعرفة المميز للخطاب الخبير حول الارهاب.

1- المداخل المهيمنة لتفسير الفعل الارهابي عند الخبراء

و يقصد بها تلك الأسباب التي يقبلها الخبراء في مراكز التفكير كمبررات عقلانية أو غير عقلانية (موضوعية / غير موضوعية) لتفسير الفعل الارهابي. يمكن الرجوع الى مجموع الدراسات التي اهتمت بدراسة آراء الخبراء حول أهم المبررات الموضوعية و غير الموضوعية التي تفسر الفعل الارهابي. تعتبر دراسة مجلة الـ *foreign Policy* التي نشرت سنة 2006 بالتعاون مع مركز التفكير المحافظ the Center of American Progress من أهم المساهمات الموجودة بهذا الخصوص². كان هدف الدراسة يتمثل في تحديد طبيعة المعتقد التفسيري الراجح بين الخبراء حول الارهاب، وقد بنيت على أسئلة موجهة طلبت من المستجوبين تحديد أهم العوامل التفسيرية للارهاب من بين مجموعة تتشكل من المقترحات التفسيرية التالية :

- المعتقد الديني المتطرف،
- طبيعة الحكومات في الدول الشرق أوسطية،
- معارضة سياسات الو. م. أ. فيما يخص الصراع العربي الاسرائيلي،

¹ Timur Kuran, *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification* (Harvard University Press, 1995).

² Center For American Progress, "The Terrorism Index : A Survey of US National Security Experts on the War on Terror," *Center for American Progress* (blog), June 14, 2006, https://cdn.americanprogress.org/wp-content/uploads/issues/2007/08/pdf/terrorism_index.pdf.

- معارضة سياسات الوم أ. في العراق،
- رفض القيم الديمقراطية الأمريكية،
- لأنهم [المسلمون] شياطين¹.

أوضحت نتائج الدراسة أن أكثر من 51 % من المستجوبين يؤيدون العامل التفسيري الأول ؛ أي المعتقد الديني المتطرف، و أن 1 % فقط اختار التفسير الأخير القائم على شيطنة الآخر، بينما اختار 4% منهم العامل المتعلق برفض القيم الديمقراطية².

هذه الدراسة تحمل فائدتين بالنسبة لنا : الأولى، وهي أنها تزودنا بخارطة عن مجموعة معقولة من المبررات أو العوامل التفسيرية للسلوك الارهابي ؛ الثانية، أنها زودتنا بقياس لميول الخبراء نحو معتقدات تفسيرية معينة على حساب أخرى. توضح الدراسة إذن أن أغلبية الخبراء (أكثر من النصف) يوافقون على فكرة أن التعصب أو التطرف الديني يمثل سببا موضوعيا مهمنا، وهذا معناه أن المبررات الموضوعية الأخرى المتعلقة بالسلوك السياسي الأمريكي هامشية، بينما تظهر المبررات غير العقلانية (الشيطنة) شبه غائبة عند الخبراء.

2- هيمنة متغير التطرف / التعصب الديني في تفسير الفعل الارهابي

ما هي التفسيرات المهيمنة التي يفضلها خبراء عينة الدراسة من خلال الوثائق المدروسة؟

يؤكد خبير مركز راند برايان جنكينز أن مبررات الفعل الارهابي يجب أن يتم البحث عنها ضمن إطار مبررات موضوعية متنوعة، حيث يصرح بشكل لا لبس فيه أن الارهاب كان سابقا عبارة عن بناء مستمد من مفاهيم (أ) عن الأخلاق والقانون و قواعد الحرب، بينما ارهاب اليوم مُشكّل من اعتبارات الثقافة، الايديولوجيا والسياسيات، التي تفسر لنا مبررات السلوك الارهابي³. إنه بهذا الشكل لا يخرج عن إطار مجموعة العناصر التفسيرية التي اقترحتها دراسة الفورين بوليسي لسنة 2006. إنه بشكل ما يتوافق بطريقة عقلانية مع أهم الأفكار التي تُوجّه التفكير حول المشكلة، فهو يقبل مجموعة من المبررات الثقافية و الايديولوجية و السياسية للفعل الارهابي. لكن، عندما يتعلق الأمر ببناء

¹ Ibid. p. 62.

² Ibid. p. 63.

³ Brian Michael Jenkins, "The New Age of Terrorism" (McGraw-Hill Companies, Inc., February 10, 2006), <https://www.rand.org/pubs/reprints/RP1215.html>. p. 117.

السردية حول مبررات الارهاب، فإن الخبر يضطر الى إجراء تفضيل ؛ إنه يختار من بين الاعتبارات التي يرى بصلاحيها التفسيرية *validité* و يحصرها فقط في مبررات التعصب الديني بدلا من الأجندات السياسية مثلا¹. يتم فجأة التخلي عن التفسيرات من الفئة الايديولوجية و السياسية لصالح تفسيرات حصرية من الفئة الدينية فقط. هذا معناه، أن الخبر بمركز راند لا يولي اهتماما لتلك المبررات التي تربط بين الفعل الارهابي و السياسة الخارجية الأمريكية مثلا. إنه بشكل ما يقوم بتهميش مجموعة تفسيرات موضوعية كان قد أقر بسلامتها بصفته خبيرا، كما يشير الى ذلك الاقتباس أعلاه.

في مرحلة متصلة بالخطوة السابقة، يستكمل الخبر بناء نموذج التفسيري العام عن طريق دمج المتغير التفسيري التعصب الديني ضمن النموذج التفسيري العام، حيث إنه يفهمه ضمن عقلانية واحدة هي عقلانية المشاهدة *watching*²، وليس ضمن اطار عقلانية سياسية. بعبارة أخرى، يفسر خير معهد راند الفعل الارهابي بباعث أول هو التعصب الديني، ولكنه في آن واحد يعتبر أن الارهاب له باعث آخر و هو تحقيق المشاهدة. هذا الفهم الأخير يرجع الى سنة 1974، أي منذ البدايات الأولى لبراين جنكينز كخبير بمركز راند و كرئيس للأول برنامج بحث حول الارهاب بذات المعهد، فقد وضع هذا الأخير إطار موسعا لفهم مبررات الفعل الارهابي و اختصره في عبارته الشهيرة الارهاب هو المسرح *terrorism is theater*³. بالنسبة لهذا الخبر فإن الارهاب لا يُعرَّف انطلاقا من فعل العنف فحسب بل أيضا من خلال المشهد الذي يريد أن يرسمه الفاعل الارهابي عن الوضع ؛ [...] في السابق كان الارهابي لا يريد أن يموت الكثير من الأشخاص بل كان يريد لهم أن يشاهدوا⁴ ... ولكنه اليوم اصبح يريد لهم أن يموتوا و أن يشاهدوا في آن واحد⁵. باختصار، يكمن الباعث على الفعل الارهابي في مبررات مسرحية حسب تصور براين جنكينز و ليس في عناصر أخرى، و هي استراتيجية رفض تفسير مقصودة تتضح مظاهرها على مستويين اثنين : الأول، يعتمد الخبر تجنب تقديم اجابة

¹ Ibid. p.118.

² Ibid. p.118.

³ Brian Michael Jenkins, "The International Terrorism : A New Kind of Warfare" (Santa Monica, Calif, 1974), <https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/papers/2008/P5261.pdf>. p.04.

⁴ Ibid. p.118.

⁵ Ibid. p.118.

عن السؤال المتعلق بالبحث في المبررات الموضوعية التي تجعل بعض التنظيمات الارهابية تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية أو رموزها ؛ الثاني، يجري الخبر تفضيلا بين مجموعة متغيرات تفسيرية موضوعية ليختار تفسيرا واحدا، وقد كان ميله هنا نحو متغير التعصب الديني، أي أنه انضم الى الخيار الذي فضله أغلبية ال 51% في دراسة الفورين بوليسي 2006.

من جهته، يؤيد الخبر الاسرائيلي يورام شفائتزر هذا النوع من التفسيرات، فهو أيضا يقر بأن مبررات الأفعال الارهابية التي تستهدف اسرائيل لا يجب البحث عنها في الفضاء السياسي بل إن الباعث عليها يكمن في العداء الطبيعي الذي يكتنه تنظيم القاعدة و التنظيمات المنتسبة إليها وباقي المسلمين ضد اليهود و ضد اسرائيل¹، وأنه عداء ديني بالضرورة². بنفس الشكل الذي انتجه برايان جنكينز، يفضل خبر معهد الدراسات الاستراتيجية في اسرائيل تبني ذلك التفسير القائم على فكرة التطرف / التعصب الديني، وهو بهذا يجري تفضيلا يلغي بموجبه مجموعة التفسيرات الموضوعية الأخرى المتعلقة بالسياسة الاسرائيلية أو بظروف الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية. إنه بذلك يعلن تأييده للتفسير الذي تبنته أغلبية ال 51% في دراسة الفورين بوليسي.

قدمت خبرة مركز الأهرام تفسيرا يختلف نسبيا عن الاستراتيجية التي انتهجها الخبران الأمريكي والاسرائيلي، فهي وإن كانت تولي عناية بالغة للتفسير القائم على فكرة التعصب / التطرف الديني، حيث ورد الاصطلاح 13 مرة في النص، إلا أنها لا تنفي التفسير انطلاقا من المتغيرات السياسية الموضوعية الأخرى مثل الربط بين موجة الارهاب خلال الفترة 2013-2017 و متغير انقلاب سنة 2013³، أو الربط بين الموجة ذاتها و المتغير الدولي المتمثل في النزاعات الدولية في سوريا و العراق وفلسطين⁴. تعتبر الخبرة المصرية استثناء ضمن الحالات المدروسة من ناحية أنها لا تهمش اي شكل من أشكال المعرفة الموضوعية للموضوع، ولكن هذا الاستثناء لا يجب أن يفهم على أنه حالة نموذجية

¹ Yoram Schweitzer, "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad," INSS (blog), June 2010, <https://www.inss.org.il/publication/the-terrorism-threat-against-israel-from-al-qaeda-and-global-jihad/>. P. 20

² Ibid. p. 21.

³ ايمان رجب، "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

(blog), 2019, <https://acpss.ahram.org.eg/News/16960.aspx>, ص. 6.

⁴ Ibid. p. 8.

لأن الخبرة المصرية لا تناهض أيا من عناصر التفسير المهيمن دوليا و القائم على متغير التعصب / التطرف الديني.

3- مفهوم تشويه التفضيلات لفهم هيمنة تفسير الأغلبية

لماذا يتجه الخبراء الى تبني تفسير الأغلبية المهيمن ؟

انتج الخبراء خطابا سَمَّته الأساسية هي تفضيل تفسير الارهاب انطلاقا من متغير التطرف / التعصب الديني. لكن، يوجد هناك خطاب موازي لا يقل قوة من ناحية المركز السلطوي الذي يحتله، وهو الخطاب السياسي الرسمي الذي يقترح تفسيرات للارهاب انطلاقا من التجريم الأخلاقي له باعتباره فعلا شيطانيا¹. إن هذا الأخير يمارس نوعا من الضغط على الخبراء، فهم مقيدون بضرورة تجنب هذا النوع من التفسيرات من أجل المحافظة على مصداقيتهم و سلطتهم كخبراء، وهذا لا يتحقق سوى بالحفاظ على مسافة معينة من موضوع خبرتهم. لقد أوضحت نتائج دراسة الفورين بوليسي لسنة 2006 أن الخبراء يعبرون عن ابتعادهم عن هكذا تفسيرات غير موضوعية، حيث يعتقد 1 % فقط من المستجوبين أن مبررات الفعل الارهابي تتمثل في العوامل الشرانية، و هم بذلك يختلفون عن الخطاب الذي يتبناه الحقل السياسي. لكن، ورغم الاختلاف الموجود بين الحقلين إلا أن قوة الخطاب الذي يحمله السياسيون عن الارهاب قد أفرز مجموعة من الضغوطات والاكراهات على جميع الأطراف المنتجة للمعارف حول هذه المشكلة ؛ لقد جعل بعض أشكال معرفة الارهاب غير مسموحة، فبعض محاولات التفسير انطلاقا من العوامل السياسية غالبا ما تم اعتبارها كمحاولات تبرير للارهاب، بل وكتعاطف مع الارهاب². بعبارة أخرى، يتجنب الخبراء محاولات التفسير العقلانية الأخرى بسبب الضغط الذي يمارسه الخطاب السياسي القائم على تفضيل الإدانة الأخلاقية له.

حتى و إن كان التفسير السابق يتيح لنا فهم بعض جوانب التأثيرات التي تخلفها المنافسة بين خطابات تنتجها مراكز سلطوية متعددة و متنافسة فيما بينها، الا انه لا يخبرنا كثيرا عن اسباب نزعة الخبراء نحو تفضيل التفسير القائم على التعصب / التطرف الديني مقارنة بالتفسيرات الموضوعية الأخرى. لاقتراح تفسير آخر يوضح لنا كيفية انضمام الخير / الخبراء الى رأي الأغلبية، سوف نستخدم

¹ Stampnitzky, "Problematic Knowledge." p. 163.

² Lisa Stampnitzky, *Disciplining Terror: How Experts Invented "Terrorism,"* 1st ed. (Cambridge University Press, 2013), <https://doi.org/10.1017/CBO9781139208161>. P. 191.

les usages stratégiques de l'argumentation (1) الاستخدامات الاستراتيجية للإقناع بشكل مزدوج مفهومي ؛ 1) Jon Elster¹ ، و 2) مفهوم تشويه التفضيلات la falsification des préférences² لعالم السياسة التركي-الأمريكي تيمور كوران Timur Kuran.

يفسر جون الستر Jon Elster مسار انضمام الخبراء الى التفسيرات التي تتبناها الأغلبية انطلاقاً من اعتبارات استراتيجية يسميها بالاستعمالات الاستراتيجية للحجج. يرى الستر أن الخبر في وضعية التبادل المعرفي يحاول أن يقنع المتلقين باستعمال حجج عقلانية. عندما يكون الخبر في وضعية اقناع فإن المقولات والآراء المطروحة تتميز بصحتها *validité*، ولكنه عندما يقدم مقترحات فإنه يحاول أن يعطيها ميزة المصدقية *crédibilité*³. تتضمن استراتيجية الاقناع التي استعملها برايان جنكينز هذين الاستخدامين وذلك وفقاً للمنطق التالي : بدلاً من تقديم تفسيرات موضوعية وعقلانية للإرهاب، يفضل الخبر تبني تفسير الأغلبية، ولكنه يعوض غياب تفسيرات موضوعية أخرى بطرح تفسير مكافئ له، يعطيه ميزة المصدقية. في المثال السابق، قدم خبر مركز راند تفسيراً موضوعياً للإرهاب عن طريق تفضيله لخيار الانضمام الى التفسير المقبول لدى الأغلبية، كما أنه تجنب التعرض لمبررات تتعلق بالسلوك السياسي للولايات المتحدة الأمريكية - مع أنه في كتابات أخرى يقبل تفسيرات تتعلق بالسلوك السياسي للحكومات العربية مثل الديكتاتورية، التسلطية، الانغلاق السياسي أو فشل سياسات التنمية عندما يتعلق الأمر بالإرهاب في الدولة العربية مثلاً - واستبدله بتفسير مكافئ له يعتمد على استعراض سماته المسرحية، التي تعتبر ثوابت مُسلَّم بها في تعريف مفهوم الارهاب عند أعضاء الجماعة المعرفية العلمية والأكاديمية.

بهذا الشكل، يخضع الاستخدام الاستراتيجي للحجج الى ديناميكية تشويه التفضيلات التي أشار إليها مفهوم تيمور كوران Timur Kuran. لقد طرح هذا الأخير مفهوم تشويه التفضيلات سنة 1995، في كتابه الحامل للعنوان (حقائق خاصة، و أكاذيب عامة : النتائج الاجتماعية لتشويه التفضيلات)⁴، حيث يعتقد تيمور أن الأفراد يميلون نحو إخفاء تفضيلاتهم الخاصة الحقيقية *préférences privées* لصالح خيارات عامة *choix publics* وذلك مخافة أن يتم رفضها على المستوى العام⁵. بعبارة

¹ Jon Elster, "L'usage stratégique de l'argumentation," *Négociations* 4, no. 2 (2005): 59–82, <https://doi.org/10.3917/neg.004.0059>.

² Kuran, *Private Truths, Public Lies*.

³ Elster, "L'usage stratégique de l'argumentation. p. 61.

⁴ Kuran, *Private Truths, Public Lies*.

⁵ Ibid. P. 04.

أخرى، يميل الفرد نحو التضحية بتفضيلاته الشخصية ويتبنى التفضيلات التي تتبناها العامة مخافة أن يتم رفض تفضيلاته الشخصية¹. يترتب عن هذا السلوك نتيجتان مهمتان جدا حسب تيمور كوران ؛ الأولى وهي أن الكثير من المعارف حول مشكلة ما من مشكلات النقاش العام يتم اخفاؤها بسبب هذا السلوك التوافقي للأفراد مع ما تفضله العامة². الثانية وهي أن المعارف المتوفرة في حقل النقاش العام عن مشكلة ما تتميز إذن بطابعها المشوه *déformé et falsifié* و *appauvri* الفقير³، كما تتميز بغياب الانتقاد و بغياب القدرة على معرفة قيمة المعارف التي تطرحها أو تحملها بدائل أخرى.

وفقا لمفهوم تيمور كوران، فإن الخبراء في مراكز التفكير كما أوضحناه من خلال عينة الخبراء المدروسين هنا، يميلون أيضا نحو الاخفاء المقصود لتفضيلاتهم الفعلية الخاصة لصالح التفضيلات المقبولة على مستوى حقل النقاش العام، والتي تتمثل في سردية التعصب الديني الذي تجسده فئات سوسيولوجية تنتمي الى الاسلام فقط - وليس الى الأديان كلها - مثل الجهادية، السلفية، الوهابية، الأصولية.. الخ. هذا الإخفاء يترتب عليه تداول معارف تتميز بطابعها الهزيل من ناحية قيمتها التفسيرية كما يترتب عنه زحزحة لمعارف أخرى⁴ من حقل النقاش العام. يقدم لنا هذا المفهوم إضافة تفسيرية مهمة لأنها يشرح لنا الكيفية التي تظل بها بعض التفسيرات مهيمنة وغير قابلة للتغيير.

المطلب الثاني : رفض تفسير الارهاب كآلية لبناء الاجماع

توجد هناك نزعة عامة لخبراء مراكز التفكير نحو تشويه للتفضيلات التفسيرية بالشكل الذي يسمح لهم بالانضمام الى التفسيرات التي تتبناها الأغلبية، والتي تتمحور حول فكرة التطرف الديني. هذا معناه أن عملية تفضيل التفسيرات القائمة على متغير التطرف الديني من جانب الخبراء تعتبر الحركية المركزية التي يتأسس حولها خطاب الارهاب الديني، وأنها إحدى أهم مصادر هيمنته وقوته السياسية (1)، كما أنها أهم حركيات بناء الاجماع (2).

¹ Michèle Tribalat, "Timur Kuran Private Truths, Public Lies The Social Consequences Of Preference Falsification," *Micheletribalat.Fr* (blog), May 2018, <https://micheletribalat.fr/435379014/439783525>.

² Kuran, *Private Truths, Public Lies*. p. 17.

³ Ibid.

⁴ Tribalat, "Timur Kuran Private Truths, Public Lies The Social Consequences Of Preference Falsification."

1- الاجماع حول ماذا في موضوع الارهاب ؟

يشير مفهوم الاجماع إلى وجود اتفاق صريح أو ضمني بين أعضاء جماعة معينة (علمية، سياسية، دينية... الخ) حيث يلعب دور الموحد لتلك الجماعة¹. يقوم هذا الاتفاق على اساس الاشتراك في مجموعة قيم وقواعد وقرارات مشتركة. لا يَظهر الاجماع بشكل تلقائي بل يتم بناؤه عن طريق النقاش العام². تبدأ حركية تشكيله من حلول مقترحة من الأعلى باسم منفعة عامة مفترضة وتنتهي بانضمام باقي الأعضاء إليها³. كنتيجة، الاجماع هو بناء اجتماعي يعبر عن حركة انضمام الى خطابات سلطوية مهيمنة⁴.

تعتبر دراسة الفورين بوليسي التي أشرنا إليها أنفا إحدى أدوات بناء هذا الاجماع. عندما يتم اللجوء الى المناهج الكمية في سبر sondage آراء الخبراء أنفسهم حول مسببات الارهاب، فإن هذا يعبر عن محاولة تأكيد لوجود هكذا اتفاق بين الخبراء. وعندما يتم عرض النتائج بأن 51 في المائة من الخبراء يؤيدون أن الارهاب سببه هو التطرف الديني فإن هذا تصريح بوجود إجماع بين الخبراء بأن الارهاب ديني. بمعنى آخر، يتم التعبير عن وجود إجماع بين الخبراء من خلال التصريح به على مستوى الحقل الاعلامي، وإخراجه من الأطر الضمنية إلى الأطر المعلنة déclaratifs. لقد تشكل هذا الاجماع في الولايات المتحدة الأمريكية، و اكتسب مصداقيته و سلطته السياسية و الرمزية بعد حوادث 09/11، و لكن بداياته الأولى تعود الى منتصف سنوات الثمانينيات. لقد نشأ هذا الأخير مع مقال دافيد رابوبور David Rapoport المؤثر جدا والمنشور سنة 1984 عن الارهاب الديني religious terrorism والذي كان نقطة انطلاق للعديد من الأعمال التي قادها أهم خبراء المختصين في دراسة الارهاب مثل والتر لاکور، بروس هوفمان، دانييل بيمان و ماغنوس رانستورب وغيرهم⁵. سرعان ما

¹ Christine Dourlens, "Consensus," in *Dictionnaire critique de l'expertise*, Références (Paris: Presses de Sciences Po, 2015), 79–86, <https://doi.org/10.3917/scpo.henry.2015.01.0079>. p.79.

² Ibid. p. 83.

³ "Comment se crée un consensus," in *La Communication, Synthèse* (Auxerre: Éditions Sciences Humaines, 2016), 179–83, <https://doi.org/10.3917/sh.dorti.2016.02.0179>. P. 183.

⁴ Ibid. p. 183.

⁵ المقال يحمل عنوان "fear an trembling : terrorism in three religious traditions"، و قد كان الأساس الفكري الذي تأسست عليه سردية الارهاب الاسلامي فيما بعد. تشكل الحقل الفرعي حول الارهاب الاسلامي من مجموعة من الخبراء ذائعي الصيت و على رأسهم بروس هوفمان Bruce Hoffman و قد اشرنا إليه سابقا من خلال مؤلفه inside terrorism سنة 1998 ؛ والتر لاکور من خلال كتابه the new terrorism : Fanaticism and the arms of mass destruction المنشور سنة

سيتم اختزال خطاب الارهاب الديني في شكله الاسلامي، لتتحول إشكالية الارهاب العامة الى الارهاب الاسلامي. لكن، ما يلاحظ على هؤلاء الكتاب الأمريكيين أن جميعهم يمتلك بالضرورة ارتباطات يهودية وصهيونية، أو ارتباطات بالحقل السياسي والعسكري الاستخباراتي كما وضحه كتاب صناعة الارهاب لهرمان وأوسوليفان (1989) وهذا أحد مداخل فهم هيمنة وسلطة الخطاب الخبير حول الارهاب الاسلامي، باعتبار أن الحاملين له هم شبكات لمراكز سلطوية عدة.

لقد تم تشكيل هذا الأخير حول مجموعة مسميات تشير كلها إلى فئات سوسيولوجية وسياسية، مثل الاسلام، العالم الاسلامي، الغرب، الاسلام السياسي، الاسلاموية، التطرف، الجهادية، الوهابية، السلفية، القاعدة، المجاهدون، المناضلون، المعتدلون، الجهاد الشامل والارهاب الاسلامي¹. لكن، هل الغرض من تشكيل هذه المسميات غرض معرفي؟ الاجابة هي كلا، وذلك لسببين جوهرين :

- الأول، قَلَمًا يتم توضيح مدلولها أو تعريفها على مستوى النصوص، كما تؤكد ملاحظتنا على مستوى الوثائق المدروسة، بل إن تعريف هذه الفئات المفهومية غائب تمامًا. هذا معناه أن فهمها يتم عن طريق القنوات الثقافية الذهنية والذاتية الموجودة مسبقا التي يعبر عنها مفهوم المسار المسطر للسياسات process-tracing². هذا الأخير يفيد أن الظواهر السياسية تتبع مسارات محددة مسبقا تؤدي بالضرورة إلى الخلط بين الارهاب من جهة وباقي الفئات المفهومية المذكورة - أي الترادف بين الارهاب والاسلام السياسي مثلا - بشكل مختزل، والسبب هو وجود هذه الصور الذهنية الجاهزة.
- الثاني : لقد رأينا أن هذه الجهود التحليلية عند خبراء مراكز التفكير هي جهود ذات طبيعة استراتيجية فهي جزء من مؤسسة تعريف العدو الذي ينبغي استهدافه

1999 : ماغنوس رانستورب Magnus Ranstorp من خلال مقاله Terrorism in the name of religion المنشور سنة 1996. للمزيد حول هذه النقطة، أنظر :

Richard Jackson, "Constructing Enemies: 'Islamic Terrorism' in Political and Academic Discourse," *Government and Opposition* 42, no. 3 (2007): 394–426.

David C. Rapoport, "Fear and Trembling: Terrorism in Three Religious Traditions," *The American Political Science Review* 78, no. 3 (1984): 658–77, <https://doi.org/10.2307/1961835>.

¹ Richard Jackson, "Constructing Enemies: 'Islamic Terrorism' in Political and Academic Discourse," *Government and Opposition* 42, no. 3 (2007): 394–426. P. 398.

² Yves Surel, "La mécanique de l'action publique. Le process tracing dans l'analyse des politiques publiques," *Revue française de science politique* 68, no. 6 (2018): 991–1014, <https://doi.org/10.3917/rfsp.686.0991>. p. 991.

بمخيارات وقرارات الحرب، حيث يلعب فيها خبراء مراكز التفكير دورا مركزيا بالتنسيق مع فاعلي الحقل السياسي والعسكري والاستخباراتي.

اذن، لا يتم ابتكار هذه الفئات بغرض فهمها أو تفسيرها (لمعرفتها) بل لتوظيفها في بناء صورة العدو، وهذا بدوره يحترم مسارا جاهزا ؛ يتم توظيف هذه الفئات بالضرورة بشكل يعكس وجود علاقة تضارب بينها، فيتم مثلا خلق ثنائية العالم الاسلام / الغرب لتوضيح التضارب أو العداء بين الاثنين، أو ثنائية المتطرف / المعتدل لتوضيح التعارض بينهما. تسمح هذه الثنائيات للخبراء بتقسيم العالم الى قسمين ؛ الأصدقاء والأعداء، وبموجبها يتم اعتبار المتطرفين كأعداء بينما يمثل المعتدلون جزءا من فئة الحلفاء.

هناك مجموعة مسلمات يقوم عليها هذا الخطاب المشكل للإجماع حول الارهاب الاسلامي، وهي في نفس الوقت بمثابة سرديات ثابتة، ومن أهمها ؛

- أن العنف فكرة متأصلة في الدين الاسلامي¹ ؛
- سرديّة ارتباط الفعل الارهابي بالأشكال المتطرفة (الجهادية) أو الأصولية (السلفية) للإسلام² ؛
- سرديّة أن المبررات الباعثة على الفعل الارهابي هي مبررات دينية و مقدسة و ليست مبررات سياسية و لا ايديولوجية³ ؛
- أن المبررات الأخرى للفعل الارهابي الاسلامي تتعلق بالكراهية العميقة للغرب⁴ ؛
- أهم سرديات الحقل السياسي هي أن الارهاب الاسلامي يمثل أكبر تهديد لأمن الغرب⁵، وأهم طروحاتها على الاطلاق هي طروحات الارهاب الجديد كما رأيناه سابقا¹.

¹ Katerina Dalacoura, "Middle East Area Studies and Terrorism Studies: Establishing Links via a Critical Approach," in *Critical Terrorism Studies* (Routledge, 2009), 138–51, <https://www.taylorfrancis.com/chapters/edit/10.4324/9780203880227-16/middle-east-area-studies-terrorism-studies-establishing-links-via-critical-approach-katerina-dalacoura>. p. 139.

² Jackson, "Constructing Enemies," 2007. P. 404.

³ Ibid. P. 405.

⁴ Caroline Guibet Lafaye, "Portraits de terroristes," *Communication. Information médias théories pratiques*, no. vol. 34/2 (July 6, 2017), <https://doi.org/10.4000/communication.7354>.

⁵ Stuart Croft and Cerwyn Moore, "The Evolution of Threat Narratives in the Age of Terror: Understanding Terrorist Threats in Britain," *International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-)* 86, no. 4 (2010): 821–35. P. 821.

- سردية أن فئة الشبكات الاسلامية المعتدلة من التنظيمات السياسية و المدنية تمثل العمود الفقري لجهود مكافحة الارهاب في دول العالم الاسلامي².

ماذا يلاحظ على هذه المسلمات ؟ ببساطة، تتميز كلها بطابعها القابل للنقاش، بل إن بعضها نسبي جدا الى درجة الانزلاق في اللامعقول، كما ترجمه مقولة البواعث الدينية أو المقدسة على الارهاب. تعتبر هذه الخاصية إحدى سمات مناهضة المعرفة ؛ فضلا عن استراتيجيات رفض التفسير، يتم اللجوء الى حجج و براهين فقيرة من الناحية المعرفية، لأنها لا تسمح سوى بزيادة الغموض حول الموضوع.

هل يناهض خبراء عينة الدراسة هذه السرديات أو البعض منها؟ لقد رأينا ان كل الخبراء في العينة المدروسة يساندون هذه المسلمات بشكل كلي، ولا توجد اية إشارة الى أن البعض منهم يناهض جوانب من هذه السرديات، وهذا التوافق يمثل اهم آليات الانضمام إلى الاجماع.

2- تحديد المعرفة الموضوعية للارهاب كآلية لبناء الاجماع

إذا كانت تفسيرات الخبراء للارهاب تتميز بزعمتها نحو تفضيل التفسيرات القائمة على التطرف / التعصب الديني، فإن هيمنة هذا النوع من الخطاب يؤدي إلى تحديد مجموعة أخرى من التفسيرات الموضوعية. من النتائج المترتبة عن آلية تشويه التفضيلات حسب تيمور كوران هو خلق الاجماع حول تفسير معين ، وهذا ينتج بدوره تهميشا و تحجيذا للتفسيرات الموضوعية الأخرى، و هو ما يعني في النهاية هشاشة و فقر حقل النقاش العام. مثل هذه الآثار ذات سمة خطابية ماورائية -méta-discursive لأنها تتعلق بالوظائف السياسية له و بنتائجه الايديولوجية.

بإمكاننا إذن أن نستخلص أن وظيفة الخبراء تتمثل في البحث عن الاجماع و ليست في البحث عن انتاج معرفة موضوعية عن الارهاب³. ضمن عينة الدراسة، و رغم اختلاف الآفاق الثقافية

¹ Jackson, "Constructing Enemies," 2007. P. 407.

² Angel Rabasa, *Building Moderate Muslim Networks*, Rand Corporation Monograph Series (Santa Monica, Calif.: Rand, 2007).

³ Boaz Miller, "When Is Consensus Knowledge Based? Distinguishing Shared Knowledge from Mere Agreement," *Synthese* 190, no. 7 (May 2013): 1293–1316, <https://doi.org/10.1007/s11229-012-0225-5>; Olivier Roy, "Du rôle consensuel des experts," *Archives de sciences sociales des religions*, no. 155 (September 30, 2011): 11–19, <https://doi.org/10.4000/assr.23285>.

والسياسية التي ينتمي إليها الخبراء (الو.م.أ. ، اسرائيل، مصر، قطر) إلا أنه لا توجد أصوات مناهضة للإجماع الأمريكي حول الارهاب الاسلاموي. إنه شكل من أشكال الاجماع الذي يتحقق عن طريق تحييد مجموعة من التفسيرات الموضوعية و عن طريق قبول تفسير الأغلبية. إنه إجماع سهل التحقيق لأنه من الناحية العقلانية لا يشكل أي مخاطر على الخبراء¹ ، بل يعزز من مكانتهم بصفتهن مساندين لقيم وقواعد وقرارات الاجماع التي تفرضها المراكز السلطوية الأعلى.

لكن، كيف يمكن تفسير نزعة الخبرة حول الارهاب نحو دعم وتأييد السياسات الرسمية وعدم مناهضتها، من خلال تحييد التفسيرات الموضوعية الأخرى ؟ إذا كان التفسير الأول يقوم على اعتبار أن الخبرة موجهة نحو البحث عن الاجماع، فإن التفسير الثاني يقوم على اعتبار أن الوظيفة الأساسية للخبرة السياسية تتمثل في تقديم الدعم السياسي للمسؤولين السياسيين الذين يتقيدون غالبا بالأجندات الانتخابية. إذن، توجد بعض عناصر تفسير إجماع الخبراء ضمن إطار الاكراهات التي تحملها الدورة الانتخابية. هنا يجب أن يلاحظ أن دراسة حونز و ليبكي -2008- جاءت عشية الانتخابات الرئاسية الأمريكية لسنة 2008، كما يجب أن يلاحظ وجود ارتباط معين بين سياسة الرئيس الديموقراطي المتوج بهذه الانتخابات - باراك أوباما - وبعض التوصيات الجوهرية التي حملتها هذه الدراسة وخصوصا ما تعلق منها بالاستعمال الخفيف للقوة العسكرية Light Military Footprint (استهداف الرموز القيادية لتنظيم القاعدة و جسده مقتل اسامة بن لادن سنة 2011)، وفكرة تركيز الجهود المكافحة نحو الفاعلين الاستخباراتيين، وفكرة الاعتماد على قوى الأهالي indigenous forces.

هذا المثال يثير إشكالية بخصوص وجهة انتقال الأفكار بين الحقل السياسي و حقل الخبرة. ما نوع الأدلة التي نمتلكها لنثبت أن مركز التفكير هو صاحب الفكرة الأصلية و أن الحقل السياسي ينفذ توصيات و يتبع أفكارا جاءت من مصادر خارجية عنه. يصعب كثيرا ايجاد براهين تؤكد هذا الافتراض، لأن الافتراض العكسي الذي يقول بأن مركز التفكير يسترجع الأفكار المهيمنة من الحقل السياسي صحيح أيضا كما أثبتناه سابقا حينما أكدنا أن فكرة احتواء الارهاب مثلا endiguement، ليست ابتكارا اكتشفه خبراء راند بل فكرة موجودة وعالية المأسسة داخل المؤسسات العسكرية والسياسية

¹ Syrine Krichen, "Chomsky : la fabrication du consentement, de la propagande médiatique en démocratie," *Mediapart* (blog), August 1, 2020, <https://blogs.mediapart.fr/edition/des-livres-et-nous/article/010820/chomsky-la-fabrication-du-consentement-de-la-propagande-mediaticue-en-democratie>.

منذ 1947 (المؤسساتية التاريخية). إن فهم هذه الجوانب في حركية الأفكار مهم، ولكن ما يهم أكثر هو تقديم إجابة عن مبرر وجودها و عن قيمتها السياسية.

المطلب الثالث : الاستعمالات السياسية للخطاب الخبير حول الارهاب

مادامت الخبرة التي ينتجها خبراء مراكز التفكير موجهة للاستعمال السياسي فإن قيمة المنتج المعرفي الخبير تقاس بحجم الدعم الذي يقدمه الخطاب الخبير للمسؤولين السياسيين والعسكريين. هذا الدعم الذي تقدمه الخبرة هو من النوع الخطابي ، لأن طبيعة الخبرة حول الارهاب مؤسساتية وليست تقنية. عندما يتم انتاج الخبرة ضمن بيئة تقنية فهذا معناه أن مركز الفكر يعمل على توفير معرفة تقنية بحتة في شكل خدمات تقنية، بينما يكون توجه مركز التفكير في حالة نشاطه ضمن البيئة المؤسساتية منصبا على البحث على التوافق مع القواعد و القيم العامة التي تحكم هذه البيئة. هنا يمكننا إذن التمييز بين المصادر التقنية لشرعنة السياسات و المصادر المؤسساتية لها.

1- تضخم استعمال الخبرة حول الارهاب

لقد لاحظنا طوال فصول الدراسة السابقة أن التفاعل بين حقل الخبراء و الحقل السياسي يوضح نمو الطلب على الخبرة بشكل مستمر، كما تعكسه مؤشرات النمو الديموغرافي لمراكز التفكير ومؤشرات الارتباطات العضوية بين الحقلين، و مؤشرات النمو الديموغرافي لحقل دراسات الارهاب عموما. تحتل الخبرة مركزا مهما في العملية السياسية، و هو وضع يؤكد أن صنع السياسات اليوم يعتمد على مقاربات ما بعد ايديولوجية Post-ideological approaches، اي المقاربات التي تجعل من الخبرة اداة تقنية لحل المشكلات المختلفة problem-solving research، و يتجاوز في آن واحد المقاربات المنبثقة عن الانشاقات الايديولوجية-السياسية التقليدية، مثل الانشقاق جمهوري/ديموقراطي أو يسار/يميني¹. لكن، مهما يكن، فإن العلاقة بين الخبرة و السياسات تظل مركزة على افتراض مفاده أن قيمة الخبرة و نفعيتها تقاس بمدى أهميتها كأداة للتأثير في السياسات². يتضح لنا في النهاية أن

¹ Michael Naughton, “‘Evidence-Based Policy’ and the Government of the Criminal Justice System - Only If the Evidence Fits!,” *Critical Social Policy* 25, no. 1 (February 2005): 47–69, <https://doi.org/10.1177/0261018305048967>. p. 47.

² Ibid.

قيمة الخبرة تكمن في قابليتها للاستعمال السياسي على المستوى التقني و على مستوى بناء الشرعية السياسية، وهو ما تسميه الدراسات بالمقاربات الاستخداماتية للمعرفة ¹ instrumentalist approach، و التي تعبر عن ما تسميه كارول فايس Carol Weiss منذ نهاية السبعينيات (1979) بالوظيفة التنويرية للمعرفة الخبيرة.²

لقد حاولنا طوال هذا البحث أن نعترض على هيمنة مثل هذه المقاربات ضمن إطار محاولات فهم أو طبيعة الخبرة حول الارهاب. إن نقطة بداية حجة الدراسة هي أن العديد من مجالات التدخل الحكومي حول مشكلة الارهاب والنقاشات العامة حولها والقرارات المتخذة بخصوصها، لا تتضمن بالضرورة تنفيذاً لنتائج الخبرة، بسبب أن هذه الأخيرة لا تقترح أصلاً بدائل تتميز بسلطتها و شرعيتها المعرفية و الموضوعية. بعبارة أخرى، لا يمكن القول بوجود طابع علمي للسياسات المنتهجة بخصوص مشكلة الارهاب، أي بسلطة معرفية موضوعية للمقترحات التي ينتجها الخبراء، بل إن التفاعل مع الحقلين الاعلامي من جهة و الحقل السياسي من جهة ثانية هو الذي يلعب الدور الحاسم في تضخيم حجم الطلب على هياكل انتاج المعارف حول الارهاب و في تضخم حجم هذه الأخيرة. لقد حاولنا أن نؤكد أن الطلب على الخبرة في مجال الارهاب لا يمكن أن يكون من النوع التقني بل هو طلب تبرره الحاجة إلى دعم القرارات التي تم اتخاذها مسبقاً (الحرب الشاملة على الارهاب)، وهذا يفرز في النهاية تضخماً مستمراً في استعمال الخبرة لأغراض إضفاء الشرعية على السياسات المنتهجة، كما يفرز في الأخير حقلاً مناهضاً للمعرفة، بسبب هيمنة استراتيجيات رفض التفسيرات الموضوعية الأخرى. يكمن المبرر الرئيسي من الاستعمال المتضخم جداً للخبرة في خلق الاجماع بين الخبراء أنفسهم قبل كل شيء، ثم نقله نحو الحقل الاعلامي بشكل صريح كما عبرت عنه نتائج دراسة الفورين بوليسي لسنة 2006، حيث أن الهدف الضمني من الدراسة هو خلق سردية مهيمنة عن وجود إجماع خبراء حول الارهاب الديني. ليست الوظيفة الجوهرية من الاستعمال الشامل لخبرة مراكز التفكير هو الرفع من سلطتها العلمية أو تأكيد نفعيتها وجدواها التقنية للسياسات، بل تكمن وظيفتها في البحث عن

¹ Christina Boswell, ed., "Instrumental Knowledge and Organizational Legitimacy," in *The Political Uses of Expert Knowledge: Immigration Policy and Social Research* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), 29–60, <https://doi.org/10.1017/CBO9780511581120.002>.

² Carol H. Weiss, "Research for Policy's Sake: The Enlightenment Function of Social Research," *Policy Analysis* 3, no. 4 (1977): 531–45; Carol H. Weiss, "The Many Meanings of Research Utilization," *Public Administration Review* 39, no. 5 (1979): 426–31, <https://doi.org/10.2307/3109916>.

المعرفة المقبولة لمصاحبة السياسات، و لنزع الشرعية عن الخطابات العلمية المنافسة أو المناهضة¹.

لقد حاولنا من ناحية ثانية أن نفهم مسار تضخم استعمالات الخبرة باعتباره استراتيجية تموقع تسلكها مراكز التفكير لإدارة مسألة غزارة الانتاج المعرفي حول الارهاب، خصوصا بوجود المنافسة التي تفرضها الحقوق الأخرى (الأكاديميون، الاعلاميون، مهنيو الأمن و الدفاع) أو من طرف مراكز التفكير نفسها. يصبح الرهان ضمن ظروف التنافسية بالنسبة للعديد من مراكز التفكير متمثلا في جلب الانتباه السياسي والاعلامي بالقضايا المحورية التي تدافع عنها لصالح فاعلين آخرين (في الأساس هم السياسيون و الفاعلون أيضا من الحقل العسكري-الاستخباراتي الذين يطلبون الدراسات و يمولونها) ضمن هذا الإطار يحاول الخبراء أن يستقطبوا الاهتمام السياسي والاعلامي من خلال تشكيل ما يمكن أن نسميه بدورة الكارثة cycle de catastrophe. لقد راينا كيف أن مركز راند طبق هذه الاستراتيجية من خلال العزف على وتر أن الارهاب سيقتل الملايين في المستقبل [بناء على سيناريوهات يتوقعها الخبراء!] أو من خلال طروحات الإرهاب النووي، أو ارهاب أسلحة الدمار الشامل. خلفت هذه الطروحات نتيجتين ؛ الأولى، أنها كانت سببا في تأسيس أجنداث بحثية حول الارهاب النووي أو ارهاب أسلحة الدمار الشامل، و التي تزيد مصداقيتها شيئا فشيئا اليوم²؛ الثانية، أن هذه السيناريوهات الكارثية اصبحت محورا جديدا لصنع سياسات جديدة ترتبط بالعديد من المجالات الأخرى المدنية والعسكرية.

¹ Peter Weingart, "Scientific Expertise and Political Accountability: Paradoxes of Science in Politics," *Science and Public Policy* 26, no. 3 (June 1, 1999): 151–61, <https://doi.org/10.3152/147154399781782437>.

² سنة 2004، تم إطلاق أول مشروع بحثي حول المشكلة من طرف مركز الدراسات حول عدم الانتشار Centre d'études sur la non-prolifération و مقره في نيويورك، وذلك بتمويل مشترك مع مركز التفكير الضخم كارنيجي. كل الدراسات التي نشرها الخبراء المشرفون على هذا المشروع دافعت عن مصداقية اربعة سيناريوهات للارهاب النووي: (1) سرقة أو شراء لمتفجر نووي من إحدى المنشآت العسكرية ؛ (2) سرقة أو شراء مواد منشطرة قابلة لتصنيع سلاح أو متفجر نووي؛ (3) هجمات ضد منشآت نووية ؛ (4) الحصول غير المشروع على مواد مشعة قادرة على تصنيع قنابل وسخة. أنظر:

Carnegie Corporation of New York, "Nuclear Terrorism," 2014, <https://www.carnegie.org/interactives/nuclear-terrorism/>.

2- رفض التفسير كسلوك استراتيجي

رأينا أن بناء الاجماع تم على أساس تحييد تفسيرات موضوعية عديدة عن الارهاب وذلك لصالح تفسير مرتكز على طروحات الارهاب الديني. يُعبر هذا السلوك عن استراتيجية فعلية، فهو قائم على تعبئة وتوظيف اللامعرفة باعتبارها أداة لطلب الموارد و جلبها، و أداة لرفض تحمل المسؤولية في حالات الاخفاق، و أداة لتأكيد سيطرة الخبراء أمام النتائج غير المتوقعة. من هذا المنظور يعتبر الحفاظ على حالة لامعرفة الارهاب شكلا من أشكال الحفاظ على السلطة وشكلا من أشكال التفاعل الاستراتيجي بين طرفي النزاع ؛ أي بين الجهات المسؤولة عن مواجهة الارهاب والارهاب نفسه. من المعروف أن كل وضعية تفاعل استراتيجي تقتضي بالضرورة وجود مكاسب استراتيجية لأحد الأطراف. يعتبر مثلا رفض تفسير الارهاب انطلاقا من المبررات السياسية له، طريقة استراتيجية لتفادي تقديم مزايا سياسية للتنظيمات الارهابية، كما يؤدي تفسيره انطلاقا من تجريمه الأخلاقي والسياسي إلى إتباع وسائل مكافحة صلبة تحقق من ورائها جميع الأطراف المعنية بها مكاسب معينة.

من جهة ثانية، تعتبر ممارسات اللامعرفة للخبراء بمثابة قوة خلاقة لأنماط من المعرفة، فهي تنشئ أنساق معرفية بخصوص مشكلة تم فهمها بالماضي ضمن أطر معينة و أعيد فهمها لاحقا ضمن أطر أخرى بديلة. في الخمسينيات والستينيات تم بناء نسق معرفي وفقا لفهم التمرد Insurgency ، ثم أتبعه في السبعينيات و الثمانينيات نسق معرفي ثاني قائم على مفهوم الارهاب الاستراتيجي، ثم انتهى منذ التسعينيات الى نسق الارهاب الهوياتي¹. هذا تجسيد لحركة انتقال النسق المعرفي من تفسيرات موضوعية و سياسية للسلوك الارهابي (الخمسينيات و إلى غاية الثمانينيات) إلى نسق معرفي ينفي هذه الأخيرة كمبررات له. توجد هناك إذن حركية رفض معرفة الارهاب من خلال ترجيح القوالب التفسيرية غير السياسية وغير العقلانية في تفسيره، وهي بهذا الشكل حركية انتقال من المعرفة إلى اللا- معرفة. قد يبدو هذا مثيرا للكثير من الاشكالات لأن السيناريو الطبيعي المألوف لدينا هو أن حلحلة مشكلة معينة تقتضي معرفة جيدة لها، و هذا لا ينطبق على حالة دراسات خبراء الارهاب للارهاب. هذه الفئة يحكمها منطق براغماتي بحث ؛ ليس من المهم جدا امتلاك أفضل المعارف عن

¹ Stampnitzky, *Disciplining Terror*. p. 13.

الارهاب ولا أهم النظريات الدقيقة عنه، ولكن ما يهم أكثر هو معرفة هوية العدو، اي ضد من يجب توجيه السياسات المختلفة ومواردها¹.

2.- شرعنة الأجندات السياسية

ضمن البيئة المتسمة بهيمنة خطاب الارهاب الاسلامي وسردياته الموافقة، والتي تشير أيضا إلى غياب سرديات منافسة أو منشقة أو مناهضة، يؤدي هذا الخطاب مجموعة من الوظائف خصوصا بالنسبة للحقل العسكري وللحقل السياسي.

2.- 1. شرعنة الأجندات السياسية للحقل العسكري

من المهم جدا أن نلاحظ هنا أن احتياج القطاع العسكرية للمعارف الخبيرة يختلف في جوهره عن حاجة الحقل السياسي لها. ينتج الحقل العسكري والقطاعات الفرعية التابعة له كالاستخبارات قدرا معتبرا جدا من المعارف عن مشكلة الارهاب، ولكنها معارف مقيدة بطابعها السري أو بعدم سلاسة نفاذيتها إلى الخارج نظرا لهشاشة وظيفة العلاقات العامة للمؤسسات العسكرية المختلفة². ومن ناحية إضافية، يمكن القول بأن المؤسسة العسكرية لا تحوز على الموارد والرساميل الرمزية التي تساعد على بناء شرعية ذاتية في مواجهة الحقول الأخرى³. تتدخل الخبرة تحديدا لملأ هذا الفراغ، فهي أداة التعبير عن بعض احتياجات الحقل العسكري للتواصل مع الرأي العام و مع الحقل السياسي. تمثل الخبرة بهذا المنظور أدوات للتعبير عن احتياجات المؤسسة العسكرية وأدوات لتحويل هذه الاحتياجات إلى خطابات. من خلال المفاهيم الاستراتيجية التي ينتجها هؤلاء الخبراء، يتمكن العسكريون من تبرير

¹ Jean-Loup Samaan, "La RAND corporation, 1989-2009: la reconfiguration des savoirs stratégiques aux États-Unis," *Chaos international* (Paris, l'Harmattan, 2010); p. 165.
Pierre Conesa, "La fabrication de l'ennemi. Réflexions sur un processus stratégique," *Revue internationale et stratégique* 76, no. 4 (2009): 35–44, <https://doi.org/10.3917/ris.076.0035>. p.37.

² Joy Rohde, "Gray Matters: Social Scientists, Military Patronage, and Democracy in the Cold War," *The Journal of American History* 96, no. 1 (June 1, 2009): 99, <https://doi.org/10.2307/27694733>.

³ Gil Eyal Pok Grace, "What Is Security Expertise?: From the Sociology of Professions to the Analysis of Networks of Expertise," in *Security Expertise* (Routledge, 2015). p. 31.

ممارساتهم واحتياجاتهم الأساسية تبريرا موضوعيا¹. تمثل التوقعات حول الميزانية أهم هذه الاحتياجات على الإطلاق، حيث يتم استخدام الخبرة كأداة لتبرير طلبات الميزانية تبريرا موضوعيا.

توجد علاقة توافقية بين ارتفاع الطلب على الميزانية من طرف العسكريين و ارتفاع حجم الدراسات التي انتجتها مؤسسات الخبرة السياسية حول الارهاب والسلوك الحربي للسياسة الخارجية الأمريكية. أوضحت دراسة أكاديمية أمريكية بعنوان - تكاليف الحرب - أن سياق الحرب الشاملة على الارهاب خلال العشرين سنة الممتدة بين 2001 و 2020 كلف إنفاقا عسكريا يقدر بـ : سبعة آلاف مليار دولار استفادت منها بشكل مباشر كبريات شركات صناعة الأسلحة المناولة لصالح البنتاغون. خلال سنة 2020 فقط، و رغم الانسحاب العسكري الأمريكي من افغانستان و العراق إلا أن شركة Lockheed Martin وحدها تلقت حوالي 75 مليار دولار، و هو رقم يعادل 150 % ميزانية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التي قدرت بـ 44 مليار دولار لنفس السنة².

لكن، ما يتم تغييبه عن النقاش حول قضايا الانفاق العسكري و علاقته بالإرهاب هو أن حجم الارهاب الدولي يعرفا منحى تنازليا منذ سنة 2014 إلى اليوم و رغم هذا يظل التهديد الارهابي أهم مبررات زيادة الميزانيات العسكرية في دول الولايات المتحدة الأمريكية، اسرائيل و الدول العربية الشرق أوسطية. قدر عدد الحوادث الارهابية بـ : 1162 هجوم سنة 2004، و بلغ ذروته سنة 2014 بما يقارب 16880 حادث، ثم أخذ مسلك التراجع بما يقارب نسبة 20 % سنة 2016 (13400 حادث)، و انخفض بنسبة تقارب 30 % سنة 2017 مقارنة بسنة 2016³. ما الذي يفسر لنا إذن مثل هذه الزيادات المستمرة في الانفاق العسكري ضمن سياق يتميز بتراجع حجم التهديد الارهابي ؟ إذا كانت الزيادة المستمرة تفسرها خيارات التحول التكنولوجي التي عبر عنها مفهوم الثورة في الشؤون العسكرية المحمول في الخطة الدفاعية الرباعية الأمريكية لسنة 1997، و هي خيارات تضخمية بطبيعتها⁴، فإن

¹ Samaan, "La RAND corporation, 1989-2009." p. 105.

² Watson Institute For International and Public Affairs, "U.S. BUDGETARY COSTS," *The Costs of War* (blog), September 2021, <https://watson.brown.edu/costsofwar/papers/summary>.

³ Olivier Hassid and Maurice Cusson, "Bonne nouvelle : le terrorisme recule. Pourquoi ?," *Le Débat* 204, no. 2 (2019): 189–92, <https://doi.org/10.3917/deba.204.0189>. PP. 189-190.

⁴ Yves Boyer, "XV. Penser, préparer et faire la guerre à l'américaine," in *Guerre et Politique, L'Homme et la Guerre* (Paris: Hermann, 2014), 207–22, <https://doi.org/10.3917/herm.baech.2014.01.0207>. p. 215.

التفسير المتعلق بالتهديد الارهابي وهوية العدو يستند على افتراض أن الخطاب الخبير لمراكز التفكير هو من يقوم بتبرير هذه الطلبات من خلال الحفاظ على ديمومة سردية التهديد الارهابي¹.

من ناحية أخرى، يتم استعمال الخبرة من طرف الفاعلين العسكريين استعمالاً رمزياً أيضاً. يمكننا الرجوع إلى مفهوم ماكس فيبر Max Weber حول الشرعية لفهم المنطق الذي تحكم وظيفة الشرعنة على المستوى الرمزي. إنه يقسم أنواع الشرعية إلى ثلاثة أقسام: الكاريزمية، التقليدية والعقلانية²، ويمكننا أن نصنف الخبرة expertise ضمن النوع الأخير. بالنسبة لماكس فيبر فإن كل علاقة هيمنة domination تقوم على ايجاد اعتقاد مشترك بشرعيتها، كما تقوم على تقوية هذا الاعتقاد والحفاظ على ديمومته. يساهم خبراء مراكز التفكير بشكل رمزي في القيام بهذه الوظيفة، فهم صناع لهذا الاعتقاد المشترك و ناقلون لقيمه. هناك صورة مرتبطة بين خبراء مراكز التفكير ومصداقية خطابهم على الصعيد الرمزي³، فجميع مكونات الرأي العام تقبل الاعتقاد الذي مفاده أن حجج الخبراء من النوع الحاسم والمتميز بالمصداقية المرتفعة. تمتلك خبرة مراكز التفكير ما يسمى بالقوة الرمزية، و التي تتأسس على قوة وضوح مسلماتها و توصياتها. عندما يصدر مركز راند مثلاً دراسات عن الارهاب طبيعة و حجم التهديد المشار إليه، فإنه يصدر أيضاً دراسات موازية عن ميزانية البنتاغون التي تتوافق مع حجم التهديد المشار إليه في النوع الأول من الدراسات. في الغالب ينظر إلى مثل هذه الدراسات على أنها بحوث مستقلة، أي نتائج مقدمة في قالب علمي / حيادي بخصوص الشؤون العسكرية، وهذا في النهاية لا يمكن سوى أن يخدم المصالح المباشرة للقطاع العسكري أمام الهيئات السياسية المعنية بإعداد وتبني الميزانية.

إن استعمال بحوث الخبرة من طرف الحقل العسكري توضح لنا ذلك المسار الذي تتحول بموجبه بعض الافتراضات إلى براديغمات فعلية. لنلاحظ مثلاً كيف ساهمت أعمال مارتن ليبكي من معهد راند -وهو نفسه عالم الرياضيات الذي يعمل لدى المعهد منذ 1998 و الكاتب الثاني للدراسة

¹ Gilles Andréani, "La guerre contre le terrorisme : un succès incertain et coûteux," *Politique étrangère* Eté, no. 2 (2011): 253–66, <https://doi.org/10.3917/pe.112.0253>. p. 255.

² Élisabeth Kauffmann, "« Les trois types purs de la domination légitime » de Max Weber : les paradoxes de la domination et de la liberté," *Sociologie* 5, no. 3 (2014): 307–17, <https://doi.org/10.3917/socio.053.0307>. p. 307.

³ Roser Cussó and Corinne Gobin, "Du discours politique au discours expert : le changement politique mis hors débat ?," *Mots. Les langages du politique*, no. 88 (November 1, 2008): 5–11, <https://doi.org/10.4000/mots.14203>. p. 06.

الكمية الرائدة حول نهايات الجماعات رفقة سات جونز التي تناولناها بالتحليل سابقا - في تحويل مفهوم غامض جدا خلال التسعينيات، وهو مفهوم الفضاء الافتراضي Cyberspace الذي ابتكرته علوم الخيال العلمي les sciences fictions، إلى مشكلة فعلية ضخمة أنشئت لها مصالح خاصة في البنتاغون سنة 2011، تمثلت في إنشاء دائرة استراتيجية الدفاع السبراني Department of defense cyber strategy، وقيادة سبرانية خاصة Cyber command. بعبارة أخرى، خلال عشرية واحدة من الزمن، حوّل مارتن ليبكي فكرة كانت نهاية التسعينيات مجرد افتراض إلى براديغم عمل فعلي، و إلى مسرح جديد للحروب أنشئت لها قيادات و استراتيجيات خاصة. لكن، ولكي يتحقق هذا، يجب أن يمر بخانة العسكرية عبر تحويله إلى فضاء للحرب. لقد بنى مارتن ليبكي تحليله و تأويله للفضاء السبراني على أنه مسرح حرب قبل كل شيء لأنه يضم أصنافا سبعة من الحروب هي : (1 حروب استهداف هياكل القيادة و السيطرة؛ 2 حروب المعلومات ؛ 3 العمليات النفسانية؛ 4 حروب القرصنة ؛ 5 الحروب الاقتصادية ؛ 6 الحروب السبرانية ؛ 7 حروب الكائنات السبرانية¹. في النهاية، سيولد هذا الفضاء الذي تمت عسكرته خطابيا أيضا - أي اعتباره كمسرح حربي - صنفا جديدا من الارهاب و هو الارهاب السبراني، ليتم بعد ذلك تصنيفه على رأس التهديدات السبرانية من طرف المؤسسات الرسمية².

2.2. شرعنة السياسات القائمة

تقوم الخبرة حول الارهاب بشرعنة الخيارات و الأجندات السياسية على المستوى السياسي أيضا، حيث يتم استعمالها ضمن أشكال عديدة نذكر منها ؛

¹ لقد نشر مارتن ليبكي تصوره بهذا الخصوص سنة 1998، أي مباشرة بعد توظيفه للعمل لدى مركز راند، في كتابه الأول : احتلال الفضاء السبراني : الأمن القومي و حرب المعلومات. كان كتابه الثاني بعنوان- الردع السبراني والحرب السبرانية - سنة 2009 جد مؤثر على سياسات البنتاغون بهذا الشأن و من نتائجه المباشرة إنشاء قيادة سبرانية خاصة على مستوى البنتاغون لإدارة المشكلات الأمنية السبرانية سنة 2011. أنظر :

Martin C. Libicki, *Cyberdeterrence and Cyberwar* (Rand Corporation, 2009). p. 07.

² Catherine A Theohary and John W Rollins, "Cyberwarfare and Cyberterrorism: In Brief," CRS report (Congressional Research Service, 2015). p. 02.

- تعزيز الهوية الأمنية القومية من خلال بناء إجماع قائم على التمييز بين الأنا و الآخر¹. يؤدي خلق التصور السلبي عن الآخر الذي ينفي الوجود عن الأنا إلى تعزيز وحماية الهوية الذاتية عن طريق تعزيز القيم التي المحمولة فيها. بعبارة أخرى، تتعزز هوية الغرب الذاتية مثلاً بفعل وجود التضاد بين اللبرالي / غير اللبرالي، بين الغرب / الاسلام، بين العنف الاسلامي/ السلام الديموقراطي. ويتم تعزيز الهوية الأمنية الاسرائيلية عند الخبير الاسرائيلي بخلق التضاد بين الاسلام / اليهودية، الاسلام / الحضارة اليهودية-المسيحية، المسلمون/ اسرائيل، بينما يتم تعزيز الهوية الذاتية المصرية عند الخبرة المصرية عن طريق التضارب الموجود بين العلمانيين / الاسلاميين أو بين الديموقراطيين / الاسلاميين.
- يسمح هذا الاجماع بإحداث تأثير على أشكال الاستجابات التي يمكن القيام بها، فمن آثاره الأولى أنه يرسم حدود الاستجابات الممكنة / غير الممكنة أو المجدية / غير المجدية أو المعقولة / غير المعقولة، وهو بهذا الشكل أداة لشرعنة خيارات استجابة معينة من خلال جعلها مفهومة ومقبولة عقلاً². عندما يتم نفي الطابع السياسي عن الارهاب، وتشكيله على أنه إسلاموي ومتطرف و متعصب، فإن هذه السردية سوف تجعل كل أشكال الاستجابات القائمة على العقاب و الاكراه و الحرب مقبولة، طبيعية و شرعية على المستوى السياسي و على مستوى الرأي العام، كما أنها تجعل السلوك الحربي الأمريكي ضمن الفضاء الجغرافي الاسلامي سلوكاً طبيعياً ومقبولاً.
- أن هذا الاجماع يسمح للنخب المهيمنة وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية بشرعنة مشاريع سياسية و استراتيجية على الصعيد الدولي³ و من أهمها : مشاريع تغيير الأنظمة regime change، وقد رأينا تجسيدا لها من خلال حربي الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل من العراق

¹ بينت أعمال إليزابيث هورد Elisabeth Hurd - وهي أستاذة العلوم السياسية و الدراسات الدينية بجامعة نورث ويسترن الأمريكية، و واحدة من أهم المهتمين الأمريكيين حالياً بحقل الدراسات الشرق أوسطية - أن الآخر المسلم مفهوم واسع الانتشار في الثقافة السياسية الأمريكية و ذلك منذ بداية القرن العشرين، وأنه مفهوم محوري فيها نظراً لأنه يُستعمل على كافة المستويات السياسية و الأكاديمية و الاعلامية لإنتاج مختلف المفاهيم الأخرى عن العالم الاسلامي مثل : التسلطية الاسلامية islamic authoritarianism، الطغيان الاسلامي Islamic Tyranny، الدول المارقة Rogue states، و مؤخراً مفهوم الارهاب الاسلامي Islamic terrorism. أنظر :

Elizabeth Shakman Hurd, "Appropriating Islam: The Islamic Other in the Consolidation of Western Modernity," *Critique: Critical Middle Eastern Studies* 12, no. 1 (March 1, 2003): 25-41, <https://doi.org/10.1080/1066992032000064174>.

² Samaan, La RAND corporation, 1989-2009. p. 107.

³ Ibid. p. 113.

و افغانستان ؛ مشاريع دعم الانتشار العسكري وجسدها ارتفاع وتيرة إنشاء القواعد العسكرية الأمريكية في الخليج العربي، ووسط آسيا و القرن الافريقي ؛ انتشار مشاريع المراقبة الدولية والقومية.

إنها استخدامات ووظائف للخطاب تعتبر بمثابة تكنولوجيا سياسية لإدارة المسألة السياسية.

خاتمة

خاتمة :

يصعب علينا أن نتجاهل الاتجاه البحثي الذي ميز العشرين سنة الأخيرة حول موضوع الارهاب (خصوصا منذ 09/11)، بسبب ذلك التجانس العالمي الذي حصل بين الخطاب السياسي والخطاب الخبير حول الارهاب Homogénéisation des discours politiques et experts. أصبح الجميع - أكاديميون، خبراء، صحفيون، سياسيون- يُردّد نفس المصطلحات و المفاهيم والتفسيرات حول الارهاب؛ الاسلام، الجهاد، الوهابية، الأصولية، السلفية، التطرف، التعصب...الخ، بل إنهم اختزلوا مشكلة الارهاب بشكل حاد جدا حتى أصبح مرادفا لإثنية ثقافية دينية تتمثل في المسلمين. القول بأن الجميع يتصور مشكلة الارهاب بهذا الشكل ليس مبالغة ولا تعسفا؛ الاعلام، الحقل السياسي بجميع مكوناته، المنظمات الدولية، الشركات الاقتصادية الدولية، المنظمات غير الحكومية، الأكاديميون، المنظمات من المجتمع المدني في الولايات المتحدة وفي الشرق الأوسط ... يسترجع الجميع نفس هذه المصطلحات ويستعملها بنفس الطريقة. من بين هذه المصطلحات كلها، لا يوجد مصطلح آخر أو عبارة أخرى أو تفسير آخر يربط بين الارهاب والسياسة الخارجية الأمريكية أو الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين. يمكن فهم هذا التجانس الخطابي بين السياسيين و الخبراء باعتباره استراتيجية لصنع التهديد اللازم لصناعة العدو الذي يجب محاربته، وقد تمثل منذ 09/11 في الإرهاب الهوياتي.

لكن، حتى وإن كان مثل هذا التفسير يقدم عناصر إجابة، إلا أنه لا يشرح ولا يفسر لنا كيفية حصول هذا التجانس. لقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نقدم إجابة عن هذا الجانب ولكن من خلال التركيز على زاوية إنتاج الأفكار و انتقالها بين حقل مراكز التفكير والحقل السياسي؛ أي كيف تتم صناعة المعنى على مستوى هذه الهيئات ذات الخصوصية المؤسسية الفريدة الخاصة جدا؟ وكيف تتحرك و تستعمل من طرف من يطلبونها؟ لقد تركزت دراستنا على تحليل صنف مهم جدا اليوم في عملية إنتاج المعارف و المعاني حول المشكلات العامة؛ مراكز التفكير. هذه الأخيرة ليست مؤسسات بحث كلاسيكية فهي ليست بجامعات ترشدها المثالية العلمية، وليس بهيئات اعلامية ولا بجماعات ضغط.... بل إنها صنف مؤسسي اكتسب ذاتيته واستقلالته.

لقد اقترحنا مفهوم الخبرة / الخبير Expertise / Experts كأداة للتعرف على الخصائص الجوهرية لهذه الفئة، كما اقترحنا تفسيراً نظرياً مستمداً من نظرية الحقل الاجتماعي لبيار بورديو Pierre Bourdieu للتعرف على الخصائص الجماعية لها. سمح لنا مفهوم الخبرة و مفهوم الحقل

الهجين بتحديد الخصائص المميزة لهذا الصنف من الوسطاء les médiateurs في العملية السياسية. إنهم ليسوا أكاديميين ولا صحفيين ولا وكلاء ضغط Lobbyistes بل خبراء مراكز تفكير *think tanker* حيث لا يمكن تعريفهم إلا انطلاقاً من عنصري (1) انتاج المعرفة (التحليل، الرأي، التقارير، الدراسات، الأوراق السياسية الموجزة Policy Brief، المداخلات أمام الأجهزة السياسية) و (2) أن تكون هذه المعرفة قاعدة للعمل السياسي، وهو ما يعني في النهاية أنها مؤسسات تقوم بوظيفة صناعة الأطر الإدراكية لفهم المشكلات وتفسيرها ولكن ليس بغرض الفهم الموضوعي بل لأغراض التأثير في القرار السياسي. تحظى هذه المؤسسات بمركزية وبأهمية بالغة جداً ضمن الهندسة العامة للنقاش العام والسياسي، فهي حقل هجين يحتل حيزاً استراتيجياً بالقرب من الحقول الكبرى المهمة بما تفعله و تقوله مراكز التفكير وهي ؛ الحقل السياسي، الحقل العسكري-الاستخباراتي، الحقل الأكاديمي و الحقل الاعلامي. هذا القرب يعتبر مورداً سلطوياً للخبراء ولمراكز التفكير في حد ذاتها، حيث أنه لا ينافسها أي تنظيم ولا مؤسسة أخرى في احتلال هذا المركز الهجين.

انطلاقاً من هذه الخصائص المؤسسية جاء تساؤلنا البحثي حول كيفية قيام خبراء مراكز التفكير ببناء موضوع الارهاب على مستوى المفهوم والتفسير. فماذا قدمت الدراسة من إجابات ؟

من خلال تحليل حقل مراكز التفكير رأينا أن الأطر الإدراكية المهيمنة اليوم حول موضوع الارهاب هي نتيجة لحالة تطور حقل مراكز التفكير في الولايات المتحدة وفي دول الشرق الأوسط المدروسة، حيث سجلنا على هذا المستوى مجموعة من النتائج :

- أن الأطر الإدراكية المهيمنة اليوم حول موضوع الارهاب تتميز بخضوعها لمركزية أمريكية مزدوجة : هيمنة حقل مراكز التفكير الأمريكي على موضوع الارهاب و هيمنة الخبراء الأمريكيين على الموضوع، وهو ما يعني هيمنة لقوالب التأويل و الادراك الأمريكية.
- تُفهم المركزية الأمريكية في ميدان مراكز التفكير باعتبارها ديناميكية تمس جوهر ظاهرة السلطة ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في العالم أيضاً، فقد اكتسبت هذه الهيئات سلطة معتبرة جداً في التأثير على حقل النقاش العام الأمريكي والدولي. تتأكد هذه المكانة السلطوية بمؤشرات النمو الديموغرافي؛ سنة 2020، تواجد خمس (5/1) مراكز التفكير في العالم بالولايات المتحدة. كما أنها أدوات للقوة المرنة الأمريكية في الخارج وللهيمنة الايديولوجية ؛ أكبر خمس مراكز تفكير أمريكية تمتلك أكثر من فرع دولي في الفضاءات

الجيوسياسية الكبرى في العالم (الشرق الأوسط، آسيا، أوروبا و أمريكا اللاتينية)، وهي حركية تدويل للهيمنة على قوالب الإدراك و التأويل و للهيمنة الايديولوجية بمفهوم غرامشي.

- تتميز مراكز التفكير الاسرائيلية بخاصية حصرية لا توجد في اية تجربة دولية أخرى؛ إنها آلية لبناء الدولة لأن الأخيرة قامت دوماً على أفكار و مخططات استعمار. هناك علاقة وظيفية بين مؤسسات التفكير و مسار بناء الدولة. تتميز التجربة الاسرائيلية بخاصية أخرى ؛ لا تمتلك اسرائيل سوى ست جامعات و لكنها تضم 78 مركز تفكير، و هو ثاني أكبر تعداد خلف ايران (87 مركز). كما تعود قوة الحقل الاسرائيلي الى علاقته المتينة بحقل مراكز التفكير الأمريكي كما تشير اليه برامج التعاون والشرابة؛ إنها شكل من أشكال الامتداد الأمريكي في الشرق الأوسط كما أنها في نفس الوقت تعتبر شكلاً من أشكال التوغل الاسرائيلي في النظام السياسي الأمريكي.

- تتميز مراكز التفكير العربية بعدم تجانسها بين الدول العربية المختلفة، فهي تجربة عريقة في مصر (مركز الأهرام) و تجربة جد حديثة في دول الخليج. لكن على مستوى دراسة موضوع الارهاب لا يحظى هذا الأخير بالاهتمام الكاف ؛ في حين أن الحقلين الأمريكي و الاسرائيلي يبديان اهتماماً بالغاً بمشكلة الارهاب من خلال العدد المعتبر من المراكز المتخصصة والبرامج البحثية الممأسسة منذ السبعينيات، يظل الحقل العربي لمراكز التفكير هشاً جداً بهذا الشأن؛ لا يوجد أي مركز تفكير متخصص حول الارهاب في العالم العربي كله، كما أن مشاريع البحث أو وحدات البحث المُوَطَّنة بمراكز التفكير العربية قليلة جداً، وهذه مؤشرات على هشاشة وضعف مسارات مأسسة البحث حول موضوع الارهاب.

- يؤدي ضعف حقل مراكز التفكير العربي في مجال دراسات الارهاب إلى انتقال المعارف والبيانات و الأطر التأويلية و التفسيرية المصاحبة لها من المركز (فضاء القوة) نحو المحيط (فضاء الضعف). إذا كان التحكم في موضوع بحثي (الارهاب) يمر عبر التحكم في البيانات التي تسمح بالتعرف عليه، فكيف يمكن لمراكز التفكير العربي وهي جزء من البناء المؤسسي للدولة العربية أن تتحكم في المشكلة ؛ تضم الولايات المتحدة الأمريكية أكبر ست قواعد بيانات حول الأعمال الارهابية و النشاط الارهابي في العالم، كما تمتلك اسرائيل قاعدتين اثنتين للبيانات بهذا الخصوص بينما لا توجد أية قاعدة بيانات لدى الدول العربية كلها. إنه

مؤشر عن تبعية الحقل العربي للحقلين الأمريكي و الاسرائيلي على مستوى مصادر معرفة موضوع الارهاب.

من خلال تحليل حقل الخبراء رأينا أن الأطر الادراكية المهيمنة اليوم حول موضوع الارهاب هي نتيجة لمسار تاريخي يتطور باستمرار بسبب تغير السياقات الجيوسياسية و الجيو استراتيجية منذ الحرب الباردة و الى غاية اليوم، وقد سجلنا هنا مجموعة من النتائج :

- أن الارهاب كمشكلة و كموضوع بحثي هو ابتكار لمراكز التفكير الأمريكية ؛ أول مؤسسة لمسار البحث حول الارهاب كانت على مستوى معهد راند الأمريكي من خلال تأسيس اول برنامج بحثي سنة 1972 و الذي ترأسه برايان جنكينز. أول مؤتمر دولي نظمه معهد راند سنة 1972، و أول قاعدة بيانات عن النشاط و الأعمال الارهابية تم إنشاؤها على مستوى ذات المعهد سنة 1974. يُعرفُ عن راند قربه الشديد من مراكز القرار العسكري الأمريكي (البنتاغون)، وهذا يعني أن مؤسسة البحث حول الموضوع في الولايات المتحدة الأمريكية تمت تحت هيمنة الحقل العسكري-الاستخباراتي.
- تأسس الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب و تطور حول نواة صلبة جد ضيقة من الخبراء من أمثال يونا ألكسندر Yonah Alexander، راي كلاين Ray Cline، روبرت كوبرمان Robert Kupperman، برايان جنكينز Brian Jenkins، إدوارد ميكولوس Edward Mickolus، دافيد رابوبور David Rapport، بيل بويير Bell Boyer، مارتا كرانشاو Martha Crenshaw، درور ايهيزكيل Dror Yehezkel. رغم أنه حقل غير مقيد بشروط الدخول الصارمة إلا أنه حقل هيمنت عليه فئة قليلة من الخبراء و سبب ذلك الأجندات البحثية العسكرية التي هيمنت عليها أجهزة الاستخبارات أساسا.
- هناك علاقة وطيدة بين الاستخبارات الأمريكية و حقل خبراء الارهاب الأمريكي ؛ كل الأسماء أعلاه - وقد استمرت في الكتابة عن الموضوع لأكثر من أربع عقود من الزمن – ترتبط بشكل أو بآخر بجهاز الاستخبارات الأمريكي، فإذا أخذنا اسم يونا ألكسندر - أهم خبراء الارهاب على الاطلاق وأكثرهم انتسابا الى الحقل الأكاديمي - نرى أن أهم مساعديه وهو راي كلاين -الذي نشر برفقته أغلب أعماله- هو ضابط استخباراتي. هذا معناه ؛ أن حقل خبراء الارهاب الأمريكي تعبره حركية رئيسية وهي تبعية و خضوعه للحقل العسكري الاستخباراتي.

تشهد على هذه الهيمنة عدة مؤشرات مثل حجم التمويل والماضي العسكري أو الاستخباراتي للخبراء.

- تُنتج الحركات العابرة للحقل الأمريكي لخبراء الارهاب نتائج مهمة على صعيد الأطر الادراكية السائدة حول الموضوع، فقد أنتج هؤلاء الخبراء ثلاث نماذج تفسيرية كبرى عن الموضوع : (1) نموذج الخمسينيات والستينيات ويتعامل مع العنف ضد المدنيين باعتباره جريمة **Crime** تعالج بالوسائل القانونية وليس باعتباره ارهابا (لم يكن المفهوم مستعملا آنذاك)، كما تضمن النموذج تصورا صارما اعتبره شكلا من أشكال التمرد Insurgency الذي يعالج بأدوات حفظ النظام العام؛ (2) نموذج السبعينيات والثمانينات، و عرف بروز مفهوم الارهاب بالمعنى الذي نستخدمه اليوم، ويمكن تسميته بنموذج الإرهاب الاستراتيجي لأنه اعتبر الارهاب سلوكا استراتيجيا للاتحاد السوفييتي ضد الغرب، و يعالج الارهاب حسب هذا النموذج عن طريق الحرب والاحتواء ؛ (3) نموذج ما بعد نهاية الحرب الباردة، ويمكن تسميته بالإرهاب الهوياتي وقد أحدث طفرة من ناحية انتقاله نحو اعتبار الارهاب تهديدا في حد ذاته وليس تقنية حرب أو استراتيجية صراع، وبموجبه أصبح الارهاب اسلاميا / اسلامويا.

- بدوره، تميز حقل خبراء الارهاب الاسرائيلي بوجود نواة صلبة له منذ نشأته خلال السبعينيات، ولكن ما يلاحظ عليها أنها لم تتشكل من خبراء اسرائيليين فحسب بل من خبراء غربيين مؤيدين لإسرائيل أيضا. تميزت النواة الصلبة الأولى للحقل الاسرائيلي بمركزية فئة ضيقة من الخبراء من أمثال بن يامين نتانياهو، أرييل ميراري Ariel Merari، درور ايهيزكيل Dror Yehezkel، مردخاي عيبير Mordechai Abir، شلومو غازيت Shlomo Ghazit. كما يتميز الحقل الحالي للخبراء بصعود جيل جديد منذ التسعينيات وتمثله مجموعة من الأسماء الاسرائيلية مثل أنات بيركو Anat Berko و الخبير بوغر غانور Boaz Ganor و آري بيرليجر Arie Perliger، وبعض الأسماء الأمريكية المؤيدة لإسرائيل مثل بروس هوفمان Bruce Hoffman، دانييل بيمان Daniel Byman. يتميز حقل خبراء الارهاب الاسرائيلي بـ : (1) اندماجه المطلق داخل الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية و الاسرائيلية و جزء أيضا من منظومة الجيش الاسرائيلي [أنات بيركو هي ضابطة بالجيش الاسرائيلي لحوالي 25 سنة]، و (2) تبنيه للأيديولوجية اليمينية المتطرفة التي يمثلها رئيس الوزراء الاسرائيلي الحالي بن يامين نتانياهو.

- لم ينشأ الحقل العربي لخبراء الارهاب وفقا لنفس الديناميكية التي جسدها كل من النموذج الأمريكي والنموذج الاسرائيلي، بل إنه يعاني من استعصاء في التبلور نظرا لغياب حركيات المؤسسة (غياب مجالات متخصصة محكمة، غياب مراكز تفكير متخصصة، ضعف حجم الوحدات و البرامج البحثية بالمراكز الموجودة، غياب قواعد بيانات...الخ). كما أنه لا يعرف وجود نواة صلبة له تسمح بتجديد واستمرار البحث. رغم الحاجة الاستراتيجية العربية الى التركيز على مفهوم ارهاب الدولة التي تمارسه اسرائيل - تماما كما تقترحه الدراسات النقدية للارهاب- إلا أن عدد الخبراء ظل محدودا، فقد نشأت الدراسات العربية حول الارهاب حول اسمين اثنين هما : محمد الشريف بسيوني (مصر)، و فؤاد العجمي (لبنان) و كلاهما من الشتات العربي في أمريكا. لكن ما يلاحظ هنا هو أن الجيل الأول من خبراء الارهاب العرب تميز بانقسامه الأيديولوجي والسياسي و بعدم حمله لرؤية استراتيجية بحثية حيال موضوع الارهاب ؛ كان العجمي على علاقة وطيدة بالدوائر الفكرية الصهيونية بالولايات المتحدة، بينما كللت جهود بسيوني بنجاحات باهرة سنوات التسعينيات خصوصا على مستوى التمكين لمقاربات القانون الدولي في شقه الجنائي كبديل لاستراتيجيات الحرب.

أما على صعيد مخرجات حقول خبراء الارهاب الثلاثة المدروسة فقد لاحظنا بشكل خاص :

- تَمَكَّنَ الخبراء الاسرائيليون من الدفاع عن رؤيتهم الاستراتيجية التي تعتبر كفاح منظمة التحرير اربابا، كما تمكنوا من شرعنة أسلوب الحرب ضد الارهاب، بل و من شرعنة مبدأ الحرب الاستباقية منذ سنة 1979 في مؤتمر القدس. لكن النجاح الأهم تمثل في قدرتهم على جلب التأييد الأمريكي و الغربي لتصورهم كما يعكسه تبني إدارة ريغان لنفس المبدأ ضمن استراتيجية الأمن القومي لسنة 1984، و الذي يعبر عنه اليوم بمذهب شولز Schultz Doctrine .

- نجح حقل الخبراء الاسرائيلي في التمكين لنموذج الحرب ضد الارهاب منذ بداية الثمانينيات، كما نجح في نشرها على مستوى الخبراء الأمريكيين. هناك علاقة وطيدة بين الحقلين الاسرائيلي و الأمريكي في انتاج المفاهيم الاستراتيجية.

- ظلت مساهمات حقل الخبراء العرب حول الارهاب متواضعة جدا، فهو غير منتج للمفاهيم ولا للأطر التأويلية حول الارهاب رغم الحاجة الاستراتيجية العربية لتطوير مقاربة لمواجهة

نموذج إرهاب الدولة الاسرائيلي. بقيت مساهمات محمد شريف بسيوني استثناء في هذا المجال فقد توجت جهوده بوضع الأسس الكبرى للنظام الجنائي الدولي.

لقد تفحصنا كيفية عمل حقل الخبراء من داخله أيضا؛ أي من داخل المؤسسات التي يتكلمون انطلاقا منها وباسمها، وذلك من خلال تحليل مضمون مجموعة من الوثائق التي أصدرتها مراكز تفكير أمريكية وشرق أوسطية منذ 2001. سمح تحليل الوثائق بتسجيل النتائج التالية :

- لا يتكلم الخبير في مركز التفكير عن الارهاب بشكل مستقل، بل يتقيد بمجموعة قواعد يفرضها مركز التفكير.
- يرفض أغلبية الخبراء تعريف الارهاب انطلاقا من مبرراته السياسية، بل يعرفونه انطلاقا من خصائصه اللاعقلانية (نزعة الشر) والسيكولوجية (العداء) والثقافية (الدين).
- انتج خبراء الحقل الأمريكي نوعين من البراديغمات عن الارهاب بعد 09/11 : (1) براديغم الحرب على الارهاب، وقد هيمن خلال الفترة الممتدة من 2001 و 2008 (مجيء اوباما)، ولم يكن منتوجا حصريا للخبراء بل عبارة عن خطاب في قالب خبير يقوم بوظيفة تنسيقية مع الخطاب السياسي الذي صاحب سياسة بوش الابن (2000-2008) المسماة بالحرب الشاملة على الارهاب (GWOT؛ 2) براديغم الاحتواء، وأنتجه حصريا حقل الخبراء ممثلا في دراسة جونز وليبيكي من معهد راند سنة 2008، ويقوم على فكرة احتواء التهديد الارهابي من قبل المسلمين انفسهم (القوى المعتدلة)، و مواصلة جهود الحرب بشكل ذكي Smart War.

- اوضحت الوثيقة الاسرائيلية نزعة الخبير الاسرائيلي الى تعريف الارهاب انطلاقا من عداء المسلمين لليهود و لإسرائيل وليس انطلاقا من عوامل سياسية. حددت الوثيقة أيضا براديغم الاستجابة للمشكلة ؛ ولكنها كانت مجرد ترجمة للرؤية الاستراتيجية الرسمية التي تتضمن شقين : (1) شرعية مقارنة الحرب على الارهاب و مبدأ الحرب الاستباقية؛ (2) محورية الجهود الاستخباراتية في الحرب ضد الارهاب ومحورية التعاون والشراكة الاستخباراتية اقليميا ودوليا. هذا النوع من الوثائق عبارة عن انضمام صريح الى الخطاب الرسمي، وهو شرعنة وتبرير للخطاب الرسمي في قالب خبرة.

- توضح وثائق الخبراء العرب أن الارهاب إسلامي أيضا ولكنها وثائق تقبل العوامل السياسية في التفسير. هذا لا يعني أبدا أنهم يعتبرون الاحتلال الاسرائيلي مصدرا و مبررا للعنف الذي

تمارسه بعض التنظيمات السياسية (حماس) وباقي التنظيمات الارهابية في منطقة الشرق الأوسط. ينادي الخبراء العرب أيضا بجدوى مقاربات الحرب على الارهاب، ولكنهم منفتحون على المقاربات المرنة التي تتضمن اساليب اعادة الادماج و مكافحة التطرف والتعصب. يندرج هذا الصنف من الوثائق ضمن استراتيجيات دعم المواقف الرسمية من المشكلة، وهي بالتالي أدوات اتصالية Outil de communication هدفها هو شرعنة السياسات المنتهجة عن طريق الخبرة.

سمح تحليل استراتيجيات بناء الحجج عند الخبراء بتسجيل مجموعة من النتائج نذكر منها :

- توضح الوثائق السابقة المدروسة وجود ثوابت تحكم طريقة عمل الخبراء وهي : (1) يتقيد خبير مركز التفكير إلزاما بعدم المناداة بالتغيير الجذري للسياسات القائمة، فهو لا يعرض مؤسسته لخطر الزوال ولا لمخاطر فقدان التمويل و المصادقية من خلال مناهضة الوضع القائم (Statut quo؛ 2) يمكن للخبير أن يناهض عناصر فقط من السياسات القائمة ولكن من دون المناداة بالقبولية الجذرية لها (نموذج تقرير جونز و ليبكي من راند 2008 : مناقشة جدوى مقارنة الحرب على الارهاب ولكن في نفس الوقت يدعو لاستمراريتها بشكل آخر؛ 3) أن خبير مركز التفكير لا يقترح أفكارا جديدة بالضرورة : توجد الأفكار ضمن التراث الفكري الاستراتيجي للدولة و تكون مهمة الخبير إعادة استكشافها. تحظى الأفكار عالية المؤسسة مثل أفكار الاحتواء، أو أفكار الحرب ضد الارهاب برمزية عالية جدا فهي الوصفة الدائمة للمشكلة بتغير الزمان و المكان.
- لكي يبرر الخبير حاجة الحقول الأخرى لخبرته فإنه ينتهج استراتيجية اقناع تتضمن اربع خطوات كما تؤكد كل الوثائق المدروسة؛ (1) التعريف بالمشكلة و أسبابها ؛ (2) التعريف بالسياسة المنتهجة لمواجهتها و طابعها غير الملزم ؛ (3) توضيح طابع الخلل أو الأزمة في السياسة المنتهجة ؛ (4) اقتراح البديل المناسب للأزمة ولكن من دون الدعوة الى التغيير الجذري.
- يتم بناء البديل من طرف الخبير في مركز التفكير وفقا لطريقة عمل عامة mode opératoire universel هو : (إن الخيار A غير فعال حاليا – يجب القيام بالخيار B بدلا من A – لكن وفي نفس الوقت يجب مواصلة السلوك A).

بهذا الشكل، يتضح لنا أن الخبراء لا يقومون بإنتاج المعارف عن الارهاب بغرض تفسيره وفهمه بل بهدف تبرير سياسات قائمة. مادام مبرر تدخل الخبراء عمليا (أي سياسيا بعبارة أخرى) وليس معرفيا فما مدى معرفتهم بالموضوع ؟ لقد توصلنا الى اجابة عن هذا السؤال :

- لا يبحث الخبراء عن معرفة الموضوع من خلال تفسيره موضوعيا بل على العكس من ذلك، فهم يبحثون عن تحييد التفسيرات الموضوعية المنافسة لمقولاتهم، من خلال خلق إجماع حول تفسير مهيمن. في موضوع دراستنا تم بناء الاجماع حول الربط بين الارهاب والدين الاسلامي، وجسدته فئات مشتركة عديدة مثل الجهادية، السلفية، الوهابية، التطرف ..الخ.

إن هذه الأفكار والديناميكيات تتفاعل ضمن حقل عابر للأوطان، ولكنه حقل يخضع للمركزية الأمريكية، فالأفكار والمفاهيم حول الارهاب مصدرها أمريكي وتنتقل بين الفضاءات من المركز الأمريكي نحو المحيط الشرق أوسطي. هناك تجانس بين الخطاب الأمريكي الخبير ونظيره في اسرائيل وفي الدول العربية الشرق أوسطية، كما أنه متجانس مع الخطاب السياسي الرسمي. هذا التجانس يعبر عن إجماع تحقق عن طريق تحييد الخبراء للتفسيرات الموضوعية المنافسة Les explications concurrentes، والذي تحقق بدوره من خلال آلية تشويه التفضيلات la falsification des préférences، كما يشرحها تيمور كوران Timur Kuran.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا : باللغة العربية

1. البداينة، دياب. "قاعدة مكافحة إرهاب عربية." ندوة علمية. جامعة القصيم، 2009.
https://www.researchgate.net/profile/Diab-Al-Badayneh/publication/328064861_qadt_mkafht_arhab_rbyt/links/5bb5c20f45851574f7f7fda3/qadt-mkafht-arhab-rbyt.pdf.
2. "المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات".
" Accessed December 11, 2023. <https://www.masarat.ps/>."
3. المسيري، عبد الوهاب. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". دار الشروق. القاهرة، 1999.
4. بن الزاوي، محمد الطاهر. "دور مراكز الأبحاث والدراسات في صنع السياسة العامة في العالم العربي." مذكرة ماستر، جامعة ورقلة، 2016.
<https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/11636/1/benezawi-m%20ataher.pdf>.
5. حجال صادق، سمر سحقي، عبد الحق دحمان، ليندة طرودي، اسماعيل الرزاوي. "واقع مراكز البحوث والفكر في المنطقة العربية". المعهد العربي للبحوث والسياسات، 2021.
6. خضير، أ د جلال. "الارهاب في القانون الدولي". مركز الكتاب الأكاديمي، 2015.
7. رجب، ايمان. "سياسات مكافحة الإرهاب في مصر الفاعلية والتحديات." مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية". 2019 (Blog).
<https://acpss.ahram.org.eg/News/16960.aspx>
8. روبين، شيرا. "The Secretive Israeli Think Tank behind Netanyahu's Judicial Overhaul." Washington Post, July 24, 2023
<https://www.washingtonpost.com/world/2023/03/24/israel-kohelet-judicial-reform-netanyahu/>.
9. سعد، عزت. "مصر وتحديات الارهاب". المؤتمر السنوي الثالث عشر للمجلس المصري للشؤون الخارجية. القاهرة، 2016.
10. عبد الحى، وليد. "دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي الاسرائيلي." بيروت، 2022
<https://is.gd/Q2QtND>

11. عزاب محمد. و هبة جمال الدين. "دور مراكز الفكر في صنع السياسة العامة : دراسة حالة إسرائيل". الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2015.
12. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. "حالة الإرهاب في عام 2022: تقدير استراتيجي لقدرات الجماعات الإرهابية ومواردها حول العالم والاتجاهات الرئيسية لنشاطها." تقرير سنوي. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2023.
13. "مركز الإمارات للسياسات | وحدات البحث".
" Accessed December 11, 2023. <https://epc.ae/ar/sections>. "
14. مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. "إصدارات المركز مجلة المشهد"
" Accessed December 5, 2023. <https://acpss.ahram.org.eg/Esdarat/25/54/-إصدارات-0.aspx.المركز/مجلة-المشهد>.
15. "من نحن | معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية"،
" Accessed December 11, 2023. https://pal-studies.ps/about_us"
16. منتدى الرياض لمكافحة التطرف و محاربة الارهاب. "طبيعة التطرف و مستقبل الارهاب".
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية، 2017

ثانيا : باللغتين الإنجليزية و الفرنسية

1. "1\$Billion For Ideas - National Committee For Responsive Philanthropy," March 18, 1999. <https://www.ncrp.org/publication/1-billion-ideas>,
<https://www.ncrp.org/publication/1-billion-ideas>.
2. Aaron, David, James A. Thomson, Brian Michael Jenkins, John V. Parachini, Peter A. Wilson, Cheryl Benard, Bruce Hoffman, et al. "Three Years After: Next Steps in the War on Terror." RAND Corporation, June 13, 2005. https://www.rand.org/pubs/conf_proceedings/CF212.html.
3. Abelson, Donald E. *American Think-Tanks and Their Role in US Foreign Policy*. Macmillan Press, 1996.
4. ———. *Capitol Idea: Think Tanks and U.S. Foreign Policy*. McGill-Queen's University Press, 2006.

5. ———. “Old World, New World: The Evolution and Influence of Foreign Affairs Think-Tanks.” *International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944)* 90, no. 1 (2014): 125–42.
6. Abir, Mordecai. “The Arab World, Oil and Terrorism.” In *International Terrorism*. Routledge, 1981.
7. Abozaid, Ahmed M. *Counterterrorism Strategies in Egypt: Permanent Exceptions in the War on Terror*. Routledge Critical Terrorism Studies. London New York: Routledge, 2022.
8. Adesnik, David. *100 Years of Impact, Essays on the Carnegie Endowment for International Peace*. Washington: Carnegie Endowment for international Peace, 2011.
9. Al Qurtuby, Sumanto. “Saudi Government and Counterterrorism.” In *Terrorism and Counter-Terrorism in Saudi Arabia and Indonesia*, by Sumanto Al Qurtuby, 97–142. Singapore: Springer Nature Singapore, 2022. https://doi.org/10.1007/978-981-19-1337-2_3.
10. ———. “Terrorism in Saudi Arabia.” In *Terrorism and Counter-Terrorism in Saudi Arabia and Indonesia*, by Sumanto Al Qurtuby, 49–95. Singapore: Springer Nature Singapore, 2022. https://doi.org/10.1007/978-981-19-1337-2_2.
11. Alsoos, Imad. “From Jihad to Resistance: The Evolution of Hamas’s Discourse in the Framework of Mobilization.” *Middle Eastern Studies* 57, no. 5 (March 1, 2021): 833–56. <https://doi.org/10.1080/00263206.2021.1897006>.
12. Amnesty International. “Israel’s Apartheid Against Palestinians : Cruel System of Domination and Crime Against Humanity.” London: Amnesty International, 2022. <https://rb.gy/g0fdjc>.
13. Andréani, Gilles. “La guerre contre le terrorisme : un succès incertain et coûteux.” *Politique étrangère* Eté, no. 2 (2011): 253–66. <https://doi.org/10.3917/pe.112.0253>.
14. Arno, Robert F. *Philanthropy and Cultural Imperialism: The Foundations at Home and Abroad*. G.K. Hall, 1980.
15. Ashour, Omar. “From Bullets to Ballots: Transformations from Armed to Unarmed Political Activism,” August 13, 2020. <https://www.dohainstitute.org/en/PoliticalStudies/Pages/Transformations-From-Armed-to-Unarmed-Political-Activism.aspx>.
16. Athary Maryan, Asadollah, and Ehsan Ejazi. “The Impact of Israeli Think Tanks on Israel’s Foreign Policy (2006-2017).” *World Sociopolitical Studies* 2, no. 2 (July 2018). <https://doi.org/10.22059/wsps.2018.240061.1019>.
17. Baker, Peter. “Review: Walter Laqueur’s ‘Putinism’ Dissects a Canny Russian Leader.” *The New York Times*, July 20, 2015, sec. Books. <https://www.nytimes.com/2015/07/21/books/review-walter-laqueurs-putinism-dissects-a-canny-russian-leader.html>.
18. Barbier, Marc, Lionel Cauchard, Pierre-Benoit Joly, Catherine Paradeise, and Dominique Vinck. “Pour une approche pragmatique de l’expertise.” *Revue d’anthropologie des connaissances* 7, 1, no. 1 (2013): 1. <https://doi.org/Revue d'anthropologie des connaissances>.

19. Bassiouni, M. Cherif. "Legal Control of International Terrorism: A Policy-Oriented Assessment." *Harvard International Law Journal* 43 (2002): 83.
20. Bassiouni, M. Cherif. "Terrorism: The Persistent Dilemma of Legitimacy." *Case W. Res. J. Int'l L* 36, no. 299 (2004). <https://scholarlycommons.law.case.edu/jil/vol36/iss2/2>.
21. Bates, Thomas R. "Gramsci and the Theory of Hegemony." *Journal of the History of Ideas* 36, no. 2 (1975): 351–66. <https://doi.org/10.2307/2708933>.
22. Bauer, Alain, and Jean-Louis Bruguère. "Chapitre V. Réponses publiques," 2e éd.:107–12. *Que sais-je ?* Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2016. <https://www.cairn.info/les-100-mots-du-terrorisme--9782130787259-p-107.htm>.
23. BBI. "2010 Policy Conference." *B'nai B'rith International* (blog). Accessed October 11, 2022. <https://www.bnaibrith.org/policyconf.cfm>.
24. Beck, Ulrich. "World at Risk: The New Task of Critical Theory." *Development and Society* 37 (June 1, 2008): 1–21.
25. Becker, Howard S. *Outsiders. Études de sociologie de la déviance. Leçons De Choses*. Paris: Éditions Métailié, 1985. <https://www.cairn.info/outside--9782864249184.htm>.
26. Béland, Daniel. "Idées, institutions politiques et production de l'expertise : une perspective comparative sur le rôle des think tanks au Canada et aux États-Unis." *Quaderni* 70, no. 3 (2009): 39. <https://doi.org/10.4000/quaderni.505>.
27. Bell, J. Bowyer. "Trends on Terror: The Analysis of Political Violence." Edited by Edward Hyams, Richard Clutterbuck, Paul Wilkinson, James Kohl, John Litt, Mason Willrich, and Theodore B. Taylor. *World Politics* 29, no. 3 (1977): 476–88. <https://doi.org/10.2307/2010007>.
28. Bensaid, Daniel. "Pierre Bourdieu, l'intellectuel et Le Politique," 2012. <https://www.contretemps.eu/wp-content/uploads/Contretemps-04-81-86.pdf>.
29. Beres, Prof Louis René. "Beyond Realpolitik: Israel's Strategic Imperatives." *Begin-Sadat Center for Strategic Studies* (blog), March 31, 2019. <https://besacenter.org/israel-strategic-imperatives/>.
30. Berling, Trine Villumsen, and Christian Bueger, eds. *Security Expertise: Practice, Power, Responsibility*. 0 ed. Routledge, 2015. <https://doi.org/10.4324/9781315744797>.
31. Bigo, Didier. "Grands Débats dans un Petit Monde." *Cultures & Conflits*, no. 19–20 (October 15, 1995). <https://doi.org/10.4000/conflits.872>.
32. Bonelli, Laurent. "Entrepreneurs de cause et construction sociale des menaces." In *Menaces sociales et environnementales : repenser la société des risques*, edited by Virginie Bonnot, Sabine Caillaud, and Ewa Drozda-Senkowska, 43–55. *Psychologies*. Rennes: Presses universitaires de Rennes, 2020. <https://doi.org/10.4000/books.pur.141998>.
33. Bossy, Thibault, and Aurélien Evrard. "Communauté épistémique." In *Dictionnaire des politiques publiques*, 5:140–46. Presses de Sciences Po, 2019. <https://www.cairn.info/dictionnaire-des-politiques-publiques--9782724625110-page-140.htm>.

34. Boswell, Christina, ed. "Instrumental Knowledge and Organizational Legitimacy." In *The Political Uses of Expert Knowledge: Immigration Policy and Social Research*, 29–60. Cambridge: Cambridge University Press, 2009. <https://doi.org/10.1017/CBO9780511581120.002>.
35. ———. *The Political Uses of Expert Knowledge: Immigration Policy and Social Research*. Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
36. Boucher, Stéphane. "L'Europe et ses think tanks: un potentiel inaccompli." *Institut Jacques Delors* (blog). Accessed September 15, 2023. <https://institutdelors.eu/publications/leurope-et-ses-think-tanks-un-potentiel-inaccompli/>.
37. Bourg, Dominique, and Sophie Swaton. "Chapitre 2. Qu'est-ce qu'un paradigme ?" In *Primauté du vivant*, 69–93. Hors collection. Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2021. <https://www.cairn.info/primaute-du-vivant--9782130818267-p-69.htm>.
38. Bowie, Neil G. "Terrorism Events Data: An Inventory of Databases and Data Sets, 1968-2017." *Perspectives on Terrorism* 11, no. 4 (2017): 50–72.
39. Boyer, Yves. "XV. Penser, préparer et faire la guerre à l'américaine." In *Guerre et Politique*, 207–22. L'Homme et la Guerre. Paris: Hermann, 2014. <https://doi.org/10.3917/herm.baech.2014.01.0207>.
40. Bozzini, Emanuela. "Advocacy Networks." In *The Wiley-Blackwell Encyclopedia of Social and Political Movements*, 1–3. John Wiley & Sons, Ltd, 2022. <https://doi.org/10.1002/9780470674871.wbespm003.pub2>.
41. "Brian Crozier - Powerbase." Accessed February 8, 2024. https://powerbase.info/index.php/Brian_Crozier.
42. Brookings. "About Us." *Brookings* (blog), May 10, 2016. <https://www.brookings.edu/about-us/>.
43. ———. "Our History." Brookings. Accessed September 15, 2023. <https://www.brookings.edu/about-us/our-history/>.
44. Caby, Vincent, and Sébastien Chailleux. "Pour une sociologie des rapports publics. Effets symboliques et configurations d'écriture des outils d'aide à la décision." *Revue internationale de politique comparée* 26, no. 4 (2019): 7–31. <https://doi.org/10.3917/ripc.264.0007>.
45. Cagé, Agathe. "Les Think Tanks : Une Déception Française ?" *The Conversation*, January 27, 2020. <http://theconversation.com/les-think-tanks-une-deception-francaise-129111>.
46. Campbell, John L. "Ideas, Politics, and Public Policy." *Annual Review of Sociology* 2 (2002): 21–38.
47. Campbell, John L., and Ove K. Pederson. "Knowledge Regimes and Comparative Political Economy*." In *Ideas and Politics in Social Science Research*, edited by Daniel Béland and Robert Henry Cox, 167–90. Oxford University Press, 2010. <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199736430.003.0009>.
48. ———. *The National Origins of Policy Ideas*. Princeton University Press, 2014.
49. Carnegie Corporation of New York. "Nuclear Terrorism," 2014. <https://www.carnegie.org/interactives/nuclear-terrorism/>.

50. Carrard, Claire. "Israël : La Loi de l'extrême Droite." *Courrier International*, February 8, 2023. <https://www.courrierinternational.com/article/a-la-une-de-l-hebdo-israel-la-loi-de-l-extreme-droite>.
51. Center For American Progress. "The Terrorism Index : A Survey of US National Security Experts on the War on Terror." *Center for American Progress* (blog), June 14, 2006. https://cdn.americanprogress.org/wp-content/uploads/issues/2007/08/pdf/terrorism_index.pdf.
52. Champagne, Patrick, and Olivier Christin. "Champ." In *Pierre Bourdieu : Une initiation*, 147–83. Hors collection. Lyon: Presses universitaires de Lyon, 2021. <https://doi.org/10.4000/books.pul.5151>.
53. Charbit, Denis. "Le sionisme, un projet de gauche ou de droite ?" *Cités* 47–48, no. 3–4 (2011): 115–40. <https://doi.org/10.3917/cite.047.0115>.
54. Chelle, Élisabeth. "Les fondations philanthropiques états-uniennes, des acteurs privés de la protection sanitaire et sociale dans le monde." *Informations sociales* 203–204, no. 2–3 (2021): 118–21. <https://doi.org/10.3917/inso.203.0118>.
55. Chomsky, Noam. *American Power and the New Mandarins*. Penguin Books India, 2003.
56. "Comment se crée un consensus." In *La Communication*, 179–83. Synthèse. Auxerre: Éditions Sciences Humaines, 2016. <https://doi.org/10.3917/sh.dorti.2016.02.0179>.
57. Conesa, Pierre. "La fabrication de l'ennemi. Réflexions sur un processus stratégique." *Revue internationale et stratégique* 76, no. 4 (2009): 35–44. <https://doi.org/10.3917/ris.076.0035>.
58. ———. "Sociologie de la production stratégique." *Revue internationale et stratégique* 82, no. 2 (2011): 87–96. <https://doi.org/10.3917/ris.082.0087>.
59. Conesa, Pierre, and Hubert Védrine. *Dr. Saoud et Mr. Djihad: la diplomatie religieuse de l'Arabie Saoudite*. Le monde comme il va. Paris: Robert Laffont, 2016.
60. Cook, Jonathan. "Academic Freedom? Not for Arabs in Israel." Text. *The Electronic Intifada*, March 5, 2008. <https://electronicintifada.net/content/academic-freedom-not-arabs-israel/7398>.
61. Copeland, Simon. "Telling Stories of Terrorism: A Framework for Applying Narrative Approaches to the Study of Militant's Self-Accounts." *Behavioral Sciences of Terrorism and Political Aggression* 11, no. 3 (September 2, 2019): 232–53. <https://doi.org/10.1080/19434472.2018.1525417>.
62. Crelinsten, Ronald D. "Images of Terrorism in the Media: 1966–1985." *Terrorism* 12, no. 3 (January 1, 1989): 167–98. <https://doi.org/10.1080/10576108908435785>.
63. Croft, Stuart, and Cerwyn Moore. "The Evolution of Threat Narratives in the Age of Terror: Understanding Terrorist Threats in Britain." *International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-)* 86, no. 4 (2010): 821–35.
64. Cussó, Roser, and Corinne Gobin. "Du discours politique au discours expert : le changement politique mis hors débat ?" *Mots. Les langages du politique*, no. 88 (November 1, 2008): 5–11. <https://doi.org/10.4000/mots.14203>.

- 65.———. “Du discours politique au discours expert : le changement politique mis hors débat ?” *Mots. Les langages du politique*, no. 88 (November 1, 2008): 5–11. <https://doi.org/10.4000/mots.14203>.
- 66.Dalacoura, Katerina. “Middle East Area Studies and Terrorism Studies: Establishing Links via a Critical Approach.” In *Critical Terrorism Studies*, 138–51. Routledge, 2009. <https://www.taylorfrancis.com/chapters/edit/10.4324/9780203880227-16/middle-east-area-studies-terrorism-studies-establishing-links-via-critical-approach-katerina-dalacoura>.
- 67.Dayé, Christian. *Experts, Social Scientists, and Techniques of Prognosis in Cold War America*. Cham: Springer International Publishing, 2020. <https://doi.org/10.1007/978-3-030-32781-1>.
- 68.De Giuli, Jean-Marc. “Des cultures stratégiques.” *Inflexions* 11, no. 2 (2009): 123–36. <https://doi.org/10.3917/infle.011.0123>.
- 69.Dekel, Udi. “Obstacles to Israel’s Strategic Objectives: Main Insights from the INSS 12th Annual International Conference.” *INSS* (blog), 2019. <https://www.inss.org.il/publication/obstacles-israels-strategic-objectives-main-insights-inss-12th-annual-international-conference/>.
- 70.Demirovic, Alex. “On the Re-Formation of Critical Knowledge.” transversal texts. Accessed September 25, 2023. <https://transversal.at/transversal/0806/demirovic/en>.
- 71.Department of State. “Patterns of Global Terrorism : 1999,” April 2000. <https://1997-2001.state.gov/global/terrorism/1999report/intro.html>.
- 72.Desmoulins, Lucile. “Les think tanks : des stratégies d’influence politique entravées par une raison d’être ambiguë et contestée.” *Hermès, La Revue* 89, no. 1 (2022): 72–75.
- 73.Desmoulins, Lucile, and Émeline Seignobos. “Un think tank dans son art du lobbying et de la prescription : la défense du modèle mutualiste par l’Institut Montaigne.” *Études de communication* 49, no. 2 (2017): 73–88. <https://doi.org/10.4000/edc.7106>.
- 74.Dickson, Paul. *Think Tanks*. New York: Atheneum, 1971.
- 75.Domhoff, G. William. *Who Rules America?* Prentice-Hall, 1967.
- 76.———. *Who Rules America? The Corporate Rich, White Nationalist Republicans, and Inclusionary Democrats in the 2020s*. Eighth edition. New York, NY: Routledge, 2022.
- 77.Dorchak, Andy. “Research Guides : Current and Former Distinguished Experts.” Accessed November 21, 2023. <https://lawresearchguides.cwru.edu/c.php?g=872654&p=6292691>.
- 78.Dorman, Wj. “The Politics of Neglect: The Egyptian State in Cairo, 1974-98.” PhD Thesis, School Of Oriental and African Studies, University of London, 2007.
- 79.Dourlens, Christine. “Consensus.” In *Dictionnaire critique de l’expertise*, 79–86. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2015. <https://doi.org/10.3917/scpo.henry.2015.01.0079>.

80. Dumitriu, Eugenia. "The E.U.'s Definition of Terrorism: The Council Framework Decision on Combating Terrorism." *German Law Journal* 5, no. 5 (May 2004): 585–602. <https://doi.org/10.1017/S2071832200012700>.
81. Dumoulin, Laurence. "L'expertise comme nouvelle raison politique?: discours, usages et effets de l'expertise judiciaire." Thèse de doctorat, Université Pierre Mendès France, 2001.
82. Dye, Thomas R. *Who's Running America?: The Obama Reign*. Routledge, 2015.
83. Edelman, Murray J. *Politics as Symbolic Action; Mass Arousal and Quiescence*. Chicago: Markham Pub. Co, 1971.
84. Edwards, Lee. "Remembering Richard Pipes, a Cold Warrior Extraordinaire." The Heritage Foundation, May 18, 2018. <https://www.heritage.org/conservatism/commentary/remembering-richard-pipes-cold-warrior-extraordinaire>.
85. El Din, Heba Gamal. "The Role of Think Tanks in Influencing Policy-Making in Israel." *Contemporary Arab Affairs* 9, no. 2 (April 1, 2016): 187–211. <https://doi.org/10.1080/17550912.2016.1148919>.
86. Elster, Jon. "L'usage stratégique de l'argumentation." *Négociations* 4, no. 2 (2005): 59–82. <https://doi.org/10.3917/neg.004.0059>.
87. Enders, Walter, and Todd Sandler. *The Political Economy of Terrorism*. Cambridge University Press, 2011.
88. European Police Office. *TE-SAT 2011 : EU Terrorism Situation and Trend Report*. NL: European Police Office, 2011. <https://data.europa.eu/doi/10.2813/14705>.
89. "Expertise : Etymology, Origin and Meaning of Expertise." Accessed June 13, 2023. <https://www.etymonline.com/word/expertise>.
90. Eyal, Gil. "Dangerous Liaisons between Military Intelligence and Middle Eastern Studies in Israel." *Theory and Society* 31, no. 5 (2002): 653–93.
91. Fabian Society. "About Us | Fabian Society." Accessed June 25, 2023. <https://fabians.org.uk/about-us>.
92. Faupin, Alain. "La pensée au service de l'action : les think tanks américains." *Revue internationale et stratégique* 52, no. 4 (2003): 97–105. <https://doi.org/10.3917/ris.052.0097>.
93. Fauquert, Élisabeth. "Chapitre 8. L'ère progressiste (1896-1917)." In *Civilisation américaine*, 108–22. Portail. Paris: Armand Colin, 2019. <https://www.cairn.info/civilisation-americaine--9782200621841-p-108.htm>.
94. ———. "Chapitre 11. Les années Roosevelt : le New Deal et la Seconde Guerre mondiale (1932-1945)." In *Civilisation américaine*, 147–63. Portail. Paris: Armand Colin, 2019. <https://www.cairn.info/civilisation-americaine--9782200621841-p-147.htm>.
95. Fernandez, Belen. "Forty Years of Orientalism, an Eternity to Go." *Middle East Eye* (blog), June 9, 2018. <https://www.middleeasteye.net/opinion/forty-years-orientalism-eternity-go>.
96. Fischer, Frank. *Reframing Public Policy: Discursive Politics and Deliberative Practices*. OUP Oxford, 2003.

97. Fligstein, Neil, and Doug McAdam. "Toward a Theory of Strategic Action Fields." In *A Theory of Fields*, edited by Neil Fligstein and Doug McAdam, 0. Oxford University Press, 2012. <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199859948.003.0007>.
98. Folscher, Alta. "Think Tanks in the Arab World." issuu. Accessed October 23, 2023. <https://issuu.com/world.bank.publications/docs/9780821369234/s/17417107>.
99. Foucault, Michel. *Dits et Ecrits*. 1ère 1978. Vol. III. Paris: Gallimard, 1994.
100. Fouché, Nicole. "De la philanthropie en Amérique." *Revue d'histoire moderne & contemporaine* 60–3, no. 3 (2013): 151–62. <https://doi.org/10.3917/rhmc.603.0151>.
101. Freeman, Ben. "Defense Contractor Funded Think Tanks Dominate Ukraine Debate." Quincy Institute for Responsible Statecraft, June 1, 2023. <https://quincyinst.org/report/defense-contractor-funded-think-tanks-dominate-ukraine-debate/>.
102. Fritsch, Philippe. "Situations d'expertise et Expert-Système." In *Situations d'expertise et Socialisation Des Savoirs*. Saint-Étienne France: Le Cresal, 1985.
103. Gamson, William A. *The Strategy of Social Protest*. Dorsey Series in Sociology. Homewood, Ill.: Dorsey Press, 1975.
104. George, Alexander. "The Discipline of Terrorology." In *Western State Terrorism*, Polity press. Cambridge, 1991.
105. "Global Terrorism Database." Accessed December 11, 2023. <https://www.start.umd.edu/gtd/>.
106. Goodman, Amy. "UN Human Rights Investigator in Afghanistan Ousted Under U.S. Pressure. An Interview With Cherif Bassiouni." Democracy Now!, April 28, 2005. http://www.democracynow.org/2005/4/28/un_human_rights_investigator_in_afghanistan.
107. Grawitz, Madeleine. *Méthodes des sciences sociales*. 11e édition. Paris: Dalloz, 2000.
108. Gray, Colin S., and Elrick Irastorza. *La guerre au XXIe siècle : Un nouveau siècle de feu et de sang*. Economica, 2008.
109. Griessl, Lukas. "The Power of Secret Knowledge: The RAND Corporation, Ignorance Studies and Sociology." *The American Sociologist*, March 8, 2023. <https://doi.org/10.1007/s12108-023-09567-2>.
110. Grossmann, Matt, and Zuhair Mahmood. "How the Rich Rule in American Foreign Policy." Michigan State University, 2020. https://law.yale.edu/sites/default/files/area/center/corporate/fall2020_paper_grossmannmatt_10-29-20.pdf.
111. Guelmami, Hédi. "Chapitre 2. Les paradigmes de recherche." In *La recherche en santé*, 21–27. Business Science Institute. Caen: EMS Editions, 2021. <https://www.cairn.info/la-recherche-en-sante--9782376875192-p-21.htm>.
112. Guétin, Nicole. "Le Messianisme Américain." *Esprit* (1940-), no. 294 (5) (2003): 25–32.

113. Guibet Lafaye, Caroline. "Portraits de terroristes." *Communication. Information médias théories pratiques*, no. vol. 34/2 (July 6, 2017). <https://doi.org/10.4000/communication.7354>.
114. Gutbrod, Hans. "US Think Tanks Continue to Grow: New Transparify Analysis." Accessed September 30, 2023. <https://onthinktanks.org/articles/us-think-tanks-continue-to-grow-new-transparify-analysis/>.
115. H, C. "Théorie de l'agir communicationnel," 2003. https://www.scienceshumaines.com/theorie-de-l-agir-communicationnel_fr_13095.html.
116. Haas, Peter M. "Epistemic Communities and International Policy Coordination." *International Organization* 46, no. 1 (1992): 1–35.
117. Hadouni, Fati. "Classement des pays par PIB 2023 : les pays les plus riches du monde." *Business Cool* (blog), July 24, 2023. <https://business-cool.com/decryptage/classements/pib-classement-pays-riches-monde-2022/>.
118. Hajer, Maarten A. "Discourse Coalitions and the Institutionalization of Practice: The Case of Acid Rain in Great Britain." In *The Argumentative Turn in Policy Analysis and Planning*, edited by Frank Fischer and John Forester, 43–76. Duke University Press, 1993. <https://doi.org/10.1215/9780822381815-003>.
119. Hale, Jon. "The Making of New the Democrates." *The Political Science Quarterly* 110, no. 2 (1995): 208–11.
120. Hall, Peter A., and Rosemary Taylor. "La science politique et les trois néo-institutionnalismes." *Revue française de science politique* 47, no. 3 (1997): 469–96. <https://doi.org/10.3406/rfsp.1997.395192>.
121. Hanania, Richard, and Max Abrahms. "What Do Think Tanks Think? Proximity to Power and Foreign Policy Preferences." *Foreign Policy Analysis* 19, no. 1 (January 1, 2023): orac031. <https://doi.org/10.1093/fpa/orac031>.
122. Hassid, Olivier, and Maurice Cusson. "Bonne nouvelle : le terrorisme recule. Pourquoi ?" *Le Débat* 204, no. 2 (2019): 189–92. <https://doi.org/10.3917/deba.204.0189>.
123. Hawley, Ellis W. "Herbert Hoover, the Commerce Secretariat, and the Vision of an 'Associative State,' 1921–1928." *Journal of American History* 61, no. 1 (June 1, 1974): 116–40. <https://doi.org/10.2307/1918256>.
124. Henry, P. J., Jim Sidanius, Shana Levin, and Felicia Pratto. "Social Dominance Orientation, Authoritarianism, and Support for Intergroup Violence between the Middle East and America." *Political Psychology* 26, no. 4 (2005): 569–83.
125. Herman, Edward S., and Gerry O'Sullivan. *The "Terrorism" Industry: The Experts and Institutions That Shape Our View of Terror*. Pantheon Books, 1989.
126. Hershberg, Eric, and Kevin W. Moore. *Critical Views of September 11: Analyses from around the World*. New York: New Press, 2002.
127. Hikm. "A Profile of Fouad Ajami." *Hikm : An Attempt at Wisdom* (blog), March 22, 2006. <https://hikm.wordpress.com/2006/03/21/the-native-informant-a-profile-of-fouad-ajami/>.
128. Hodgson, Godfrey. "The Establishment." *Foreign Policy*, no. 10 (1973): 3–40. <https://doi.org/10.2307/1147778>.

- 129.Holloway, Harry. "Interest Groups in the Postpartisan Era: The Political Machine of the AFL-CIO." *Political Science Quarterly* 94, no. 1 (1979): 117–33. <https://doi.org/10.2307/2150159>.
- 130.Holub, Joe. "Public Policy Research Think Tanks 2019: Middle East & North Africa." Accessed October 12, 2023. <https://guides.library.upenn.edu/c.php?g=1035991&p=7509981>.
- 131.Horowitz, David. "Guerre préventive : mener la bataille en territoire ennemi." *Outre-Terre* 5, no. 4 (2003): 41–44. <https://doi.org/10.3917/oute.005.0041>.
- 132.Hurd, Elizabeth Shakman. "Appropriating Islam: The Islamic Other in the Consolidation of Western Modernity." *Critique: Critical Middle Eastern Studies* 12, no. 1 (March 1, 2003): 25–41. <https://doi.org/10.1080/1066992032000064174>.
- 133.Hussain, Nazir. "Israel's State Terrorism and Regional Peace: Post-9/11 Scenario." *Strategic Studies* 22, no. 3 (2002): 153–69.
- 134."Ibn Khaldun Center for Development Studies (ICDS)." Accessed October 23, 2023. <https://www.devex.com/organizations/ibn-khaldun-center-for-development-studies-icds-47756>.
- 135.Ibrahim, Ezzat. "Arab and American Think Tanks: New Possibilities for Cooperation? New Engines for Reform?" *Brookings* (blog), 2004. <https://www.brookings.edu/articles/arab-and-american-think-tanks-new-possibilities-for-cooperation-new-engines-for-reform/>.
- 136.Independent sector. "Health of the U.S. Nonprofit Sector : A Quarterly Review," June 30, 2023. <https://independentsector.org/wp-content/uploads/2023/01/Quarterly-Health-Report-June-2023.pdf>.
- 137.InfluenceWatch. "Atlantic Council." *InfluenceWatch* (blog), 2021. <https://www.influencewatch.org/non-profit/atlantic-council/>.
- 138.INSS. "Amos Yadlin." *INSS* (blog), June 11, 2022. <https://www.inss.org.il/person/yadlinamos/>.
- 139.—. "Shlomo Gazit." *INSS* (blog), June 24, 2021. <https://www.inss.org.il/person/gazitshlomo/>.
- 140.Isaacson, Walter, and Evan Thomas. *The Wise Men: Six Friends and the World They Made*. Simon and Schuster, 1997.
- 141.Jackson, Richard. "Constructing Enemies: 'Islamic Terrorism' in Political and Academic Discourse." *Government and Opposition* 42, no. 3 (2007): 394–426.
- 142.—, ed. *Routledge Handbook of Critical Terrorism Studies*. Routledge Handbooks. London New York: Routledge, Taylor & Francis Group, 2016.
- 143.Jacob, André. "Jürgen Habermas, Théorie de l'agir communicationnel (1981). Tome I, Rationalité de l'agir et rationalisation de la société, Jean-Marc Ferry (Trad.) ; Tome II, Critique de la raison fonctionnaliste, Jean-Louis Schegel (Trad.), Paris, Fayard, 1987." *L'Homme et la société* 85, no. 3 (1987): 189–189.
- 144.Jacob, Forward. "History and Policy." *History & Policy*, October 20, 2021. <https://www.historyandpolicy.org/index.php/policy-papers/papers/historians-and-think-tanks-lessons-from-the-u.s-marketplace-of-ideas>.
- 145.Jenkins, Brian Michael. "International Terrorism: A New Kind of Warfare." RAND Corporation, January 1, 1974. <https://www.rand.org/pubs/papers/P5261.html>.

- 146.———. “The International Terrorism : A New Kind of Warfare.” Santa Monica, Calif, 1974. <https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/papers/2008/P5261.pdf>.
- 147.———. “The New Age of Terrorism.” McGraw-Hill Companies, Inc., February 10, 2006. <https://www.rand.org/pubs/reprints/RP1215.html>.
- 148.Jenkins, Brian Michael, and David Ronfeldt. “The Origin and Evolution of the RAND Corporation’s Terrorism Databases : Defining and Building a New Field Oof Knoledge,” November 2021. [rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PEA1200/RAND_PEA1203-1.pdf](https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PEA1200/RAND_PEA1203-1.pdf).
- 149.Jewish virtual library. “Benjamin ‘Bibi’ Netanyahu,” June 19, 2005. <https://www.jewishvirtuallibrary.org/benjamin-quot-bibi-quot-netanyahu>.
- 150.Jones, Seth G., and Martin C. Libicki. “How Terrorist Groups End: Lessons for Countering al Qa’ida.” RAND Corporation, August 3, 2008. <https://www.rand.org/pubs/monographs/MG741-1.html>.
- 151.Kadkhodae, Elham. “Israel Advocacy in the Academic Field: The Case of Terrorism Studies.” *World Sociopolitical Studies* 3, no. 2 (April 2019). <https://doi.org/10.22059/wsps.2020.286488.1111>.
- 152.Kattan, Victor. “The ‘Netanyahu Doctrine’: The National Security Strategy of the United States of America, and the Invasion of Iraq.” In *Human Rights and America’s War on Terror*. Routledge, 2018.
- 153.Kauffmann, Élisabeth. “« Les trois types purs de la domination légitime » de Max Weber : les paradoxes de la domination et de la liberté.” *Sociologie* 5, no. 3 (2014): 307–17. <https://doi.org/10.3917/socio.053.0307>.
- 154.Keller, Reiner. “The Sociology of Knowledge Approach to Discourse: An Introduction.” In *The Sociology of Knowledge Approach to Discourse*. Routledge, 2018.
- 155.Kelstrup, Jesper Dahl, and Doris Dialer. “EU Think Tank Lobbying Strategies: Between Theoretical Advice and Practice.” In *Lobbying in the European Union: Strategies, Dynamics and Trends*, edited by Doris Dialer and Margarethe Richter, 445–59. Cham: Springer International Publishing, 2019. https://doi.org/10.1007/978-3-319-98800-9_33.
- 156.Keskingören, Tuğrul, and Patrick R. Halpern. “Behind Closed Doors: Elite Politics, Think Tanks, and U.S. Foreign Policy.” *Insight Turkey* 7, no. 2 (2005): 99–114.
- 157.Kim, Wukki, and Todd Sandler. “Middle East and North Africa: Terrorism and Conflicts.” *Global Policy* 11, no. 4 (September 2020): 424–38. <https://doi.org/10.1111/1758-5899.12829>.
- 158.King, Desmond, and Robert C. Lieberman. “American State Building: The Theoretical Challenge.” In *The Unsustainable American State*, edited by Lawrence Jacobs and Desmond King, 0. Oxford University Press, 2009. <https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780195392135.003.0011>.
- 159.Krichen, Syrine. “Chomsky : la fabrication du consentement, de la propagande médiatique en démocratie.” *Mediapart* (blog), August 1, 2020. <https://blogs.mediapart.fr/edition/des-livres-et-nous/article/010820/chomsky-la-fabrication-du-consentement-de-la-propagande-mediatique-en-democratie>.

160. Krishna, Neeta. "A Think Tank History." Accessed June 25, 2023. <https://onthinktanks.org/articles/a-think-tank-history-a-view-from-india/>.
161. Krueger, Alan B., and Jitka Malečková. "Education, Poverty and Terrorism: Is There a Causal Connection?" *The Journal of Economic Perspectives* 17, no. 4 (2003): 119–44.
162. Kupperman, Robert H., Debra van Opstal, and David Williamson. "Terror, the Strategic Tool: Response and Control." *The Annals of the American Academy of Political and Social Science* 463 (1982): 24–38.
163. Kuran, Timur. *Private Truths, Public Lies: The Social Consequences of Preference Falsification*. Harvard University Press, 1995.
164. Landry, Julien. "Les think tanks, les sciences sociales et la généralisation du discours expert au Canada et aux États-Unis." Université du Québec, 2017. <https://core.ac.uk/download/pdf/143642834.pdf>.
165. Laqueur, Walter. *The Age of Terrorism*. Subsequent edition. Boston: Little Brown and Company, 1987.
166. Larousse, Éditions. "Traduction : expertise - Dictionnaire français-chinois Larousse." Accessed February 11, 2023. <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais-chinois/expertise/16012>.
167. Layne, Christopher. "The US Foreign Policy Establishment and Grand Strategy: How American Elites Obstruct Strategic Adjustment." *International Politics* 54, no. 3 (May 1, 2017): 260–75. <https://doi.org/10.1057/s41311-017-0033-0>.
168. Le courrier International. "Israël : La Loi de l'extrême Droite," February 23, 2023. <https://www.courrierinternational.com/article/a-la-une-de-l-hebdo-israel-la-loi-de-l-extreme-droite>.
169. ———. "Zéro Terrorisme En Arabie Saoudite," June 2, 2023. <https://www.courrierinternational.com/une/une-du-jour-zero-terrorisme-en-arabie-saoudite>.
170. Lehrs, Lior. "Addressing Needs, Promoting Peace: A Proposal for an International Incentives Package for Israeli-Palestinian Peace." *Mitvim* (blog). Accessed October 15, 2023. <https://mitvim.org.il/en/publication/addressing-needs-promoting-peace-a-proposal-for-an-international-incentives-package-for-israeli-palestinian-peace/>.
171. Lepont, Ulrike. "The most consulted experts in the United States: the hypothesis of a peri-administration." *Revue française de science politique* 66, no. 6 (2016): 887–913.
172. Libicki, Martin C. *Cyberdeterrence and Cyberwar*. Rand Corporation, 2009.
173. Lindquist, Evert. "Organizing for Policy Implementation: The Emergence and Role of Implementation Units in Policy Design and Oversight." *Journal of Comparative Policy Analysis: Research and Practice* 8, no. 4 (December 2006): 311–24. <https://doi.org/10.1080/13876980600970864>.
174. Lobe, Jim. "Neo-Con Superhawk Earns His Wings on Port Flap." Inter Press Service, February 26, 2006. <https://www.commondreams.org/headlines06/0224-07.htm>.
175. Lubienski, Christopher, T. Jameson Brewer, and Priya Londe. "Orchestrating Policy Ideas: Philanthropies and Think Tanks in US Education Policy Advocacy

- Networks.” *The Australian Educational Researcher* 43 (October 6, 2015). <https://doi.org/10.1007/s13384-015-0187-y>.
- 176.Lucić, Danijela. “The Plurality of Meanings ‘Terrorism’ - the Theoretical and Practical Importance of Understanding the Phenomena.” *Security Dialogues /Безбедносни Дијалози*, January 1, 2015. https://www.academia.edu/81142932/The_Plurality_of_Meanings_Terrorism_the_Theoretical_and_Practical_Importance_of_Understanding_the_phenomena.
- 177.Marchetti, Clotilde. “Les Discours de l’antiterrorisme : Stratégies de Pouvoir et Culture Politique En France et En Grande-Bretagne.” These de doctorat, Paris 1, 2003. <https://www.theses.fr/2003PA010252>.
- 178.Martin, John Levi. “What Is Field Theory?” *American Journal of Sociology* 109, no. 1 (2003): 1–49. <https://doi.org/10.1086/375201>.
- 179.Martini, Alice, and Raquel Da Silva. *Contemporary Reflections on Critical Terrorism Studies*. 1st ed. London: Routledge, 2023. <https://doi.org/10.4324/9781003266709>.
- 180.McGann, James. “2015 Global Go To Think Tank Index Report.” *TTCSP Global Go To Think Tank Index Reports*, February 9, 2016. https://repository.upenn.edu/think_tanks/10.
- 181.McGann, James G. “2020 Global Go To Think Tank Index Report.” *TTCSP Global Go To Think Tank Index Reports*. 18, 2021. <https://repository.upenn.edu/handle/20.500.14332/48577>.
- 182.McGann, James G. “Academics to Ideologues: A Brief History of the Public Policy Research Industry.” *PS: Political Science & Politics* 25, no. 4 (December 1992): 733–40. <https://doi.org/10.2307/419684>.
- 183.———. *The Fifth Estate: Think Tanks, Public Policy, and Governance*. Brookings Institution Press, 2016.
- 184.McGann, James G. “Think Tanks and The Transnationalization of Foreign Policy.” *U. S. FOREIGN POLICY AGENDA* 7, no. 3 (November 2002). https://ciaotest.cc.columbia.edu/olj/fpa/fpa_nov02_mcgann.pdf.
- 185.McGann, James G., and Richard Sabatini. *Global Think Tanks: Policy Networks and Governance*. 1st publ. Routledge Global Institutions 47. London: Routledge, 2011.
- 186.McGann, James G., and Robert Kent Weaver. *Think Tanks and Civil Societies: Catalysts for Ideas and Action*. Transaction Publishers, 2002.
- 187.McGinnis, Ray. “9/11, the Power Elite, and the U.S. Think Tanks That Plan the Future.” *The American Journal of Economics and Sociology* n/a, no. n/a. Accessed September 24, 2023. <https://doi.org/10.1111/ajes.12532>.
- 188.McGoey, Linsey. “The Logic of Strategic Ignorance: The Logic of Strategic Ignorance.” *The British Journal of Sociology* 63, no. 3 (September 2012): 533–76. <https://doi.org/10.1111/j.1468-4446.2012.01424.x>.
- 189.Medvetz, Thomas. “Les think tanks aux États-Unis.” *Actes de la recherche en sciences sociales* 176177, no. 1 (March 18, 2009): 82–93.

- 190.———. “Les think tanks aux États-Unis. L’émergence d’un sous-espace de production des savoirs.” *Actes de la recherche en sciences sociales* 176–177, no. 1–2 (2009): 82–93. <https://doi.org/10.3917/arss.176.0082>.
- 191.———. “Les think tanks dans le champ du pouvoir étasunien.” *Actes de la recherche en sciences sociales* 200, no. 5 (2013): 44–55. <https://doi.org/10.3917/arss.200.0044>.
- 192.———. *Think Tanks in America*. Chicago, IL: University of Chicago Press, 2014.
- 193.Meier, Olivier. “Pierre Bourdieu et Les Formes Du Capital.” *RSE Magazine*, 2020.
- 194.Merari, Ariel, ed. *On Terrorism and Combating Terrorism: Proceedings of an Internat. Seminar, Tel-Aviv, 1979*. JCSS Publications. Frederick, MD: Univ. Publ. of America, 1985.
- 195.Merari, Ariel, and Shlomi Elad. *The International Dimension Of Palestinian Terrorism*. 1st edition. Westview Press, 1987.
- 196.Merari, Ariel, Merkaz le-meḥkarim aṣṭraṭegiyim ‘al shem Yafeh, and International Seminar on Political Terrorism. “On Terrorism and Combating Terrorism: Proceedings of an International Seminar, Tel-Aviv, 1979.” Tel-Aviv: Jaffee Center for Strategic Studies, Tel-Aviv University, 1985.
- 197.Mercier, Arnaud. “Naomi Oreskes, Erik Conway, Les Marchands de doute. trad. de l’américain par Jacques Treiner, Paris, Éd. Le Pommier, 2012, coll. Essais et documents, 524 p (éd. originale : New York, Bloomsbury Press, 2010).” *Questions de communication* 23, no. 1 (2013): 462–64. <https://doi.org/10.4000/questionsdecommunication.8579>.
- 198.Michelot, Martin. “Les modes d’influence des think tanks dans le jeu politique américain.” *Politique américaine* 22, no. 2 (2013): 97–116. <https://doi.org/10.3917/polam.022.0097>.
- 199.Miller, Boaz. “When Is Consensus Knowledge Based? Distinguishing Shared Knowledge from Mere Agreement.” *Synthese* 190, no. 7 (May 2013): 1293–1316. <https://doi.org/10.1007/s11229-012-0225-5>.
- 200.Mills, C. Wright. *The Power Elite*. New York: Oxford University Press, 2000.
- 201.Mills, Tom. “Daniel Byman,” November 13, 2012. https://powerbase.info/index.php/Daniel_Byman.
- 202.———. “Yonah Alexander,” February 22, 2010. https://powerbase.info/index.php/Yonah_Alexander.
- 203.Missoffe, Prune. “Interroger la pertinence du critère d’irrégularité dans la définition de la figure de terroriste.” *La Revue des droits de l’homme. Revue du Centre de recherches et d’études sur les droits fondamentaux*, no. 9 (February 11, 2016). <https://doi.org/10.4000/revdh.1853>.
- 204.Moulain, Stéphane, ed. *Révolution, Lutte Armée et Terrorisme*. Dissidences, v. 1. Paris: Harmattan, 2005.
- 205.Muller, Pierre. *Les politiques publiques*. Vol. 8e éd. Que sais-je ? Paris cedex 14: Presses Universitaires de France, 2009. <https://www.cairn.info/les-politiques-publiques--9782130575924.htm>.

- 206.———. “Référentiel.” In *Dictionnaire des politiques publiques*, 4e éd.:555–62. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2014. <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0555>.
- 207.Nachman, Tal. “Islamic Terroeism in Egypt Challenge and Response.” *Strategic Assessment* 1, no. 1 (April 1998): 1–4.
- 208.Naughton, Michael. “‘Evidence-Based Policy’ and the Government of the Criminal Justice System - Only If the Evidence Fits!” *Critical Social Policy* 25, no. 1 (February 2005): 47–69. <https://doi.org/10.1177/0261018305048967>.
- 209.Neff, Donald. “Israel Was First Nation to Skyjack A Civilian Airliner.” WRMEA, November 9, 1994. <https://www.wrmea.org/1994-november-december/israel-was-first-nation-to-skyjack-a-civilian-airliner.html>.
- 210.Netanyahu, Binyamin, ed. *Terrorism: How the West Can Win*. 1st ed. New York: Farrar, Straus, Giroux, 1986.
- 211.Neuve, Erik. “L’approche constructiviste des « problèmes publics ». Un aperçu des travaux anglo-saxons.” *Études de communication. langages, information, médiations*, no. 22 (December 1, 1999): 41–58. <https://doi.org/10.4000/edc.2342>.
- 212.Norton-Taylor, Richard. “Brian Crozier Obituary.” *The Guardian*, August 9, 2012, sec. Politics. <https://www.theguardian.com/politics/2012/aug/09/brian-crozier>.
- 213.Oke, Adekunle. “State Terrorism: An Analysis of Third World Perspectives.” Howard University, 1995. <https://www.proquest.com/openview/85cdde82c3a56231c63b4911bd83bb07/1?pq-origsite=gscholar&cbl=18750&diss=y>.
- 214.Overton. “Spotlight on Think Tanks: What Is the Picture in the US?,” July 31, 2023. <https://blog.overton.io/spotlight-on-think-tanks-what-is-the-picture-in-the-us>.
- 215.Palier, Bruno. “Path dependence (dépendance au chemin emprunté).” In *Dictionnaire des politiques publiques*, 4e éd.:411–19. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2014. <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0411>.
- 216.“Pal-Think For Strategic Studies.” Accessed December 11, 2023. <https://palthink.org/en/>.
- 217.Plehwe, Dieter. “The Politics of Policy Think-Tanks: Organizing Expertise, Legitimacy and Counter-Expertise in Policy Networks.” In *Handbook of Critical Policy Studies*, edited by Frank Fischer, Douglas Torgerson, Anna Durnová, and Michael Orsini. Edward Elgar Publishing, 2015. <https://doi.org/10.4337/9781783472352.00028>.
- 218.Pok, Gil Eyal, Grace. “What Is Security Expertise?: From the Sociology of Professions to the Analysis of Networks of Expertise.” In *Security Expertise*. Routledge, 2015.
- 219.Porras, Alejandra Salas. “Transnational State Elites and the Neoliberal Project in Mexico.” *New Global Studies* 15, no. 1 (April 1, 2021): 23–46. <https://doi.org/10.1515/ngs-2020-0005>.
- 220.PowerBase. “Jerusalem Conference on International Terrorism,” February 19, 2020. https://powerbase.info/index.php/Jerusalem_Conference_on_International_Terrorism.

- 221.———. “Ray Cline,” November 11, 2014. https://powerbase.info/index.php/Ray_Cline.
- 222.Pringle, Matthew. “Boaz Ganor,” November 13, 2012. https://powerbase.info/index.php/Boaz_Ganor.
- 223.Rabasa, Angel, ed. *Building Moderate Muslim Networks*. Rand Corporation Monograph Series. Santa Monica, Calif.: Rand, 2007.
- 224.Radaelli, Claudio M. “Récits (policy narrative).” In *Dictionnaire des politiques publiques*, 4e éd.:548–54. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2014. <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0548>.
- 225.Rapoport, David C. “Fear and Trembling: Terrorism in Three Religious Traditions.” *The American Political Science Review* 78, no. 3 (1984): 658–77. <https://doi.org/10.2307/1961835>.
- 226.———. *Waves of Global Terrorism: From 1879 to the Present*. Columbia University Press, 2022.
- 227.Reid, Edna, and Hsinchun Chen. “Mapping the Contemporary Terrorism Research Domain: Researchers, Publications, and Institutions Analysis.” In *Intelligence and Security Informatics*, edited by Paul Kantor, Gheorghe Muresan, Fred Roberts, Daniel D. Zeng, Fei-Yue Wang, Hsinchun Chen, and Ralph C. Merkle, 322–39. Lecture Notes in Computer Science. Berlin, Heidelberg: Springer, 2005. https://doi.org/10.1007/11427995_27.
- 228.Reid, Edna O. F. “Evolution of a Body of Knowledge: An Analysis of Terrorism Research.” *Information Processing & Management* 33, no. 1 (January 1, 1997): 91–106. [https://doi.org/10.1016/S0306-4573\(96\)00052-0](https://doi.org/10.1016/S0306-4573(96)00052-0).
- 229.Rich, Andrew, ed. “The Policy Roles of Experts.” In *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*, 104–51. Cambridge: Cambridge University Press, 2004. <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889.004>.
- 230.———. *Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004. <https://doi.org/10.1017/CBO9780511509889>.
- 231.Riegler, Thomas. “‘Terrorology’: Who Analyses and Comments on the Terrorist Threat?” *Between Identity and Practice*, 2011, 43.
- 232.Risse, Thomas, ed. *The Power of Human Rights: International Norms and Domestic Change*. 8. print. Cambridge Studies in International Relations 66. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 2008.
- 233.Roberts, Priscilla. “A Century of International Affairs Think Tanks in Historical Perspective.” *International Journal* 70, no. 4 (2015): 535–55.
- 234.Robinson, Claire. “Paul Henze,” May 1, 2009. https://powerbase.info/index.php/Paul_Henze.
- 235.Rohde, Joy. “Gray Matters: Social Scientists, Military Patronage, and Democracy in the Cold War.” *The Journal of American History* 96, no. 1 (June 1, 2009): 99. <https://doi.org/10.2307/27694733>.
- 236.Roy, Olivier. “Du rôle consensuel des experts.” *Archives de sciences sociales des religions*, no. 155 (September 30, 2011): 11–19. <https://doi.org/10.4000/assr.23285>.

237. Ryan, Sheila. "Israel's Invasion of Lebanon: Background to the Crisis." *Journal of Palestine Studies* 11–12, no. 4–1 (July 1, 1982): 23–37. <https://doi.org/10.2307/2538330>.
238. Sabatier, Paul A. "Advocacy Coalition Framework (ACF)." In *Dictionnaire des politiques publiques*, 4e éd.:49–57. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2014. <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2014.01.0049>.
239. Samaan, Jean-Loup. "La RAND corporation, 1989-2009: la reconfiguration des savoirs stratégiques aux États-Unis." *Chaos international*. l'Harmattan, 2010.
240. Sandler, Todd. *Terrorism: What Everyone Needs to Know*. What Everyone Needs To Know®. Oxford, New York: Oxford University Press, 2018.
241. Sauger, Nicolas. "Raisons et évolution du rejet des partis." *Pouvoirs* 163, no. 4 (2017): 17–26. <https://doi.org/10.3917/pouv.163.0017>.
242. Schmid, Alex Peter, and A. J. Jongman. *Political Terrorism: A Research Guide to Concepts, Theories, Data Bases, and Literature*. C.O.M.T.-Publication, no. 12. Amsterdam : New Brunswick, U.S.A: North-Holland ; Distributors, Transaction Books, 1984.
243. Schmidt, Vivien. "Discursive Institutionalism: The Explanatory Power of Ideas and Discourse." SSRN Scholarly Paper. Rochester, NY, June 10, 2008. <https://papers.ssrn.com/abstract=1141448>.
244. Schmidt, Vivien A., and Amandine Crespy. "Néo-institutionnalisme discursif." In *Dictionnaire des politiques publiques*, 3e éd.:350–59. Références. Paris: Presses de Sciences Po, 2010. <https://doi.org/10.3917/scpo.bouss.2010.01.0350>.
245. Schweitzer, Yoram. "The Terrorism Threat against Israel from Al-Qaeda and Global Jihad." *INSS* (blog), June 2010. <https://www.inss.org.il/publication/the-terrorism-threat-against-israel-from-al-qaeda-and-global-jihad/>.
246. Shatz, Adam. "The Native Informant." *The Nation* (blog), April 28, 2003. <https://www.thenation.com/doc/20030428/shatz>.
247. Sherrington, Philippa. "British Think Tanks: Advancing the Intellectual Debate?" *The British Journal of Politics and International Relations* 2, no. 2 (June 2000): 256–63. <https://doi.org/10.1111/1467-856X.00036>.
248. Siracusa Institute. "Professor M. Cherif Bassiouni." Accessed November 23, 2023. <https://www.siracusainstitute.org/professor-m-cherif-bassiouni/>.
249. Siracusa Institute. "The Institute." Accessed November 23, 2023. <https://www.siracusainstitute.org/the-institute/>.
250. Smith, James Allen. *The Idea Brokers: Think Tanks and the Rise of the New Policy Elite*. Free Press, 1991.
251. Sommier, Isabelle. "La menace terroriste : entre logiques expertes et mobilisation des passions politiques." In *La peur : Émotion, passion, raison*, edited by Anne-Marie Dillens, 67–84. Collection générale. Bruxelles: Presses de l'Université Saint-Louis, 2019. <https://doi.org/10.4000/books.puosl.22228>.
252. SourceWatch. "Brian Crozier," November 21, 2015. https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Brian_Crozier.
253. ———. "Jaffee Center for Strategic Studies," April 12, 2009. https://www.sourcewatch.org/index.php/Jaffee_Center_for_Strategic_Studies.

- 254.———. “Jerusalem Center for Public Affairs - SourceWatch,” May 5, 2010. https://www.sourcewatch.org/index.php/Jerusalem_Center_for_Public_Affairs.
- 255.———. “William Colby.” *William Colby* (blog), September 2, 2009. https://www.sourcewatch.org/index.php?title=William_Colby.
- 256.Stampnitzky, Lisa. “Disciplining an Unruly Field: Terrorism Experts and Theories of Scientific/Intellectual Production.” *Qualitative Sociology* 34, no. 1 (March 1, 2011): 1–19. <https://doi.org/10.1007/s11133-010-9187-4>.
- 257.———. *Disciplining Terror: How Experts Invented “Terrorism.”* 1st ed. Cambridge University Press, 2013. <https://doi.org/10.1017/CBO9781139208161>.
- 258.———. “Experts, États et théorie des champs. Sociologie de l’expertise en matière de terrorisme.” Translated by Delphine Ettinger. *Critique internationale* 59, no. 2 (2013): 89–104. <https://doi.org/10.3917/crui.059.0089>.
- 259.———. “Problematic Knowledge: How ‘terrorism’ Resists Expertise.” In *Security Expertise*. Routledge, 2015.
- 260.Steffek, Jens. “Experts without Borders.” In *International Organization as Technocratic Utopia*, edited by Jens Steffek, 0. Oxford University Press, 2021. <https://doi.org/10.1093/oso/9780192845573.003.0004>.
- 261.Stone, Deborah A. “Causal Stories and the Formation of Policy Agendas.” *Political Science Quarterly* 104, no. 2 (June 1, 1989): 281–300. <https://doi.org/10.2307/2151585>.
- 262.Stone, Diane. *Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process*. London: Routledge, 1996. <https://doi.org/10.4324/9780203044292>.
- 263.———. “Think Tank Transnationalisation and Non-Profit Analysis, Advice and Advocacy.” *Global Society* 14, no. 2 (April 2000): 153–72. <https://doi.org/10.1080/13600820050008421>.
- 264.Stone, Diane, Andrew Denham, and Mark Garnett. *Think Tanks Across Nations: A Comparative Approach*. Manchester University Press, 1998.
- 265.Struyk, Raymond. “New Right Think Tanks in the US.” Accessed October 11, 2023. <https://onthinktanks.org/articles/new-right-think-tanks-in-the-us/>.
- 266.Sugg, John F. “Steven Emerson’s Crusade.” Associated Press, February 1999. <http://www.fair.org/index.php?page=1443>.
- 267.Sun, Zhiru, and Zhiqiang Zhang. “Measuring Think Tank Influence Using Quantitative Text Analysis.” In *Proceedings of the 2013 International Conference on Information, Business and Education Technology (ICIBET-2013)*. China: Atlantis Press, 2013. <https://doi.org/10.2991/icibet.2013.214>.
- 268.SurceWatch. “Michael Ledeen.” *Michael Ledeen* (blog), June 1, 2012. https://www.sourcewatch.org/index.php/Michael_Ledeen.
- 269.Surel, Yves. “La mécanique de l’action publique. Le process tracing dans l’analyse des politiques publiques.” *Revue française de science politique* 68, no. 6 (2018): 991–1014. <https://doi.org/10.3917/rfsp.686.0991>.
- 270.Swartz, David L. “Bourdieu’s Concept of Field,” April 28, 2016. <https://doi.org/10.1093/obo/9780199756384-0164>.

271. "Tawhid Wal-Jihad." Accessed December 3, 2023. <https://timep.org/2014/07/22/tawhid-wal-jihad/>.
272. The Tahrir Institute for Middle East Policy. "Egypt's Rising Security Threat." Columbia: The Tahrir Institute for Middle East Policy, 2015. https://timep.org/wp-content/uploads/2015/11/Tahrir_Report_FINAL_WEB.pdf.
273. Theohary, Catherine A, and John W Rollins. "Cyberwarfare and Cyberterrorism: In Brief." CRS report. Congressional Research Service, 2015.
274. Toolis, Kevin. "Rise of Terrorist Professors." *New Statesman*, June 14, 2004. newstatesman.com/long-reads/2004/06/rise-of-the-terrorist-professors.
275. Tribalat, Michèle. "Timur Kuran Private Truths, Public Lies The Social Consequences Of Preference Falsification." *Micheletribalat.Fr* (blog), May 2018. <https://micheletribalat.fr/435379014/439783525>.
276. Trinh, Sylvaine. "Aum Shinrikyô : secte et violence." *Cultures & Conflits*, no. 29–30 (October 15, 1998). <https://doi.org/10.4000/conflits.718>.
277. Vaïsse, Justin. "Chapitre 7. L'âge de l'autorité." In *Zbigniew Brzezinski*, 311–47. Hors collection. Paris: Odile Jacob, 2015. <https://www.cairn.info/zbigniew-brzezinski--9782738133427-p-311.htm>.
278. Vassalli, Giuliano. "Hommage au professeur M. C. Bassiouni son œuvre au service de la science penale et des droits de l'homme." *Revue internationale de droit pénal* 75, no. 3–4 (2004): 681–94. <https://doi.org/10.3917/ridp.753.0681>.
279. Vauchez, Antoine. "Interstitial Power in Fields of Limited Statehood: Introducing a 'Weak Field' Approach to the Study of Transnational Settings." *International Political Sociology* 5, no. 3 (September 2011): 340–45. https://doi.org/10.1111/j.1749-5687.2011.00137_4.x.
280. Vorrall, Alice, and Louise Faimosa. "Les problématiques de l'Otan en Méditerranée orientale : préoccupations, priorités, ligne d'action." *Revue Défense Nationale*, no. 842 (Et 2021). https://www.defnat.com/pdf/cahiers/CAH086/10.%20Vorrall_Faimosa.pdf.
281. Watson Institute For International and Public Affairs. "U.S. BUDGETARY COSTS." *The Costs of War* (blog), September 2021. <https://watson.brown.edu/costsofwar/papers/summary>.
282. Weaver, R. Kent. "The Changing World of Think Tanks." *PS: Political Science & Politics* 22, no. 3 (September 1989): 563–78. <https://doi.org/10.2307/419623>.
283. Weingart, Peter. "Scientific Expertise and Political Accountability: Paradoxes of Science in Politics." *Science and Public Policy* 26, no. 3 (June 1, 1999): 151–61. <https://doi.org/10.3152/147154399781782437>.
284. Weiss, Carol H. "Research for Policy's Sake: The Enlightenment Function of Social Research." *Policy Analysis* 3, no. 4 (1977): 531–45.
285. ———. "The Many Meanings of Research Utilization." *Public Administration Review* 39, no. 5 (1979): 426–31. <https://doi.org/10.2307/3109916>.
286. Wiarda, Howard J. "Think Tanks and Foreign Policy in a Globalized World: New Ideas, New 'Tanks,' New Directions." *International Journal* 70, no. 4 (2015): 517–25.

287. Wiewiorka, Michel. "Terrorism in the Context of Academic Research."
In *Terrorism in Context*, Martha Crenshaw. Penn State University Press, 1995.
288. Wikipédia. "Ariel Merari." In *Wikipedia*, November 13,
2023. https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Ariel_Merari&oldid=1184904714.
289. ———. "Nine Eleven Finding Answers Foundation." In *Wikipedia*, November 17,
2023. https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Nine_Eleven_Finding_Answers_Foundation&oldid=1185571495.
290. ———. "Violences par arme à feu aux États-Unis." In *Wikipédia*, August 21,
2023. https://fr.wikipedia.org/w/index.php?title=Violences_par_arme_%C3%A0_feu_aux_%C3%89tats-Unis&oldid=207114553.
291. ———. "Walter Laqueur." In *Wikipédia*, November 7,
2023. https://fr.wikipedia.org/w/index.php?title=Walter_Laqueur&oldid=209422051
292. Wilkinson, Paul. "Terrorism and Propaganda." In *Terrorism and the Media: Dilemmas for Government, Journalists and the Public*, edited by Richard Latter. Washington, 1990.
293. Wittes, Tamara Cofman. "Fighting ISIS: The Slipperiest Slope of Them All." *The Atlantic* (blog), March 12,
2016. <https://www.theatlantic.com/international/archive/2016/03/obama-doctrine-goldberg-inaction/473520/>.
294. Xinhua, Wang. "Trends towards Globalization and a Global Think Tank." *Futures* 24, no. 3 (April 1, 1992): 261–67. [https://doi.org/10.1016/0016-3287\(92\)90035-E](https://doi.org/10.1016/0016-3287(92)90035-E).
295. Yousefzadeh, Pejman. "Combating Terrorism : The Shultz Doctrine," June 24,
2013. <https://ricochet.com/157632/combating-terrorism-the-shultz-doctrine/>.

قائمة الأشكال و المنحنيات

الرقم	الموضوع	الصفحة
منحني Books Ngram Viewer يبرز حجم الاشارة إلى مصطلح الخبرة		
منحني رقم 01	Expertise باللغة الانجليزية في باحث غوغل للكتب خلال الفترة 1900-2020 (بتاريخ 2023/06/14).	31
منحني رقم 02	عدد المؤتمرات المنعقدة حول الارهاب، عدد المشاركين فيها وعدد المداخلات خلال الفترة 1972-1978.	223
منحني رقم 03	حجم النشاط الارهابي في بعض الدول العربية في الشرق الأوسط	259

قائمة الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
جدول رقم 01	الترتيب الشامل لمراكز التفكير في العالم حسب البروفيسور جيمس ماك غين James McGann	194
جدول رقم 02	أهم خبراء الارهاب الأمريكيين عند نشأة الحقل الأمريكي خلال الفترة الممتدة بين : 1972-1980	225
جدول رقم 03	قائمة لأهم الخبراء العرب حول الارهاب خلال السبعينيات و الثمانينيات	266
جدول رقم 04	ترتيب أهم الخبراء العرب ضمن قائمة الـ 500 الأولى في العالم وفقا لمؤشر الاقتباس حسب الباحث Google Scholar	279
جدول رقم 05	عدد المشاركين في مؤتمر مصر وتحديات الارهاب (2016)	286
جدول رقم 06	قائمة المشاركين في مؤتمر مصر وتحديات الارهاب (2016)	288

فهرس المحتويات

-	تصريح النزاهة
-	شكر
-	اهداء
01	مقدمة :
01	I. تقديم لموضوع الدراسة : أهمية الخبرة حول الارهاب في العملية السياسية
05	II. التعريف بموضوع الدراسة
05	III. مصدر التساؤلات ومبررات للدراسة
05	أ. على المستوى العملي
06	ب. على المستوى العلمي و النظري
08	IV. الأهداف من الدراسة
09	V. التعريف بإشكالية الدراسة
11	VI. فرضية الدراسة
12	VII. مراجعة الأدبيات Revue de Littérature
13	أ. الدراسات حول موضوع مراكز التفكير
15	ب. الأدبيات من حقل دراسات الارهاب Terrorism Studies
18	ت. الدراسات من حقل الدراسات النقدية للارهاب
20	VIII. الاطار المنهجي للدراسة :
21	أ. المنهجية Methodology
22	ب. المناهج المستعملة في التحليل Methods
26	IX. تقسيم الدراسة
28	الفصل الأول : اطار المفاهيم و النظريات المتعلقة بموضوع الدراسة
28	المبحث الأول : ما المقصود بخبرة مراكز التفكير؟
28	المطلب الأول : مفهوم الخبرة
28	1- مسار التطور التاريخي لمفهوم الخبرة' ولقيمته الاستخدامية
33	2- تعريف الخبرة
34	2-1. مساهمات حقل سوسيولوجيا المهن
35	2-2. مقارنة فريتش Fritsch : مفهوم موقف الخبرة Situation d'expertise

41	المطلب الثاني : تعريف مراكز التفكير
41	1.مساهمات سوسيولوجيا المنظمات و حدودها
47	2.نحو تعريف وظيفي لمراكز التفكير
51	المطلب الثالث : من هو خبير الارهاب ؟
52	1- الارهاب : مفهوم غير مستقر فكيف يمكن تعريف خبراء الارهاب ؟
53	1-1. غياب الاجماع في تعريف الارهاب وخصوصية التعريفات التي يقدمها حقل خبراء الارهاب.
58	1-2. دور خبراء مراكز التفكير في بناء مفهوم الارهاب : أداة لتقليص التضارب بين التعاريف؟
60	2- بناء تعريف للإرهاب : وسيلة للسياسة الخارجية للقوى الدولية
62	2-1. الارهاب : عنف غير نظامي قبل كل شيء
63	2-2. الارهاب عنف غير نظامي مرتبط بالمصالح الجيوسياسية للهيئات النظامية
65	3- من يكون خبير الارهاب ؟
70	المبحث الثاني : أدوار خبراء مراكز التفكير : المقاربات النظرية لتفكيك الموضوع
71	المطلب الأول : مقاربات سوسيولوجيا المعرفة و سوسيولوجيا الحقل حول أدوار خبراء مراكز التفكير
71	1- سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة لتحليل أدوار خبراء مراكز التفكير
72	1-1. التحليل البنائي لأدوار خبراء الارهاب : صناع للتهديد
74	1-2. سوسيولوجيا المعرفة كمقاربة خطابية
78	2- خبراء مراكز التفكير عن الارهاب و تطبيقات نظرية الحقل Field theory
80	2-1. مفهوم الحقل و اسقاطه على موضوع مراكز التفكير
83	2-2. هل يمكن اعتبار خبراء الارهاب في مراكز التفكير كحقل ؟
86	2-3. خبراء مراكز التفكير عن الارهاب كحقل سلطوي غير تقليدي
87	2-3.1. مفهوم ثوماس ميدفيتز Thomas Medvetz عن الحقل الهجين
89	2-3.2. حقل خبراء مراكز التفكير عن الارهاب : حقل هجين و عابر للأوطان
92	المطلب الثاني : المؤسساتية الخطابية الجديدة لتفسير خبرة مراكز التفكير عن الارهاب
93	1- المؤسساتية الخطابية الجديدة : دور الأفكار و الخطاب في تفسير السياسات
93	1-1. المسلمات الرئيسية للمؤسساتية الخطابية
95	1-2. أنواع الأفكار و مستوياتها عند المؤسساتيين الخطابيين
97	1-3. خطاب التنسيق و خطاب التواصل عند المؤسساتيين الخطابيين

99	2- مفهوم السردية السياسية Policy Narrative كأداة لتفكيك موضوع خبرة مراكز التفكير عن الارهاب
100	2-1. تعريف الرواية السياسية عند راداييلي Radaelli
102	2-2. القدرة التفسيرية لمفهوم الرواية السياسية
103	3- خبراء مراكز التفكير كجماعة معرفية Epistemic Community
103	3-1. مفهوم الجماعة المعرفية
104	3-2. خبراء مراكز التفكير : تحالف نضالي Advocacy coalition أم تحالف خطابي coalition discursive ؟
107	3-3. فائدة مفهوم الجماعة المعرفية لتحليل موضوع خبراء الارهاب في مراكز التفكير
108	حوصلة : فائدة المقاربة المؤسساتية الخطابية لتحليل موضوع الخبرة عن الارهاب
109	المطلب الثالث : مراكز التفكير كفاعل في النظام المعرفي حول الارهاب
110	1- مفهوم النظام المعرفي عند كامبل و بيدرسون
113	2- النظام المعرفي عن الارهاب و مركزية علاقة الخبراء بالاستخبارات
120	المبحث الثالث : مقاربات تفسير التأثير السياسي لمراكز التفكير
120	المطلب الأول : نظريات النخب لتفسير أدوار مراكز التفكير في العملية السياسية
121	1- مراكز التفكير كسلطة نخبية : تشارلز رايت ميلز & ويليام دومهوف
125	2- دور خبراء مراكز التفكير في صياغة و توحيد الأجندة السياسية
130	المطلب الثاني: البحث عن التأثير السياسي كوظيفة رئيسية لمراكز التفكير
131	1- استراتيجيات اتصال ناجعة لمراكز التفكير
133	2- مراكز التفكير : أدوات تدوير للأفكار السياسية
135	المطلب الثالث : قراءة نقدية نيو- غرامشية لأدوار خبراء مراكز التفكير
141	الفصل الثاني : ديناميكيات حقل مراكز التفكير في الولايات المتحدة والشرق الأوسط
141	المبحث الأول : مراكز التفكير : تجربة أمريكية
142	المطلب الأول : نشأة مراكز التفكير وتطورها كمؤسسات مستقلة بذاتها
142	1- أهمية فهم مسار النشأة في السياق الأمريكي
144	2- فترة نشوء حقل مراكز التفكير الأمريكية (1890-1960)
146	2-1. فترة التقدميين و العهد الجديد : مراكز تفكير موضوعية في خدمة الحكومة
148	2-2. فترة (1945-1960) : نموذج الخبير – L'expert-technocrate
151	3- فترة تبلور حقل مراكز التفكير (1960 –اليوم)
151	3-1. تحولات السياق الأمريكي خلال السبعينيات وظهور نموذج الخبير- المناضل

154	3-2. اندماج ممارسات مراكز التفكير و تبلور الحقل
156	المطلب الثاني : مراكز التفكير الأمريكية و تحول حقل السلطة الأمريكي
157	1- صعود الفئة الهجينة من الخبراء و انتقال للسلطة نحو مراكز التفكير
159	2- تفسير المكانة السلطوية لمراكز التفكير داخل الحقل السياسي الأمريكي
160	2-1. بيئة اتخاذ القرار
165	2-2. اقتصاد هبات قوي جدا في دولة منسحبة
165	2-2. 1. القوة الاقتصادية للقطاع الخيري الأمريكي كمدخل لتفسير ازدهار مراكز التفكير في الولايات المتحدة
167	2-2. 2. وفرة التمويل الخاص : عامل استقلالية سياسية لمراكز التفكير عن الدولة
169	المطلب الثالث : الديناميكيات الكبرى العابرة لحقل مراكز التفكير الأمريكي
169	1- أدلجة مراكز التفكير الأمريكية و تسييسها Idéologisation et politisation
172	1-1. صعود مراكز التفكير المحافظة
174	1-2. مراكز التفكير التقدمية : اعادة التوجه نحو النشاط النضالي
174	1-2. 1. مراجعة الأفكار الليبرالية كمشروع للحزب الديموقراطي
176	1-2. 2. الانتقال نحو مراكز تفكير حزبية
177	2- حركية التدويل و الانتشار العابر للأوطان Internationalisation et transnationalisation
177	2-1. انتشار مراكز التفكير عبر العالم : انتشار للتقليد الأمريكي ؟
181	2-2. تدويل مراكز التفكير الأمريكية : نموذج مركز كارنيجي
182	2-3. نحو نموذج جديد : مراكز التفكير الكونية
183	2-4. البعد الكوني في نشاط مراكز التفكير كرهان سلطوي
186	المبحث الثاني : مراكز التفكير الشرق أوسطية
187	المطلب الأول : تجربة مراكز التفكير في الدول العربية
188	1- نشأة و تطور مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط
188	1-1. مسار النشأة : المركزية المصرية
189	1-2. الخصائص العامة لمراكز التفكير المصرية
191	2- اتجاهات حقل مراكز التفكير العربية في الشرق الأوسط
197	3- خصوصية العلاقة بين مراكز التفكير و مراكز القرار في الدولة العربية
197	3-1. احتكار الدولة العربية للخبرة السياسية في مجال السياسة الخارجية
198	3-2. الصنف التأييدي لمراكز التفكير العربية في حقل السياسة الخارجية

201	المطلب الثاني : مراكز التفكير في اسرائيل
201	1- خارطة مراكز التفكير في اسرائيل
202	1.1. مراكز التفكير الجامعية
205	1.2. مراكز التفكير التابعة للدولة
205	1.3. مراكز التفكير التابعة للأحزاب السياسية
206	1.4. مراكز التفكير المستقلة
207	2- مدى تأثير مراكز التفكير في العملية السياسية الاسرائيلية
208	2.1. مكانة وأهمية مراكز التفكير الاسرائيلية
209	2.2. حجم التأثير السياسي لمراكز التفكير الاسرائيلية
212	حوصلة
214	الفصل الثالث : حقل خبراء الارهاب في الولايات المتحدة و الشرق الأوسط
214	المبحث الأول : المركزية الأمريكية : نشأة و تطور الحقل الأمريكي لخبراء الارهاب
214	المطلب الأول : النواة الصلبة للحقل الأمريكي لخبراء الارهاب
215	1- ابتكار الارهاب كموضوع للخبرة من طرف مراكز التفكير
218	2- مراكز التفكير و حقل دراسات الارهاب ؛ نحو هيمنة للخبراء على الموضوع ؟
219	2.1. الموقع الريادي لمراكز التفكير الأمريكية في دراسة موضوع الارهاب
222	2.2. المؤتمرات الأمريكية الأولى حول الارهاب
225	3- السمات الكبرى لحقل خبراء الارهاب الأمريكي
225	3.1. حقل خبراء الارهاب الأمريكي : الجيل الأول
226	3.2. النواة الصلبة للحقل : نموذج الخبر متعدد المراكز
229	3.3. صنفُ الخبراء الصحفيين
231	3.4. نموذج الخبراء الأكاديميين
233	المطلب الثاني : بروز و تطور الحقل الاسرائيلي لخبراء الارهاب
234	1- الجذور الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي
234	1.1. معهد جوناتان و الترويج لاستراتيجية الحرب الوقائية ضد الارهاب
238	1.2. مركز جيفي للدراسات الاستراتيجية ICSS
239	2- النواة الرئيسية الأولى لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي و معالم النموذج الاسرائيلي
239	2.1. النواة الصلبة لحقل خبراء الارهاب الاسرائيلي
239	2.2. 1. الخبراء الاسرائيليون
243	2.2. 2. الخبراء الأمريكيون المساندون لخطاب اسرائيل عن الارهاب

246	2-2. المسلمات الكبرى للنموذج الاسرائيلي في نهاية السبعينيات
248	3- الجيل الجديد من الخبراء الإسرائيليين عن الارهاب
252	المبحث الثالث : حقل خبراء الإرهاب العرب في الشرق الأوسط
252	المطلب الأول : ظهور الخطاب الرسمي العربي حول الارهاب
252	1- ملامح السياق الشرق أوسطي و بروز مشكلة الارهاب في الدولة العربية
254	2- الخطاب الرسمي للدولة العربية الشرق أوسطية حول الارهاب
255	2-1. التوصيف بالإرهاب و مقاربات الحلحلة
256	2-1.1. الحالة المصرية
258	2-1.2. الحالة الفلسطينية
259	2-1.3. حالة الدول الخليجية
261	2-1.4. مقارنة الحالات العربية : أوجه الشبه والاختلاف
263	2-2. استعمالات الخطاب حول الارهاب : أدوات للهيمنة ولمناهضة الهيمنة في الشرق الأوسط
265	المطلب الثاني : بروز خبراء الارهاب العرب
265	1- الخبراء العرب في الولايات المتحدة الأمريكية
267	1-1. فؤاد عجمي Fouad Ajami
271	1-2. محمد شريف بسيوني Mohamed Charif Bassiouni
271	1-1.2. البيوغرافيا
273	1-2.2. السمات العامة لنموذج الخبير القانوني كما تمثله حالة بسيوني
274	2- مساهمة بسيوني في بناء نموذج قانوني كرفية بديلة للخطاب الايديولوجي المهيمن
275	2-1. نظرة وتعريف بسيوني للإرهاب
276	2-2. الجدوى الاستراتيجية لمساهمات بسيوني القانونية
278	المطلب الثالث : الجيل الحالي لخبراء الارهاب في الدول العربية الشرق أوسطية
278	1- حالة البحث العربي الراهن في موضوع الارهاب
279	1-1. أهم خبراء الارهاب العرب وفقا لمؤشر الاقتباس / الاستشهاد
280	1-2. خبراء الارهاب العرب على مستوى مراكز التفكير العربية
284	1-3. قواعد البيانات العربية
285	2- خبراء الارهاب العرب من خلال مؤشر المؤتمرات حول الارهاب
286	2-1. مؤتمرات الارهاب العربية و خبراءها
286	2-1.1. مؤتمر مصر وتحديات الارهاب (2016)

289	2-1. 2-2. منتدى الرياض لمكافحة التطرف ومكافحة الارهاب (2017)
290	2-2. نماذج الفهم والاستجابة من خلال خطاب المؤتمرات
292	حوصلة
294	الفصل الرابع : انتاج الخبرة حول موضوع الارهاب في مراكز التفكير الأمريكية والشرق أوسطية
296	المبحث الأول : كيفية بناء موضوع الارهاب من طرف الخبراء : تحليل مقارنة
296	المطلب الأول : بناء الخطاب حول الارهاب من طرف خبير مركز التفكير
296	1- تفكيك مسار التحليل عند خبير مركز التفكير
297	1-1. الفاعلون المتدخلون في بناء مشكلة الارهاب
297	1-2. توصيف الأفعال و الفاعلين و استراتيجياتهم بالإرهاب
298	1-3. البناء الخطابي لموضوع الارهاب في مرحلة التسييس
298	2- كيفية بناء مشكلة الارهاب عند خبير مركز التفكير
299	2-1. حتمية بناء العلاقة بين العنف و الفئات السوسيو-سياسية و النشاط الارهابي
303	2-2. حتمية الدفاع عن مصالح الدولة القومية
306	3- مدى ارتباط الخطاب المحلي الخبير بالخطاب العالمي المهيمن
308	المطلب الثاني : توضيح جانب الأزمة و اقتراح الحلول من طرف الخبراء
308	1- توضيح جانب الأزمة في المشكلة
309	1-1. معهد راند
312	1-2. المعهد القومي للدراسات الاستراتيجية INSS - اسرائيل
314	1-3. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية - مصر
315	2- بناء الحلول من طرف الخبراء : تحليل نيو مؤسساتي
316	2-1. مجال المسموح و بناء الحلول
319	2-2. مجال المسموح و بناء الحلول التي تنادي بالقطيعة النسبية
321	المبحث الثاني : من براديغم الحرب الى الاحتواء
321	المطلب الأول : المرجعية الثقافية و صناعة العدو الحضاري
322	1- صدام الحضارات كمرجعية
324	2- سردية الارهاب الجديد New Terroism عند الخبراء الأمريكيين
326	3- انتقال خطاب الارهاب الهوياتي الى دول الشرق الأوسط
326	المطلب الثاني : براديغم الحرب على الارهاب
326	1- براديغم الحرب ضد الارهاب حسب مركز راند الأمريكي
328	2- براديغم الحرب ضد الارهاب عند خبراء الشرق الأوسط

332	المطلب الثالث : نحو استراتيجية شاملة لمواجهة الارهاب : براديغم الاحتواء
332	1- السياق العام لدراسة ليبكي و جونز (2008)
334	2- نموذج الاحتواء في دراسة جونز وليبيكي
338	3- انتقال براديغم الاحتواء الى مراكز التفكير في الشرق الأوسط
338	3-1. مركز الأهرام : استراتيجية الاحتواء الأمريكية في قالب مصري
338	3-2. دراسة عمر عاشور : المعهد العربي للأبحاث ودراسة السياسات – قطر
341	المبحث الثالث : بناء الاجماع وشرعنة الأجندات السياسية
341	المطلب الاول : استراتيجيات مناهضة المعرفة ورفض التفسير عند خبراء مراكز التفكير
343	1- المداخل المهيمنة لتفسير الفعل الارهابي عند الخبراء
344	2- هيمنة متغير التطرف / التعصب الديني في تفسير الفعل الارهابي
347	3- مفهوم تشويه التفضيلات لفهم هيمنة تفسير الأغلبية
349	المطلب الثاني : رفض تفسير الارهاب كألية لبناء الاجماع
350	1- الاجماع حول ماذا في موضوع الارهاب ؟
353	2- تحييد المعرفة الموضوعية للارهاب كألية لبناء الاجماع
355	المطلب الثالث : الاستعمالات السياسية للخطاب الخبير حول الارهاب
355	1- تضخم استعمال الخبرة حول الارهاب
358	2- رفض التفسير كسلوك استراتيجي
359	2- شرعنة الأجندات السياسية
359	2-1. شرعنة الأجندات السياسية للحقل العسكري
362	2-2. شرعنة السياسات القائمة
364	الخاتمة
373	قائمة المراجع
395	قائمة الأشكال
396	قائمة الجداول
397	فهرس المحتويات
405	الملخص / Abstract/ Résumé

ملخص :

تناول هذه الأطروحة كيفية بناء الارهاب كموضوع للخبرة من طرف مراكز التفكير الأمريكية و الشرق الأوسطية بعد 11 سبتمبر 2001. انطلاقا من اعتبار أن الخبراء ينتجون براديغمات عمل وليس نماذج فهم نظرية، فإن طبيعة الخبرة المنتجة عن الارهاب تتميز بنزعتها نحو تحييد التفسيرات الموضوعية والعقلانية له، وهو ما يجعل منها خبرة ميسرة قبل كل شيء. تقترح النماذج الخبرة المهيمنة فهما هوياتيا للارهاب ؛ فهي تبحث عن الربط بين الفعل الارهابي وهوية العدو بهدف تحديد الحرب التي ينبغي على السياسيين والعسكريين القيام بها. يهيمن هذا التصور على المستوى العابر للأوطان أيضا، فهو ينتقل من المركز الأمريكي نحو المحيط الشرق أوسطي ليصنع إجماعا للخبراء. بالاستناد على مفهوم تشويه التفضيلات لتييمور كوران، قدمنا شرحا لآلية تشكل الاجماع بين الخبراء، و فسرناه أيضا بهيمنة فاعلين آخرين من الحقلين السياسي والعسكري-الاستخباراتي على الخبراء.

الكلمات المفتاحية : الخبرة، مراكز التفكير، الارهاب، الولايات المتحدة الأمريكية، الشرق الأوسط.

RESUME :

Cette thèse a pour objet d'analyser la façon dont l'objet terrorisme a été construit par l'expertise des think tanks (TT) aux Etats-Unis et Moyen Orient depuis le 11 septembre 2001. Étant donné que les experts ont pour mission de produire des paradigmes d'action et non pas des explications théoriques, l'expertise sur le terrorisme est marquée par sa tendance à neutraliser les explications objectives et rationnelles, ce qui fait d'elle un savoir politisé avant tout. Les paradigmes experts dominants conceptualisent ce terrorisme comme étant identitaire; ils consistent à établir le fameux rapport liant l'acte terroriste à la figure l'ennemi dans l'objectif de déterminer la guerre que doivent mener les acteurs politiques et militaires. Cette conceptualisation du terrorisme est dominante sur le plan transnational ; elle se déplace du centre états-unien vers la périphérie moyen-orientale et sert à former le consensus des experts. A partir de la notion de falsification des préférences, de Timur Kuran, nous constatons que les experts ont tendance à sélectionner les explications qu'ils expriment publiquement, lesquelles sont nécessairement différentes de leurs préférences privées. Si certaines explications expertes sont très partagées dans le débat politique, cela signifie que les experts sont dominés par les conceptions que produisent particulièrement d'autres acteurs politiques et militaires.

MOTS CLES: Expertise; *Think Tanks*; Terrorisme, les États-Unis; Moyen-Orient

ABSTRACT:

The present thesis aims to analyze how the concept of terrorism has been constructed by the expertise of think tanks (TT) in the United States and the Middle East since September 11, 2001. Given that experts are charged with generating action-oriented paradigms rather than theoretical explanations, expertise on terrorism is marked by its tendency to neutralize objective and rational explanations, making it primarily a politicized knowledge. The dominant expert paradigms conceptualize terrorism as identity-based; they consist of establishing the link between the terrorist act and the figure of the enemy with the aim of determining the war that political and military actors must conduct. This conceptualization of terrorism is dominant on a transnational level; it shifts from the U.S. center to the Middle Eastern periphery and serves to shape expert consensus. Using the concept of preference falsification developed by Timur Kuran, experts tend to select the explanations they express publicly, which necessarily differ from their private preferences. If certain expert explanations are widely shared in the political debate, this means that experts are dominated by the conceptions particularly produced by other political and military actors.

KEY WORDS: Expertise; *Think Tanks*; Terrorism; United States; Middle East.

